مازن الوعر
دكتوراه دولة في علم اللسانيات الحديث
أستاذ الدراسات اللسانية في جامعة دمشق

دراسات لسانية تطبيقية



دمشق ـــ أوتوستراد المزة
هاتف
٢٤٤١٢٦ ـــ ٢٤٣٩٥١ ـــ ٢١٣٨٢١
تلكس: ٤١٢٠٥٠
ص.ب: ١٦٠٣٥
العنوان البرقي
طلاسدار
TLASDAR

ريع الدار مخصص
لصالح مدارس أبناء الشهداء في القطر العربي السوري

دراسات
لسانيّة تطبيقيّة

الطبعة الأولى
1989

مازن الوعر
دكتوراه دولة في علم اللسانيات الحديث
استاذ الدراسات اللسانية في جامعة دمشق

دراسات لسانية تطبيقية

الإهـــــــــــداء

إلى أخي خالد (أبو عوض) الذي ظلَّ في سمائي رمزاً للأمل وشعاعاً من النور، فأنار لي الطريق وأحيا من جلدي وارتفع بي فوق الآلام فكان أخاً وأباً عطوفاً تعهدني بالتنشئة والتوجيه والحب...

إلى روحه الطاهرة طيّب الله ثراها رحمةً ودعـاءً... أقدم هذه الثمرة المتواضعة عرفاناً ووفاءً.

مازن الوعر

التعريف بالمؤلف

○ أستاذ علم اللسانيات الحديث في كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة دمشق .

○ عضو في اتحاد الكتاب العرب ـــ دمشق .

الدرجات العلمية

○ دكتوراه دولة في علم اللسانيات الحديث بدرجة شرف من جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأميركية.

○ ماجستير في علم اللسانيات الحديث بدرجة ممتاز من جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأميركية .

○ دبلوم الدراسات المعمقة من معهد ماستشوستس للتكنولوجيا (MIT) في الولايات المتحدة الأميركية .

○ دبلوم الدراسات العليا ـــ القسم الأدبي من جامعة دمشق .

○ الاجازة في اللغة العربية وآدابها بدرجة جيد جداً من جامعة دمشق .

المؤلفات

○ **نحو نظرية لسانية عربية حديثة : المنهج** (بالعربية) (ص ص283) .
دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر (1987).

○ **نحو نظرية لسانية عربية حديثة : المصطلح** (بالانكليزية) (ص ص 203)
دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر (1987).

○ **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ـــ مدخل** (ص ص678)
دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر (1988).

○ **دراسات لسانية تطبيقية** (ص ص 429)
دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر (1989).

مقــدمــة الكتــاب

هناك دائماً بين النظرية وبين الواقع الفيزيائي الذي تمثله هذه النظرية مسافة طويلة وعريضة وعلى مرّ التاريخ. وكلما ضاقت هذه المسافة بينهما كلما كانت النظرية أكثر وصفاً وشرحاً لهذا الواقع الفيزيائي وبالتالي فإن الواقع الفيزيائي يمكن تعديله وتطويره لخدمة الإنسان والانسانية.

إن أية نظرية في تقعيداتها وتنظيراتها تحاول دائماً أن تصف الواقع الفيزيائي وصفاً دقيقاً لتصور حركيته وديناميكيته من أجل معرفة عناصره الوظيفية التي تؤلف في نهاية المطاف هذا الكل القائم بنفسه.

وبعد ذلك تحاول النظرية تعليل هذه الوظائف التي تقوم بها العناصر والبنى العاملة داخل الواقع الفيزيائي. وينبغي هنا أن يكون الشرح والتعليل كافياً وشافياً يعتمد على مبدئي السبب والمسبب وذلك لكي يكون عند العالم رؤية واضحة وسليمة لنظرية جديدة من أجل خلق واقع فيزيائي جديد كما يذهب إلى ذلك العالم الأمريكي ج. وودغر (J. Woodger)[1].

(1)Woodger, J. (1970). The Technique of theory Construction. The University of Chicago Press.

إذاً ليس هناك صراع بين النظرية وبين الواقع الفيزيائي وإنما هناك هذا الجدل العلمي الصاعد نحو الأفضل والأنجع. هناك هذا المزج الذي يولِّد مركباً جديداً يضيف إلى النظرية وإلى الواقع أشياء جديدة لم تكن موجودة من قبل.

انطلاقاً من هذه الحقائق كان عنوان هذا الكتاب " دراسات لسانية تطبيقية ". إن الهدف من هذا الكتاب هو تطبيق النظرية اللسانية الحديثة بمبادئها وتقعيداتها التي لا تنتمي إلى عرق أو جنس بشري معين على الواقع الفيزيائي اللغوي. هذا التطبيق لا شك في أنه سيطرح مشكلات وقضايا تجعلنا نحن اللسانيين نتساءل حولها ونفكر بها من أجل إيجاد فرضيات صحيحة حولها تقدم لنا أجوبة ليست دوغمائية حاسمة، بل أجوبة نسبية ومفتوحة وقابلة للتطوير والنقاش من أجل أن نفهم حركية اللغة الإنسانية وعلاقتها بالإنسان والكون. ونأمل في النهاية أن يكون هذا الجدل العلمي بين النظرية اللسانية وبين الواقع الفيزيائي اللغوي مثمراً ليكون هناك شرعية علمية لقيام النظرية اللسانية العربية الحديثة.

وهكذا فقد بدأت **الفصل الأول** بالتحدث عن العلاقة القائمة بين التراث اللغوي العربي القديم وبين اللسانيات الحديثة ثم بيّنت طبيعة هذه العلاقة وإمكانية استثمار التراث اللغوي العربي في اللسانيات الحديثة ثم إمكانية إسقاط اللسانيات الحديثة على التراث اللغوي العربي من أجل قراءته قراءة علمية واضحة تضيء مسيرة العرب الحضارية الحديثة. ولكي أثبت هذه الحقيقة فقد طرحت منهجاً لسانياً جديداً لفهم بنية اللغة العربية. هذا المنهج اللساني الحديث يستند في مقوماته إلى المنطلق الفلسفي اللغوي الذي وضعه العرب القدماء ثم إلى المنطلق الفلسفي اللساني الذي هو نتاج الحضارة الحديثة.

وفي **الفصل الثاني** فقد درست الفروق القائمة بين اللغتين المنطوقة والمكتوبة وبيَّنت الاستراتيجيات المرافقة لكلتا اللغتين في سياق مستويات اجتماعية عديدة وأثر هذه الاستراتيجيات في تعلّم اللغة القومية وتعليمها للناطقين ولغير الناطقين بها. وقد بحثت في

هذا الفصل أيضاً أثر هذه الاستراتيجيات المستخدمة في اللغتين المنطوقة والمكتوبة على الكتابات المعدة للبرامج التلفزيونية سواء أكانت كتابات باللغة العربية الفصحى أم كتابات باللهجات العربية المنطوقة أو المحكية وذلك من أجل معرفة طبيعة هذه الكتابات وإمكانية تقريب الفجوة بين الفصحى وبين العامية من أجل لغة عربية موحدة في الوطن العربي كله.

أما في **الفصل الثالث** فقد عالجت العلاقات القائمة بين اللسانيات من جهة وبين الأدب والنقد الأدبي من جهة أخرى، ثم بيّنت كيفية استفادة الأدب بأنواعه المختلفة من تقنيات اللسانيات الحديثة ليكون أكثر تأثيراً وفعالية في المجتمع ثم استفادة النقد الأدبي من التقنيات اللسانية نفسها ليكون علماً دقيقاً قائماً برأسه. وقد بيّنت أيضاً كيفية استفادة اللسانيات من الأدب بأنواعه المختلفة وذلك عن طريق كشف الوجوه النفسية والاجتماعية والفكرية ثم البنيوية في هذه الأنواع. أضف إلى ذلك فقد عالجت في هذا الفصل علميْن حديثين جداً يوطدان العلاقة بين اللسانيات من جهة وبين الأدب والنقد الأدبي من جهة أخرى هما علم الدلاليات الذي يبحث في بنية المعنى وأنواعه وعلم السيميائيات أو السيميولوجيا الذي يبحث في بنية الاشارات وأنواعها أيضاً.

وقد بيّنت هنا أن هذين العلمين يستطيعان كشف المعاني والإشارات اللامرئية من خلال الأنواع الأدبية وذلك لتوضيحها وجلائها أمام القارئ.

هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية التطبيقية، فقد درست في هذا الفصل كتاباً أسلوبياً حديثاً هو ثمرة لهذه العلاقة بين اللسانيات والأدب تلك العلاقة التي أنتجت لنا علماً حديثاً قائماً برأسه اسمه «الأسلوبيات» (Stylistics).

الكتاب هو " الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية " للدكتور سعد مصلوح. إن

الغاية من دراسة هذا الكتاب هي التعرف إلى طرائق استثمار الأسلوبيات في دراسة الأنواع الأدبية المختلفة.

وفي **الفصل الرابع** فقد درست كتابين لسانيين مترجمين إلى اللغة العربية هما كتاب (اللسان والمجتمع) للباحث الفرنسي هنري لوفيغر ثم كتاب (تشومسكي) للساني البريطاني جان ليونز. إن الهدف من هاتين الدراستين هو التعرف إلى أهمية الموضوعات اللسانية المنقولة إلى الثقافة العربية ثم التعرف إلى مدى استفادة الإنسان العربي من هذه الموضوعات اللسانية. أضف إلى ذلك فقد بيّنت الجوانب الإيجابية والسلبية لهذين النموذجين المترجمين وبيّنت أيضاً من خلال هاتين الدراستين كيف يمكننا أن نستفيد من تقنيات الترجمة الحديثة لنقل المعارف العلمية الطازجة من أجل دفع عملية التطور العربي المعاصر إلى الأمام.

وفي **الفصل الخامس** فقد بيّنت الفروق القائمة بين النظرية اللسانية الوظيفية وبين النظرية اللسانية التوليدية والتحويلية وذلك من خلال حوارين كنت قد أجريتهما مع عالم اللسانيات الفرنسي أندريه مارتينه في مونتريال ـــ كندا ومع عالم اللسانيات الأمريكي نوم تشومسكي في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الفكرة الرئيسية التي طرحها هذا الفصل هي الخلاف الساخن حول كيفية دراسة اللغة الطبيعية، هل ندرس اللغة البشرية دراسة انسانية أم دراسة آلية ـــ تقنية؟ ثم ما الهدف من الدراسة الانسانية والدراسة الآلية ـــ التقنية؟ هذا ما سوف يجيب عنه مارتينه وتشومسكي في هذا الفصل.

وفي **الفصل السادس** والأخير فقد عالجت القضايا الأساسية للسانيات الحاسوبية ـــ المعلوماتية أي معالجة اللغات البشرية وبرمجتها في الحاسوبات الإلكترونية (الكومبيوتر). وقد استندتْ معالجة هذا الفصل إلى الندوة العلمية التي شارك فيها باحثون

عدة من جامعة جورج تاون مختصون باللسانيات والهندسة الإلكترونية ثم المعلوميات أو إعداد البرامج للحاسوبات الإلكترونية .

إن جوهر البحث هنا يركز حول كيفية بناء لغة طبيعية مبرمجة للحاسوب الإلكتروني ثم تصميم حاسوبات الكترونية مهيأة لتلقف البنية اللغوية الطبيعية . أضف إلى ذلك كيفية إعداد الترجمة الآلية من لغة إلى أخرى لتكون عملية الترجمة سريعة ودقيقة .

إن الهدف الذي سعيتُ إليه في هذا الفصل هو تبيان كيفية الأستفادة من الآلة لخدمة البحوث اللغوية المعاصرة في ناحيتين اثنتين هما : السرعة في العمل والعلميّة الدقيقة في البحث .

فآمل أن تكون هذه الفصول إسهاماً نظرياً وتطبيقياً جديداً في اللسانيات العربية الحديثة التي أصبحت ركناً أساسياً من أركان العلوم المعرفية الحديثة في هذا العصر .

والله ولي التوفيق

دمشق 25 /10 /1988

مازن الوعر

الفصل الأول

اللسانيات والمنهجيّة الجديدة للغة العربيّة

0. مدخل

سوف أعالج في هذا الفصل صلة القُربى بين اللسانيات والتراث اللغوي العربي وإمكانية تطوير ما يضمّه هذا التراث العربي من نظرات لسانية بغية المساهمة في الحضارة الحديثة. وسوف أبيّن في هذا الفصل أنه لا يمكن تطوير هذه النظرات اللسانية في التراث العربي إلا من خلال منهج لساني جديد لفهم بنية اللغة العربية. هذا المنهج اللساني الجديد يستند في مكوناته إلى المنطلق الفلسفي الذي وضعه العرب القدماء، ثم إلى المنطلق الفلسفي الذي هو نتاج الحضارة الحديثة.

1. اللسانيات واللغة العربية

0.1. تمهيد

يسعى البحث في هذه النقطة إلى مناقشة السؤال المثار في الحياة العربية عن أثر العلوم اللغوية الحديثة في النهضة اللغوية العربية. ذلك أننا نتساءل في هذه الأيام عن موقع لغتنا من العلوم اللغوية الحديثة وعن قدرتها على التأثير فيها، كما نتساءل عن

منهج لغويينا العرب القدامى وعلاقته بالنظرية اللسانية، لعلنا نبحث عن مسوغات اعتزازنا بلغتنا في زمن البحث عن الهوية العربية.

1.1. صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات

الحديث عن صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات ذو شجون، ونحن نعلم أن البحث عن هذه الصلة يشغل اللغويين العرب، ويكاد يكون برهاناً على رؤيتهم المعاصرة للسانيات العربية. ولكن ما هي طبيعة هذه الصلة؟. ثم كيف ننظر إليها؟.

الواقع أحب أن أجيب عن هذين السؤالين في إطار أشمل وأوسع ليكون حديثنا أكثر دقة وموضوعية، ذلك أنني أعتقد أن التراث اللغوي العربي ليس ملكاً للعرب وحدهم، ولكنه مُلْك حضارة الإنسان المعاصر، والإنسان دائماً وأبداً خارج عن نطاق الجنس والعرق والتاريخ، ومن ثم يمكنني أن أجيب عن هذين السؤالين في إطار ما يلي:

(1) ماذا نعني بالتراث اللغوي العالمي؟

(2) أين يقع التراث اللغوي العربي في خارطة التراث اللغوي العالمي؟

(3) ماذا نعني باللسانيات الحديثة؟

(4) أين تقع البحوث اللغوية العربية القديمة في خارطة اللسانيات الحديثة؟

(5) وأخيراً، هل هناك صلة بين ما فعله العرب في مجال الدراسات اللغوية القديمة وبين هذا العلم الجديد المسمى «**اللسانيات**»؟ ثم ما طبيعة هذه العلاقة؟

(1) التراث اللغوي العالمي

من يطلّع على الكتاب القيم الذي كتبه الباحث اللساني الإنكليزي ـــ

روبنـز ــ (Robins) وعنوانـه « التـاريخ الوجيـز للسانيـات » (Ashort History of Linguistics) سيكتشف بأن تاريخ الأمم السالفة حافل وغني بالدراسات اللغوية التي تبحث في الظاهرة اللغوية من الوجهة الصوتية والتركيبية والدلالية ، ثم علاقة هذه المكونات اللغوية بالعالم الذي يحيط بالإنسان ، فقد لفتت هذه الظاهرة اللغوية انتباه الإنسان منذ قديم الأزل ، وجعلته يطرح الأسئلة تلو الأسئلة حولها وسواء أقاده حدسه الطبيعي إلى الجواب الصحيح أم تجاربه العلمية المتوافرة آنذاك ، فإنه قد توصل إلى حقائق عدة حول اللغة بشكل عام . فالحضارة الهندية القديمة بحثت في الظاهرة اللغوية بحثاً مستفيضاً ولا سيما وجهها الصوتي (Phonetic) . والحق يقال : يعدّ الباحث الهندي الكبير ــ بانيني ــ (Panini) ، أبا الصوتيات في العالم ، فمن رجع إلى بحوث هذا الرجل منذ حوالي أربعة آلاف سنة فإنه سيدهش من الدراسة الصوتية العميقة التي قام بها سواء أكانت هذه الدراسة مبنية على اللغات الهندية أم على اللغات البشرية الأخرى .

وقد فعل اليونانيون في الحضارة الإغريقية الشيء نفسه ، إذ استفادوا من البحوث اللغوية التي سبقتهم وبنوا على تلك الدراسات ثم طلعوا بنظرات جديدة حول الظاهرة اللغوية ، وما البحوث اللغوية التي قدّمها أفلاطون وأرسطو والمدرسة الرواقية إلا دليل ظاهر وواضح على اهتمام الحضارة الإغريقية بالظاهرة اللغوية . وإذا كانت الحضارة الرومانية قد تبنت كل الحقائق اللغوية التي أتت بها الحضارة الإغريقية فإنها قد ساهمت قليلاً في تطوير الدراسات اللغوية ولا سيما في وجهها الدلالي والبلاغي . أضف إلى ذلك أن هناك دراسات لغوية قيّمة ونافعة قامت بها الحضارات الشرقية القديمة وبالتحديد اليابان والصين وغيرهما ، تلك الدراسات التي لم تصل إلينا ــ نحن العرب ــ لنتعرفها ونأخذ بها . ومن يطّلع على كتاب الباحث اللساني ــ هياكاوا ــ (Hayakaua) وعنوانه « اللسانيات الشرقية » (Oriental Linguistics) .

فإنه سيكتشف أن هناك حقائق كثيرة أتت بها الدراسات الشرقية حول الظاهرة اللغوية .

والخلاصة ، لا يمكن لظاهرة من الظواهر الإنسانية أو الفيزيائية أن تكون طفرة في تاريخ الجنس البشري ، وإنما هي تحوّل من ظاهرة أخرى متعاقبة ، وهكذا فإن السابق هو نتاج اللاحق .

اللغة ظاهرة فيزيولوجية ــ إنسانية لاحظها الإنسان منذ أن خُلق على وجه الأرض ، وقد حاول وما يزال يحاول سبرها ومعرفتها ، وهكذا فإن تاريخ الإنسان (بغضّ النظر عن جنسه وعرقه وأصله وفصله) مليءٌ بالدراسات التي تناولت الظاهرة اللغوية . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : ما مدى صحة هذه الدراسات اللغوية التراثية العالمية وشرعيتها العلميّة ؟ .

إنّ الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى رواية ودراية لا تقل مدتها عن عشر سنوات من البحث والاستقصاء العلميْين .

(2) التراث اللغوي العربي في خارطة التراث اللغوي العالمي

أريد ، لا لأنني عربي ، أن أقول : إن التراث اللغوي العربي يُعدّ تحولاً كبيراً في مسيرة التراث اللغوي العالمي ، ولكني أقول هذا لأن الحقائق العلمية حول هذا الموضوع مثبتة تاريخياً ، وأكرر ما كنت قد ذكرته في مقالات عديدة أنه لو التفت الغرب إلى التأريخ اللغوي التراثي العربي لكان علم اللسانيات الحديث في مرحلة متقدمة عن الزمن الذي هو فيه .

هذه الحقيقة شاركني فيها عالم اللسانيات الأمريكي ــ نوم تشومسكي ــ خلال حوار كنت أجريته معه عام (1982) وقد نُشِر ما قاله تشومسكي حول هذا الموضوع في **مجلة اللسانيات** الصادرة عن معهد العلوم اللسانية والصوتية التابعة لجامعة الجزائر (المجلد 6 ــ عام 1984) بثلاث لغات العربية والإنكليزية والفرنسية .

ولكنْ ماذا نعني بالتراث اللغوي العربي؟ إن الذي فعله النحاة العرب حول اللغة العربية يعدّ جزءاً من التراث اللغوي العربي وليس كله؛ ذلك أن التراث اللغوي العربي أشمل وأوسع مما قدمه النحاة العرب أمثال ــ الخليل بن أحمد وسيبويه وابن يعيش وغيرهم ــ فهذا التراث هو كل عملٍ عربي وضعه العرب القدماء من أجل تفسير النص القرآني، وهذا يعني أننا إذا أردنا إعادة تركيب التراث اللغوي العربي فإنه ينبغي أن نبحث في المصادر التالية: ــ كتب النحو والشروح التي تناولته (النحويات) ــ كتب التجويد وفق قراءة القرآن الكريم (الصوتيات) ــ كتب البلاغة (الدلاليات) ــ كتب الفلسفة والمنطق ــ كتب التفاسير القرآنية ــ كتب التفاسير النبوية ــ دواوين العرب الشعرية والنثرية والشروح التي تناولتها ــ كتب الموسوعات المعرفية المختلفة التي كتبها عظماء الكتّاب العرب أمثال الجاحظ وابن عبد ربه وابن حزم الأندلسي وغيرهم ــ كتب المعاجم واللغة كما هي الحال عند ابن منظور وابن فارس والأصمعي والقالي وغيرهم ــ كتب التاريخ كما هي الحال عند الطبري وابن خلدون.

وبكلمة أخرى إن ما نعنيه بالتراث اللغوي العربي هو هذا الركام المعرفي المتناثر في تاريخ الحضارة العربية ونحن لا نستطيع معرفة النظرية اللغوية العربية بأبعادها الكاملة إلا إذا أعدنا تركيب الفكر اللغوي العربي بعد سبر دقيق وعميق لكل ما قاله العرب حول المسألة اللغوية.

إن الشرعية العلمية التي تدفعنا إلى تنفيذ هذا العمل ليست نابعة من تجميع ركام معرفي لا يربطه رابط معين وإنما من حقيقة أن هذا الركام المعرفي انطلق من مبدأ فلسفي متماسك وواضح من أجل تفسير الكون والحياة ككل. فالنظرة الفلسفية الإسلامية أرادت أن تفسر لنا مشكلة الإنسان على الأرض، ولأن اللغة مكوّن جوهري من مكونات الإنسان فإنها أرادت معرفة هذه اللغة وسبرها وتفسيرها وربطها بالنظرة الفلسفية الكونية.

صحيح أن تاريخ العالم والحضارات مملوء بالنظرات اللغوية التي تناولت اللغة أ درساً وتمحيصاً، إلا أن معظمها لم ينطلق من منطلق فلسفي شامل وعام. من هنا فإن تجميع الركام المعرفي اللغوي هذا يفقد صفته العلمية.

إن شرعية إعادة بناء الركام اللغوي العربي القديم تأتي من حقيقة أن العرب القدماء أرادوا تفسير الظاهرة اللغوية كما فسروا بقية الظواهر الإنسانية والطبيعيَّة من أجل خدمة النص القرآني، وبمعنى أدق، من أجل خدمة المنطلق الفلسفي الإسلامي.

(3) اللسانيات الحديثة

اللسانيات هي الدراسة العلمية للغات البشرية كافة من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم من الأقوام. هذه الدراسة تشمل ما يلي: الأصوات اللغوية ــ التراكيب النحوية ــ الدلالات والمعاني اللغوية ــ علاقة اللغات البشرية بالعالم الفيزيائي الذي يحيط بالإنسان.

ونعني بالدراسة العلمية البحث الذي يستخدم الأسلوب العلمي المعتمد على المقاييس التالية:

ــ ملاحظة الظواهر اللغوية ــ التجريب والاستقراء المستمر.
ــ بناء نظريات لسانية كلية من خلال وضع نماذج لسانية قابلة للتطوير.
ــ ضبط النظريات اللسانية الكلية ثم ضبط الظواهر اللغوية التي تعمل عليها.
ــ استعمال النماذج والعلائق الرياضية الحديثة ــ التحليل الرياضي الحديث للغة ــ الموضوعية المطلقة.

وبما أن اللغات البشرية لها ارتباطاتها الإنسانية والطبيعية المتفرعة كذلك فإن لعلم اللسانيات فروعاً متعددة يختص كل منها بناحية جزئية من هذا الكل الذي اسمه «اللغات»:

فاللسانيات النظرية تبحث بالنظريات اللغوية ونماذجها المتفرعة عنها وكيفية معالجتها للبنية اللغوية سواء أكانت تلك النظرية اللغوية في الماضي أم الحاضر .
ومن العلوم المتفرعة عن اللسانيات النظرية ما يلي :

(1) الصوتيات التي تتفرع بدورها إلى : الصوتيات الفيزيولوجية النطقية ــ الصوتيات الفيزيائية ــ الصوتيات السمعية الدماغية .
(2) النحويات أو علم التراكيب الذي يتفرع بدوره إلى : علم بناء الجملة ــ علم بناء الكلمة ــ علم التقديم والتأخير في العناصر اللغوية ــ علم القواعد اللغوية العالمية ــ علم القواعد اللغوية الخاصة ــ علم الضوابط العامة والخاصة المفروضة على القواعد .
(3) الدلاليات أو علم المعنى الذي يتفرع بدوره إلى :
ــ علم المعنى الخاص وعلم المعنى العام ــ علم بنية الدلالة في الدماغ البشري ــ علم التعرف على اللغة (عندما تخزن في الدماغ دون معرفتها)
ــ علم فهم اللغة (عندما تخزن في الدماغ مع فهمها) ــ علم المشترك والترادف ــ علم تقطيع اللغات للواقع وتسميته ــ علم أنواع الدلالة والمعنى .

ب . واللسانيات التطبيقية تبحث في التطبيقات الوظيفية التربوية للغة من أجل تعليمها وتعلمها للناطقين ولغير الناطقين بها . وتبحث أيضاً في الوسائل البيداغوجية المنهجية لتقنيات تعليم اللغات البشرية وتعلمها (أصول التدريس ــ مناهج التدريس ــ وضع النصوص اللغوية وانسجامها مع المتعلمين ــ وضع الامتحان ــ امتحان الامتحان ــ علاقة التعليم بالبيئة الاجتماعية) .

ج . واللسانيات الأنثروبولوجية تبحث بالصلة التي تربط اللغة بأصل الإنسان ،

فاللغة عضو بيولوجي كبقية الأعضاء البيولوجية الأخرى عند الإنسان ولكن على الرغم من ذلك فإن اللغات البشرية متفاوتة من حيث أنظمتها الداخلية وقدرتها على تقطيع العالم الذي يحيط بالإنسان .

د . واللسانيات الاجتماعية تبحث في العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع ، ذلك لأن اللغة لها صلة بالمجتمع الذي ينظمها ويؤطرها على نحو يجعلها مختلفة عن اللغات الأخرى نظاماً وعادة وسلوكاً .

فاللغة ظاهرة اجتماعية تتفق عليها الجماعات البشرية وهي تعكس كل ما يموج فيها من عادات وتقاليد وثقافات ودين وتنوعات جغرافية وإقليمية . إن من مهمة اللسانيات الاجتماعية البحث في الموضوعات التالية :

- اللغة واللهجة .
- الأطلس اللغوي الجغرافي .
- العلاقات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الواحد وأثر ذلك في تعليم اللغة القومية وتعلمها .
- الفروق القائمة بين لغة النساء ولغة الرجال .
- المستويات الكلامية اللغوية حسب سياقاتها الاجتماعية .
- اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة .

هـ . اللسانيات الأدبية وتبحث في العلاقات القائمة بين اللسانيات والأدب والنقد والسيميائيات والأسلوبيات ، ما هي أفضل التقنيات اللسانية التي يمكن للأديب والكاتب أن يستخدمها ليكون عمله أكثر تأثيراً وفهماً في المجتمع ؟ كيف يستطيع الأدب أن يقدّم عينات وشرائح أدبية متنوعة للسانيات من أجل أن تدرسها وتبني عليها فرضيات يمكنها أن تساهم في بناء صيغة علمية دقيقة للنقد الأدبي المعاصر ؟

و . واللسانيات البيولوجية تبحث في العلاقة القائمة بين اللغة وبين الدماغ إن

مهمة هذا العلم معرفة البنية اللغوية الدماغية عند الإنسان ومقارنتها بالبنية الإدراكية عند الحيوان ، أضف إلى ذلك أن هذا العلم يريد معرفة التطور اللغوي البيولوجي عند الأطفال وذلك لمعرفة كيف يمكن أن ينشأ المرض اللغوي عندهم ، وكيف يمكن للغة أن تتطور في أدمغتهم ؟ .

ز . واللسانيات الرياضية تنظر إلى اللغة على أنها ظاهرة حسابية مركبة صوتاً وتركيباً ودلالة ، ومنظمة على نحو متشابك من أجل تطويعها ووضعها في أطر وصيغ رياضية وذلك لمعرفتها معرفة دقيقة جداً لإثبات الفرضية التي وضعها ــ تشومسكي ــ من أن اللغة عبارة عن آلة مولدة ذات أدوات محددة قادرة على توليد ما لانهاية له من الرموز اللغوية من خلال طرق محددة ومضبوطة .

ح . واللسانيات الحاسوبية ــ المعلوماتية (الكمبيوترية) تبحث عن وضع اللغات البشرية في صيغ وأطر رياضية وذلك للاقتراب من هذا العلم الذي يبحث في اللغة على أنها ظاهرة حاسوبية معلوماتية يمكن معالجتها في الحاسبات الإلكترونية وذلك من أجل السرعة والدقة العلمية في البحوث اللغوية ومن أجل ترجمة النصوص اللغوية ترجمة آلية فورية أيضاً .

والواقع إن تاريخ اللسانيات يبدأ بالمحاضرات اللسانية التي كان يلقيها عالم لساني سويسري يدعى ــ فرديناند دي سوسور ــ الذي يعتبر الأب الحقيقي للسانيات ، وقد نشرت هذه المحاضرات اللسانية عام (1915) في كتاب اسمه « محاضرات في اللسانيات العامة » (Course in General Linguistics) .

إن جوهر هذه المحاضرات يدور حول طرح منهج لساني علمي جديد لدراسة اللغات يدعى باللسانيات السنكرونية الآنية التي تدرس اللغات البشرية كما هي الآن ، وقد كان هذا المنهج ردة فعل علمية على المناهج اللغوية الماضية التي كان

يستخدمها العلماء في الهند لمقارنة اللغات الهندية باللغات الأوربية، الأمر الذي دعاهم لدراسة تاريخ هذه اللغات ومقارنتها مع بعضها بعضاً طبقاً لمنهج لغوي دعوه بالمنهج الدياكروني التطوري.

وقد انتقل منهج ــ دي سوسور ــ اللساني إلى الولايات المتحدة وطوِّر تطويراً يختلف عما كان عليه في أوربة، من هنا نشأت البنيوية اللسانية (Structuralism) على يد عالم أمريكي هو ــ بلومفيلد ــ في كتابه « اللغة » (Language) وقد طوِّرت النظرية البنيوية من خلال نماذج عديدة جداً استمرت في التطور حتى عام (1957)، حيث جاء عالم اللسانيات الأمريكي ــ نوم تشومسكي ــ الذي كان انعطافاً وحدثاً عظيماً في تاريخ العلوم الإنسانية والطبيعية. فقد استطاع هذا العالم أن يقلب المفاهيم الطبيعية والإنسانية رأساً على عقب كالمفاهيم المطروحة في علم النفس وعلم المنطق والفلسفة وعلم الأنثروبولوجيا وعلم الرياضيات وعلم البيولوجيا وعلم الحاسبات الإلكترونية وعلم الفيزياء. ومن أراد التفصيل فلينظر في دائرة المعارف البريطانية ليرى ماذا فعل هذا العالِم في تاريخ العلم الحديث. لقد قلب كثيراً من المفاهيم في هذه العلوم من خلال الثورة اللسانية التي قام بها عام (1957) عندما نشر كتابه الأول المسمى « المباني التركيبية » (Syntactic Structures) والذي يدور حول طرح نظرية جديدة تدعى « نظرية القواعد التوليدية والتحويلية ». وما زال هذا العالم يطوّر نظريته هذه حتى الآن وذلك من خلال تطبيقها على لغات بشرية عديدة، ولكن هذا لم يمنع من ظهور اتجاهات ومدارس لسانية أخرى في الولايات المتحدة وأوربة رافقت النظرية التوليدية والتحويلية كمدرسة « الدلاليات التوليدية » لمكولي ومدرسة « الدلاليات العُلامية الوظيفية » لتشارلز فيلمور ومدرسة « اللسانيات الاجتماعية » (تحليل الخطاب المنطوق والمكتوب) للابوف وتشيف وجمبرز ولاكوف وأوكس وتانن وجودي وغيرهم كثير.

ولكن إذا أردنا فعلاً معرفة جوهر اللسانيات فإننا نستطيع القول: إن هوية

هذا العلم تتسم بصفتين اثنتين : الأولى هي العلميّة (تطبيق المقاييس العلمية على اللغات) والثانية هي الاستقلالية (هذا العلم له مبادئه وقوانينه وأنظمته الخاصة به). هاتان السمتان اكتملتا بظهور علماء لسانيين في القرن العشرين أمثال دي سوسور وبلومفيلد وسابير ومارتينه وتشومسكي وغيرهم.

(4) موقع البحوث اللغوية العربية القديمة في اللسانيات الحديثة

لاشك في أن كل أمة من الأمم عندما تفرز حضارة ما فإن هذه الحضارة ستكون مكتملة الجوانب ومتعددة الظواهر غالباً. فالحضارة العربية الإسلامية هي حضارة تتسم بسمة الكلية (Universal) هذه السمة الكلية التي كانت جوهر الدعوة الإسلامية دفعت العرب والمسلمين في كل مكان وزمان للبحث عن جوهر الإنسان ضمن بوتقة الكون والحياة. من هنا لم يكن من همِّ الإيديولوجية الإسلامية أن تجعل الإنسان يعتقد بالإسلام فقط وإنما كان همُّها إضافة إلى ذلك البحث والاستقصاء عن هذا الإنسان أولاً (الانطلاق من معرفة الإنسان)، وعن الكون الذي يحيط بهذا الإنسان ثانياً (الانطلاق من المحيط الخارجي للإنسان). لذلك نرى القرآن الكريم يركز على قضية الاكتشاف هذه عندما يقول: «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» وكذلك الحديث النبوي الذي حثّ على هذا الاكتشاف عندما قال الرسول الكريم: «اطلبوا العلم ولو في الصين»، وانطلاقاً من هذا المفهوم الفلسفي الإسلامي كان الرسول الكريم يفك أسر كافر واحد إذا علّم عشرة صبية من المسلمين.

نستطيع أن نقول إذن إن الحضارة العربية الإسلامية لم تكن استمراراً لتطور حضاري سابق على الرغم من أنها كانت قد تأثرت بالخط العام لمسيرة الحضارات السابقة وإنما كانت «طفرة» أو «إنعطافاً» أو «حدثاً ثورياً» في تاريخ الحضارات الإنسانية، من هنا فإن ما توصلت إليه هذه الحضارة من خلال دراسة الظواهر الإنسانية والطبيعية إنما يستحق الروية والدراية والتأمل والعمق.

ومن الظواهر التي وقفت عندها الفلسفة العربية الإسلامية ظاهرة « اللغة » . وعندما نقول « اللغة » لا نعني بذلك اللغة العربية فقط وإنما « اللغة » التي ينبغي أن تكون كونية كلية شاملة وصالحة لكل زمان ومكان حسب المفهوم الفلسفي العربي الإسلامي . إنها « اللغة » التي هي ركن أساسي من أركان الحضارة العربية الإسلامية . من هنا فإن خدمة العرب والمسلمين لهذه « اللغة » لم تنطلق من المفهوم القومي للغة وإنما انطلقت من المفهوم الكلي والإنساني والشمولي . فكما أن الإسلام هو الحل الوحيد لمشكلة الإنسان على هذه الأرض حسب المفهوم العربي الإسلامي فإن اللغة العربية هي اللغة التي يجب أن تحمل كل المعارف التي حصل عليها الإنسان ويريد أن يحصل عليها وذلك من أجل حل مشكلاته في هذا الكون . إذن المفهوم العربي الإسلامي عدَّ « اللغة » ظاهرة عربية كونية كلية لذلك أقدم العرب والمسلمون على دراستها انطلاقاً من هاتين السمتين : سمة القومية وسمة العالمية أو الكلية .

وما بحثه العرب في « اللغة » كثير جداً ومتشعب جداً يمكن حصره بما يلي :

أ ــ أصوات اللغة العربية

ــ الفيزيولوجية أو النطقية (النحاة والأطباء العرب أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه وابن سينا في كتابه : أسباب حدوث الحروف) .

ــ الفيزيائية (علماء الرياضيات العرب أمثال الحسن بن الهيثم والخوارزمي) .

ــ السمعية والدماغية (علماء التجويد أمثال الشاطبي ومكي بن أبي طالب القيسي وعلماء الموسيقا أمثال زرياب) .

فقد درس العرب والمسلمون الظاهرة الصوتية دراسة نطقية فيزيولوجية ودراسة فيزيائية ثم دراسة سمعية ودماغية ولكن معلوماتهم حول هذه الظاهرة جاءت مبعثرة لا يجمعها منهج ونموذج واحد متماسك .

ب . تراكيب اللغة العربية

وهذا كثير عند النحاة العرب أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه والكسائي والفراء والشرّاح الذين فصّلوا بما قاله هؤلاء المتقدمون أمثال ابن يعيش وغيره.

ويعدّ كتاب سيبويه منطلق التحليل النحوي العربي في تاريخ الدراسات النحوية التركيبية. وفي اعتقادي أنه لو استطاع العرب فهم كتاب سيبويه فهم رواية ودراية وعمق لنبشوا حقائق نحوية من هذا الكتاب لا تقل أهميتها عن الحقائق النحوية التي أتى بها عالم اللسانيات الأمريكي ـــ نوم تشومسكي ـــ ولكن هذا يحتاج إلى جهد كبير جداً، ليس هناك مؤشرات لحوافزه في مناخ الدراسات اللغوية العربية المعاصرة.

ج . دلالات اللغة العربية ومعانيها

ونجد هذه الدراسات في أعمال البلاغيين العرب الذين كانوا يتحدثون عن معاني اللغة العربية ودلالاتها في إطار البلاغة (الممنطقة) أمثال الجرجاني والسكاكي والقزويني وغيرهم. ولعلنا نجد بعض النظرات الدلالية العميقة في أعمال النحاة العرب عندما كانوا يتحدثون عن تراكيب اللغة العربية ونحوها وهذا كثير عند ابن يعيش في كتابه «شرح المفصل». ثم إن دلالات اللغة العربية ومعانيها أخذت حظاً كبيراً من الدراسة على أيدي الفلاسفة وعلماء المنطق العرب والمسلمين أمثال الفارابي وابن سينا وأبي حيان التوحيدي وابن حزم الأندلسي وغيرهم.

حتى إن هناك نظرات دلالية عميقة جداً مبعثرة هنا وهناك ولا سيما في أعمال المفسرين العرب والمسلمين الذين تناولوا القرآن الكريم والأحاديث النبوية تفسيراً وشرحاً.

د . ارتباط اللغة بالمجتمع

ونجد مثل هذه الدراسات عند الجاحظ في مؤلفاته جميعها ولا سيما «البيان

والتبيين » و « الحيوان » وكذلك نجد بعض هذه الدراسات حول العلاقة بين اللغة والمجتمع عند بعض الشعراء في نثرهم أمثال، أبي العلاء المعري في « رسالة الغفران » وكذلك نجد هذه الأعمال عند من بحثوا في قضية اللغة العربية واللهجات المتفرعة عنها وأنظمة التفرع وضوابطه.

هـ . ارتباط اللغة بفيزيولوجية الإنسان وبيولوجيته

وهذا نراه عند المؤلفين العرب الذين بحثوا في قضية الأمراض اللغوية والتطور اللغوي عند الإنسان ولا سيما عند الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين ».

و . نشأة اللغة واللغات

وهذا الموضوع تناوله المؤلفون العرب إجمالاً لأنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأصل الإنسان عندما خلقه الله تعالى ليكون خليفته في الأرض. ومن المؤلفين العرب الذين تناولوا هذا الموضوع ابن جني في « الخصائص » وابن فارس في « المجمل » و « المقاييس » ثم نراه عند بعض الفرق الفلسفية كالمعتزلة مثلاً.

ولكن هذه الدراسات اللغوية التي قام بها العرب والمسلمون إنما هي دراسات إنسانية مستطردة لم تُبنَ على نماذج معينة تخضع لنظريات علمية تجريبية مثبتة اللهم إلا في مجال الصوتيات والنحويات والدلاليات وحتى هذه تحتاج إلى غربلة « علمية » صارمة.

(5) الصلة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات

لا أجد حرجاً في أن أكرر، هنا شيئاً كنتُ قلته وسأبقى أقوله هو أن صلة القربى ليست فقط بين التراث اللغوي العربي واللسانيات وإنما هي موجودة أصلاً بين التراث اللغوي العالمي واللسانيات. هذه الحقيقة هي قانون علمي للظواهر الحضارية؛ ذلك لأن اللسانيات لم تنشأ من فراغ لتخدم في فراغ، وإنما هي شيء لاحق لشيء سابق. فعملية التأثير والتأثر موجودة ليست بين اللسانيات وبين

الدراسات التي سبقتها وإنما بين الظواهر الحضارية كلها ولكن السر في تقدّم الظواهر الحضارية بعضها على بعض إنما يكمن في حقيقة مؤداها أن الشيء اللاحق يجب أن يكتشف جديداً لم يكن في الشيء السابق .

هذا هو سر تقدّم العلوم الإنسانية والطبيعية وسر تقدم الحضارات في تاريخ الإنسان . واللسانيات كعلم جاءت من أجل أن تبني صيغة علمية بمفهوم العلم الفيزيائي وذلك من أجل معرفة كيفية عمل اللغات البشرية بدقة وضبط وموضوعية مطلقة وذلك للاستفادة من نتائج هذه المعرفة اللغوية وتوظيفها في مجال الحضارة والتكنولوجيا المعاصرة .

ولكي تستطيع اللسانيات أن تكون علماً قائماً برأسه مستقلاً عن بقية العلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى فلا بد لها أن تستفيد من المعارف والنظرات اللغوية التراثية سواء أكنت عربية أم غير ذلك .

وهكذا فإن المعارف اللغوية الموجودة في التراث الهندي والإغريقي والروماني والعربي والشرقي القديم ثم جهود الباحثين في القرن الثامن والتاسع عشر إنما كانت معارف لغوية مهمة جداً للسانيات ، ولكن فضيلة التراث اللغوي العربي تأتي من حقيقة أن الإيديولوجية الحضارية العربية الإسلامية كانت أعلى في الوتيرة الفكرية وأنفذ في الرؤية المستقبلية لذلك كانت استفادة اللسانيات من التراث اللغوي العربي أكثر من غيره على الرغم من أن الباحثين اللسانيين الغربيين لا يعترفون بهذه الحقيقة وذلك لأن حجتهم هي أن التراث اللغوي العربي إنما هو انعكاس وحفظ للتراث اللغوي الإغريقي إلا في بعض فرضياته الدلالية الجديدة .

على أية حال لقد أثبت باحثون لسانيون غربيون معتدلون (أمثال روبنز وتشومسكي) تأثر اللسانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي وذلك عن طريق وسائل مختلفة سواء أكانت مباشرة (الاطلاع على التراث اللغوي العربي باللغة العربية) أم غير

مباشرة (عن طريق ترجمة أعمال النحاة واللغويين والبلاغيين العرب إلى لغات أجنبية كثيرة وخاصة اللغة الألمانية).

إن الفكرة الرئيسية في قانون البحث العلمي هي أنه لا سابق دون لاحق ولا لاحق دون سابق، وكل من ينكر هذا القانون العلمي إنما نظرته إلى الظواهر هي نظرة شخصية وليست نظرة موضوعية.

لنأخذ على سبيل المثال عالم اللسانيات الأمريكي ــ نوم تشومسكي ــ فسوف نجد برهاناً على ما نقول، فعلى الرغم من أن هذا العالم قد رفض كل شيء أتت به البنيوية ولكنه في صميم أعماله التوليدية والتحويلية إنما هو بنيوي. إن ما فعله تشومسكي هو أنه قلب البنيوية رأساً على عقب وأتى بشيء جديد لم تلتفت إليه البنيوية وهو دراسة «اللغة» على أنها ظاهرة «فيزيائية ــ رياضية ــ آلية ــ بيولوجية». تعمل داخل الدماغ البشري.

أنتَ ترى ظَاهرة معينة منذ مدة وأنا أرى الظاهرة نفسها الآن. رؤيتي لهذه الظاهرة يمكن أن تكشف شيئاً جديداً لم يسترع انتباهك أنت، ولنقل ما نقول: أهي الوسائل البدائية التي استخدمتها ولم تجعلك تكتشف هذا الشيء الجديد أم أنه القصور في التحليل العلمي لهذه الظاهرة؟.

المهم في الأمر هو «الاكتشاف الجديد» هذا هو سرّ اللسانيات الحديثة التي اكتشفتْ في اللغات البشرية أشياء جديدة لم تستطع الدراسات اللغوية القديمة اكتشافها. وذلك بسبب ظهور التكنولوجيا الحديثة والأساليب العلمية المذهلة. ما تفعله اللسانيات هو أنها تأتي إلى اللغات البشرية كافة تفككها وتحللها قطعة قطعة لتكشف وظيفة كل قطعة لغوية وكيفية توزعها في النظام العام. وهكذا فإنها ستكشف بأن هناك نظاماً معيناً فتسجله ثم تنتقل إلى قطعة لغوية أخرى لتدرس وظيفتها وتوزعها ضمن النظام العام، وهكذا دواليك. فمن خلال هذه الدراسة تتكون عند اللساني أنظمة كثيرة حول الظاهرة اللغوية وهذه الأنظمة لا بد لها من

نظام معين من أجل ضبطها . إن الفكرة اللغوية الرئيسية هنا هي أن اللساني ينطلق من الجزء لينتهي إلى الكل . الجزء هو اللغات البشرية كلها ، الكل هو أنظمة هذه اللغات البشرية وقوانينها . إن الجزء والكل هما اللذان يعطيان اللسانيات الحديثة شرعيتها لتكون علماً قائماً برأسه .

في التراث اللغوي القديم (عربياً كان أم غير عربي) لم تكن هناك وسائل علمية سريعة لفحص اللغات البشرية كلها وتحليلها ومعرفة سرّ حركيتها وعملها من أجل أن نستفيد منها تقنياً أو تكنولوجياً . وإلا فكيف يمكننا الآن وبفضل اللسانيات الحديثة أن نصمم آلات تكنولوجية (مخابر صوتية) أو حاسبات الكترونية (كمبيوتر) لتلائم مثلاً لغتين أو لغات عدة من أجل أن نقوم بعملية الترجمة الآلية كما هو الحال في مشروع لغات السوق الأوروبية المشتركة؟ ثم كيف يمكننا وبفضل اللسانيات الحديثة أن نصوغ جميع اللغات البشرية صياغة رياضية صوتياً وتركيبياً ودلالياً؟ . لم يكن هذا الأمر ممكناً في القديم ذلك لأن إمكانات فقه اللغة أو الدراسات اللغوية القديمة إمكانات بدائية تتلاءم مع العصر الذي أفرزها . هذه الحقيقة العلمية تؤيد حقيقة أخرى فلسفية كان وضعها الفيلسوف اليوناني القديم ــ هيرقليطس ــ وهي « أنك لا تستطيع أن تستحم بماء النهر مرتين » .

من هنا فإنه من الخطأ العلمي الفادح أن نحمّل التاريخ الحضاري وزراً فوق وزره . دع التاريخ الحضاري يفرز حقائقه من الواقع والزمن الذي كان يعايشه دون أن نسقط عليه حقائق معاصرة لرغبة قومية أو نزعة دينية أو تحمس عاطفي .

والخلاصة إن الدراسات اللغوية القديمة هي دراسات إنسانية (علاقة اللغة بالإنسان الذي يتكلمها) ؛ وبهذا فإنها في الغالب دراسات شخصية (Subjective) شارحة كيف يمكن للصفات المهمة للغة أن يكون لها علاقة فيّ أنا (كشخص) . أما الدراسات اللغوية الحديثة أو اللسانيات فهي دراسات علمية (علاقة اللغة

بيعضها بعضاً) وبهذا فإن هذه الدراسات أكثر موضوعية (Objective) شارحة كيف يمكن للصفات المهمة للغة أن يكون لها علاقة ببعضها بعضاً .

الدراسات اللغوية القديمة تبدو وكأنها تستخدم معيار السببية . (لماذا مثلاً تحدث صفات نحوية معينة في اللغة؟ وكيف يجب على هذه الصفات النحوية أن تعمل) وبالمقابل فإن اللسانيات الحديثة تبدو وكأنها تستخدم معيار الماهية . (فهي تسجل الحقائق الملحوظة للغة فقط دون محاولة شرحها وإذا كان هناك شرح لساني فإنه عبارة عن الشرح الذي يتناول العلاقة بين الحقائق الملحوظة للغة وبين النظرية اللسانية العامة والتجريبية) .

الدراسات اللغوية القديمة خلطت بين مستويات التحليل اللغوي فهي لم تميز بشكل دقيق هذه المستويات وتفرزها عن بعضها بعضاً لكي يكون التحليل أكثر دقة وموضوعية أما اللسانيات الحديثة فقد فصلت بين مستويات لسانية عديدة مكنتها من اكتشاف العملية اللغوية وكيفية عملها ووظيفتها .

إن حقيقة فهم الناس للدراسات اللغوية القديمة إنما يعود إلى التاريخ الثقافي الذي حمل هذا التراث اللغوي القديم من جيل إلى جيل وعلى مسافات زمنية طويلة وعريضة، ذلك التاريخ الذي صبغ الدراسات اللغوية القديمة بالتيارات النفسية والدينية والفلسفية والبلاغية والنقدية والأدبية، ومن جهة أخرى فإن اللسانيات الحديثة هي وليدة العصر وليس لها تاريخ ثقافي طويل وعريض. أضف إلى ذلك أن اللسانيات حاولت جهدها أن تصرف النظر عن المناقشات الجدلية النفسية والمنطقية والميتافيزيقية العقيمة وأن تركز على الوصف والشرح اللغويين المبنيين على الوصف التجريبي للغة .

وبكلمة أخرى: إن اللسانيات الحديثة هي استمرار للخط الحضاري الحديث ذي الطابع العلمي التكنولوجي الذي يجعلها مرتبطة بالعلوم الأخرى الطبيعية الصارمة كالفيزياء والبيولوجيا والحاسبات الإلكترونية والرياضيات. أما

الدراسات اللغوية القديمة فإنها استمرار للخط الحضاري القديم ذي الطابع الإنساني الذي يجعلها تدور في فلك العلوم الإنسانية كالأدب والنقد والفلسفة والتاريخ وهكذا فإن الفرق بين الدراسات اللغوية القديمة وبين الدراسات اللسانية الحديثة هو الفرق بين الهدف الإنساني والهدف العلمي.

2.1 أتطوير للتراث اللغوي العربي أم إيجاد مكان للسانيات فيه؟

إنه من الموضوعي كما قلت ألّا نفتش عن موقع ما في التراث العربي ونضع فيه اللسانيات الحديثة. وكأننا نرجع الحاضر إلى الماضي لنجد له مكاناً في التاريخ وبهذا فإننا سنعيد عجلة التاريخ إلى الوراء وهذا لا يمكن تحقيقه في حياة الإنسان. هذا من ناحية أما من ناحية أخرى فإنه لا يمكننا أن نطوّر (بالمفهوم العلمي لتطوير الظواهر) أيَّ تراث إنساني ومنه التراث العربي اللغوي للمساهمة في الحضارة الحديثة كما قلت.

وفي رأيي لا يمكن لأي تراث إنساني أن يخدم الحضارة الحديثة من خلال تطويره وتحسينه ونفخ روح العصر فيه. العملية لا تكمن في التحديث والتطوير والإسقاط ذلك لأن عملنا هنا يشبه ترميم بيت من البيوت وتحسين أوصافه من أجل أن يقاوم عوامل الطبيعة زمناً أكثر ولكن في نهاية الأمر سوف يأتي يوم وتقتلعه الريح العاتية. ما أريد فعله هو الاستفادة من عملية التصميم القديمة ومعرفة مواطن الضعف في هذه التصميم ثم أن أبدأ من جديد في تصميم بيت حديث يتلاءم مع جغرافية القرن العشرين ويقاوم عواصفها الشديدة جداً.

هذه القضية تشبه قضية التراث اللغوي العربي واللسانيات. وينبغي عليّ أن أؤكد نقطة مهمة جداً هي أنني لا أقول أو أدعو إلى ترك التراث اللغوي العربي وإهماله ووضعه على الرف، بل إنني لا أدعو إلى ترك أي تراث إنساني لغوي بشكل عام.

ولكنْ هناك فرق بين أن يأتي الباحث إلى هذا التراث ويرى نقاط الضعف فيه ثم يحاول ترميمها وترقيعها وهذا لا يجوز في منطق العلم ومفاهيمه الدقيقة وبين أن يأتي

إلى هذا التراث ليسبره ويعرف بنيته ثم ينطلق من جديد لبناء نظرية جديدة تستمد مقوماتها من منطلقات العصر وغاياته النفعية البراغماتية؛ ذلك لأن أي تراث لغوي إنما هو في البداية والنهاية نظرية (Theory) كما هو الحال في النظرية اللغوية العربية. هذه النظرية تتطور عبر فترة معينة من الزمن من خلال ما يسمى المناهج أو النماذج (Models) كالمنهج البصري والمنهج الكوفي والمنهج البغدادي والمنهج الأندلسي والمنهج المغربي والمنهج الإصلاحي النهضوي (بداية القرن العشرين) .

ولكنْ سيأتي زمن معين آخر يثبت بأن الواقع الجديد للحياة لا يمكن أن يأخذ بهذه المناهج المتطورة وذلك لأنها أصبحت ضعيفة جداً في مواجهة الواقع اللغوي الجديد. وهكذا لا بد من نظرية جديدة في منطلقها الفلسفي وهدفها النفعي البراغماتي على الرغم من أن هذه النظرية الجديدة تشارك المناهج القديمة الموضوع المدروس ألا وهو اللغة (Language) ولكن أسلوبية البحث العلمي المعاصر تفرض على هذه النظرية اللسانية الجديدة أن تنظر في النظرية اللغوية القديمة ومناهجها المتعددة من أجل معرفة كيفية البناء الجديد (سواء أكان على صعيد المنطلق الفلسفي أم على صعيد الهدف النفعي ــ البراغماتي) وأي إغفال أو إهمال للنظرية اللغوية القديمة بمناهجها المختلفة سيؤدي إلى نقص وعدم كفاية في النظرية اللغوية الحديثة.

إن اللسانيات الحديثة كنظرية تختلف في منطلقها الفلسفي تماماً عن منطلق النظرية اللغوية القديمة بمناهجها المتعددة ذلك لأن اللسانيات انطلقت من علوم دقيقة صارمة لتبني مبادئها وأنظمتها وقوانينها أما التراث اللغوي العربي فقد كانت منطلقاته إنسانية فقط.

وكما نعلم هناك فرق بين ما هو « علمي » وما هو « إنساني » . الأول يريد معرفة « ماهية الشيء وبنيته » (What) والثاني يريد معرفة « كيفية الشيء وعمله » (Why) من هنا لا يمكننا أن نأتي إلى التراث اللغوي العربي كنظرية ونحمّله ــ كما قلت

سابقاً ــ وزراً فوق وزره ونُدْخِل فيه ــ نحن المحدثين ــ معيار « الماهية » التي هي نتيجة للحضارة الحديثة وبالتحديد لعلومها الدقيقة الصارمة كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والهندسة الإلكترونية وما أشبه ذلك .

قد أوافق الكثيرين على أن الكثير من المفاهيم اللغوية الموجودة في اللسانيات الحديثة موجودة في التراث اللغوي العربي ولكن هذا لا يكفي لأنْ نصفّق لتراثنا اللغوي القديم ذلك لأن القضية هي قضية المنطلق الفلسفي ثم قضية الهدف النفعي . وهذان المعياران العلميّان إنما يختلفان جذرياً في النظرية اللسانية الحديثة وفي النظرية اللغوية القديمة بالرغم من أن هناك مفاهيم لغوية تشترك فيهما النظريتان القديمة والحديثة (طبعاً من خلال تطور مناهج كل نظرية ذلك لأن النظرية لا تكتمل وتتبلور إلا من خلال مناهجها المتعددة) أي إن هذه المفاهيم اللغوية المتشابهة تدور في فلك المنطلق الفلسفي والهدف النفعي المختلفين .

أما قولي السابق لو فهم العرب كتاب سيبويه لخرجوا بحقائق لا تقل أهمية عن الحقائق التي قدمها ــ نوم تشومسكي ــ فإنه يدخل في هذا الإطار الذي شرحته .

فهناك حقائق ومفاهيم لغوية في كتاب سيبويه تشبه حقائق ومفاهيم لسانية عند نوم تشومسكي ولا سيما في حقل علم النحو أو التراكيب (Syntax) وقد ذكرت ذلك وبرهنت عليه في مقالات وكتب كنت قد كتبتها .

ولكن هذا لا يعني أن سيبويه وتشومسكي يتشابهان في منطلق النظرية الفلسفي وفي هدفها النفعي البراغماتي .

إن منطلق سيبويه منطلق ديني ــ إنساني ، إذ استند في ذلك إلى معارفه اللغوية والدينية (واليونانية إن كان هناك أي تأثير للفلسفة اليونانية على الفلسفة العربية عن طريق الترجمة في تلك الحقبة من الزمن) . ثم إلى معارفه العروضية والشعرية وأخبار العرب ودواوينهم .

وقد كان هدفه من ذلك هو خدمة الأجانب الذين يريدون تعلم العربية ثم

خدمة اللغة العربية نفسها والحفاظ عليها من خلال تسجيل أصواتها وقواعدها وأنظمتها في زمن تمازج الثقافة واللغة العربية بغيرها من الثقافات واللغات الأجنبية ثم تمازج الدم العربي بدماء الشعوب التي كانت تدين للعرب. أما منطلق تشومسكي فهو منطلق رياضي فيزيائي بيولوجي هندسي الكتروني وغاية النظرية اللسانية عنده معرفة ما يجري في الدماغ البشري من ميكانيكية وآلية تساعده في معرفة «المعرفة اللغوية» (Linguistic Knowledge) المتجلية من خلال هذه «المكنة» البيولوجية العاملة في الدماغ البشري ألا وهي «اللغة» ومن ثم استغلال هذه المعرفة اللغوية لتصب في المعارف الإنسانية الأخرى (المعرفة الاجتماعية ــ المعرفة الفكرية ــ المعرفة الفنية ... الخ)، ولتسهم بالتالي في حقل التكوين الحضاري المعاصر.

وهنا نأتي إلى الحقيقة التالية بالتحديد وهي أننا إذا أردنا فعلاً نظرية لغوية عربية حديثة فإنه يمكننا أن نستفيد من النظرية اللسانية الغربية بمناهجها المتعددة ثم من النظرية اللغوية العربية القديمة بنماذجها المختلفة أيضاً وذلك لكي نضع نظرية عربية حديثة تعطي رؤية مختلفة في المنطلق وفي الهدف وذلك لكي تسهم في فهم اللغة العربية فهماً عميقاً ودقيقاً وتسهم أيضاً في نمذجتها تكنولوجياً لتساهم في بناء الحضارة التكنولوجية الحديثة.

3.1 النظرية اللسانية الحديثة وإمكانية تطبيقها على اللغة العربية

كما قلت سابقاً إذا أردنا دراسة اللغة العربية فإنه لا بد من النظر إلى المواد اللغوية القديمة التي تعامل العرب معها، وأقصد العرب القدماء، ثم لا بد من النظر إلى النظرية اللغوية القديمة بمناهجها المختلفة لمعرفتها ومعرفة نقاط ضعفها ونقاط قوتها ومن ثم يمكننا بعدها أن نأتي إلى تصميم نظرية جديدة تسد الضعف الموجود على صعيدي المواد اللغوية والمناهج القديمة. وهكذا فإن النظرية اللسانية العربية الحديثة لا بد أن تكون نتيجة طبيعية للمواد اللغوية العربية الحالية، هذه النظرية اللسانية

العربية الحديثة ينبغي أن يكون منطلقها الفلسفي وهدفها النفعي البراغماتي هو منطلق اللسانيات الحديثة وهدفها .

صحيح أن اللسانيات هي نظرية غربية ولكن منطلقها الفلسفي وهدفها النفعي البراغماتي لا ينتميان إلى الغرب وإنما هما ملك حضارة الإنسان المعاصر الخارج عن نطاق الجنس والعرق والهوية القومية . إنَّ الاختلاف الوحيد بين الأمم يكمن في كيفية استخدام « نتائج » علم من العلوم وتوظيفها في ناحية معينة . وهكذا فإن اختلاف الاستخدامات لنتائج العلم تتبع اختلافات الإيديولوجيات في العالم . أما قضية استخدام الوسائل والأساليب والتقنيات العلمية للتوصل إلى هدف أو غاية علمية معينة فإنها مسألة مشتركة بين جميع الحضارات الحديثة .

من هنا فإن المواد اللغوية العربية يمكن أن تعدّل في النظرية اللسانية العربية الحديثة وفي الوقت نفسه فإن هذه النظرية اللسانية العربية الحديثة ستقدم حقائق جدّ مهمة عن بنية اللغة العربية وكيفية عملها من أجل أن تخدم المعيارين العلميين اللذين تستند إليهما اللسانيات الحديثة وهما معيار المنطلق الفلسفي ومعيار الهدف النفعي البراغماتي . وبهذا فإننا سنحل إشكالية اللسانيات الحديثة والتراث اللغوي العربي . وهذا ما فعلته بالضبط في كتابي « نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية » تلك النظرية التي سأعرضها في القسم الثاني من هذا الفصل ولكن المهم في الأمر أن هذه النظرية اللسانية العربية الحديثة ينبغي أن تُبحث على مستويين اثنين : الأول فردي والثاني جماعي ، ذلك أن أي عمل عام ينبغي أن ينطلق من الفرد ليمر عبر الجماعة . يبدع الفرد نظرية أو منهجاً معيناً في حقل من الحقول ثم تأتي الجماعة لكي تعمل على هذه النظرية أو ذلك المنهج من حيث التطبيق .

وأستطيع أن أقول : إنه في مجال النظرية والتنظير يمكن للفرد أن يكون حراً إلى حد معين ولكن عندما تدخل النظرية في مجال التطبيق فإنها تخرج عن نطاق العمل

الفردي وتدخل نطاق العمل الجماعي ، وهذا نابع من طبيعة البحث العلمي ودقته وشموليته التي ستحدّ من العمل الفردي. هذا هو القانون العلمي في جميع العلوم الإنسانية والطبيعية بشكل عام. وبما أن اللسانيات علم من هذه العلوم فإنها لا تحيد عن هذا القانون. بل نستطيع أن نقول هنا ، إن وتيرة العمل الجماعي ستكون أكثر إلحاحاً وأكثر كثافة منها في العلوم الأخرى وذلك لأن طبيعة هذا العلم هي طبيعة متشعبة ومتداخلة مع بقية العلوم الأخرى. ودون العمل الجماعي في اللسانيات لا نستطيع أن نصنع مثلاً معجماً لسانياً حديثاً في اللغة العربية ذلك لأن مثل هذا العمل اللساني المرهق يحتاج إلى جهد كبير. والمثال على ذلك « معجم مصطلحات علم اللغة الحديث » الذي أصدره الدكتور محمد حسن باكلا وآخرون (بيروت 1983) . ثم إن حقل اللسانيات والحاسبات الإلكترونية ما كان ليعطي نتائج مهمة إلا من خلال العمل الجماعي الذي تم بين علماء الحاسبات الإلكترونية (الكومبيوتر) ، وعلماء المعلوميات (البرمجة اللغوية في الكومبيوتر) ، وعلماء الهندسة الإلكترونية (صنع الكومبيوتر) ، وعلماء اللسانيات (تفكيك اللغات البشرية وتركيبها وتصميمها في نماذج آلية) .

إن تضافر الجهود في هذه الحقول المعرفية خلق علماً جديداً له نظرياته ومناهجه وتطبيقاته يدعى اللسانيات الحاسوبية ـــ المعلوماتية (Computational Linguistics) .

إذن العمل الجماعي في اللسانيات ضروري جداً وقد أصبح تقليداً معروفاً في البلدان الغربية ، أما في البلدان العربية فإن العمل الجماعي في اللسانيات هو واجب قومي وضرورة ملحة جداً ، ذلك أنه دون هذا العمل الجماعي لا نستطيع إدخال هذا العلم الطويل والعريض إلى الثقافة العربية . فنحن العرب يجب أن نترجم ترجمة علمية أمينة كل ما هو موجود في هذا العلم وبعدها يمكننا أن نضع نظرية لسانية عربية تنبع

من فكرنا العربي الضارب جذوره في حركة التاريخ ثم من فكرنا العربي المعاصر الذي هو امتداد لكينونة هذا التاريخ .

على أية حال كنت قد فصّلتُ كثيراً في هذه النقطة بالذات في كتابي « قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث » وليس من أهداف هذا البحث التوسع في هذا الموضوع .

2. نحو نظريّة لسانية عربيّــة حديثة[1]

0.2. تمهيد

تسعى هذه الدراسة لتحقيق هدفين اثنين :

الأولْ : أن تقدم بعض المفاهيم اللسانية العربية إلى المعرفة الممتدة والمتطورة للنظرية اللسانية الغربية .

الثاني : أن تُطبِّق بعض التقنيات والمناهج اللسانية الحديثة على التراكيب العربية .

تستمد هذه الدراسة إطارها النظري من ثلاثة مصادر :

(1) اللسانيات التوليدية والتحويلية التي وضعها عالم اللسانيات الأمريكي ــ نوم تشومسكي ــ (1957-1981) .

---

(1) قُدِّم هذا البحث (بالإنكليزية) في مؤتمر " اللسانيات العربية التطبيقية ومعالجة الإشارة والمعلومات " الذي عقد في الرباط ــ المغرب من 26 أيلول وحتى 10 تشرين أول 1983 وذلك برعاية من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو) ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (يونسكو) والمركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني (المغرب) ثم مركز الدراسات والبحوث العلمية (سورية) .
يمثل هذا البحث خلاصة موجزة لرسالة الدكتوراه التي تقدم بها صاحب هذه السطور (بالإنكليزية) إلى جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأمريكية ــ واشنطن ــ العاصمة وقد تم نشرها بعد تعديل وتطوير في كتابين الأول بالعربية والثاني بالإنكليزية تحت عنوان : « نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية » دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق ــ سورية .

(2) اللسانيات الدلالية التوليدية التي وضعها عالم اللسانيات الأمريكي ــ ولتركوك ــ (1970-1978) .

(3) اللسانيات العربية التي وضعها العرب القدامى (القرن الثامن الميلادي) .

1.2. النظرية اللسانية العربية للتراكيب

ميّز العرب القدامى بين نوعين اثنين من التراكيب العربية :

ــ الأول : الكلام (ك) الذي عنوا به الجملة المفيدة والتامة والمستقلة بنفسها .

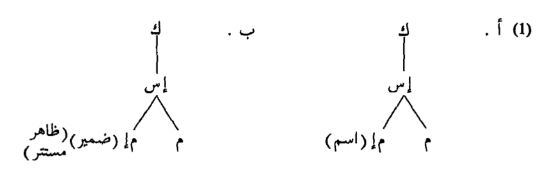
ــ الثاني : الجملة (ج) التي عنوا بها الشكل الإسنادي الذي يمكن أن يكون مفيداً وتاماً ويمكن ألاّ يكون كذلك . وهكذا فإن كل (ك) يجب أن يكون (ج) وذلك لأنه يتألف من شكل نحوي ودلالي مفيد وتام بغضّ النظر فيما إذا كان ذلك الشكل بسيطاً (جملة واحدة تامة ومفيدة) أو مركباً (أكثر من جملة تامة ومفيدة) .

ومن جهة أخرى ليس كل (ج) عبارة عن (ك) وذلك لأن الـ (ج) يمكن أن تتألف من شكل نحوي ودلالي مفيد وتام ويمكن ألّا تكون كذلك . لقد حلل العرب القدامى (أمثال ابن هشام) الـ(ك) من وجوه لغوية مختلفة . فقد حللوه حسب طبيعة عناصره الأولية (أي فعل أو مبتدأ) ، وحسب طبيعة صغره وكبره (أي الجملة الصغرى والكبرى) ، وأخيراً حسب الدور الوظيفي الذي يقوم به (أي الدور الوظيفي للجملة : محلها من الإعراب والدور الوظيفي للكلمة : حركات إعرابها) .

والواقع إن مفهوم المسند (م) (أي الخبر) والمسند إليه (م إ) (أي المبتدأ أو الفاعل النحوي) ، ثم الفضلة (ف) (أي الملحق النحوي والدلالي للكلام) ، إنما كان حجر الأساس في النظرية اللسانية العربية . تدعى العلاقة التي تربط بين هذه العناصر بالإسناد (إ س) (أي العلاقة الشكلية التي تربط بين المكونات اللغوية) . لقد كانت حجة القدامى هي أن كل (م) يجب أن يكون سابقاً للـ(م إ) الذي يمكن أن يكون ظاهراً أو مستتراً . فإذا كان الـ(م إ) ظاهراً فيجب أن يكون لاحقاً للفعل على يساره . وإذا كان الـ(م إ) مستتراً فيجب على الفعل أن يعمل على

ضميره العائد، من هنا اعتبر العرب القدامى الـ (م إ) ــ كفاعل ــ جزءاً لا يتجزأ من الـ (م) ــ كفعل ــ أما الفعل (م) والفاعل (م إ) فهما يُحكمان بالإسناد (إ س). والإسناد (إ س) بدوره يُحكم بالكلام (ك) أي الجملة التامة والمفيدة والمستقلة بنفسها.

إن العلاقة الشكلية للكلام العربي يمكن أن توضح من خلال الصورة التالية:



إن الفكرة الأساسية في النظرية اللسانية العربية هي فكرة العامل والمعمول، أي أن هناك عاملاً ما (مثل الأداة) ثم العنصر المعمول عليه (مثل الاسم أو الفعل). يعتبر العامل والمعمول وحدة لسانية متفاعلة لا يمكن فصلها عن بعضها بعضاً، وهكذا فإذا لم يكن المعمول عليه ضميراً ظاهراً فيجب أن يكون ضميراً مستتراً ليكون هناك فاعلية علائقية. وهذا يعني أن العرب القدامى حللوا التركيب العربي من وجهة نظر علائقية ورياضية فاعلة ومنفعلة في الوقت نفسه.

هذا من حيث العلاقة النحوية أما من حيث العلاقة الدلالية فقد تحدث العرب القدامى (أمثال الجرجاني) عن نوعين اثنين من تقديم العناصر اللغوية وتأخيرها في التراكيب العربية، هذان النوعان يفرزان وظائف دلالية مختلفة.

الأول: التقديم الذي على نيّة التأخير (ضرب زيد خالداً ← خالداً ضرب زيد).

الثاني: التقديم الذي لا على نية التأخير (ضرب زيد خالداً ← خالدٌ ضربه زيدٌ).

لقد اعتبر بعض العرب القدامى (أمثال ابن جني) التركيب الفعلي والتركيب الاسمي المذكورين متماثلين دلالياً على الرغم من اختلافهما نحوياً وذلك لأن الاسمين المقدَّمين (خالداً ـ خالدٌ)، إنما قُدما على الفعل من أجل وظيفة دلالية دعاها العرب بـ (القصد أو الاهتمام أو العناية).

هذا يعني أن العرب القدامى ميزوا بين نوعين اثنين من التراكيب الدلالية:

ـ الأول: التركيب الدلالي العام، أي أن هناك تراكيب نحوية مختلفة تمثل تركيباً دلالياً واحداً (ابن جني).

ـ الثاني: التركيب الدلالي الخاص والمحدد، أي أن هناك تركيباً نحوياً واحداً يفرز بدوره تراكيب دلالية محددة ذات وظائف مختلفة.

والخلاصة: لقد وضع العرب القدامى ثلاثة مكونات لغوية للتراكيب العربية الأول المسند إليه (م إ) والثاني المسند (م)، والثالث الفضلة (ف) إن العلاقة الشكلية التي تربط بين هذه المكونات تدعى بالإسناد (إ س). فإذا ما نُظِّمت هذه المكونات تنظيماً نحوياً ودلالياً فإنها ستولد الكلام (ك) والكلام (ك) بدوره سيكون عرضة لعدة تحولات من التقديم والتأخير، هذه التحولات تفرز تراكيب دلالية عامة وتراكيب دلالية محددة.

2.2. النظرية اللسانية الغربية التوليدية والتحويلية للتراكيب

لم يضع عالم اللسانيات الأمريكي ـ نوم تشومسكي ـ في حسبانه المستوى الدلالي لمنهجه اللساني الذي كان وضعه عام (1957) والمسمى " منهج المباني التركيبية " وذلك لأن هذا المنهج اللساني كان معتمداً بشكل أساسي على أسس شكلية خالصة تألفت من ثلاثة مستويات:

(أ) المستوى المركبي (التوليدي).

(ب) المستوى التحويلي.

(جـ)المستوى الصوتي (المورفوفونمي) .

والواقع إن عالمي اللسانيات الأمريكيين ــ كاتز ، وفودور (1963)، هما اللذان اقترحا المستوى الدلالي في اللسانيات التوليدية والتحويلية ولكن هذا المستوى الدلالي المقترح لم يكن قوياً ومتماسكاً بحيث يستطيع أن يربط المكونات الدلالية بالمكونات النحوية .

لقد حقق هذه المهمة عالم لساني أمريكي آخر هو ــ بوستال ــ عام (1964) وذلك بالتعاون مع العالمَيْن المذكورَيْن (أي كاتز وفودور) . فقد وضع هؤلاء العلماء اللسانيون عدة قواعد دلالية لضبط العملية التوليدية والتحويلية للتراكيب العالمية .

والواقع إن هذا التطوير الدلالي الذي وضعه كاتز ، وفودور ، وبوستال إنما شجع ــ تشومسكي ــ لأنْ يملأ الفجوة الدلالية الواضحة في منهجه اللساني الذي وضعه عام (1957) . وهكذا فقد تبنى تشومسكي عام (1965)، المستوى الدلالي الذي طوره كاتز ، وفودور ، وبوستال في منهجه اللساني المذكور . لقد عُرف هذا التطوير والتعديل بـ" النظرية المعيارية " التي تألفت من ثلاثة مستويات :

(أ) المستوى النحوي (التوليدي) .

(ب) المستوى الدلالي (التفسيري) .

(جـ) المستوى الصوتي (التفسيري) .

ولكن على الرغم من قبول علماء لسانيين عديدين للنظرية المعيارية التي وضعت عام (1965) إلّا أنه بعد تمعن عميق في طبيعة المستوى الدلالي (التفسيري) فإنه وُجد أن هذا المستوى غير قادر على تفسير عدة أمثلة لغوية عالمية تفسيراً دلالياً . إنَّ أهم نقد وُجِّه إلى النظرية المعيارية هو ذلك الذي أتى من مدرستين لسانيتين أمريكيتين متشابهتين في وجهتهما اللسانية ، الأولى : " مدرسة الدلاليات التوليدية " والثانية : " مدرسة النحو الوظيفي " .

إن المشكلتين الرئيسيتين اللتين واجهتهما النظرية المعيارية حسب رأي نقّادها هما التالي :

(أ) سطحية البنية العميقة (المقدَّرة) وعدم دقتها .

(ب) عدم دقة الفرضية الدلالية المعروفة بـ" فرضية كاتز وبوستال " .

هاتان المشكلتان الدلاليتان شجعتا ــ تشومسكي ــ مرة أخرى لأن يُعدّل النظرية المعيارية وذلك بتقديم عدة فرضيات لسانية .

لقد كشف تشومسكي عام (1970) النقاب عن المشكلة الدلالية والحاجة الماسة لحلها في النظرية اللسانية وقد أراد تشومسكي من خلال هذا التعديل الدلالي أن يجد حلولاً لبعض المشكلات المعجمية لبنية المفردات الإنكليزية وبالتحديد بنية المفردات الجامدة والمشتقة . إن هذا التعديل الدلالي دفع تشومسكي للاعتقاد بأن بعض الحقائق النحوية لا يمكن ضبطها إلا إذا قلّلنا من تجريدية البنية العميقة (المقدرة) ، والمقترحة عام (1965) .

والواقع إن تشومسكي لم يكن عام (1971) راضياً عن النظرية المعيارية مرة أخرى وذلك لأن هناك مشكلات دلالية أخرى لم تستطع هذه النظرية حلها . يمكن تلخيص هذه المشكلات الدلالية فيما يلي :

(أ) لم تستطع النظرية المعيارية شرح التركيب الدلالي للبؤرة (الموضوع) في الجملة .

(ب) لم تستطع النظرية المعيارية تفسير التراكيب العميقة (المقدرة) والتراكيب المشتقة منها .

(جـ) إن الفعل الإنكليزي المساعد (Shall) . يجب أن تفسره دلالياً البنية السطحية وليس البنية (المقدرة) ، كما هو وارد في النظرية المعيارية ذلك لأن الفعل (Shall) في التركيب الاستفهامي يختلف دلالياً عنه في التركيب العادي (حالة الإثبات) .

(د) إن التفسير الدلالي في التركيب الضميري العائد يعمل على البنية السطحية وذلك بسبب قاعدة النبر الصوتي .

(هـ) إن الأفعال التامة في اللغة الإنكليزية لها دور مهم في تحديد التفسير الدلالي للتركيب اللغوي .

لقد حاول تشومسكي ــ للتغلب على هذه المشكلات الدلالية ــ أن يربط التمثيل الدلالي بالبنية العميقة والبنية السطحية على السواء . وذلك من خلال تقديم نوعين اثنين من القواعد الدلالية :

القاعدة الأولى مهمتها تفسير البنية السطحية . والقاعدة الثانية مهمتها تفسير البنية العميقة ، بالإضافة إلى ذلك فقد ألغى تشومسكي من نظريته المعيارية فرضية ــ كاتز وبوستال ــ الدلالية والتي تقول بأن التحويل اللغوي لا يغيّر المعنى . إن التحويل اللغوي بهذا التعديل الذي أجراه تشومسكي يمكن أن يُغيّر المعنى . لقد دُعي هذا التعديل اللساني بـ " النظرية المعيارية الموسّعة " .

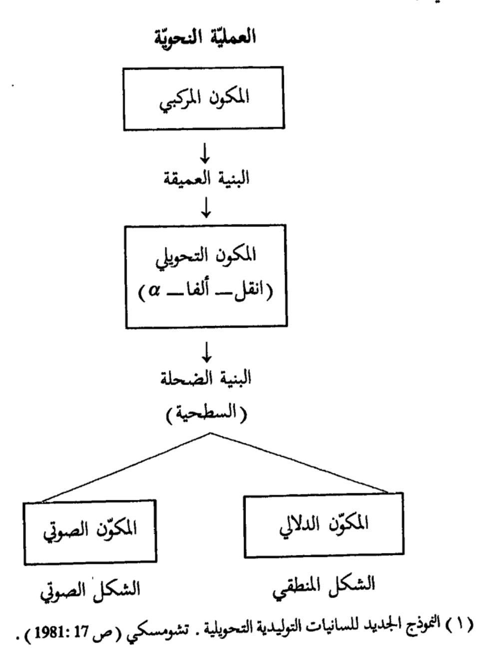
وهكذا وبعد هذا التعديل والتطوير الذي أدى إلى صياغة النظرية المعيارية الموسَّعة لعامي (1971-1973) ، أخذ العمل باللسانيات التوليدية والتحويلية يكبح جماح القواعد التحويلية ويحدّ من قوتها ثم يضبطها بشكل دقيق وذلك من خلال وضع ضوابط لغوية معينة لهذه القواعد .

إنَّ أهم الضوابط التي وُضِعت للحدّ من قوة القواعد التحويلية هي تلك التي وضعها تشومسكي عام (1973-1977) ثم تلك التي وضعها تشومسكي وزميله لاسنيك عام (1977) . إن وضع هذه الضوابط اللغوية للقواعد التحويلية هو الذي جعل العملية النحوية توازن تماماً العملية الدلالية في النظرية اللسانية .

يهدف العمل اللساني الحالي الذي يقوم به تشومسكي من عام (1981) وحتى هذا الحين لتوحيد جميع الفرضيات والمناهج التي وضعها من عام (1970)

وحتى عام (1981) . هذا التوحيد اللساني سيمكّن اللسانيات التوليدية والتحويلية لأن تصف المستويات التجريدية والظاهرية في اللغات الإنسانية .

ويمكن إيضاح النموذج اللساني الحالي والجديد الذي وضعه تشومسكي عام (1981) من خلال نظريته المعروفة بـ" نظرية العامل والربط الإحالي " من الصورة التالية :



(١) النموذج الجديد للسانيات التوليدية التحويلية . تشومسكي (ص 17 :1981) .

3.2. اللسانيات التوليدية الدلالية (القواعد الوظيفية)

اللسانيات التوليدية الدلالية لها عدة نماذج مختلفة . ستعتمد هذه الدراسة على النموذج الدلالي التصنيفي الذي وضعه عالم اللسانيات الأمريكي ــ ولتركوك ــ عام (1979) . يتألف هذا النموذج من أدوار دلالية يفرزها الفعل اللغوي . وهذا يعني أن الفعل هو عامل دلالي يحكم عدد ونوع هذه الأدوار الدلالية التي تأتي مع الفعل . والواقع إن قائمة الصفات الدلالية التي يمكن أن تأتي مع الفعل وتصف حركته في هذا النموذج الدلالي يجب أن تُميّز عن الأدوار الدلالية التي تأتي مع الاسم . فإذا أخذنا الجملة التالية مثالاً على ذلك : (ضرب زيدٌ خالداً) فإننا نستطيع أن نقول بأن صفة الفعل الدلالية هي صفة حركية (حركية الضرب) أو (+ حركي) وأن دور الاسم الدلالي (زيد) هو دور الفاعل أو (+ فاعل) ودور الاسم الدلالي (خالداً) هو دور الموضوع أو (+ موضوع) .

إن مجموع الأدوار الدلالية للاسم ومجموع الصفات الدلالية للفعل يبلغ 12 وحدة دلالية يمكن أن توضّح في هذا الشكل :

أنواع الأفعال	أفعال أساسية	أفعال شعورية	أفعال استفادة	أفعال ظرفية
1. سكونية	كائن	محبّ	مالك	مستقر في
2. إجرائية	يموت	يُسعد نفسه	يحصل على	يتحرك نحو
3. حركية	يقتل	يقول	يعطي	يضع على

(2) النموذج الدلالي التصنيفي لأنواع الأفعال الدلالية ــ ولتركوك ــ (ص 203 :1979) .

يُميّز النموذج الدلالي التصنيفي بين نوعين اثنين من الأدوار الدلالية :

الأول : الأدوار الدلالية الظاهرية التي تحدث في البنية العميقة وتحدث دائماً في البنية السطحية .

الثاني : الأدوار الدلالية المستترة التي تحدث في البنية العميقة ولكن يمكنها أن تحدث في البنية السطحية ، ويمكن ألّا تحدث فيها . هذه الأدوار الدلالية المستترة لها أنواع مختلفة فإذا كان الدور الدلالي يظهر في البنية السطحية وفي أحايين أخرى لا يظهر فيدعى عندها بـ" الدور الدلالي المحذوف " المثال على ذلك هو :

(أكل الطفل **شيئاً ما** ← أكل الطفل ∅) .

(إن يدرسْ زيدٌ ينجح **زيدٌ** ← إن يدرسْ زيدٌ ينجح ∅) .

أما إذا لم يظهر الدور الدلالي في البنية السطحية مطلقاً فعندها يمكن أن يكون إما متماثلاً مع دور دلالي آخر مثل :

(حمل **زيدٌ** **نفسه** إلى دمشق ← ذهب **زيد**إلى دمشق) .

(فاعل) (موضوع) (فاعل) و (موضوع) .

وإما أن يكون من طبيعة الفعل الاشتقاقية نفسها ، مثل :

(شجّر زيدٌ الأرض ← زرع زيدٌ الشجر) .

شجّر = الشجر

وهذا سيقودنا للقول بأن التحليل اللساني الحديث والواقعي للتراكيب العربية سيعتمد على النظام الاشتقاقي العكسي ذي الاتجاه الثنائي الذي وضعه عالم اللسانيات الأمريكي ــ والس تشيف ــ عام (1970) والذي كان تبنّاه عالم اللسانيات الأمريكي ــ ولتركوك ــ عام (1979) في نموذجه الدلالي التصنيفي .

يتألف النظام الاشتقاقي من أربع وحدات دلالية :

(1) **الاشتقاق الإجرائي (ش ج)**

أ . (ش ج + كوني) = (+ إجرائي) .

ب . نحو الحصول (كن × (Z)) .

(2) **الاشتقاق الإرجاعي (ش ر)**

أ . (ش ر + إجرائي) = (+ كوني) .

ب . كن × (Z) .

(3) **الاشتقاق السببي (ش س)**

أ . (ش س + إجرائي) = (+ حركي) .

ب . مسبِّب (Y ، نحو الحصول (كن × (Z))).

(4) **الاشتقاق الإلغائي (ش غ)**

أ . (ش غ + حركي) = (+ إجرائي)

ب . نحو الحصول (كن × (Z)) .

الخلاصة التي يمكن التوصل إليها هي أنه من خلال دمج النموذج الدلالي التصنيفي كنموذج دلالي وصفي في النموذج النحوي التوليدي والتحويلي والذي يمكن أن يُعدّل حسب النظرية اللسانية العربية ، فإننا سنتوصل إلى نموذج لساني حديث وواقعي لتحليل التراكيب في اللغة العربية تحليلاً علمياً دقيقاً يؤدي إلى الضبط والموضوعية .

4.2. إمكانية إيجاد نظرية لسانية حديثة وواقعية للتراكيب العربية

تختلف النماذج اللسانية الموضوعة لتحليل التراكيب الأساسية العربية من عالم

لساني إلى عالم لساني آخر . ويعتمد هذا الخلاف على النظرية اللسانية التى يأخذ بها كل عالم من هؤلاء العلماء .

والواقع إن الشكل العلائقي والقواعد الضابطة له في اللغة العربية يأتي من مصدرين اثنين :

الأول كان وضعه علماء اللسانيات الغربيون ، والثاني كان وضعه علماء اللسانيات العرب المحدثون ، ولكن المشكلة المتعلقة بهذين المصدرين هي أن كل فريق من هؤلاء العلماء قد تطلع إلى المادة العربية التركيبية من وجهة نظر نحوية فقط تاركاً الوجوه الدلالية لهذه التراكيب . أضف إلى ذلك أن كل فريق حاول أن يطبّق هذه المناهج اللسانية على المواد التركيبية العربية التي هي أكثر تلاؤماً مع المنهج الذي يأخذ به تاركاً بقية المواد التركيبية العربية الأخرى التي لا تلائم المنهج الذي يأخذ به . والنتيجة هي أن التحليل اللساني سيكون تحليلاً سطحياً .

1.4.2. النموذج اللساني للتراكيب الأساسية

سأعرض هنا الفرضيات النحوية والدلالية للتراكيب العربية مستخدماً بذلك النظرية اللسانية العربية بالإضافة إلى ذلك سأحاول دمج هذه النظرية اللسانية العربية بالنظرية الدلالية التصنيفية التي وضعها عالم اللسانيات الأمريكي ـــ ولتركوك ـــ (1979) وبالنظرية النحوية التوليدية والتحويلية التي وضعها عالم اللسانيات الأمريكي ـــ نوم تشومسكي ـــ (1981) .

لنتذكر الآن بأن التركيب العربي يتألف من ثلاثة مكونات لغوية :

الأول هو المسند (م) أي فعل الجملة ، والثاني هو المسند إليه (م إ) أي الفاعل النحوي للجملة ، والثالث هو الفضلة (ف) أي الملحق الدلالي الذي ليس بـ(م) ولا بـ(م إ) ، إن الـ(ف) تدخل التركيب كعنصر زائد على العلاقة الإسنادية . تدعى العلاقة التي تربط بين هذه المكونات المذكورة بالإسناد (إس) أي

التمثيل العلائقي الذي يحكم المكونات المذكورة. إن هذا التمثيل العلائقي الإسناد (إس) يجب أن يكون محكوماً بتمثيل علائقي أخير في العملية اللغوية.

يدعى التمثيل العلائقي الأخير بالكلام (ك) أي الجملة المفيدة والتامة ثم التي يُحسن السكوت عليها.

سأقدم هنا مكوناً لغوياً آخر يستطيع أن يحوّل التركيب الأساسي (النواة) إلى تركيب مشتق. يدعى هذا المكون التحويلي بـالأداة (أد).

إن المكون التحويلي (أد) يمكن أن يكون أشكالاً متعددة (كالأداة الاستفهامية وأداة النفي، وأداة المصدر ثم أداة الشرط).

بالإضافة إلى ذلك سأصف البنية العميقة للجملة العربية مستخدماً الأدوار الدلالية المقترحة في المنهج الدلالي التصنيفي وبالتحديد:

(1) الفاعل ← (فا)[2].
(2) المجرب ← (مج).
(3) المستفيد ← (مس).
(4) المكان ← (مك).
(5) الموضوع ← (مو).
(6) الزمان ← (زم).

بالإضافة إلى هذه الأدوار الدلالية سوف أصف البنية العربية العميقة بالعلامات الإعرابية المعروفة أي:

(2) لاحظ أننا عندما نستخدم كلمة فاعل هنا فإنها لا تعني أبداً المصطلح التقليدي العربي الذي يهدف إلى وصف الاسم الذي يأتي بعد الفعل مباشرة. إن ما عنيته هنا هو فاعل الحدث الدلالي فإذا قلنا مثلاً (ضرب زيد خالداً) فإن القائم بالضرب وفاعله هو زيد، والموضوع الذي تلقى الضرب هو خالد ثم إن الحدث الدلالي هنا هو حدث حركي. وهذا يختلف بالطبع عن الفاعل في المفهوم التقليدي فإذا قلنا مثلاً (حوى الصندوق عشر تفاحات) كان الصندوق هو فاعل مرفوع على الرغم من أنه ليس فاعلاً من الوجهة الدلالية بل هو المكان الذي يحوي الموضوع (عشر تفاحات). لهذا سأميزهنا بين نوعين من الفواعل: الأول هو الفاعل الدلالي (ضرب زيد خالداً) والثاني هو الفاعل النحوي: (يحوي الصندوق عشر تفاحات).

(1) الضم ← (ضم).
(2) الفتح ← (فتح).
(3) الكسر ← كسر.

وذلك لأن اعتقادي هو أن الظاهرة الإعرابية في العربية هي عامل دلالي واحد من عدة عوامل دلالية يمكنها وصف التركيب العربي ومعرفة كنهه الدلالي ولا أدل على ذلك من المثال التقليدي العربي المعروف (ما أحسنْ زيدْ):

ففي الضم هو تركيب دلالي للنفي (ما أحسنَ زيدٌ).
وفي الفتح هو تركيب دلالي للتعجب (ما أحسنَ زيداً!).
وفي الكسر هو تركيب دلالي للاستفهام (ما أحسنُ زيدٍ؟).

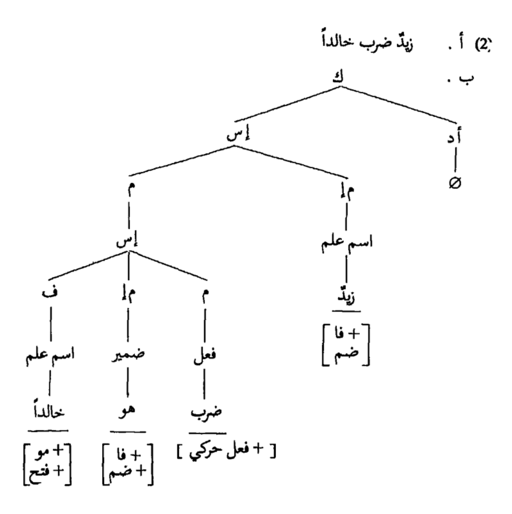
فإذا طبقنا النموذج اللساني الجديد على التركيب الأساسي العربي فإننا سنحصل على التمثيل العلائقي النحوي والدلالي التالي:

(1) أ. ضرب زيدٌ خالداً

ب.

(2) أ . زيدٌ ضرب خالداً

ب .



إنَّ القواعد التوليدية التي يمكنها أن تضبط البنية العميقة المتمثلة في (1) و (2) يمكن أن تكون كالتالي :

(3) ك ← أد ــ إس

(4) إس ← { م ــ مإ ــ ف / مإ ــ م ــ ف }

(5) أد ← { ± Ø / نفي / استفهام }

(6) م ←
- جملة
- فعل
- اسم فاعل
- اسم
- صفة
- جارومجرور
- ظرف
- ...

(7) م إ ←
- جملة
- اسم فاعل
- اسم
- ...

(8) ف ←
- اسم
- صفة
- جارومجرور
- ظرف
- ...

إن رتبة الكلمات في التركيب الفعلي العربي حسب هذه القواعد التوليدية يمكن أن تكون كما يلي :

(9) [م (فعل) ... م إ (إسم) ... (ف$_1$ (إسم) ... (ف$_2$ (X)))]

الواقع إن البنية العميقة (9) تسمح بنقل بعض العناصر اللغوية إلى يمين الفعل أو يساره وذلك بشكل تحويلي منظم دقيق ولكن لا يمكن لبعض العناصر اللغوية أن تنتقل في البنية العربية (9) بشكل طليق وذلك لبعض الالتباسات الدلالية والنحوية التي يمكن أن تعتري تلك البنية مثال ذلك :

(ضرب موسى عيسى ← ضرب عيسى موسى)

إن تحريك أي عنصر لغوي هنا سيسبب التباساً دلالياً ذلك لأنه ليس هناك أي مميز نحوي أو دلالي لمعرفة ما إذا كان موسى هو الضارب أو المضروب وهكذا فإن التراكيب التي ليس لها ضوابط نحوية أو دلالية لا يمكن تحريك عناصرها تحريكاً مطلقاً . إن القاعدة النحوية وضوابطها التي يمكنها أن تشرح الحركة التحويلية في البنية العربية يمكن أن تكون كما يلي :

(10) أ . [Y ... م (فعل) ... م إ (إسم) ... ف (×) ... Z]

1 2 3 4 5

ب . [1 ··· (2 + 4) ··· 3 ·········· ∅ ······· 5]

جـ . [1 ··· (4 + 2) ··· 3 ·········· ∅ ······· 5]

ضابط : × = يجب ألاّ يقيدّ بأي قيد نحوي أو دلالي .

∅ = صفراً .

هذا فيما يتعلق بالتركيب الفعلي أما فيما يتعلق بالتركيب الإسمي فإنّ في اللغة العربية نوعين اثنين من التراكيب الإسمية المصاغة في المستوى المركبي ـــ التوليدي . يتألف النوع الأول من (م إ) كمبتدأ يتبعه مركب فعلي كخبر كما هو موضح في هذه البنية :

(11) [م إ (إسم) ... م (فعل) ... (ف (×))]

ويتألف النوع الثاني من (م إ) كمبتدأ يتبعه مركب اسمي كخبر كما هو موضح في هذه البنية :

(12) [م إ (إسم) ... م إ (إسم) ... م (×)]

ضابط : × = اسماً ، صفةً ، جاراً ومجروراً ، ظرفاً .

والواقع إنَّ التركيبين الإسميين (11) و (12) هما عرضة لتحولات لغوية عديدة ولكن طريقة التحولات اللغوية هذه تختلف عن تلك التحولات اللغوية الجارية في التراكيب الفعلية .

أما فيما يتعلق بالتركيب الكوني مثل (زيد طالب) (زيد طويل) (زيد في الجامعة) (زيد هنا) فإنه يتألف من عنصرين لغويين اثنين :

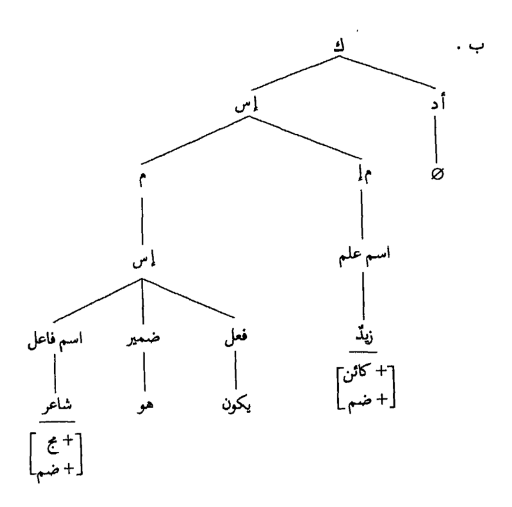
الأول هو المبتدأ (م إ) الذي يمكن أن يكون اسماً أو اسم فاعل أو جملة .

الثاني هو الخبر (م) الذي يمكن أن يكون اسماً أو صفة أو جاراً ومجروراً أو ظرفاً أو جملة . إنّ كل هذه العناصر اللغوية التي تمثل الخبر يمكن أن تنضوي تحت الرمز الرياضي م (×) أي الخبر × .

إن الشرط الوحيد لصياغة التركيب الكوني هو أن فعله الكوني وفاعله (يكون هو) يجب أن يحذف دائماً من التركيب السطحي إلاّ عندما يكون الفعل في زمن الماضي وزمن المستقبل أي (كان ــ سيكون) . ويمكننا توضيح التركيب الكوني العام حسب التالي :

(13) أ . زيدٌ { شاعرٌ / طويلٌ / في الجامعة / هنا }

ب .



إن التركيب الكوني المتمثل في (13) هو عرضة لتحولات لغوية مختلفة ولكن العنصر اللغوي الوحيد الذي يمكن أن ينتقل ضمن هذا التركيب هو عنصر الخبر أي م (X).

والخلاصة هي أن هناك أربعة تراكيب أساسية في اللغة العربية هي :

(أ) التركيب الفعلي أي (م ـ م إ ـ ف).
(ب) التركيب الاسمي ذو الخبر الفعلي أي (م إ ـ م ـ م إ ـ ف).
(جـ) التركيب الإسمي ذو الخبر الاسمي أي (م إ ـ م إ ـ م).
(د) التركيب الكوني أي (م إ ـ م (X)).

إن هذه التراكيب الأربعة هي عرضة لتحولات لغوية مختلفة ، بعضها لا يحتاج أبداً إلى أي ضابط نحوي أو دلالي وبعضها الآخر يجب أن يتحرك وفق ضوابط نحوية أو دلالية معينة وذلك لتوليد تراكيب عربية صحيحة .

2.4.2. النموذج اللساني للتراكيب الاستفهامية

إن التركيب الاستفهامي المعبّر عنه بالاستفهام التصديقي (أ ـــ هل) يشبه تماماً التركيب الأساسي الذي تحدثنا عنه . إن الفرق الوحيد بين التركيبين هو أن الأدوات الاستفهامية المستعملة في هذا التركيب الاستفهامي تُحكم من خلال المكون التحويلي الذي سميناه الأداة (أ د) ومن خلال القواعد المركبية التوليدية . إن المكون التحويلي (أ د) يستطيع أن يحوّل التركيب الأساسي إلى تركيب استفهامي . أما القواعد المركبية التوليدية للاستفهام التصديقي فهي مشتقة من الإطار المقترح من قبل . هذه القواعد المركبية يمكن أن تكون كالتالي :

(1) ك ← أ د ـــ إ س

(2) أ د ← ± استفهام

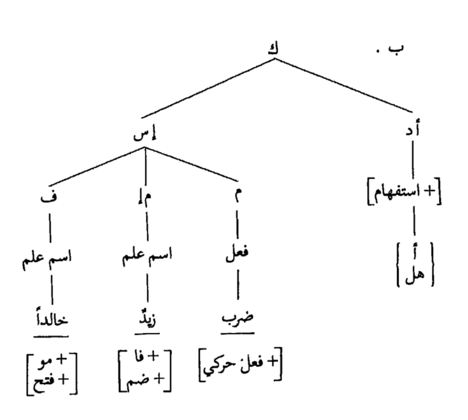
(3) + استفهام ← { أ / هل / ∅ }

(4) إ س ← { م ـــ م إ ـــ ف / م إ ـــ م ـــ ف }

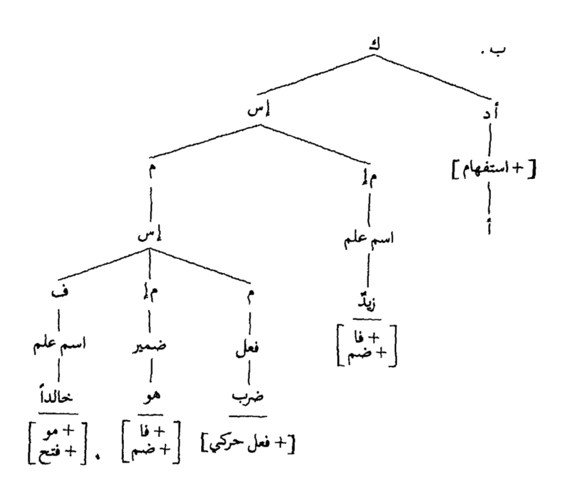
يمثل النظام العلائقي الموضّح في (5) و (6) البنية العميقة للاستفهام التصديقي سواء في التركيب الفعلي أو التركيب الاسمي :

(5) أ . {أ / هل} ضرب زيدٌ خالداً؟

ب .



(6) أ . أزيدٌ ضرب خالداً ؟



أما فيما يتعلق بالتركيب المعبر عنه بالاستفهام التصوري (لماذا ــ كيف ــ متى ــ أين ــ من) فإن القواعد المركبية ــ التوليدية التي تستطيع توليده وتكوينه يمكن أن تكون كالتالي :

(7) ك ← أد ــ إس
(8) أد ← ± استفهام
(9) + استفهام ← Ø

(10) إس ← | م ــ م إ ــ ف (مركب استفهامي) |
| م إ (مركب استفهامي) ــ م ــ ف |

سأفترض هنا أن المركب الاستفهامي في اللغة العربية يُصاغ في موضعين مختلفين الأول سأدعوه بـ" وضعــ م إ " والثاني بـ" وضعــ ف " في التركيب الفعلي و " وضعــ م (X) " في التركيب الكوني .

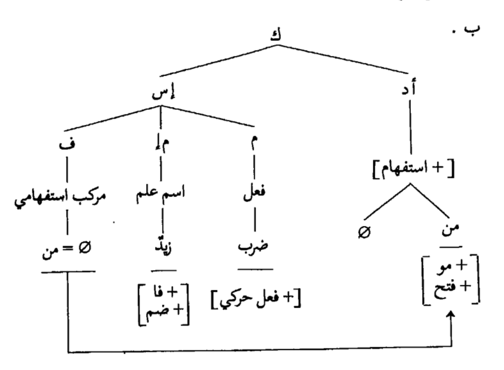
ففي الوضع الثاني فإن المركب الاستفهامي سيكون في أماكن مختلفة تحت حكم المكون العلائقي (إس) ثم إن هذا المركب الاستفهامي سينتقل إلى الوضع (+ استفهام) .

يمكن أن نوضح هذه العملية من خلال البنى العميقة التالية :

(11) **التركيب الفعلي**

أ . من ضرب زيدٌ ؟

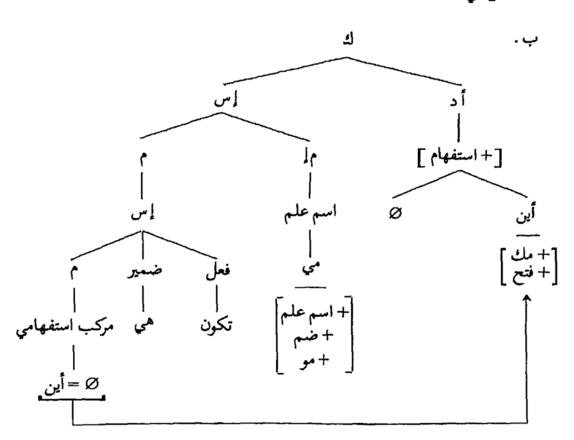
ب .



(12) **التركيب الكوني**

أ . أين ميّ ؟

ب .

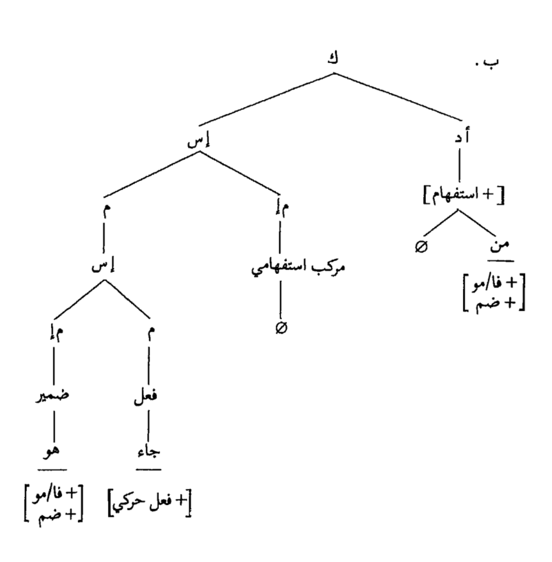


أما المركب الاستفهامي المرتبط بالوضع الأول " وضع ــ م إ " فهو يحدث في التركيب الإسمي فقط. إن المركب الاستفهامي هنا يُصاغ تحت حكم المكون العلائقي (م إ). وهذا يعني بأنه ليست هناك أية حركة تحويلية لهذا المركب الاستفهامي ويتبين ذلك من خلال البنية العميقة التالية :

(13) **التركيب الإسمي ذو الخبر الفعلي :**

أ . من جاء؟

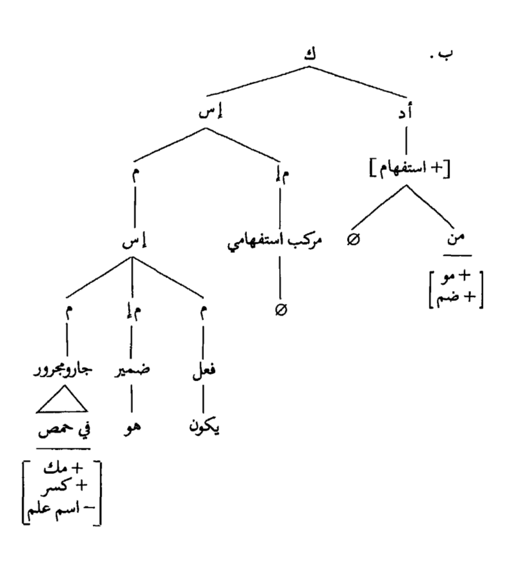
ب .



(14) **التركيب الكوني**

أ. منْ في حمص؟

ب.



والخلاصة هي أن هناك تركيبين استفهاميين اثنين في اللغة العربية : الأول الاستفهام التصديقي والثاني الاستفهام التصوري. هذان التركيبان هما عرضة لعدة تحولات لغوية تنتج بدورها عدة دلالات مختلفة، ويشترك هذان التركيبان في وجوه دلالية عديدة أي أنهما يكوّنان ويصوغان معاني محددة ومعاني عامة. إن العملية

النحوية والدلالية لهذين التركيبين الاستفهاميين ينبغي أن تضبط بشكل دقيق من أجل توليد تراكيب صحيحة .

5.2 نتائج وإرهَاصَاتٌ نظريّة

(1) النظرية اللسانية العربية

يمكننا أن نخلص بالحقائق النحوية والدلالية العربية التالية :

أ . إن العلائق التركيبية في التمثيل المقدر الذي وضعه العرب القدامى هي علائق تركيبية متشابهة مع تلك العلائق التركيبية في النظرية اللسانية التوليدية والتحويلية الغربية .

ب . إنّ الضوابط المفروضة على التراكيب العربية من أجل الحد من قوة القواعد النحوية (كالضوابط المفروضة على التركيب الاستفهامي) تشبه الضوابط المفروضة على القواعد النحوية التوليدية والتحويلية التي كان قد وضعها عالم اللسانيات الأمريكي ـــ نوم تشومنسكي ـــ عام (1973-1977) .

جـ . إن مفهوم القواعد التوليدية ثم مفهوم القواعد التحويلية للتراكيب العربية يشبه مفهوم القواعد التوليدية والقواعد التحويلية في النظرية اللسانية الغربية التي وضعها عالم اللسانيات تشومسكي .

د . إن هدف التقديم والتأخير في التراكيب العربية وفق النظرية اللسانية العربية يشبه هدف التقديم والتأخير في التراكيب العامة في النظرية اللسانية الغربية . فعالم اللسانيات ـــ سيمون ديك ـــ (1978) في نظريته المعروفة بـ" اللسانيات الوظيفية " ثم عالم اللسانيات الأمريكي ـــ تشومسكي ـــ في نظريته المعروفة بـ" اللسانيات التوليدية والتحويلية " إنما يشبهان في مفهومهما للتقديم والتأخير العالم اللغوي

العربي عبد القاهر الجرجاني ذلك لأن أهم عنصر يُعني ويُهتم به هو العنصر المقدم على بقية العناصر الأخرى في التركيب اللغوي .

هـ . إن الفكرة المهمة هنا هي أن المبادىء الخاصة للتراكيب العربية ستسهم في تطوير المبادىء العامة للنظرية اللسانية الغربية .

(2) النظرية اللسانية التوليدية والتحويلية الغربية

لقد رأينا في هذه النظرية تطور المستوى الدلالي وأهمية هذا التطور والتعديل الذي طرأ عليها وذلك لضبط العملية اللغوية . لقد كان هدف النقاش الوصول إلى وصف دلالي دقيق ووافٍ للتراكيب العربية ثم تحولاتها العديدة .

إنَّ النظام الدلالي للغات البشرية هو نظام معقد يحتاج إلى دراسات عميقة للغات البشرية عامة وذلك لضبط طبيعة التراكيب الدلالية العالمية وعلائقها المتشابكة في الدماغ البشري .

(3) إمكانية إيجاد نظرية لسانية عربية حديثة

لقد أثبتنا بأن البحث والاستقصاء العميق للتراكيب الأساسية العربية ونظام رتبتها وتحولاتها يمكن أن يوصف ويُشرح من خلال نظرية لسانية عربية حديثة .

إن هذه النظرية اللسانية العربية الحديثة كانت ضرورية بسبب الضوابط النحوية والدلالية النابعة من اللغة العربية نفسها . تلك الضوابط التي تختلف إلى حد ما مع الضوابط العالمية الموضوعة في اللسانيات التوليدية والتحويلية الغربية .

المثال على ذلك هو أننا إذا طبقنا الفرضية المعجمية التي وضعها عالم اللسانيات الأمريكي ــ نوم تشومسكي ــ عام (1970) على المادة العربية فإننا سنتوصل إلى نتائج معجمية عربية لا يمكنها أن تخضع للفرضية المعجمية الغربية ، وذلك لأسباب تتعلق بالطبيعة الاشتقاقية للغة العربية . ولكن العلائق الشكلية للتراكيب العربية من جهة أخرى تخضع تماماً للنظرية اللسانية التشومسكية الغربية

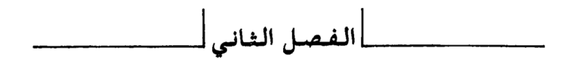
وذلك لأن النظرة الفلسفية البعيدة التي أرادها العرب القدماء من اللغة العربية تتشابه إلى حدّ ما مع النظرة الفلسفية المتوخاة والتي يسعى الغرب لتحقيقها .

أما فيما يتعلق بالتراكيب الاستفهامية فإنها تُظِهر بعض الوجوه النحوية والدلالية التي يمكن أن يقال إن بعضها يختص باللغة العربية وحدها وبعضها الآخر يشترك مع اللغات البشرية الأخرى الأمر الذي يُرشح العربية لأن تُدرس في إطار علم اللسانيات التوليدية والتحويلية وبالتحديد المنهج اللساني الذي وضعه وما زال يطوره عالم اللسانيات الأمريكي نوم تشومسكي .

(4) خلاصة

إن أية نظرية لسانية تريد أن تحقق لنفسها الشروط العلمية المستخدمة في العلوم الفيزيائية والرياضية كالملاحظة والضبط والدقة ثم الموضوعية لا بد وأن تعتمد في تحليلها اللساني على مواد لغوية عالمية مختلفة . بالإضافة إلى ذلك تحتاج هذه النظرية اللسانية لأن تكون مرنة في مبادئها النظرية والتطبيقية أي أنها قادرة على الاستفادة من مختلف المواد اللغوية المنتمية إلى اللغات البشرية العالمية .

ففي ضوء هذه الحقائق فإن النظرية اللسانية الغربية يمكنها أن تستفيد كثيراً من المواد اللغوية العربية المقدَّمة في هذه الدراسة ومن المفاهيم اللسانية التي وضعها العرب القدامى . وفي الوقت نفسه فإنه سيكون من المفيد جداً بل من الضروري جداً أن يفتح اللغويون العرب المحدثون أعينهم على التطورات الحديثة المدهشة والعملاقة في تكنولوجيا اللسانيات الغربية .



اللسانيات وموقفها من اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة

0. مدخل

سأعالج في هذا الفصل[1] بنية اللغتين المنطوقة والمكتوبة في إطار البحث اللساني الحديث. وسوف نتعرّف إلى بعض النظريات اللسانية التي تناولت الفروق القائمة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة ثم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا التناول اللساني.

وأخيراً سوف نعرض لإمكانية الاستفادة من هذه النتائج التي توصل إليها علماء اللسانيات الاجتماعية وتطبيقها على اللغة العربية المعدّة للبرامج التلفزيونية سواء أكانت تلك اللغة منطوقة أم مكتوبة.

1. اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة في إطار البحث اللساني الحديث

علم اللسانيات الحديث هو الدراسة العلمية للغات البشرية من خلال

---

(1) أدين بهذا الفصل إلى أستاذتي اللسانية الأمريكية البروفسورة ديبورا تانن فقد استفدت كثيراً من محاضراتها التي ألقتها في جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأمريكية عام (1981) ولا سيما في مادة «استراتيجيات الخطاب المنطوق والمكتوب»، ثم في كتابها «**اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة**» والمطبوع تحت عنوان:

Tannen, D (1983) **Spoken and Written Language.** Norwood, NJ: Ablex.

الألسنة الخاصة بكل قوم من الأقوام. ونعني بالدراسة العلمية البحث الذي يستخدم الأسلوب العلمي المعتمد على المقاييس التالية :

(1) ملاحظة الظواهر اللغوية .
(2) التجريب والاستقراء الديناميَ المستمر .
(3) بناء نظريات لسانية كليّة من خلال وضع نماذج لسانية قابلة للتطوير .
(4) ضبط النظريات اللسانية الكلية ثم ضبط الظواهر اللغوية التي تعمل عليها .
(5) استعمال النماذج والعلائق الرياضية الحديثة .
(6) التحليل الرياضي الحديث .
(7) الموضوعية المطلقة .

وبما أنّ للغة هذه الامتدادات والتشعبات ، فإن علم اللسانيات الحديث قد تفرع إلى حقول عديدة أصبح كلٌّ منها علماً قائماً برأسه :

(1) **علم اللسانيات النظري أو العام** : (General Linguistics)
يبحث هذا العلم بالنظريات اللسانية ومناهجها المتفرعة عنها وكيفية معالجتها للبنية اللغوية صوتاً وتركيباً ودلالة سواء أكانت تلك النظريات اللسانية في الماضي أم الحاضر .

(2) **علم اللسانيات التطبيقي** : (Applied Linguistics)
يبحث هذا العلم بالتطبيقات الوظيفية البراغماتية التربوية للغة من أجل تعليمها وتعلّمها للناطقين ولغير الناطقين بها ويبحث أيضاً بالوسائل البيداغوجية المنهجية لتقنيات تعليم اللغات البشرية وتعلّمها .

(3) **علم اللسانيات السيكولوجي النفسي** (Psycholinguistics)
يبحث هذا العلم باللغة على أنّها ظاهرة نفسية ـــ سيكولوجية ، يقوم بانتاجها وتكوينها الإنسان وحده فقط ، لذلك لا بدَّ من هذه العلائق التي تربط اللغة

بنفسيات متكلميها على اختلاف أعمارهم واختلاف جنسهم واختلاف ثقافاتهم وعاداتهم وتقاليدهم .

(4) **علم اللسانيات الأنثروبولوجي (Anthropological Linguistics)**

يبحث هذا العلم بالصلة التي تربط اللغة بأصل الإنسان ذلك لأنّه لا يمكن معرفة الأصول الأولى للغة إلّا إذا عرفنا أصل الإنسان ، وهذا يؤكد الحقيقة القائلة بأنّ اللغة عضوٌ بيولوجي كبقية الأعضاء البيولوجية التي خُلقت مع الانسان ، ولكن على الرغم من ذلك فإنّ اللغات البشرية متفاوتة من حيث الرقي الحضاري ومن حيث أنظمتُها الداخلية وقدرتها على تقطيع العالم الفيزيائي الذي يحيط بالإنسان .

(5) **علم اللسانيات البيولوجي : (Biological Linguistics)**

يبحث هذا العلم بالعلاقة القائمة بين اللغة وبين الدماغ ، إنَّ مَهـمَّة هذا العلم معرفة البنية اللغوية الدماغية عند الإنسان ومقارنتها بالبنية الإدراكية الدماغية عند الحيوان ، أضف إلى ذلك أنَّ هذا العلم يريد معرفة التطور اللغوي البيولوجي عند الأطفال وكيف يمكن أنْ ينشأ المرض اللغوي عند هؤلاء الأطفال (كالتأتأة والفأفأة والتمتمة والتعتعة والعكلة والحبسة واللثغة ... الخ) .

(6) **علم اللسانيات الرياضي (Mathematical Linguistics)**

يبحث هذا العلم باللغة على أنّها ظاهرة حسابية مركبة ومنظمة على نحو متشابك من أجل تطويعها ووضعها في أطر وصيغ رياضية من أجل معرفتها معرفة دقيقة جداً لاثبات الفرضية التي وضعها تشومسكي ـــ عالم اللسانيات الأمريكي من أنَّ اللغة عبارة عن مكنة أو آلة مولِّدة ذات أدوات محدّدة قادرة على توليد ما لا نهاية له من الرموز اللغوية من خلال طرق محدّدة .

(7) **علم اللسانيات الحاسوبي ـــ المعلوماتي (Computational Linguistics)**

إنَّ وضع اللغات البشرية في صيغ وأطر رياضية هو الخطوة الأولى نحو الاقتراب من علم اللسانيات الحاسوبي المعلوماتي الذي يبحث في اللغة على أنّها ظاهرة

حاسوبية ـــ معلوماتية يمكن معالجتها في الأدمغة أو الحاسبات الإلكترونية (الكومبيوتر) وذلك من أجل السرعة والدقة العلمية في البحوث اللغوية ومن أجل ترجمة النصوص اللغوية ترجمة آلية فورية.

(8) علم اللسانيات الأدبي : (Literary Linguistics)

يبحث هذا العلم بالعلاقة القائمة بين اللسانيات وبين الأدب بكافة أنواعه (الشعرية والقصصية والروائية والمسرحية... الخ) ذلك لأنّ اللسانيات والأدب هما حقلان يستفيدان من بعضهما بعضاً في أشكال عديدة، فالتحليل اللساني يستطيع أن يقدِّمَ للأدب إسهاماً يكمن في الدقة والموضوعية والكشف والاثارة، وإنَّ الأدب يستطيع أنْ يقدّم للسانيّات حقلاً غنيّاً ومتنوعاً من الأنواع الأدبية، والأهم من هذا أو ذاك هو أنَّ منطلق اللسانيات والأدب هو منطلق واحد ألا وهو اللغة.

إنَّ اللسانيات الأدبية تبحث في بنية اللغة وتوزعها ووظائفها في الأنواع الأدبية، ثم تبحث في التقنيات الأسلوبية والسيميولوجية التي يمكن للأدباء أنْ يستخدموها من أجل التأثير الأدبي. إنَّ أهم الحقول المتفرعة عن اللسانيات الأدبية هما «الأسلوبيات» « Stylistics » و «السيميائيات» « Semiotics ».

(9) علم اللسانيات الاجتماعي : (Sociolinguistics)

يبحث هذا العلم بالعلاقة القائمة بين اللغة وبين المجتمع، ذلك لأنّ اللغة لها صلة بالمجتمع الذي ينظمها ويؤطرها على نحو يجعلها مختلفة عن اللغات الأخرى نظاماً وعادة وسلوكاً، فاللغة ظاهرة اجتماعية تتفق عليها الجماعات البشرية، وهي تعكس كلَّ ما يموج فيها من عادات وتقاليد وثقافة ودين وتنوعات جغرافية وإقليمية، إنَّ من مهمات علم اللسانيات الاجتماعي البحث في الحقول التالية :

أ . اللغة واللهجة. كيف تصبح اللغة لهجات متنوعة؟ وكيف تصبح اللهجة لغة؟.

ب . الأطلس اللغوي الجغرافي الذي يرسم الاختلافات الصوتية والنحوية والدلالية الموجودة في كل منطقة جغرافية من مناطق الوطن الواحد (الأطلس اللغوي الجغرافي الجزائري مثال على ذلك).

جـ . العلاقات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الواحد وأثر ذلك على تعليم اللغة القومية وتعلّمها.

د . الفروق القائمة بين لغة النساء ولغة الرجال.

هـ . المستويات الكلامية ــ اللغوية حسب سياقاتها الاجتماعية.

و . اللغة المنطوقة (لغة الحديث) واللغة المكتوبة (اللغة المسجلة على الورق).

إنَّ الهدف من هذا البحث معرفة الاختلافات القائمة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة وأثر ذلك على الكتابات المعدّة للبرامج التلفزيونية، سواء أكانت كتابات متعلقة بالفصحى أم كتابات متعلقة بالعامية.

2. النظريات اللسانية وموقفها من اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة

إنَّ فهم العلاقة القائمة بين اللغة المنطوقة (Spoken Language) واللغة المكتوبة (Written Language) أمر مهم وحاسم في اللسانيات النظرية واللسانيات التطبيقية، فكل واحد منّا في هذا العالم الواقعي يريد أنْ يعرف مثلاً لماذا يتعلّم كلُّ الأطفال المحادثة (الكلام) ولكن العديد منهم لا يستطيعون الكتابة، أو أنَّ مهارة الكتابة عندهم لا تبلغ كماليتها المطلوبة؟

لقد ركّزت المدرسة البنيوية (Structuralism) في أوائل القرن العشرين على اللغة المنطوقة واتخذتها أساساً لبناء النظرية اللسانية الغربية، وهكذا فإنَّ فرديناند دي سوسور العالم اللساني السويسري وأتباعه أعطوا «**الأفضلية المطلقة**» للغة المنطوقة، متجاهلين الشكل المكتوب لها ذلك الشكل الذي ليس في رأيهم سوى محاولة لتسجيل الأصوات المنطوقة، وقد بحث سابير وهوكت وبلومفيلد، علماء

اللسانيات الأمريكيّون، الشيءَ نفسَه، حتى أنَّ بلومفيلد قال: «الشكل المكتوب ليس لغة ولكنّه طريقه لتسجيل اللغة بوساطة إشارات ورموز مرئية»[2].

وعلى النقيض من ذلك فإنَّ المدرسة التوليدية (Generativism) متمثلة بنظرية القواعد التوليدية والتحويلية (TGG) رفضت بشكل قاطع اللغة المنطوقة كمادة للبحث اللساني معتبرة إياها «**أداءً للغة**» (Performance) مركزة بدلاً من ذلك على «**الكفاءة اللغوية**» (Competence) أي الشكل التجريدي المثالي للغة ذلك الشكل الموجود في أدمغة المتكلمين.

لقد ركّز اللسانيون التوليديون والتحويليون تحليلاتهم اللسانية على الجمل المفردة التي هي مشابهة تقريباً للأشكال الكتابية أكثر من الأشكال المنطوقة الكلامية.

إنَّ الاهتمامات الحالية للسانيات الاجتماعية لتحليل الخطاب اللغوي (Discourse Analysis) قد وسَّعت مجال التحليل اللساني **ليتجاوز «الجملة المفردة» وليتجاوز أيضاً مفهوم «الأداء اللغوي» والكفاءة اللغوية»** ذلك المفهوم الذي رفضه علماء اللسانيات التوليدية الدلالية (Generative Semantics) أمثال لايكوف وفيلمور وتشيف وعلماء اللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistics) أمثال لابوف وأوكس وتانن.

والواقع لقد كان هذا الرفض تطوراً ضرورياً جاء من خلال دمج الدلاليات (Semantics) في النظرية اللسانية النحوية الشكلية، **وهذا أدى بدوره إلى التوصل السريع إلى أنّه لايمكن أن نراعي الجوانب الدلالية دون اعتبار السياق اللغوي (Linguistic Context) والسياق غير اللغوي (extralinguistic Context).**

وهكذا فإن التطور الذي تمَّ في حقل اللسانيات كان يحاذي التطور الذي

(2)Bloomfield, L (1984: p.281) **Language**. The University of Chicago. U.S.A.

حصل في بقية حقول المعرفة الأخرى التي أدركت أهمية السياق (اللغوي، الاجتماعي، النفسي، التاريخي ... الخ) كعلم الأنثربولوجيا (Anthropology) وعلم النفس الإدراكي (Cognative Psychology) وعلم النفس الإكلينيـي ــ السريري (Clinical-Psycology)، وعلم الذكاء الاصطناعي (Artificial Intellegence) وعلم الاجتماع (Sociology) وعلم الفلسفة (Philosophy).

إنَّ اهتمام اللسانيين الاجتماعيين والدلاليين الجدد بقضية السياق (اللغوي وغير اللغوي) قادهم إلى تحليل النصوص اللغوية تلك التي يمكن أن تكون إمّا منطوقة (محكية) وإمّا مكتوبة (مسجلة).

3. التحليل اللساني للغة المنطوقة واللغة المكتوبة

إنَّ الفرق الأساسي بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة يكمن في طبيعة القنوات المستخدمة في كل من هاتين اللغتين، ففي حين تتعدّد الأقنية المستخدمة خلال اللغة المنطوقة وجهاً لوجه وتشمل الأمور اللفظية والصوتية المتلائمة مع الحركة الإيمائية، فإنَّ اللغة المكتوبة تنحصر فقط بالقناة اللفظية أو اللغوية.

يوجز موسكوفيتشي ــ عالم اللسانيات ــ الأسباب المعروفة للتمييز بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة كما يلي:

(1) «إنَّ الطاقات العضلية ــ العصبية المبذولة خلال الكتابة هي طاقات أهم من تلك المبذولة خلال الكلام.

(2) تفترض التبادلات المنطوقة وجود الآخر، في حين تتوجه التبادلات المكتوبة إلى شخص غائب لذا فإنَّ الإشارات الحركية وإيماءات الوجه التي تستخدم في الحالة الأولى هي إشارات وإيماءات غير قابلة لأنْ تستخدم في الحالة الثانية، ويدعو ذلك إلى افتراض أن النحو الصوري خلال الكتابة يقوم بتعويض هذه الإشارات اللغوية المستخدمة في الكلام.

(3) الإرسال المنطوق إرسال متواتر، مألوف ومستمر، أمّا الإرسال المكتوب فنادر ومتقطع إذ تقتضي الكتابة تعمداً أكبر للقيام بها وجهوداً أعظم للتكيف على موقف مقيد نسبيّاً.

(4) يُضفى على كل موقف إرسال سواء أكان منطوقاً أم مكتوباً معنى اجتماعي خاص يوجه بدوره سلوك القائمين بالإرسال أو التلقي، فالقيمة الاجتماعية التي تُضفى على اللغة المكتوبة غير المألوفة عموماً تعمّم على صورة خصائص مميزة للرسائل الناتجة عن هذه اللغة وهذه القيمة هي قيد مفروض على المرسل يسهم في توجيه سلوكه»[3].

لقد افترضت أوكس اللسانية الأمريكية (1979) بأنّ هناك **فرقاً وظيفياً** بين الخطاب المعد أو المحضّر (Planned) وبين الخطاب غير المعدّ أو المحضّر (Unplanned)، واقترحت بأنّ ما كان يُعتبر قديماً «**لغة مكتوبة**» هي في الحقيقة مكتوبة ومعدّة وأن ما كان يعتبر «**لغة منطوقة**» (محكية) هي منطوقة وغير معدّة.

ولكن يمكن للغة أن تكون مكتوبة وغير معدّة كما هو الحال في الرسائل الشخصية أو المذكرات ويمكن للغة أنْ تكون منطوقة ومعدّة كما هو الحال في إلقاء المحاضرات.

لقد اقترحت أوكس بأنّ صفات اللغة المنطوقة غير المعدّة يمكن أن تكون كالتالي:

(1) تعتمد على التراكيب ـــ النحوية الصرفية التي يتعلمها المرء عادةً في المراحل المبكرة من حياته والتي من المفترض أن تُستبدل بالتراكيب اللغوية التي يستخدمها الكبار الراشدون.

---

(3) المسدي، عبد السلام (1984 ص68-69)، **اللسانيات من خلال النصوص**، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس.

(2) تتكىء على «**السياق المباشر**» (Immediat Context) النابع من عملية المحادثة بين المتكلم والمستمع لتعبِّر عن العلاقات القائمة بين الجمل المنطوقة .
(3) تستخدم أدوات لغوية إشارية دقيقة .
(4) تبتعد عن التراكيب المعقّدة التي تربط فيما بينها أدوات الصلة .
(5) تستخدم مكنة التصحيح الفورية على نحو دائم .

وعلى النقيض من ذلك فإن اللغة المكتوبة المعدّة أو المحضّرة تتصف بالصفات التالية :

(1) تستخدم تراكيب نحوية معقّدة (جملة الصلة ، جملة العطف ، جملة الشرط) .
(2) تستخدم أدوات شكلية مترابطة ومكثفة .
(3) تركز على الأركانِ اللغوية المقدَّمة من أجل العناية والقصد .
(4) إنّها على العموم لغة «**مضغوطة**» (Compact) .

لقد اقترح تشيف عالم اللسانيات الدلالية الأمريكي (1979) بأن اللغة المكتوبة تتميّز بـ«**الدرجة العالية من الوحدة العضوية**» (Integration) ، ويعود هذا إلى صفة البطء في الكتابة وصفة السرعة في القراءة .

أمّا اللغة المنطوقة فإنها تتميّز بـ«**الدرجة العالية من التفكيك المشظّى**» (Fragmented) وتعود هذه الصفة إلى طبيعة الكلام المنطوق الذي هو «**على رأس لسان المتكلم**» تلك الصفة التي تعكس الطبيعة المتداخلة للفكر المتسم بتغيرات مفاجئة : (Jerky Thought) .

وتتصف اللغة المنطوقة على حد تعبير تشيف بـ«**الدرجة العالية من الاستغراق أو الانغماس أو العفوية**» (Involvement) ، في حين تتصف اللغة المكتوبة بـ«**الدرجة العالية من الانفصال أو القصدية**» (detached) ، أي انفصال المتكلم عن الموضوع المكتوب .

والواقع إن صفة الاستغراق أو الانغماس في اللغة المنطوقة هي نتيجة للعوامل التالية :

(1) استخدام الأدوات التي من خلالها يمكن للمتكلم أن يتحكم (Monitor) بقناة الاتصال (كارتفاع النغمة الصوتية والتوقف ، والأوامر اللغوية من أجل الإجابات المباشرة) .

(2) استخدام مفهوم « **الملموسية** » (Concreteness) ومفهوم « **التصويرية** » (Imageability) .

(3) الاعتماد على الأمور الشخصية على نحو متزايد .

(4) التأكيد على الأفعال الحركية وفاعليها أكثر من التأكيد على الحالات التقريرية الثبوتية وموضوعاتها .

(5) التأكيد على الناس والأفراد وعلاقاتهم بعضهم بعضاً .

(6) الاعتماد على التفاصيل المحدّدة جداً ثم الاقتباس المباشر .

لقد أشار تشيف كما فعلت أوكس قبله إلى أنّ الخطاب المنطوق (المحكي) يقدم لنا جملاً دون استخدام تأشيرات أو علامات قائمة بينها ، وإذا كان لا بدّ من هذه العلامات ، فإنّ أدوات العطف ستستخدم هنا بشكل طفيف .

أمّا الخطاب المكتوب فإنه يستخدم تأشيرات أو علامات واضحة وكثيرة (مثل أدوات العطف والربط والصلة وحذف الفاعل وأبنية نحوية معقّدة أخرى) من أجل تحقيق هدف الترابط والتماسك والوحدة اللغوية المضغوطة .

4. مقارنة بين القصص المنطوقة والقصص المكتوبة

لقد قام طلاب الدراسات العليا[4] الذين كانوا يبحثون هذا الموضوع في

(4) لقد كنت واحداً من هؤلاء الطلّبة وقد سجلت ــ كوني طالباً عربياً ــ عدة قصص عربية منطوقة محكية لطلبة عرب كنت قد طلبت منهم أنْ يكتبوها بعد أن رويت وسجلت (على آلة تسجيل) وقد قمت بتحليلها في ضوء علم اللسانيات الاجتماعي الحديث ، ولمزيد من التفاصيل انظر :

←

جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة بجمع عدد كبير من القصص التي كانوا قد سجلوها كما كان يحكيها أصحابها ، وقد طُلب من الأشخاص الذين تحدّثوا هذه القصص بعد ذلك كتابتها على الأوراق .

لقد أظهر التحليل اللساني أن القصص المكتوبة في معظم الحالات كانت أقصر من أخواتها المنطوقة وقد أظهرت هذه القصص المكتوبة المميزات نفسها التي كان قد اقترحها تشيف وأوكس والمرتبطة باللغة المكتوبة ، وكذلك كان الشأن بالنسبة للقصص المنطوقة التي أظهرت الصفات والمميزات التي اقترحها أيضاً تشيف وأوكس والمرتبطة باللغة المنطوقة .

على أية حال هناك قصة واحدة مكتوبة كانت أطول بكثير من مثيلتها المنطوقة ، وقد أظهرت هذه القصة المكتوبة مميزات عديدة مرتبطة بالخطاب المنطوق .

والواقع تظهر القصص المكتوبة درجة عالية من الوحدة العضوية المضغوطة ، وعلى النقيض من ذلك فإن الشكل المنطوق لهذه القصص يظهر درجة عالية من التفكيك المشظى وذلك نتيجة لوقفات عديدة أثناء الكلام وللبدايات الخاطئة والفجوات المملوءة والتكرار ثم للتغيرات المفاجئة للمواقف أو النهج في الكلام .

وعلى العموم فإن التواتر العام للمعلومات الواردة في الخطاب المنطوق يدل على أنّها معلومات مسترسلة بأفكارها .

أمّا المعلومات الواردة في الخطاب المكتوب فإنّها أفكار مجمّعة في جمل طويلة مظهرة العلاقات القائمة بين هذه الأفكار .

والواقع إنَّ الصفات التي اقترحها تشيف وأوكس تتجلى في هذه القصص وهي :

Al-Waer, Mazen. (1980). " Beyond the Symbolic System of the Arabic Language " apaper presented at the " spoken and Written Discourse Seminar " held at Geogetown University. Washington. D.C.

(1) إنَّ الخطاب المكتوب في هذه القصص يستخدم تراكيب نحوية معقّدة من خلال استخدام الروابط والأدوات ، أمّا العلاقات القائمة بين التراكيب اللغوية في الخطاب المنطوق ، فإنّها لا تستخدم هذه الروابط أو الرموز أو العلاقات الظاهرة .

(2) أضف إلى ذلك أن الخطاب المنطوق يستخدم الزمن الحاضر المستمر ، أمّا الخطاب المكتوب فإنّه يستخدم زمن المستقبل .

(3) الخطاب المنطوق يستخدم الأفعال الحركية المبنية للمعلوم ، أمّا الخطاب المكتوب فيستخدم الأفعال المبنية للمجهول ، ويركز على الحالات الثبوتية وموضوعاتها .

(4) الخطاب المنطوق يعتمد على الخصوصيات والجزئيات أو كل ما هو تصويري ، أمّا الخطاب المكتوب فيعتمد على العموميات دون الدخول بالتفاصيل .

(5) الخطاب المنطوق يتميّز بأنّه يبدّل كلمة محل كلمة أخرى نتيجة لهذه المكنة الفورية التصحيحية أضف إلى ذلك أنّه يحوي على بدايات لغوية خاطئة ، ويتميّز بالوقفات الداخلية (Internalpauses) ويتميّز بما كان قد دعاه لايكوف عالم الدلاليات الأمريكي (1975) بـ « **الكلمات المفرغة من وظيفتها اللغوية** » .

إنَّ كلَّ هذه الصفات التي تسم الخطاب المنطوق تجتمع لتجعل منه كلاماً مفككاً ومشظى الأمر الذي يجعله أطول من الخطاب المكتوب .

لقد لاحظ لابوف ـــ عالم اللسانيات الاجتماعي الأمريكي (1972) ميزة مهمة وحاسمة من الوجهة الوظيفية في الخطاب المنطوق وهي ميزة « **التقييم** » (Valuation) أي الوسيلة التي يمكن من خلالها للمتكلم أنْ يدل على سلوكه وتصرفه تجاه المادة أو الكلام المحكي ، والتقييم في رأيه نوعان :

(أ) **التقييم الداخلي** (Internal Valuation) أي أنَّ المتكلّم يمكن أنْ يخرج عن الموضوع لكي يعطي تقييماً أو انطباعاً حوله .

(ب) **التقييم الخارجي** (External Valuation) أي أنَّ المتكلِّم يمكن أن يوضِّح مايتحدّث عنه باختياره كلمات مرادفه وأصوات إشارية متباينة (Paralinguistic) .

(6) وأخيراً فإنَّ الخطاب المنطوق يُظهر الوقفات العديدة والنغمات المختلفة والنبر بدرجاته المختلفة أيضاً ثم الضحك أثناء الحديث .

أمّا الخطاب المكتوب فإنّه يقدم المعلومات على نحو تقريري دون أية إشارة إلى شعور المتكلِّم حول الحقائق المقدمة ، وبكلمة أخرى ، إنَّ صفة التقييم في الخطاب المكتوب مفقودة (Unevaluated) .

أمّا فيما يتعلّق بالقصص الاستثنائية المنفردة فإنّها لا تستطيع أن تحقق المميزات التي تكلم عنّها تشيف وأوكس ولابوف ، تلك القصص التي يتميّز خطابها المكتوب بالطول الذي يأخذ مادة أكثر من المادة المقدّمة في الخطاب المنطوق ، أضف إلى ذلك أنَّ الخطاب المكتوب تميّز بصفات هي في أساسها مرتبطة بالخطاب المنطوق .

هذه القصص لها ما يفسرها ويبررها وذلك من خلال تحليلنا للأدب القصصي (Fiction) .

5. القصص الأدبية القصيرة المكتوبة

إنَّ هذه القصص الاستثنائية لا تلائم النموذج اللساني الاجتماعي الذي توصل إليه اللسانيون الأمريكيون ذلك لأنَّ الخطاب المكتوب لم يكن أطول بكثير من الخطاب المنطوق فحسب بل إنَّ التحليل اللساني أظهر أن هذا الخطاب المكتوب يتميّز بصفات كثيرة من المفترض أن تكون مرتبطة بالخطاب المنطوق فقط ، وهذا يدل على أنَّ الكتّاب لم ينتجوا لنا نثراً لغوياً فحسب بل إنّهم أنتجوا قصصاً أدبية خلّاقة .

والواقع إنَّ استخدام الخطاب المكتوب لمميزات الخطاب المنطوق ليس شيئاً جديداً ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : ما هي هذه المميزات ثم إلى أيٍّ مدى يمكن أنْ تستخدم ؟

لقد كان تشيف وأوكس يدركان تماماً هذه الحالات الخاصة للقصص المكتوبة لذلك نرى تشيف من جانبه يقترح بأنَّ القصة الأدبية المكتوبة هي « **تقليد للكلام الطبيعي المنطوق** » وقد اقترحت أوكس من جانبها أيضاً بأنَّ الروائي يحاول دائماً أن يخلق سياقاً دلالياً عادياً مستعملاً صفات عديدة مستمدة من الخطاب المنطوق غير المعدّ أو المحضّر ليضمِّنَها في قصته الأدبية .

إنَّ التحليل اللساني الحديث يقترح بأنَّ القصص الأدبية المكتوبة تحوي صفة الاستغراق أو الانغماس المرتبطة بالخطاب المنطوق وتحوي أيضاً صفة الدمج أو الوحدة العضوية تلك الصفة التي هي أصلاً موجودة في الخطاب المكتوب .

وبكلمة أخرى ، إنَّ الخطاب المكتوب في القصص الأدبية يتميَّز بصفات كان تشيف قد وسمها بأنّها « **لغة منطوقة عادية** » أي اللغة التي تتصف بالتصويرية والتفاصيل الكثيرة التي تخلق عند المستمع أو القارئ حسّ التجربة وغناها ، ثمَّ إنَّ هذه القصص تتصف بسمة **التكرار** تلك السمة التي لاحظتها أوكس .

ولكن لايكوف وتانن الباحثتين اللسانيتين الأمريكيتين تعتقدان بأنَّ القصة الأدبية المكتوبة صحيح بأنّها تستخدم بعض الصفات الموجودة في الخطاب المنطوق ، تلك الصفات التي تبدو صفات لغة منطوقة على السطح إلّا أنَّ مضمونها ووظيفتها في الحقيقة تبدو مرتبطة بصفات اللغة المكتوبة .

وهكذا يمكننا أنْ نقول بأن النثر القصصي المكتوب يتميَّز بصفة التقييم الخارجي (توسيع العلاقات اللغوية) أمّا الخطاب المنطوق فإنّه يتميَّز بالتقييم الداخلي (توسيع العلاقات بين المتكلِّم والمستمع) .

وينبغي أنّ نفرِّق هنا كما اقترحت تانِنْ بأنَّ صفة الوحدة العضوية هي صفة مرتبطة بالشكل السطحي للغة أمّا صنفة الاستغراق أو الانغماس فإنّها وظيفة مرتبطة بالمضمون العميق للغة ذلك المضمون الذي يتصف بالحوافز العالية .

وهكذا فإنّه من الممكن تماماً جمع تينك الوظيفتين في إطار واحد كما يحدث عادة في القصة الأدبية النثرية المكتوبة . ولكن ما هو تسويغ أو تعليل هذه الظاهرة؟ ثم ما هي الصفات والوظائف المتحكمة بتحفيز هدف الاستغراق أو الانغماس وشحذه وبالتالي استخدام صفة الوحدة العضوية وتضمينها في القصة الأدبية؟

الواقع إنَّ مفهوم « **اللغة المعدّة أو المحضّرة** » (المكتوبة) ومفهوم « **اللغة غير المعدّة أو المحضّرة** » (المنطوقة) ليس مفهوماً دقيقاً ، لأنَّ هناك حالات ليس على الكاتب فيها إلّا أن يحمل قلمه ويكتب رأساً دونما تحضير وإعداد فإذا هو ينتج لنا بسرعة إمّا نثراً يشبه الكلام أو نثراً يشبه الأدب .

وبهذا فإنَّ عنصر الوقت والإعداد الذهني الذي هو أساس في اللغة المكتوبة غير متوفر هنا . وهكذا فإنَّ مفهوم الاعداد والتخطيط لا يستطيع التقاط الاختلاف الدّال والمحفز على كتابة القصة الأدبية النثرية .

وتقترح تانن اللسانية الأمريكية بأنَّ هذه الظواهر يمكن شرحها وتعليلها في إطار الوظائف اللغوية الموجودة في التراث الشفوي المنطوق والتراث الأدبي المكتوب .

6. التراث الشفوي (المنطوق) والتراث الأدبي (المكتوب)

هناك عدد من الباحثين في مختلف الحقول الذين كان لهم قصب السبق خلال الستينيات في فحص التأثيرات الكتابية على العمليّات الإدراكية والاجتماعية كما هو الحال عند جودي ووات (1973) وهافلوك (1963) وأونج (1967) وقد استمر البحث في هذه الظاهرة في السبعينيات كما كان الحال عند جودي (1977) وهافلوك (1973) وأونج (1977) وجومبرز (1980) وكاي (1977) وأولسون (1977) .

لقد أثبت لورد (1960) بأنَّ الأساطير الشفوية المتناقلة عبر الأجيال (epics) لم يتذكرها الناس كما كانت منذ البداية ولكن أُعيد تركيبها من خلال تخزينها في عبارات مقولبة أو جاهزة (Formulaic) ثم أصبحت تستعمل على مر الأيام .

ولكن هافلوك (1963) يعتقد بأنَّ الاختلاف بين إعادة بناء الأساطير والأقوال المألوفة الشفوية في عبارات مقولبة وبين استظهارها عن طريق الذاكرة ليس مجرد عادة في التعبير ولكنه يمثل اختلافاً في طريقة السلوك والوصول إلى المعرفة والفكر .

ففي المجتمعات المتعلمة المثقفة (Literate) فإنّه يُنظر إلى المعرفة على أنّها حقائق محفوظة بالسجلات المكتوبة أو بما هو مكتوب ليس إلّا .

وكما ذكر أونج فإنّ التعابير الجاهزة أو المقولبة في الثقافة الشفوية كالأقوال الشائعة والأمثال والكليشهات وغيرها والموجودة في المجتمعات ذات الثقافة الشفوية إنّما هي مستودع للحكمة المُسْتَقْبَلَة التي يمكن للمرء استخدامها في الوقت المناسب لتأثيرها القوي على المتلقي .

إنَّ هذه التعابير الجاهزة المقولبة تعمل ككل واحد وكأنّها طريقة سهلة للإشارة إلى المعرفة المشتركة والعامة بين المتكلم والمستمع ، إنَّ الكلام هنا وفي إطار هذه التعابير الجاهزة المقولبة هو طريقة ملائمة وقريبة المتناول للإشارة إلى المعنى الاجتماعي الذي تحويه هذه « **الكبسولات** » اللغوية وهكذا وكما أشارت تانِنْ (1977) فإنّه سواء على المرء الأمريكي ـــ في التراث الشفوي المنطوق ـــ أقال :

(I could care less) ← صيغة واحدة للنفي

أم (I couldn't care less) ← صيغتان للنفي

فإنَّ التعبير في الحالتين طريقة مألوفة من أجل أن نشير إلى فكرة معينة مشتركة بين المتكلم وبين المستمع .

لقد وضع أولسون (1977) هذه المسألة في العبارة التالية :

« **المعنى هنا في السياق** ».

لقد لاحظ جودي (1977) أنّه إذا كانت اللغة فقط كلاماً منطوقاً فإنّه ليس من الممكـــن فصل الكـــلام وتقطيعـــه إلى وحـــدات تدعـــى « **الكلمات = الكبسولات** ».

إنَّ اختراع النظام الألفبائي والتمثيلات الكتابية للغات البشرية جعلت من الممكن للكلمات أن تحوي المعنى وكما وضعها أولسون : **في التراث الأدبي المكتوب « المعنى في النص »** لقد لاحظ أونج بأنَّ الفكر في التراث الشفوي المنطوق هو « **فكر مطاطي موسع ومزخرف** » وهذا بالطبع ناتج من ارتباط بعض العبارات المقولبة الجاهزة بما كان قد دعاه بـ « **الافراط العاطفي الحماسي** » (Rhapsodic) ، أمّا في التراث المكتوب « **فإنَّ الفكر هو منطقـي تحليلي** » (Analytic) يسير وفـق خط مستقيم متتابع (Sequential Linear) . وقد لاحظ أولسون بأنَّ « **الحقيقة (Truth) في التراث الشفوي تكمن بالاحساس بالتجربة ، أمّا في التراث المكتوب فإنَّ الحقيقة تكمن في الحجة المنطقية المنسجمة والمتماسكة** » .

لذلك فإنَّ أولسون يقول بأنَّ معظم الأفراد لا يستطيعون التمييز بين **النتيجة** (Conclusion) التي هي منطقية متماسكة وبين **النتيجة** التي يوافقون عليها بمجرد إحساسهم بتجربتها .

لقد شرح أونج هذه المسألة بتوسع حيث يعتقد بأنَّ « **المعرفة** » (Knowing) في التراث الشفوي إنّما تحقق من خلال ربط الأمور المتكلم عنها بشخصياتها أثناء الحديث وعلى العكس من ذلك فإنَّ « **المعرفة** » في التراث المكتوب إنّما تحقق من خلال التحليل المنطقي المنسجم .

وقد تحدث هافلوك تقريباً بنـفس المفهـوم حيث يعتقـد بأنَّ « **الفهـم** » (Understanding) في التـراث الشفـوي المنطـوق هو شخصي (Subjective) أمّـا « **الفهم** » في التراث المكتوب الأدبي فهو موضوعي (Objective) .

وهذا يفسر لنا الحقيقة المحيّرة والمزعجة للباحثين من أنَّ أفلاطون في جمهوريته وأبا العلاء المعري في رسالة الغفران كانا قد استبعدا الشعراء غير الملتزمين من المشاركة في العملية التعليمية والتثقيفية وذلك لقدرتهم على تحريك المستمعين عاطفياً (استخدام الصفات المرتبطة بالتراث الشفوي) لقد كان الشعراء يشكلون تهديداً خطيراً لمرحلة الانتقال إلى المجتمع المتعلـم (Literacy) والتي من خلالها يمكن للشعب أن يتعلم من أجل إلغاء العواطف الحماسية الجارفة للوصول إلى المعرفة من خلال العملية التحليلية والمنطقية (استخدام الصفات المرتبطة بالتراث المكتوب) .

لقد أشار أولسون وآخرون بأن تعلّم اللغة يتم من خلال استعمال المعادلات اللغوية الجاهزة أو المقولبة، أي أن الأطفال لا يتعلّمون معاني الكلمات ومن ثمَّ يتعلّمون القواعد من أجل ربط هذه الكلمات مع بعضها بعضاً، بل على العكس من ذلك إنّهم يتعلّمون سلاسل معينة من الكلمات المنطوقة مع النغمات المعينة وبعض الصفات الخارجة عن اللغة والتي يعرفون بأنّها مناسبة تماماً للنطق في أماكن وسياقات اجتماعية معينة، وهكذا وبعد تكرار هذه السلاسل مرات عديدة يبدأ الأطفال بتطبيق القواعد لتوليد الجمل .

وبشكل عام فإنَّ الاستراتيجيّات (Strategies) المرتبطة بالتراث الشفوي تؤكد على المعرفة المشتركة والعلاقة الشخصية المتداخلة بين المرسل وبين المتلقي .

وبهذا ينطبق ما قلناه على ما دعته باتسون (1972) بـ« **الوظيفة الماوراء إتصالية للغة** » (Metacommunicative Function) ، أي استعمال الكلمات لتوصيل شيء ما حول العلاقة بين المرسل والمتلقي .

أما ما قلناه عن التراث المكتوب فإنّه ينطبق على ما دعته باتسون بـ « **الوظيفة الإتصالية** » **للغة** (Communicative Function) أي استعمال الكلمات لتوصيل المعلومات أو المضمون فقط . وهذا يعطي مسوغاً مثالياً للغة التي يمكن أن تكون

« مستقلة » (autonomous) كما يقترح كاي (1977) أي أنَّ الكلمات تستطيع بنفسها أن تحمل المعنى كله دون الاستعانة بشيء خارج عنها .

7. استراتيجيّات الخطاب في التراث الشفوي والتراث المكتوب

إنَّ كلّ هؤلاء الباحثين اللسانيين يشتركون في حقيقة واحدة وهي أنَّ التراث الأدبي المكتوب لا يمكن بحال من الأحوال أنْ يحلَّ محل التراث الشفوي المنطوق .

لقد اقترح جودي ووات بأنَّ التراث الشفوي المنطوق مرتبط بالعائلة والجماعات البشرية المتماسكة (ingroup) أمّا التراث الأدبي المكتوب فهو متعلَّم وينتقل من خلال المدارس وليس من خلال القرائن والسياقات اللغوية الاجتماعية .

وقد لاحظ جومبرز بأنَّ الاستراتيجيّات المرتبطة بالتراث الأدبي المكتوب كانت وُضعت واصطلح عليها في الثقافة الغربية من أجل أن تُستخدم في أماكن عديدة ولا سيما في الأحوال العامة .

وقد أثبتت الدراسات اللسانية بأنَّ العائلات المنتمية إلى الطبقات الاجتماعية الوسطى توظف الاستراتيجيّات المرتبطة بالتراث الأدبي المكتوب أثناء الحديث في البيت ، ويتجلّى ذلك من خلال استعمالهم بعض الأقوال المكتوبة .

والواقع إن ملاحظة لابوف من أن متكلمي الطبقة الاجتماعية الدنيا يستعملون التقييم الداخلي على نحو كثير عندما يروون قصصاً معينة وإن متكلمي الطبقة الاجتماعية الوسطى يستعملون التقييم الخارجي عندما يروون أيضاً قصصاً معينة إنّما تعكس الانقسام الواضح بين التراث الشفوي المنطوق والتراث الأدبي المكتوب .

إنَّ سوء الاتصال الناتج من استخدام استراتيجيّات معينة في غير سياقها يمكن أنْ يظهر من خلال حالة بعض الناس الذين يفشلون في إثبات حالتهم

الاجتماعية وذلك لأنّهم يتمسّكون فقط بطرق معينة لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم إلّا من خلالها .

لقد لاحظ أونج وجودي بأنَّ المجتمعات الغربية تؤكد وتركز بشكل كبير على المعارف والاستراتيجيّات المرتبطة بالتراث الأدبي المكتوب بينما تبطل مفعول تلك الصفة المرتبطة بالتراث الشفوي المنطوق .

يمكن أن نستدل على هذه الحقيقة من اعتقاد الأمريكيين بأن «**الكلمة**» **وما تعنيه في المعجم** هي الشيء الحقيقي بغض النظر عن استعمالها أثناء الحديث اليومي ، ثم من استعداد الأفراد الأمريكيين لأن يعتقدوا ويؤمنوا بأي شيء مكتوب في الكتاب ، ولكنه من جهة أخرى لا يمكن لأي إنسان أمريكي أنْ يتكلم دون استخدام مكثّف للعبارات الجاهزة المقولبة . ويؤيد فيلمور (1979) هذه الحقيقة عندما يقترح بأنَّ مقدرة الشخص الإنسانية لا بدَّ أنْ تتآلف مع اللغة لتشكّل هذا المزيج من الاستراتيجيّات المتعلقة بالصفة الشفوية والصفة المكتوبة . وقد لاحظت تانِنْ (1977) بأن المتكلمين اليونانيين والأتراك يقيِّمون ويقدرون عالياً المعادلات اللغوية الثابتة والمقولبة .

إنّهم سعداء جداً عندما يعتمدون على القول المألوف الجاهز وذلك لأنَّ مثل هذا القول سيكون له صدى نفسي وعاطفي كبير عند المستمع من الناحية الاجتماعية .

وقد لاحظ جومبرز الشيء نفسه في إنكليزية الأمريكيين السود الذين يستخدمون التعابير الجاهزة الثابتة أثناء حديثهم وكذلك لاحظت تانِنْ هذه الظاهرة عند اليونانيين والأمريكيين الذين هم من إثنيات مختلفة .

والواقع ينبغي على التراث الأدبي المكتوب أن يركز على العلاقات الشخصية

والسياقات الاجتماعية أكثر من تركيزه على المضمون الخالي من السياقات والقرائن وذلك لاعطاء المستمع حساً من التجربة عن معرفته الشخصية الموصوفة والمتحدث عنها .

وهذا بالطبع ينبغي أنْ يراعي ظاهرة دعاها تشيف بـ« التصويرية » أي استخدام التفاصيل الكثيرة المتعلقة بالخصوصيات التي تعطي المستمع حساً من الاستغراق والانغماس في التجربة وتشعره في الوقت نفسه بغنى الفكر المتألق عند المتكلم .

إنَّ القصص الأدبية المكتوبة (Fictions) ينبغي ألّا يكونَ من أهدافها إقناع القارئ من خلال استخدام الحجة المنطقية التحليلية المتماسكة ولكن من خلال إعطائه حساً من التجربة الغنية المرتبطة بوجهة نظره .

وهكذا فإنَّ الفرق الوظيفي الحاسم في عملية الخطاب ينبغي أن يكون بين التراث الشفوي المنطوق والتراث الأدبي المكتوب اللذين يسمان هدفين إتصاليين مختلفين .

التراث الأدبي المكتوب أو ما دعاه كاي (1977) بـ« **اللغة المستقلة** » هو طريقة للخطاب اللغوي الذي يركز على العمليات المنطقية والتحليلية من أجل نقل المحتوى أو المضمون مهملاً ديناميكيةَ الاتصال الشخصية بين المرسل والمتلقي ، إنَّ المتلقي يُتوقع منه هنا أن يجيب مستخدماً العمليات التحليلية المنطقية غير المبنية على الأمور الشخصية . إنَّ العلاقات القائمة هنا بين الجمل إنّما تتم من خلال الوحدة العضوية الناتجة عن التراكيب النحوية المعقّدة .

وعلى النقيض من ذلك فإنَّ التراث الشفوي المنطوق أو « **اللغة غير المستقلة** » على حد تعبير كاي (1977) تركز على الوظيفة الشخصية المتداخلة وتتطلب مساهمة فعّالة من المتلقي لأن يقدم المعرفة الاجتماعية المتمثلة في قوالب جاهزة . إنَّ هذا التراث

الشفوي المنطوق يتوقع أنْ يكون فهم المتلقي مبنياً على الأجوبة الشخصية العاطفية والحماسية .

هذه الحقائق يمكن استغلالها في جوانب عديدة منها القصة الأدبية المكتوبة للبرامج التلفزيونية تلك القصة التي تستغل الشكل المكتوب المعتمد على الوقت الكافي والطويل من أجل تحقيق وحدة عضوية نثرية متماسكة .

ولكنّه في الوقت نفسه يحتاج إلى استراتيجيات عديدة مرتبطة بالشكل المنطوق أصلاً وذلك من أجل خلق نثر أدبي يتمتّع بدرجة عالية من عامل الاستغراق أو الانغماس وعامل العلائق الشخصية المتداخلة .

إنَّ قوة شرح التراث الشفوي المنطوق والتراث الأدبي المكتوب وتعليله لا تقتصر على تحليل اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة فقط ، إنّها يمكن أنْ تسهم في فهمنا لوجوه استراتيجيّات المحادثة والأسلوب عبر ثقافات تعيش في مجتمع واحد أو عبر ثقافات تعيش في مجتمعات عديدة ومختلفة .

8. المنطوق والمكتوب وتداخل الثقافات

تقترح تانن بأنَّ هذا التمييز بين ما هو منطوق وبين ما هو مكتوب ينبغي ألّا يُفهم على أنّه انقسام مشطور بحدة ، بل ينبغي أنْ يفهم على أنّه سلسلة متصلة مترابطة ولكن ذات وظائف مختلفة، على أيّة حال إنّ وظائف التراث الشفوي المنطوق ووظائف التراث الأدبي المكتوب يمكن أن تفهم من خلال دراسة مستويات اجتماعية ثلاثة :

(1) المستوى الأول : بين الأفراد الأصليين الذين ينتمون إلى بلاد ذات ثقافات مختلفة (العرب ، اليونانيون ، الأمريكيون ... إلخ) .
(2) المستوى الثاني : بين الأفراد الذين ينتمون إلى خلفيات ثقافية وإثنية

مختلفة، الأمريكيون الذين أصلهم يوناني، الأمريكيون الذين أصلهم عرب ... إلخ).

(3) المستوى الثالث: بين النساء والرجال (ضمن إطار ثقافي واحد أو ضمن أطر ثقافية متعددة).

والواقع إن الاتصال برمته هو إلى درجة ما يُعدّ اتصالاً متداخلاً من الوجهة الثقافية (Cross-Cultural) بمعنى أنّه لا يوجد اثنان عندهما الخلفية الثقافية نفسها ويتبع هذا بأنّهما لا يملكان التوقعات نفسها أثناء عملية الاتصال.

وهكذا فإن التداخل الثقافي في المستوى الأول هو أكبر وأعظم من التداخل الثقافي في المستوى الثاني وإنّ التداخل الثقافي في المستوى الثاني هو أكبر وأعظم من التداخل الثقافي في المستوى الثالث.

والواقع لا يمكن لأي امرىء أن يقتصر في إتصاله على وجه واحد شفوياً كان أم مكتوباً، على العكس من ذلك إنّه يستخدم استراتيجيّات مرتبطة إمّا بتراث أو بآخر في أماكن مختلفة وسياقات متباينة.

لقد اقترحت تانن بأنَّ العديد من الأطفال الأمريكيين السود ينظرون إلى الوظائف والمهمات المدرسية على أنّها مشكلات واقعية أكثر منها وظائف ومهمّات لا تحل عن طريق السياق.

وهكذا فعندما يختارون الكلمة كجواب عن سؤال في امتحان للقراءة مثلاً فإنّهم لا يقتصرون على المعلومات المعطاة في المقطع المقدّم لهم ولكنّهم يختارون جواباً يراعي تجربتهم الشخصية الواسعة والغنية (الفكر المطاطي المزخرف الواسع).

وقد لاحظ أونج بأنَّ الأفراد الأمريكيين يقدرون عالياً الاستراتيجيّات المرتبطة بالتراث الأدبي المكتوب والمتعلم ذلك لأنّهم يعتقدون أنّ استعمال الاستراتيجيّات المتعلقة بالعبارات الجاهزة والمقولبة إنّما يدل على عدم الاخلاص في الكلام، حتّى أنّ

الأفراد الأمريكيين الذين يستعملون العبارات الجاهزة المقولبة يعتذرون دائماً أثناء حديثهم لذلك نراهم يقولون :

(أعرف أنَّ هذه كليشة ، ولكن = I Know this is a cliche, but)

(كل إنسان يجب أنْ يقولَ هذا ، ولكن = Every one must say this, but) .

أمّا بقية المجتمعات الأخرى على حد تعبير فرجسون (كالعربية واليونانية ، والتركية ، اللاتينية الأمريكية ... إلخ) فإنّها تعتمد اعتماداً كبيراً على التعابير الجاهزة والعبارات المقولبة المنطوقة .

والواقع هناك مسوغ مشروع لاستخدام العبارات الجاهزة والمقولبة في هذه المجتمعات ذلك لأنَّ المتكلم يشعر أنّ فيها الحكمة كلها التي يمكن أنْ تفيد المستمع ويكون لها أثر فعّال على مسمعه وهذا بالطبع يشكل عبئاً كبيراً على متكلمي الثقافات التي تعتمد على اللغة الجاهزة وذلك أثناء اتصالهم بلغة أجنبية مع أشخاص لا يعتبرون هذه اللغة الجاهزة أبداً ولا يقدرونها عالياً .

إنَّ حلَّ هذه الأزمة يكمن باستدانة مثل هذه التعابير الجاهزة وترجمتها إلى اللغة المتحدث بها ، فالألمان الذين يسكنون في تركيا مثلاً يتكلمون عادة التعابير التركية الجاهزة المقولبة في المحادثة الألمانية سواء أكان ذلك فيما بينهم أم بين الأتراك أنفسهم ، وكذلك الشأن بالنسبة للأمريكيين اليهود الذين يتكلمون التعابير البولونية الجاهزة عندما يتحدثون باللغة الإنكليزية سواء أكان ذلك فيما بينهم أم بين الأمريكيين الآخرين .

إنَّ هذه المحاولة ممكنة فقط عندما يكون الأفراد ذوو الثقافات المختلفة عارفين بمثل هذه التعابير الجاهزة ، أمّا إذا كانوا لا يألفونها فإنّه من الواجب عندها أن تُحذف من عملية الاتصال وهذا بدوره سيؤدي إلى نوع من عدم الارتياح النفسي عند المتكلم لأنّه لم يحقق هدفه الاتصالي بقوة وتأثير .

إنَّ المحادثة عند النساء والرجال تمثِّل نوعاً آخر من التداخل الثقافي في عملية الاتصال. هناك إشاعة مألوفة مؤدّاها أنَّ المرأة تستخدم اللغة استخداماً غير مهتم به ومركز عليه أي أنهنّ في حديثهن غير دقيقات، فهن يتكلمن كثيراً كما أشارت إلى ذلك لايكوف (1975).

ولكن الدراسات اللسانية أظهرت في الوقت نفسه بأنَّ النساء ينتبهن انتباهاً حاداً للعلاقات الديناميكية الفاعلة والمنفعلة أثناء المحادثة أكثر من الرجال، أي أنهن أكثر حساسية من الرجال في ملاحظة القرائن والسياقات غير اللغوية، تلك القرائن والسياقات المرتبطة بالتراث الشفوي المنطوق.

وهكذا ومنذ أن كان الأمريكيون لا يعيرون انتباهاً إلى الاستراتيجيات المرتبطة بالتراث الشفوي المنطوق فإنّهم يقدرون عالياً الاستعمال الدقيق والتحليلي للغة تلك الصفات المرتبطة بالتراث الأدبي المكتوب والمتعلم.

لقد أثبتت دراسات لسانية اجتماعية مبنية على قصص مروية عديدة بأن النساء يركزن على الصفة التفسيرية للحديث، أمّا الرجال فإنّهم يركزون على صفة التقريرية دون التفسيرية والدخول بالتفاصيل.

على أية حال لقد لاحظ جومبرز (1977) وفيلور (1979) بأنّه لكي يستطيع المرء أنْ يشارك في حديث ما فإنّ عليه أن يعرف الكيفية التي من خلالها تتم عملية المحادثة. ينبغي أنْ يكون عنده « **الإطار** » (Schema) من أجل بناء الحديث بناءً هرمياً يخدم الوظيفة التي يريدها.

إنَّ التداخل الثقافي في عملية الاتصال يطرح سؤالين اثنين:

(1) ما هي النقطة المراد تبليغها؟

(2) كيف يمكننا أنْ نوصِّل النقطة المراد تبليغها؟

إذا أردنا الإجابة عن هذين السؤالين لا بد أن نعتبر ما يلي:

(1) إذا أردنا فعلاً أن نفهم سلوكية الكلام عند الأفراد في مجتمع متعدد الأثنيات والثقافات فإنَّ علينا أنْ نوسّع آفاق مفهومنا للأثنيَّة (Ethnicity) وللثقافة (Culture) .

(2) إنّ مفهوم الاستراتيجيّات المرتبطة بالتراث الشفوي المنطوق والتراث الأدبي المكتوب يشرح لنا الاختلافات العديدة في اللغة التي يستعملها أفراد ينتمون إلى خلفيات ثقافية وجغرافية وإثنيّة متنوعة ومختلفة .

(3) إنَّ الاستراتيجيّات المرتبطة بالتراث الشّفوي المنطوق تركز على الأمور الشخصية والتجربة العاطفية الغنية المتحمسة .

أمّا الاستراتيجيّات المتعلقة بالتراث الأدبي المكتوب فإنّها تركز على المضمون المنطقي التحليلي الذي لا يرتبط بالقرائن والسياقات وإنّما هو لغوي بحت .

(4) إنَّ المسألة الاتصالية تصبح أكثر تعقيداً وتشابكاً في حالة الاتصال عبر ثقافات ذات خلفيات مختلفة تعيش في إطار مجتمع واحد يبغي التماسك القومي وبناء الهوية الحضارية الحديثة .

9. نحو رؤية جديدة للغة التلفزة في إطار اللسانيات الاجتماعية

إنطلاقاً من هذه الحقائق لا بدّ لنا من التساؤل الآن : أين تقع لغة التلفزة العربية من كل هذا الذي تحدثنا عنه في إطار اللسانيات الاجتماعية ؟

الواقع إنَّ النتائج النفعية ــ البراغماتية التي يمكن أن نستفيد منها من خلال ما تقدم ــ تلك الحقائق والنتائج المتمخضة عن علم اللسانيات الحديث من أجل تطوير تقنية العملية الاتصالية للغة العربية في البث التلفزيوني ــ يمكن أنْ تتضح من خلال الحقائق التالية :

(1) ينبغي على الكتّاب الذين يكتبون أو يعدّون البرامج التلفزيونية باللغة العربية الفصحى أو باللهجة العامية أن يعيدوا حساباتهم حول تقنيات كتاباتهم المتنوعة وذلك طبقاً للنتائج التي توصلت إليها اللسانيات الحديثة حول

الفروق القائمة بين اللغة المنطوقة (العامية) واللغة المكتوبة (الفصحى)، بين التراث الشفوي والتراث المكتوب، وأخيراً بين الاستراتيجيات المرتبطة باللغة المنطوقة والاستراتيجيات المرتبطة باللغة المكتوبة.

(2) ينبغي على الكتابات التلفزيونية أنْ تهتمَّ شكلاً ومضموناً بالأسئلة الثلاثة التالية:

(أ) لمن أكتب؟ (شرائح اجتماعية متعدِّدة).

(ب) ماذا أكتب؟ (الموضوعات المعالجة اجتماعياً).

(جـ) كيف أكتب؟ (الاستراتيجيّات اللغوية للفصحى وللعامية).

وهنا يبرز عامل تداخل الثقافات المختلفة اختلاف الأفراد والمناطق الجغرافية والخلفيّات الثقافية والاثنيَّة.

(3) **إنَّ الدراسات اللسانية الحديثة للغة المنطوقة واللغة المكتوبة والتراث الشفوي والتراث المكتوب ثم الاستراتيجيّات الاتصالية المرتبطة بالمنطوق والمكتوب تجعلنا نميل للاعتقاد بأنَّ المسألة ليست «مسألة فصحى وعامية» وأيهما أنسب لغة للاستعمال في تكنولوجيا التلفزة، ولكنْ المسألة الحقيقيّة تتعلق بـ «الاستراتيجيّات الاتصالية المرتبطة بكل لغة من تينك اللغتين».**

هذه الحقيقة تطرح أموراً ثلاثة:

(أ) هناك موضوعات لا بدَّ من كتابتها وتقديمها بالعربية الفصحى وذلك ضماناً لمحتوى الخطاب بغض النظر عن معيار قومية اللغة العربية الفصحى ومحاولة نشرها كلغة قومية واحدة، المثال على ذلك: **حرب السنوات الأربع**، تأليف داود شيخاني وإخراج هيثم حقي.

(ب) هناك موضوعات لا بدّ من كتابتها وتقديمها باللهجة العامية وذلك ضماناً وخدمة لمحتوى الخطاب بغض النظر عن معيار محليِّة هذه اللهجة ووطنيتها التي تشكل جزءاً صغيراً من أجزاء متناثرة اسمها اللهجات

العربية، المثال على ذلك: **مرايا**، تأليف ياسر العظمة، إخراج هشام شربتجي.

(جـ) هناك موضوعات لا بدَّ من كتابتها وتقديمها بالعربية الفصحى المستفيدة من استراتيجيّات اللهجة العامية، وذلك لكي تكون أكثر حيوية وتألقاً وانسجاماً وتوصيلاً.

وهذا في رأيي يشكِّل الانطلاقة الأولى على طريق تطوير اللغة العربية الفصحى وجعلها أكثر مرونة وحداثة وعصرية وتقدماً، المثال على ذلك: **الطبيبة**، تأليف د. محمد زهير براق وإخراج محمد فردوس أتاسي.

(4) **يميل المجتمع العربي إلى التركيز على التراث الشفوي المنطوق أكثر من تركيزه على التراث الأدبي المكتوب**، إنَّ الأفراد في المجتمع العربي يهتمون غالباً بالعبارات الجاهزة المقولبة ويستخدمون الاستراتيجيّات المتعلقة باللغة المنطوقة في عملية الاتصال، حتى أنّهم يضمّنون هذه الاستراتيجيّات الشفوية في كتاباتهم.

(5) **ينبغي على البرامج التلفزيونية أن تستفيد من الحقائق اللسانية التي رأيناها وتضمنها في الموضوعات التي تعالجها ذلك لأنَّ كلَّ موضوع تلفزيوني له طبيعته وخصائصه ولغته واستراتيجياته ومشاهدوه**، وهذا يعني أنّه ينبغي على الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون أنْ تقوم بدراسات ميدانية واسعة حول واقع اللغة العربية والمجتمع العربي المرتبط بها وكيفية نقل هذه اللغة إلى إطار التلفزة وذلك بعد سبر كل مستوى لغوي له شريحته الاجتماعية المعينة من أجل معرفة خصائصه وبنيته، وهكذا فإنَّ برنامجاً كبرنامج الأطفال الذي يبث في التلفزيون العربي السوري يمكن أن يُطور تطويراً ناجعاً ورائعاً من خلال دراسة البنية الاجتماعية للغة الأطفال تلك اللغة التي لها خصائصها ومميزاتها وشخصيتها.

أضف إلى ذلك أنّه يمكن تقديم البرامج التعليمية والتثقيفية من خلال إطار لغوي حيوي مستفيد من استراتيجيّات اللغة العربية الفصحى واستراتيجيّات اللهجة

العامية ، وبهذا فإنَّ الخطاب اللغوي سيكون أكثر تلاؤماً ولصوقاً بنفوس الجماهير التي تبحث عن المعرفة الانسانية .

(6) **إنَّ النتائج اللسانية الحديثة تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنَّ المسألة ليست متعلقة بالكم السكاني الذي يتكلم إمّا العربية الفصحى وإمّا اللهجة العامية المحلية وليست متعلقة بالنسبة المئوية لعدد الأميّين وعدد المتعلمين في الوطن العربي وإنّما المسألة متعلقة بالموضوع المقدّم وبالاستراتيجيّات التي ينبغي أنْ ترافقه من أجل توصيلة للمشاهد .**

وهذا يعني بأنّه ينبغي علينا أنْ ندرسَ بعمق استراتيجيّات الخطاب العربي سواء أكانت استراتيجيّات متعلقة باللغة المنطوقة أم استراتيجيّات متعلقة باللغة المكتوبة ، بالتراث الشفوي أم بالتراث المكتوب وذلك لمعرفة العوامل التي تكوّن كل خطاب لغوي يمكن توصيله .

(7) **الاهتمام بدراسة لغة الأجسام ولغة الإشارات ضمن إطار ثقافي واحد أو عبر ثقافات عالمية مختلفة** وذلك لأنَّ مثل هذه اللغات لها استراتيجيّاتها المعينة التي يمكن أنْ تخدمَ العملية الاتصالية . وهذا أمر حاسم في المجتمعات التي تهتم بلغة الأجسام والإشارات (كالمجتمع العربي والمجتمع اليوناني والتركي واللاتيني الأمريكي) .

(8) **الاهتمام بدراسة الفروق القائمة بين لغة النساء ولغة الرجال في المجتمع العربي وذلك من أجل معرفة الاستراتيجيّات المستخدمة في كل شريحة من تينك الشريحتين الاجتماعيتين وبهذا فإنّه يمكننا استغلال العوامل التي تكوّن الخطاب عند النساء العربيات من أجل تطويره تطويراً يرفع من المرأة العربية إلى قمة التطور الديمقراطي الحر .**

(9) **الالتفات إلى قضية الثقافة الواحدة والثقافات المتعددة في المجتمع الواحد .**

وهذا يقتضي مراعاة حقيقية للموضوعات والبرامج التلفزيونية المعروضة ذلك لأنَّ

كل ثقافة لها سلوك وتفكير معين لا يمكن توصيله إلّا من خلال استراتيجيّته المرتبطة به.

(10) **إنَّ جمع الفصحى والعامية أمر ممكن ولكن ليس على صعيد الجمع اللغوي الذي ينتج لنا ثوباً لغوياً مرقعاً ولكنْ على صعيد جمع الاستراتيجيّات المتعلقة بكل خطاب من الخطابين الشفوي والمكتوب**، هذا الجمع يمكن أنْ يتم من خلال الاستفادة من علم اللسانيات الاجتماعي الحديث.

(11) **إنَّ النتائج اللسانية الاجتماعية الحديثة تقتضي منّا أن ننظر إلى الكيفيّة والطريقة التي من خلالها تتم معرفة الحقائق وكيفيّة الوصول إليها في المجتمع العربي، هل نتوصل إلى الحقائق والنتائج عن طريق اللغة المكتوبة (التراث المكتوب المسجل) أو عن طريق اللغة المنطوقة (التراث الشفوي)؟**

إنَّ المجتمعات التي تعتمد على التراث المكتوب تنظر إلى الحقائق والنتائج على أنّها موجودة في السجلّات المكتوبة. إنَّ معنى الكلمة هو ذلك الذي ينحصر في المعجم ولا يتعدّاه. ولكنَّ المجتمعات التي تعتمد على التراث الشفوي المنطوق تنظر إلى الحقائق والنتائج على أنّها موجودة في التعابير الجاهزة المقولبة والكليشهات الاجتماعية المتعارف عليها والمشتركة بين المتكلم والمستمع، تلك اللغة التي تتكىء على المعنى الاجتماعي المألوف، إنَّ معنى الكلمة هنا يكسِّر نطاق المعجم ليخرج عنه ليتلّون حسب السياق.

والواقع إنّ كثيراً من السياسيين يستغلون هذه الصفة عند مخاطبتهم الجماهير الواسعة العريضة الطويلة. إنَّ نجاح الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في الاقتراب من **«قلوب الجماهير العربية»** إنّما كان سببه هذا الاستغلال الواضح لكل الاستراتيجيّات المتعلقة بالكلام العربي المنطوق (التراث الشفوي) وتضمينها في الكلام العربي المكتوب (التراث الأدبي المكتوب).

من هنا فإنَّ كلَّ الشرائح الاجتماعية كانت تستمع وتنصت لخطاباته

(الأطفال، الكبار، الرجال النساء، الشيوخ) «**ولكنْ بغض النظر عن مضمون هذه الخطابات التي يمكن أنْ تكونَ خاطئة أو مصيبة**».

10. الخلاصة

إنَّ الدراسة اللسانية للغة العربية بوجهيها المنطوق (العامية) والمكتوب (الفصحى) وفي سياقها الاجتماعي ينبغي أنْ ترفع وتنهض من عملية الاتصال بين التلفزة المرسلة وبين الجماهير العربية المتلقية.

هذه الرفعة، وهذه النهضة في العملية الاتصالية ينبغي ألّا تكون على حساب اللغة العربية القومية التي نسعى لتطويرها وتحسينها وذلك لكي تكون الجسر الذي نعبر عليه لتحقيق وحدتنا العربية وإنّما ينبغي أنْ تكون من خلال نظرتنا إلى الفصحى والعامية على أنهما سلسلة متصلة من العملية الاتصالية ولكنْ ذات استراتيجيّات مختلفة.

إنّ نجاح العملية الاتصالية هذه للوصول إلى «عقول الجماهير العربية وقلوبها» لا يمكن أنْ يتم إلّا من خلال الجهود المخلصة والنوايا الطيبة والتعاون المثمر البنّاء بين الباحثين اللسانيين وكل من كانت له صلة بأطر التلفزة العربية وذلك من أجل بناء مجتمع عربي ديمقراطي متقدم.

فحذارِ أيّها الانسان العربي:

اللغة عميقة.

أعمق ممّا تصوِّره الحروف.

وأعمق ممّا ينطق به اللسان.

الفصلُ الثالث

اللسانيات وأثرها في الأدب والنقد الأدبي الحديث(1)

(1) أدين بهذا الفصل إلى (ر. تشابمن) في كتابه «اللسانيات والأدب» وإلى (أ. ديكرو ثم ت. تودوروف) في كتابهما " المعجم المعرفي لعلوم اللغة ". فقد استفدت من هذين الكتابين استفادة جدّ مهمة وخاصة الأفكار المتعلقة باللسانيات والسيميائيات وأثرهما في الأدب والنقد الأدبي الحديث. لمزيد من التفصيل انظر:

(a) Chapman, Raymond (1973) **Linguistics and Literature.**, littlefield, Adams, Co. New Jersey.

(b) Oswald Ducrot and Tzvetan Todorov (1983) **Encyclopedic Dictionary of the Sciences of Language.** Translated bv Catherine Porter. The Johns Hopkins University Press. Baltimore.

0. مدخل

سنعالج في هذا الفصل العلاقات القائمة بين اللسانيات الحديثة، وبين الأدب والنقد الأدبي، ما هي طبيعة العلاقات القائمة بين هذه الحقول؟ وكيف يمكن للأدب ـ بأنواعه المختلفة ـ أن يستفيد من تقنيات اللسانيات الحديثة ليكون أكثر تأثيراً في المجتمع؟ وكيف يمكن للنقد الأدبي أن يستفيد من التقنيات اللسانية نفسها ليكون علماً قائماً برأسه؟

سوف نعالج في هذا الفصل أيضاً مفهومين حديثين جداً يمكنهما أن يؤثرا تأثيراً فعالاً على عملية الإنتاج الأدبي. هذان المفهومان هما:

ـ مفهوم الدلاليات (Semantics).

ـ مفهوم السيميائيات (Semiotics).

ذانك المفهومان اللذان يستطيعان كشف المعاني والإشارات اللامرئية من خلال العمليات الأدبية المرئيَّة.

هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية التطبيقية فسوف ندرس كتاباً

أسلوبياً حديثاً هو ثمرة لهذه العلاقة المفيدة بين اللسانيات والأدب تلك العلاقة التي ولدت علماً قائماً برأسه يسمى «الأسلوبيات». هذا الكتاب هو «الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية» للباحث الدكتور سعد مصلوح. إن الهدف من دراسة هذا الكتاب هو التعرف إلى كيفية استثمار النتائج المتولدة من العلاقة بين اللسانيات والأدب ثم تطبيقها على النصوص الأدبية بأنواعها المختلفة.

1. دور اللسانيات في الأدب والنقد الأدبي الحديث

0.1. تمهيد

اللسانيات هي التحليل والتفكيك العلمي لأجزاء هذه الأداة المتشابكة العلائق والمتعددة الوظائف، تلك التي يصطلح عليها البشر بـ«اللغة» (Language). التحليل والتفكيك اللساني يهدف إلى معرفة بنية النظام الذي من خلاله يمكن لهذه الأداة اللغوية أن تعمل على نحو صحيح وسليم.

النقد الأدبي هو تحليل وتفكيك للأدب الذي يصور الحياة عبر الاتصال الجمالي الذي يتخذ من هذه الأداة اللغوية منطلقاً له من أجل التوصيل والتأثير بطريقة مخالفة لطرائق الاتصال الأخرى التي تتخذ اللغة منطلقاً لها أيضاً.

إن الهدف من هذا البحث معرفة طبيعة العلاقات القائمة بين اللسانيات من جهة وبين الأدب والنقد الأدبي الحديث من جهة أخرى، ونأمل في هذا البحث التوصل إلى حقيقة مؤداها أن اللسانيات والأدب والنقد الأدبي هي حقول تستفيد من بعضها بعضاً وتنير ـــ بالتالي ـــ الطريق أمام بعضها في أشكال عديدة.

فالتحليل اللساني يستطيع أن يقدم للأدب والنقد الأدبي الحديث إسهاماً يكمن في الدقة والموضوعية والكشف والإثارة. وإن الأدب والنقد الأدبي يستطيعان أن يقدّما للسانيات حقلاً غنياً ومتنوعاً من العينات والشرائح اللغوية المختلفة للأنواع الأدبية. والأهم من هذا وذاك هو أن منطلق اللسانيات والأدب والنقد الأدبي هو

منطلق واحد ألا وهو « اللغة » فما هي طبيعة هذه اللغة عندما تدخل إطار اللسانيات وإطار النقد الأدبي ؟! .

1.1. طبيعة المشكلة اللغوية في إطار اللسانيات والنقد الأدبي الحديث

إن إحدى المشكلات التي طرحتها نظرية القواعد التوليدية والتحويلية لعالم اللسانيات الأمريكي ـــ نوم تشومسكي ـــ (N. Chomsky) هي مشكلة تحقيق معيار : قواعدية الجملة (Grammaticality) وخرق معيار : قبولية الجملة دلالياً (Acceptability) كما هو الحال في الجملة الشهيرة التي أتى بها تشومسكي :

(Colorless green ideas Sleep Furiously)

(الأحلام الخضراء العديمة اللون تنام بعنف)[2] .

إن التركيب الصرفي والنحوي والصوتي لهذه الجملة لا غبار عليه (إذ حقق معيار قواعدية الجملة) إلا أنه لا معنى لهذه الجملة إطلاقاً وهي ليست مقبولة دلالياً (إذ خرقت معيار القبولية) مع أنها تتألف من كلمات عربية لكل منها دلالتها المعجمية الواضحة بحد ذاتها، ولكنها أصبحت دون معنى عندما انتظمت على الشكل المبيّن أعلاه. هذا الخرق اللساني للغة الاتصال اليومي يشبه إلى حد ما الخرق اللغوي للغة الأدبية، تلك اللغة التي لن تحقق توقعات الاستعمال اليومي للغة الخطاب كما هو الحال في هذه الجملة الأدبية :

« إن وجنة وجهها قد ماتت ملتفة على حزن ووجع حلزوني » .

فهذه الجملة الأدبية قد حققت معيار القواعدية والقبولية، إلا أن انتظام كلماتها ليس مرتبطاً بطرق معروفة في لغة الاتصال اليومي .

الواقع إن كل هذه الإشكالات اللغوية والأدبية تدخل في إطار ما كان قد

---

(2) Chomsky, N (1975 p.45)Syntactic Structures Mouton, The Hague, Paris.

__________(1965: p.57) Aspects of the Theory of Syntax. the MIT Press Mass.

سمّاه تشومسكي وأتباعه « الالتباس أو الغموض » (Ambiguity) ذلك المفهوم الذي أوجد تشومسكي حلاً له في البنية العميقة (D-Structure) ، أما التحليل البنيوي الذي كان يأخذ به « بلومفيلد » وأتباعه والمعروف بـ « تحليل المكونات المباشرة » (IC-analysis) فإنه غير قادر على إعطاء معنى جلي لا لبس فيه ولا غموض لجملة عربية مثل :

(زيد وخالد تقابلا) . فهذه الجملة تحتمل تفسيراً بنيوياً واحداً طبقاً لنظرية بلومفيلد ، ولكنها تحتمل تفسيرات ثلاثة طبقاً لنظرية تشومسكي :

(1) زيد قابل خالداً .
(2) خالد قابل زيداً .
(3) زيد وخالد تقابلا « دون تخطيط » .

إن الفكرة الأساسية هنا هي أن الالتباس أو الغموض الدلالي وعدم التأكد منه هو مصدر للتساؤل والحيرة والجدل . وكلنا يذكر قول الشاعر العربي المتنبي :

أنامُ ملءَ عيوني عن شواردِها ويسهرُ الخلقُ جراها ويختصمُ

فالهاء في (شواردها ، جراها) تعود على هذه الكلمات والصيغ الملتبسة الغامضة التي تجعل الناس يختصمون ويسهرون الليالي الطوال من أجل إيجاد التفسير الدلالي المناسب ، وهكذا يمكننا أن نفرق بين نوعين اثنين من الالتباس والغموض .

الأول : هو التباس وغموض لساني : وهذا يدخل في إطار اللغة عندما تكون وسيلة للاتصال بين جماعات معينة تملك زمام النظام اللغوي وتسير وفقاً لقواعده الصوتية والنحوية والدلالية ، وأي شذوذ عن نمطية هذه القواعد سيفرز هذا النوع من الالتباس .

الثاني : هو التباس وغموض أدبي : وهذا يدخل في إطار اللغة عندما تخرج عن نطاق الاتصال اللغوي لتدخل نطاق الاتصال الجمالي بين الجماعات البشرية

الناطقة بتلك اللغة . إن أي شذوذ عن نمطية هذا الاتصال الجمالي سيفرز هذا النوع من الالتباس .

إن إشكالية الغموض الأدبي وتعقداته تجعلنا نقف عند هذا النوع من الغموض لمناقشته وتبيان أنواعه ، وتبيان الدور الذي يقوم به في عملية الإنتاج الأدبي . فالغموض ــ لغة ــ هو عدم الرؤية الواضحة ، وقد انتقلت الكلمة إلى الأدب لتعني عدم الفهم الدقيق فهناك غموض الرؤية وهناك غموض الفهم .

فالفهم والتفاهم لا يأتيان إلا بالتعارف والتواضع بين أفراد فئة اجتماعية معينة وهكذا يتم الاتفاق بين أفراد هذه الجماعة على رموز معينة إذا تركّبت تركيباً صوتياً ونحوياً ودلالياً فإنها تفرز شيئاً معروفاً لدى هذه الجماعة .

إن هذه الرموز اللغوية مقطعة تقطيعاً واضحاً بحيث تصبح صورة لهذا الواقع الفيزيائي الذي يحيط بالإنسان . وكلما تطور الإنسان تطورت المفردات اللغوية ونمت وكبرت لتسمي واقعاً فيزيائياً جديداً . ولكن مهما تطور الإنسان ومهما تطورت مفرداته اللغوية فإن العالم الفيزيائي المحيط به أكبر بكثير . ففي حين نجد المصطلحات اللغوية تعدّ بالآلاف وهي محدودة إلا أن المعاني تعدّ بالملايير وهي لا تحصى لأنها لامتناهية . إذا ماذا فعل الإنسان في هذه الحالة ؟ .

لقد حاول الإنسان أن يلجأ إلى وسائل كثيرة ليتغلب على هذه المشكلة التعبيرية لذلك كانت هناك لغة الإشارات السيميولوجية ، والجسمانية ، واللغة غير الطبيعية ، وغير ذلك من اللغات المساعدة للغة الأم لإيصال المعنى . من هذه اللغات المساعدة اللغةُ الأدبية التي تشمل الشعر والقصة والرواية والمسرح وغير ذلك من الفنون الأدبية . وهكذا فإن اللغة هنا ــ وحسب المفهوم اللساني ــ ليست لغة عادية ولكنها لغة انزياح (Deviation) أو انعطاف عن الخط المعروف . وهذا الانزياح بحد ذاته يولد الغموض الأدبي (Literary ambiguity) الغموض على الفهم الدقيق

المتعارف عليه ضمن أفراد الجماعة الاجتماعية التي تواضعت على نظام لغوي معين لتتصل من خلاله .

ولكن هذا الغموض الأدبي يتلون ويتموج ليفرز أنواعاً عديدة وفق سياقات مختلفة منها :

(1) الغموض الناتج عن المجاز ذي الوتيرة العالية بحيث نجد الكلمات والعبارات والجمل هنا تنزاح انزياحاً شديداً عن اللغة لتتجاوزها إلى ما وراء اللغة (Communicative Language ⟶ metacommunicative Language) ولكن هذا الغموض يظل مع ذلك غموضاً إيجابياً لأنه يشغل تفكير القارئ وينشّط هذا التفكير .

(2) الغموض الناتج عن الهذيان والجنون ، بحيث يشكل تركيب الكلمات والعبارات والجمل معنى لا معنى له (meaningless meaning) . وكأن الغموض هنا يأخذ صفة « القواعدية » على الرغم من أن هذه الصفة تأتي بكلمات وعبارات وجمل معروفة من الوجهة المعجمية ولكنها عندما تتركب مع بعضها بعضاً فإنها لا تنتج أي معنى أدبي ، وهي بهذا ــ وإن حققت معيار « القواعدية » إلا أنها تنحرف عن معيار القبولية . والمثال على ذلك ما أتى به سيبويه عندما استشهد بهذه الجملة (شرب زيدٌ ماء البحر) . وقد أكد هذا المعيار عالم اللسانيات تشومسكي عندما أتى بهذه الجملة (الأحلام الخضراء العديمة اللون تنام بعنف) . فالتركيب اللغوي هنا صحيح من الوجهة النحوية ــ التركيبية ــ ولكنه مفرط بالهذيان من الوجهة القبولية ــ الدلالية ــ . هذا النوع من الغموض موجود بكثرة في الشعر العربي الحر .

(3) الغموض الناتج عن استخدام مفرط لظاهرة معينة من الظواهر « التاريخية أو الدينية أو الاقتصادية أو الفلسفية أو السياسية » .

إن هذا النوع من الانزياح اللغوي يصبح محصوراً في مجال واحد لا يتعداه ،

وهكذا فعندما تتحدث القصيدة فقط عن التاريخ فإن ذلك سيشكل «لغة تاريخية» ليس متعارفاً عليها ضمن الجماعة الحالية المتكلمة، وعندما تغرق القصيدة في الفلسفة فإنها ستشكل «لغة فلسفية» لا يفهمها إلا الفلاسفة، ذلك لأن لكل حقل من هذه الحقول لغته الخاصة التي تواضعت عليها جماعة معينة، إن الإغراق الكلي في لغة من هذه «اللغات» يصبح غموضاً عميقاً لا بد من تفسيره. إن هذا النوع من الغموض يرهص القارئ ويحفزه للتأويل والتفسير ولا يجعله يضيع في دهاليز المعاني ويشتته في عالم المجهول. من هنا فإن هذا النوع من الغموض هو غموض إيجابي فاعل. وأمثلته تتجلى فيما يلي:

1. الغموض التاريخي ← أدونيس (ديوان أغاني مهيار الدمشقي).
2. الغموض الفلسفي ← علي ناصر (ديوان اثنان في واحد).
3. الغموض السياسي ← شوقي بغدادي (ديوان أشعار لا تُحبّ).
4. الغموض الديني ← حسان بن ثابت (ديوان حسان بن ثابت).

(4) الغموض الخيالي المتسم بالتنبؤ السابق للوعي الحاضر، هذا النوع من الغموض هو غموض «مظلوم» ذلك لأنه لا يحمل «قيمة» في واقعه وعصره.

إن هذه القيمة الفنية ستكتشف فيه عندما يدخل محراب التاريخ، إذاً إن القيمة لهذا الغموض هي «قيمة» مستقبلية. وكثيرة هي الأنواع الأدبية التي لم تجد ترحيباً وقبولاً في زمنها وذلك لأنها وصفت على أنها «مشعوذة» أو «خارجة عن القانون» أو «غير مفهومة» ولكن عندما يمضي زمن طويل عليها فإنها سرعان ما يعاد اعتبارها الفني وتأخذ قيمتها الحقيقية. والمثال على ذلك قصائد الشاعر ـــ أورخان ميسر ـــ في ديوانه (سريال) تلك القصائد التي لم تلق قبولاً وترحيباً من الجمهور منذ عشرين عاماً ولكنها أخذت قيمتها الجديدة في حاضرنا الراهن.

(5) الغموض المكتوب وهذا النوع من الغموض ينشأ من الفروق القائمة بين اللغة

المنطوقة واللغة المكتوبة فهناك غموض أدبي مكتوب إذا ما نطق فإنه سيصبح واضحاً . إن المسافة بين هذين النوعين المنطوق والمكتوب هي المسافة الموجودة بين الفكر وبين الكتابة التي تسجل هذا الفكر ضمن حدود الزمان والمكان . فكثيراً ما إذا كتبنا حول موضوع معين فإنه لن يكون مفهوماً وواضحاً وهكذا فإذا أردنا توصيله إلى الجماهير فإنه لا بد أن نضمِّن الكتابة استراتيجيات معينة من التراث الشفوي المنطوق ؛ وبهذا فإن الغموض الناتج عن الكتابة سيُفهم في سياق التراث الشفوي الشعبي المنطوق والمثال على ذلك رواية «عرس فلسطيني» للروائي «أديب نحوي» الذي يضمن هذه الرواية استراتيجيات مستمدة من التراث الشعبي والشفوي المنطوق . وبذلك فإن هذه الرواية تتحدث مع القارئ وليست محصورة أفكارها ضمن زمان الكتابة ومكانها .

وبمعنى أدق : إن القارئ لا يقرأ الرواية بل إنه يتحدث إليها كما تتحدث إليه . هذا النوع من الغموض مهم جداً ولا سيما في المجتمعات البدائية التي تعبّر عن الأنواع الأدبية من خلال الثقافة الشفوية وحدها ، أضف إلى ذلك أن هذا النوع من الغموض يتسم بسمات أخرى في المجتمعات ذات التراث الأدبي المكتوب التي لا تعير أي انتباه للتراث الشفوي المنطوق ، وإنما تعتمد على التراث الأدبي المكتوب الذي يتسم بالمنطق المتولد عن الحجج التحليلية المتماسكة ، وليس عن الحقائق الناتجة عن التجربة الشخصية للمتكلم الذي يملك فكراً غنياً متألقاً في تجاربه العاطفية الحماسية .

إن هذه النقطة حول الغموض وأنواعه وارتباطاته بالثقافات الشفوية المنطوقة أو الثقافات الأدبية المكتوبة تجعلنا نناقش قضية مهمة في هذا السياق وهي قضية تداخل الغموض في الثقافات المختلفة . فما هو غموض أدبي في ثقافة من الثقافات يصبح وضوحاً في ثقافة أخرى والعكس صحيح . ما هي مواضع الاختلاف في الغموض ضمن هذه الثقافات ؟ ما هي مواضع الاشتراك في الغموض ضمن الثقافات

المختلفة؟ أين حدود التلاقي وأين حدود الاختلاف؟ ما هي تقنيات الغموض الأدبي في ثقافة من الثقافات وما هي الوسائل المستخدمة للتعبير عنه؟.

هل هي تقنيات موحدة أم أنها تقنيات مختلفة اختلاف اللغات والثقافات؟ وبكلمة دقيقة: هل قضية الغموض الأدبي هي قضية واحدة من حيث الجوهر (ظاهرة عالمية كلية) ولكنها مختلفة من حيث الوسائل التي تستخدمها؟ أم أن قضية الغموض الأدبي هي مختلفة في الجوهر (محلية ـــ قومية) ولكنها متشابهة في الوسائل؟. إنها قضية تستحق البحث والاهتمام.

على أية حال إن أية لغة من لغات العالم فيها هذان النوعان من الالتباس:

ـــ الالتباس الناتج عن استعمال اللغة كوسيلة اتصالية.

ـــ والالتباس الناتج عن استعمال اللغة كوسيلة جمالية.

الالتباس الأول يدخل في إطار اللسانيات والالتباس الثاني يدخل في إطار النقد الأدبي وهذا بالطبع يطرح أمامنا سؤالين اثنين هما: ما هي اللسانيات؟ وما هو النقد الأدبي؟ أما عن ماهية اللسانيات فهي الدراسة العلمية للغات البشرية كافة من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم من الأقوام. هذه الدراسة موضوعها الأصوات والمفردات والعبارات والتراكيب والدلالات اللغوية ثم ارتباط هذا الكل الذي اسمه «اللغة» بالعالم الفيزيائي للإنسان.

إن الهدف الذي تسعى اللسانيات إلى تحقيقه هو معرفة كيفية عمل اللغات البشرية هذه في الدماغ البشري غير المرئي (بنية عميقة) من خلال البنية السطحية للغة المتمثلة بالأصوات والمفردات والعبارات والتراكيب والدلالات المرئية[3]. أما عن ماهية النقد الأدبي فإنه من الصعب أن نضع تعريفاً واحداً محدداً ودقيقاً له. ذلك لأن

---

(3) لمزيد من التفصيل حول تعريف اللسانيات وموضوعاتها وغاياتها راجع:

الوعر، مازن (1988) **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ـــ مدخل**. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق ـــ سورية.

هناك تعاريف مختلفة نابعة من اختلاف النماذج والأنواع والعينات الأدبية التي يفرزها الأدب عموماً . ولكننا إذا أردنا أن نعرفَ بالفعل ما هو النقد الأدبي فينبغي علينا أن نعرف ما هو الأدب . الواقع ليس من السهل أن نحدد ما هو « منطوق » (Spoken) وما هو « مكتوب » (Written) في اللغة . صحيح أننا نتكلم كثيراً وعلى نحو فضفاض حول ما يكتب في الأدب ولكن ليس منّا من يود أن يضيف هذا الكلام الذي قيل حول الأدب إلى منهج نقدي معين لدراسة أدب أمة من الأمم كالأدب العربي أو الأدب الإنكليزي أو الأدب الصيني ... إلخ ، وليس منا من يود أن يضيف حتى الكتب التي قيلت عن هذا الأدب إلى ذلك المنهج النقدي على الرغم من أن كل هذه الأقوال حول الأدب هي مكتوبة .

فإذا اعتبرنا مثلاً قصص ــ مراد السباعي ــ (قبور تتزاور) ــ (القارب)[4] ــ (سباق في مسبح الدم)[5] أدباً فماذا يمكن أن نقول حول ما قيل عن هذه القصص من مقالات وأحاديث جمالية عديدة ومختلفة تصويرية أحياناً وخلّاقة في أحايين أخرى؟! . هل نُدخل هذا الذي قيل في إطار الأدب كما هي الحال في قصصه الآنفة الذكر؟! .

الحقيقة ليس هناك معيار تام لما يمكن أن يكون أدباً ومالا يمكنه ذلك . فلا بد أن تكون هناك حدود للحيرة والشك حول ما هو أدب وما هو ليس بأدب ، ويتبع هذا بأن النقد الأدبي الذي هو تحليل وتقويم وخلق جديد للأدب سيكون في الحيرة نفسها وسيكون في شك وتساؤل كبيرين . على أية حال هناك معياران اثنان في اللسانيات الأدبية (Literary Linguistics) للحكم على النص وإمكانية إدخاله في إطار الأدب .

---

(4) السباعي ، مراد (1962 ص21 و 84) " القارب ــ قبورتتزاور " في المجموعة **الشرارة الأولى** . منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي . سورية .

(5) السباعي ، مراد (1985 ص3) " سباق في مسبح الدم " في المجموعة **سباق في مسبح الدم** . منشورات اتحاد الكتّاب العرب . سورية .

المعيار الأول : هو أهمية مايقال؛ تلك الأهمية المرتبطة باختيار الكاتب للإطار اللغوي الذي من خلاله يمكنه أن يتصل أو يتخاطب مع الناس من أجل أن يبقى عمله خالداً على مر الدهر (المتنبي وشكسبير من جهة) (وأبو العلاء المعري ودانتي من جهة أخرى). فالكاتب هنا يستخدم أسلوب التنظيم الداخلي في عمله الأدبي (Internal System). ذلك الأسلوب الذي يربُط كل مايقوله بما كان قد سمّاه ت. س. إليوت «الوحدة العضوية الموضوعية»[6] (Objective Correlative).

تلك الميزة التي استخدمها كتاب كثيرون في كثير من الأنواع الأدبية كالرواية والمسرحية والقصة والشعر وذلك لإثارة التنظيم الخارجي للإنسان (External System).

وهكذا فإن التنظيَمينْ الداخلي والخارجي سيكونان في حالة الانفعال والتفاعل المستمرين.

والواقع يمكننا أن نصف كاتباً معيناً بأنه روائي أو مسرحي أو شاعر وذلك من خلال تصنيفات وأطر ضيقة كان قد اصطلح عليها بالقصيدة (في حالة الشاعر) والدراما (في حالة المسرحي)، والقصة الطويلة (في حالة الروائي).

هذه التصنيفات والأطر التقنية ليست دقيقة ومعبرة عن داخلية العمل الأدبي نفسه. إنها يمكن أن تتحول إلى مجرد تقنيات اصطلاحية لا تمتّ بصلة إلى جوهر المسألة الأدبية على الإطلاق. من هنا ينبغي على النقد الأدبي أن يبحث عن صيغة نقدية أكثر دقة وعمقاً في تعامله مع النصوص الأدبية.

أما المعيار الثاني : فهو الخيال؛ الذي يتمتع به الكاتب ثم تلوين هذا الخيال بأفانين جذابة ومثيرة للنفس الإنسانية. هذه الصفة الخيالية للعمل الأدبي تجعل من

---

(6) يقصد هنا «بالموضوعية» المعادل الموضوعي الذي اقترحه الشاعر الإنكليزي. ت. س. إليوت لمزيد من التفصيل راجع: الخطيب، د. حسام (1975 ص462-485) **محاضرات في تطور الأدب الأوربي** جامعة دمشق — سورية.

عملية الاتصال الجمالي عملية كان قد دعاها ــ باتسون (Bateson) « الوظيفة الماوراء اتصالية اللغة » . أي أن الخطاب هنا لا يصل عن طريق المعاني التي تحملها الكلمات المعجمية (denotation) وإنما يصل عن طريق المعاني التي تحيط بالكلمات المعجمية ، أي المعاني الإيحائية السيميولوجية (Connotation)[7] .

إن هذا الخطاب الجمالي ــ الفوق لغوي الناتج عن الاتصال الماورائي للغة والذي يلعب الخيال فيه دوراً أساسياً من أجل إدخاله في إطار الأدب يمكن أن يترجم إلى خطاب لغوي عادي وذلك من خلال إعادته في صيغة نثرية عادية .

ولكن مثل هذه الترجمة ستجعل من العمل الأدبي أقل رونقاً وجمالاً . وبكلمة دقيقة أقل « خياليَّة » . وهكذا ينبغي أن يكون من مهمات النقد الأدبي المعاصر كشف هذه المعاني المخبأة في الخطاب الماوراء اتصالي للغة وذلك لمعرفة المعنى الذي هو أصلاً في « قلب الشاعر » .

يتبيّن لنا أن للأدب «لغةً» تختلف عن «لغة» الاستعمال اليومي من أجل الاتصال بين أفراد مجموعة بشرية تتكلم تلك اللغة . فلغة الأدب هي لغة مختارة ومعدّلة وهي ذات بنية معقدة . هذا « الانحراف » (deviation) عن اللغة العادية إلى اللغة الأدبية يجعلنا نناقش الطريقة التي تجعل الكاتب ينحرف عن مسار اللغة العادية ليدخل مسار لغة أخرى مختلفة . وبكلمة أخرى : إن الكاتب هنا يستخدم « أسلوباً » معيناً يُعـدّ بداية الانحراف نحو مسار آخر .

إن هذا الانحراف بطبيعته هو «انحراف لساني» لذلك فإن من مهمة اللسانيات والنقد الأدبي رصد هذا الانحراف من اللغة العادية إلى اللغة الأدبية ، من اللغة الإيصالية التي كانت قد تعارفت عليها مجموعة من الناس من أجل حلّ مشكلاتهم الحياتية إلى اللغة الأدبية غير الاتصالية والتي هي نتاج كاتب أو شاعر له أسلوب جمالي معين . فإذا كانت اللسانيات والنقد الأدبي يرصدان هذا الانحراف

(7) Bateson, G (1972) Stepsto an Ecology of mind. Ny. Ballantine.

فذلك لأن منطلقهما وموضوعهما وهدفهما هو « اللغة » كظاهرة من ظواهر النشاط الإنساني تتجلى في أشكال متعددة اصطلحت عليها الجماعات البشرية بـ « اللغات » كالعربية والإنكليزية والفرنسية والصينية ... الخ .

وهكذا فإن الأدب ليس بعيداً عن هذه اللغات الخاصة وذلك لأنه قد صيغ من المواد الأساسية التي تعمل عليها اللسانيات والنقد الأدبي . هذا الاشتراك في المنطلق الفلسفي للسانيات والنقد الأدبي يجعل هذين الحقلين يستفيدان من تجارب بعضهما بعضاً ، وهذا بالطبع يختلف تماماً عن بقية الفنون الإنسانية الأخرى كالموسيقا والرسم والنحت وغيرها ، تلك الفنون التي لا علاقة لها باللسانيات الأدبية وذلك لأن مادتها مصوغة من اللغات البشرية الطبيعية . والواقع إن الأدب باعتباره « انحرافاً لغوياً » يشكل جزءاً صغيراً على خارطة لغوية كبيرة مختلفة أقاليمها ومتعرجة تضاريسها ، يحاول اللساني رصد جميع أشكالها واستعمالاتها . هذا الاهتمام اللساني بالانحراف اللغوي هو اهتمام حديث جداً لم ينتبه إليه اللسانيون الأوائل إلا قليلاً . فاللساني السويسري فرديناند دي سوسور لم يكن مهتماً باللغة المكتوبة . لقد أعطى الأفضلية المطلقة للغة المنطوقة والاستعمالات اليومية للنظام اللغوي ، وقد قاده هذا التفكير إلى أن يتجنب الدراسة اللغوية للأدب الذي اعتبره استعمالات لغوية خاصة لا تدخل في صميم الدراسة اللسانية . وقد سار تلميذه ــ تشارلزبالي في المسار نفسه على الرغم من أنه هو الذي كان قد أسس الدراسة المنتظمة لما يعرف اليوم بـ « الأسلوبيات » (Stylistics) . أما بلومفيلد اللساني الأمريكي ، فعلى الرغم من أنه انتبه إلى القيم الثقافية للأدب إلا أنه لم يدخل الأدب في إطار البحث اللساني ، ففي نظره أن الاستعمال الأدبي للغة هو انحراف عن الاستعمالات العادية للغة ، وقد اعتبر أن كل هذا الاستعمال الأدبي للغة إنما هو ملوث بالدراسة اللغوية القديمة وذلك لأن هذا الاستعمال الأدبي ارتبط بما كان بلومفيلد يحاربه ويرفضه كحقل مستقل بذاته ألا وهو حقل « فقه اللغة » (Philology) ذلك الحقل الذي كانت له علاقة وشيجة

بالدراسات الأدبية . وبما أن بنيوية بلومفيلد اللسانية كانت تتجنب دراسات فقه اللغة وذلك من أجل جعل الدراسة اللغوية التي كان يسعى إلى تحقيقها دراسة «علمية ومستقلة» عن بقية العلوم الأخرى فإنه تبع ذلك أنه تجنب الدراسات الأدبية برمتها يقول بلومفيلد :

«إن على اللساني أن يدرس لغة كل الأفراد على نحو متشابه، إن المميزات الفردية التي من خلالها تختلف لغة كاتب كبير عن لغة الاستعمال اليومي تهم اللساني ولكن هذا الاهتمام لن يكون أكثر من الاهتمام بالمميزات الفردية التي من خلالها تختلف لغة شخص ما عن لغة شخص آخر، بل إنه حتى أقل من الاهتمام بالمميزات اللغوية التي هي مشاع بين المتكلمين كافة»(8) .

والواقع لقد كتب بلومفيلد هذا الكلام في وقت كانت اللسانيات ما تزال تدافع عن نفسها كعلم قائم بذاته ومستقل عن بقية العلوم الأخرى وذلك من أجل تكوين هوية واضحة لهذا العلم . وانطلاقاً من هذا المفهوم فإنه من الطبيعي جداً أن يؤكد اللسانيون البنيويون في بداية القرن العشرين على «الوجوه العلمية المستقلة للدراسات اللسانية» التي تجعل اللسانيات مختلفة عن الدراسات اللغوية الفيلولوجية القديمة المرتبطة بالأدب .

ولكن بعد أن أخذ هذا العلم هوية خاصة به وأصبحت له نظرياته وقوانينه وأنظمته بحيث جعلت منه يتمتع بصفة «العلمية والاستقلالية» وبعد أن تطور تطوراً ملحوظاً في العالم فإنه لا ضير ولا مخافة من فتح الجبهات المختلفة التي أغلقها في بداية نشوئه من أجل الدفاع عن نفسه .

إن هذا التقارب الذي ننشده بين اللسانيات والنقد الأدبي ينبغي ألا يكون على حساب اللسانيات بحيث تصبح مجرد وسيلة تقنية جامدة لخدمة النقد الأدبي .

---

(8) Bloomfield, L (1935: p2-12) **Language.** London, Allen and Unwin.

والواقع إن المواد الأدبية ستكون مختلفة صوتاً وتركيباً ودلالة عن توقعات التحليل اللساني والنقدي وهذا يعود بالطبع إلى أن الأدب في أغلب فنونه إنما هو مكتوب وهو دائماً يتحدث عما مضى مستخدماً صفات خاصة به ليست موجودة في حقول أخرى من التعبير .

إن الفكرة الأساسية هنا هي أن الأدب من صنع البشر الذين يعرفون لغة زمانهم وعصرهم ويتصلون من خلالها مع الناس الآخرين . ولكن كونهم أدباء فإنهم يستخدمون هذه اللغة بمهارة فائقة لكي يجعلوا نظرتهم إلى الحياة دائمة وخالدة . وبكلمة أخرى إنهم يطوعون هذه اللغة تطويعاً يسمح لهم بأن يضمنونها تجاربهم للواقع وتأويلاتهم لما سيفرز هذا الواقع .

ولكن بالرغم من الأعمال الأسلوبية الممتازة التي كانت ثمرة لهذا التعاون بين الدراسات اللسانية والدراسات النقدية الأدبية والتي كان قد قدمها باحثون متميزون لهم تجربتهم العميقة في اللسانيات والنقد الأدبي فإن هناك بعض الباحثين الذين لا يرضون للسانيات أن تمسّ الأدب وحجتهم في ذلك أن اللسانيات ذات صبغة « علمية » جداً .

إن نظرياتها ومناهجها مصوغة صياغة رياضية صارمة ، وهذا ناتج بالطبع عن استخدام المعايير والمقاييس العلمية الدقيقة المستخدمة في الدراسات الفيزيائية والبيولوجية والرياضية ... الخ ، كالملاحظة والتجريب ، والضبط والافتراض والموضوعية المطلقة .

هذه الصفة العلمية للسانيات هي التي تميزها عن صفة الإرشادية الأمرية التقريرية تلك الصفة التي تميزت بها الدراسات اللغوية القديمة التي كانت في أغلبها دراسات « إنسانية » وليست دراسات « علمية » . ولكن الحقيقة التي لا مجال للشك فيها هي أن المناهج اللسانية الحديثة قد دخلت مجال الأدب وبالخصوص مجال النقد الأدبي المعاصر الذي يتكئ على الأدب ليكون مادة له .

إن استفادة النقد الغربي المعاصر من مناهج اللسانيات الحديثة هي التي أعطت المناهج النقدية المعاصرة «قوة الاستمرارية والحيوية والنشاط» من أجل بناء صيغة علمية واضحة، تلك الصيغة التي يسعى النقد الأدبي المعاصر إلى تحقيقها ليكون علماً قائماً بذاته، ولكن هذا لا يعني بأن كل المواد الأدبية الأخرى ينبغي أن تسقط في المناهج اللسانية الحيوية المتجددة. إن ما نعني به هنا هو هذا الجزء الأدبي المناسب للتطويع اللساني والذي يأخذ «الانحراف» عن لغة الاتصال موضوعاً له وذلك لأن الأدب انحراف لغوي من وجهة نظر لسانية، لقد وضع فرانك بالمر (F. Palmer) المسألة في هذه الصيغة:

«ينبغي على اللساني ألَّا يأمل بشرح القيم الجمالية للأدب من خلال استخدام التحليل اللساني... إن الأدب بالنسبة إلى اللساني ليس بأقل من الاختلافات الكلامية العادية المستعملة بين الأفراد. وهكذا فإن الأدب من هذا المنظور فقط هو لغة منحرفة مناسبة للتحليل اللساني حتى لو كان هناك بعض النقاد المتعصبين الذين يعتبرون التحليل اللساني للأدب نوعاً من الادعاء»[9].

وهكذا فإن بالمر يؤكد هذا الاعتقاد المعاصر الذي يذهب إلى أن دارسي اللسانيات والنقد الأدبي لا بد لهم من الأخذ من كل حقل من تينك الحقلين بطرف.

وينبغي أن نتذكر هنا بأنه على الرغم من أن اللسانيات علم قائم بذاته ومستقل عن بقية العلوم الأخرى إلا أنه ليس علماً متجانساً بمعنى تجانس العلوم الدقيقة، فما زال هذا العلم يفرز العديد من المدارس والنظريات اللسانية المختلفة.

فليس هناك لساني واحد مثلاً يستطيع أن يلمَّ بكل هذه المدارس والنظريات اللسانية على اختلاف مواقعها في العالم. لذلك من الصعب تماماً أن نستخدم كل هذه المدارس والنظريات اللسانية في مجال الدراسة النقدية.

---

(9) Palmer, F (1971: p.252). **Linguistics at large.** N.Minnis, ed. London, Golloncz.

من هنا ينبغي على الباحث أن يطرح الافتراضات الأساسية الشائعة في اللسانيات والتي هي معروفة عند كل الباحثين اللسانيين دون التعصب لمدرسة أو نظرية لسانية بعينها . إن منطلق الباحث ينبغي أن يكوّن الأفكار اللسانية المفيدة والناجعة للدراسات النقدية بغض النظر عن انتماء هذه الأفكار اللسانية إلى نظرية أو مدرسة معينة .

إن ما يهمنا هو هذه الصيغة اللسانية الناجعة التي يمكنها أن تكشف المرئي واللامرئي في الأدب ذلك لأن الأدب في صيغته الأخيرة هو « نص مكتوب » هذا النص فيه ما يظهر على السطح وفيه ما يبقى في الأعماق ، فيه ما يمكن أن يُعدّ « خطاباً اتصالياً للغة » (لغوي = بنية سطحية) وفيه ما يمكن أن يُعدّ « خطاباً ما وراء اتصالياً للغة » (فوق لغوي = بنية عميقة) . ذلك لأن الأدب — وهنا نأتي إلى تعريفه — " هو فن يستعمل اللغة في طريقة جمالية مستخدماً العاطفة والتجربة والرغبة في صياغة عالم جديد ينطلق من واقع الإنسان " وإن مهمة النقد الأدبي المعاصر هي كشف هذا العالم وتفكيكه وتحليله وإعادة بنائه باستمرار بحيث يمكن للناقد أن يسهم في عملية إعادة البناء ليكون عمله أشبه بخلق عالم لاحق (عمل نقدي) لعالم سابق (نص أدبي) .

لقد وضع تدهيوز (T.Hughes) هذه المسألة في العبارات التالية :

« الفن — ومنه الشعر — عبارة عن أجزاء حية تحركها روح واحدة ، هذه الأجزاء الحية هي الكلمة والقوافي والصور ، أما الروح فهي الحياة التي تظهرها هذه الأجزاء الحية عندما تعمل مع بعضها بعضاً . إنه من المستحيل تماماً أن نحدد من الذي يأتي أولاً في هذه العملية التكاملية الأجزاء الحية أم الروح »(10) .

2.1. الأسلوبيات والنقد الأدبي

لا يمكننا أن نعرّف « اللغة » تعريفاً محدداً وذلك لأن اللغة نظام مفتوح وليس

(10) Hughes, Ted (1967: p.17) **Poetry in the Making**, London, Faber, and faber.

نظاماً مغلقاً، فهي تتلون طبقاً لحدوثها واستعمالاتها في سياقات مختلفة. فإذا أردنا تعريف اللغة فلا بد أن نرجع إلى «السياق» (Context) الذي تستعمل فيه.

فالسياق هو الذي يحدد اللغة وهو الذي يفرز الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية.

لنتأمل الجمل التالية:

(1) كل الناس عندها القدرة على تكلم «اللغة».
(2) العربية «لغة» تركيبية ــ اشتقاقية.
(3) سررنا «بلغة» الرجل المسن.
(4) ينبغي على جميع العقود أن تكتب بـ«لغة» قانونية مناسبة.

من الواضح أن كلمة «لغة» الواردة في الجمل الأربع المذكورة أعلاه ليست واحدة من الوجهة الدلالية ذلك لأنها تعود على أشياء مختلفة، وبالتالي فإنها تعني أشياء مختلفة أيضاً.

إن هذا النوع من التنوع الدلالي لعلاقة الدالّ بالمدلول يسبب اضطراباً في الحديث اليومي بين المرسِل والمرسَل إليه أثناء عملية الاتصال. هذا الاختلاف بين ما هو موجود أصلاً في الدماغ البشري وبين ما هو محقق بالفعل في عملية الاتصال يقودنا للاستعانة بالمصطلحات اللسانية التي اقترحها ــ فرديناند دي سوسور ــ والتي ميّزت بين مصطلحين اثنين:

(1) اللغة (La Langue) وهي النظام العامل في الدماغ.
(2) الكلام (La Parole) وهو اللغة محققة أو منجزة بالفعل الذي يحدثه فرد بعينه مستخدماً لغته عندما يتكلم.

إن ما يهمنا هنا هو أن مصطلح اللغة يدل على نظام لغة خاصة قائمة بذاتها، هذا النظام يملكه كل عضو بشري ينتمي إلى مجموعة متكلمة يشاركها عملية

الاتصال . إن لهذا النظام اللغوي أشكالاً صوتية ونحوية ودلالية متعددة تعرف بـ « العربية ، الإنكليزية ، الفرنسية ، الصينية ... إلخ » . أما المعلومات التي تدور حول هذه اللغة الخاصة فهي مجمّعة في المعاجم وكتب القواعد والنطق الصوتي . هذا النظام اللغوي المسمى (La Langue) عندما يخرج إلى حيّز الفعل ويصبح منطوقاً في عملية الاتصال يسمى (La Parole) ، أي الكلام . إن هذا التقسيم الذي اقترحه ــ دي سوسور ــ ليفرق بين اللغة وبين الكلام يشبه التقسيم الذي اقترحه عالم اللسانيات الأمريكي نوم تشومسكي ــ الذي ميّز بين مصطلحين لسانيين أيضاً هما :

(1) الـ (Competence) أي القدرة أو الكفاءة اللغوية الموجودة في الدماغ .
(2) والـ (Performance) أي الأداء أو الإنجاز اللغوي .

هذا التقسيم اللساني الذي اقترحه ــ دي سوسور وتشومسكي من بعده ــ يمكن أن ينطبق على كلمة « لغة » الواردة في الجمل الثلاث التي ذكرناها .

أما كلمة « لغة » في الجملة الرابعة فإنها لا تمت بصلة إلى مصطلح اللغة (المنطوقة أو المكتوبة) . وإنما تعني شيئاً مجازياً داخل نظام أوسع .

والواقع أن مفهوم « اللغة القانونية » و « اللغة الطبية » و « اللغة الدينية » هو مفهوم شائع مألوف بين الجماعات البشرية . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو : ماذا يعني هذا المفهوم بالضبط ؟

إن الاستعمال المجازي لهذه « اللغات » مصوغ ومركب بطريقة أسلوبية مختلفة وذلك نتيجة لصفات ومميزات لسانية عالية تجعل من هذا الاستعمال المجازي ذا دلالة خاصة . فكل لغة من هذه اللغات (لغة قانونية ، لغة طبية ، لغة دينية) إنما هي جزء من نظام اللغة (La Langue) التي تتصف بصفات كافية وواضحة ومعروفة لمستعملي تلك اللغة . إن لكل « لغة » من هذه « اللغات » صفاتها ومميزاتها التي تسمها بحيث تجعلها مختلفة عن بعضها بعضاً .

هذا الاختلاف يمكن أن يتضح من خلال دراستنا للنصوص اللغوية المتعلقة بهذه « اللغات » ومن خلال الأسئلة التي تثيرها هذه النصوص اللغوية .

ما هي بنية هذه « اللغات » التركيبية والدلالية ؟ ثم ما هو تواتر حدوث حرف العطف في هذه « اللغات » ؟ كيف تخاطب هذه « اللغات » الآخرين ؟ . هل تخاطبهم بصيغة أمرية إرشادية أم بصيغة وصفية تقريرية ؟ .

كيف تتركب جمل هذه « اللغات » ؟ هل هي مركبة تركيباً بسيطاً أم تركيباً معقداً بحيث تستعمل أدوات كثيرة من أجل عملية التعقيد هذه ؟ . ما هي النسبة المئوية للفهم والاستيعاب عند الأفراد عندما يتصلون بمثل هذه « اللغات » ؟ .

ما هي طبيعة الإجراء اللغوي لهذه « اللغات » عندما تتوضع في الدماغ البشري ؟ (أي أن الدماغ يحل رموزها ويفكك عناصرها) . هل تتم عملية التوضيع بسهولة أم بصعوبة ؟ ثم ما هي نسبة سهولة التوضيع وصعوبته ؟

الواقع إن السر وراء هذه الاستعمالات المختلفة للغة يكمن في اختيارنا لصفات لغوية معينة ووضعها في أماكن لا تنتمي إليها أي فصل الدال عن المدلول الأصلي وإطلاقه على مدلول مختلف تماماً . وهكذا فإن هذه الانحرافات اللسانية عن خط الاتصال اللغوي المتعارف عليه في كل لغة من لغات العالم ، تلك الانحرافات التي تفرز « لغات » كثيرة يمكننا أن نسميها « الأساليب » .

فعندما يوجّه الفرد أداءه اللغوي نحو أسلوب معين فهو بهذا يتبنى تعبيراً معيناً (Register) وهذا التبني للتعبير المعين يمكن أن يكون قصدياً وذلك عن طريق أسلوب مدرك ومعروف كما هو الأمر عند المحامي العام عندما يتكلم في المحكمة . ولكن هذا المحامي العام عندما يتكلم مع أولاده الصغار في البيت فإنه يستخدم تعبيراً مختلفاً أقل رسمية وأكثر عفوية .

والواقع إن كل فرد من أفراد المجتمع يملك في جعبته عدداً من « الأساليب »

التي يستعملها في حالات مختلفة من حياته وذلك تبعاً لحالات السياق التي توجه هذه الأساليب كما هو الشأن في العمل أو في البيت أو مع أصدقائه الذين هم من سنه وجنسه أو التكلم في اجتماع عام ... إلخ.

إن اختيار الأسلوب المناسب مرهون بظروف الاتصال السياقية أكثر مما هو مرهون بمضمون الاتصال نفسه. فالعديد من الناطقين باللغة العربية مثلاً يقدمون الخطاب نفسه في أشكال و « قولبات » و « كليشهات » مختلفة وذلك طبقاً لعلاقاتهم بالمتلقي أو المرسَل إليه وربما هذا ما قصده العرب الأوائل عندما عرّفوا البلاغة بقولهم « والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال في فصاحته، وهو مختلف لأن مقامات الكلام متفاوتة »[11]. « ولا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة ... ولكل كلمة مع صاحبتها مقام »[12].

وهكذا فإن استعمال تعبير لغوي شائع وفي حالات متكررة يخلق « الأسلوب » وإن الدراسة اللسانية ـ النقدية لأساليب مختلفة تسمّى « الأسلوبيات » (Stylistics).

لقد أظهرت الدراسات اللسانية أن الأساليب المختلفة هي نتاج حالة اجتماعية معينة دعاها الفلاسفة « الشرط الاجتماعي ». فكل أسلوب هو نتاج اجتماعي يتصف بصفات اجتماعية ذات أبعاد مختلفة وكثيرة، هذا النتاج الأسلوبي ـ الاجتماعي هو نتيجة لهذه العلاقات القائمة بين اللغة وبين المجتمع.

إن العلم الذي يدرس العلاقة المتشابكة بين اللغة وبين المجتمع هو « علم اللسانيات الاجتماعي » (Sociolinguistics) ويتبع هذا أن « الأسلوبيات » هي جزء لا يتجزأ من علم اللسانيات الاجتماعي ذلك لأن هذا العلم يهتم بالتأثيرات الاجتماعية

---

(11) القزويني الخطيب، **التلخيص في علوم البلاغة**. ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي، بيروت (بلا تاريخ: ص33).

(12) السكاكي. **مفتاح العلوم**. دار الكتب العلمية، بيروت، نسخة غير محققة (بلا تاريخ ص73).

التي تمس لغة مجموعة من الناس المتكلمين ، والذين ينتمون إلى شرائح ثقافية واجتماعية مختلفة .

هذا المفهوم الذي طرحناه حول « الأسلوب » يختلف عن المفهوم القديم « للأسلوب » والذي اعتدنا على دراسته في المناهج النقدية القديمة .

لا بد إذن من إعادة التفكير حول مفهوم الأسلوب مرة أخرى وذلك لنخرجه من حيّز النقد التقليدي الذي يحصره بنمط أو نوع كتابي معين إلى حيّز النقد الأدبي الحديث الذي يربطه بالتغيرات اللغوية طبقاً لسياقاتها الاجتماعية . وبكلمة دقيقة : إن الأسلوب بمفهومه التقليدي المرتبط بالأسلوب الأدبي إنما هو جزء من أساليب كثيرة مرتبطة بالدراسات اللسانية الاجتماعية المعاصرة .

والواقع إن المفهوم القديم للأسلوب وفي إطار النقد الأدبي القديم كان ينقد النصوص الأدبية ويقيمها على أنها ذات « أسلوب جيد » أو « أسلوب رديء » وقد كان يستعمل من أجل وصف الكتابة الأدبية على أنها « كتابة أنيقة » أو « كتابة بارعة » .

أما اقتراح ك . كاوتش (Q-Couch) من أن :

« الأسلوب في الكتابة مشابه لأسلوب الاتصالات الإنسانية الأخرى »[13] إنما هو اقتراح لا يدخل في اهتمام علم اللسانيات ذلك لأن هذا الأسلوب الذي تحدث عنه كاوتش هو طريقة موضوعية للطلبة من أجل تزويدهم بتقنيات معرفة الكتابة ، أما الأسلوب من وجهة نظر اللسانيات الأدبية فأمر مختلف ، إن الأسلوب ــ طبقاً للتحليل اللساني والنقدي ــ ليس حلية أو زينة ، وليس شكلاً يوصف على أنه « جيد » أو « سيءٌ » ، « جزل » أو « ركيك » ،والأهم من هذا وذاك : إنه أسلوب لا يقتصر على اللغة المكتوبة أو الأدب فقط . إنه ذلك « الأسلوب » المرتبط بالشرط الاجتماعي المتلون طبقاً لتلون الشرائح الاجتماعية والأثنية والثقافة المختلفة . فبدلاً من

(13) Quiller-Couch (1916: p.12) **The Art of Writing** Cambridge University Press.

التقييم الدوغمائي التزمتي للنماذج الأدبية على أنها « جيدة » أو « سيئة » فإنه من الأفضل والأنجع أن نسأل عن « الأسلوب » الذي تنتمي إليه هذه النماذج الأدبية ونسأل بالتالي فيما إذا كانت المميزات والصفات التعبيرية الواردة في هذه النماذج الأدبية مناسبة لهذا الأسلوب أم لا . فعندما نقول « طلعت الشمس » يكون كلامنا هذا مقبولاً في معظم الحالات اللغوية الاتصالية ، فنحن نسمع هذا الكلام ونقبله دون أن نعير انتباهنا لشكل هذا الخطاب . ومن جهة أخرى هناك طرائق أخرى تعبّر عن المحتوى نفسه والمضمون الذي أفرزته الجملة السابقة ، ولكن هذه الطرائق تجعلنا عارفين بأسلوب الخطاب المتميز بالعملية الاتصالية الماورائية . إن طريقة واحدة من هذه الطرائق يمكننا أن نراها عند الشاعر النابغة الذبياني عندما قال (مادحاً النعمان ابن المنذر) :

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ　　　إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

فإذا قارنا الخطابين السابقين فإننا ندرك أن هناك شيئاً ما في الخطاب الشعري الثاني أكثر من مجرد رموز لغوية تدل على معنى معجمي كما هو الأمر في الخطاب الأول .

إن الخطاب في الحالة الأولى هو خطاب مقبول من الوجهة الاتصالية للغة ، وذلك لأنه يوصف على أنه كتب « بأسلوب لغوي دقيق » وبذلك حقق معيار « القواعدية » . أما الخطاب في الحالة الشعرية الثانية فهو خطاب يخرج عن إطار « الاتصال اللغوي » (Communicative Language) إلى « الاتصال فوق اللغوي » أو الماورائي (Metacommunictive Language) . ولذلك يوصف بأنه كتب « بأسلوب أدبي » وذلك لارتباطه بالاستغراق العميق في العفوية والتعبيرية على حد تعبير (والس تشيف) اللساني الأمريكي(14) .

---

(14) Chafe, W (1980) " Integration and Involvement in Spoken and Written Language " Apaper Presented to the 2nd Congress of International Association For Semiotic Studies. Vienna.

وهكذا فإن « الأسلوبيات » ليست مرهونة بالأدب وحده بل هي شاملة للوجوه التعبيرية لعمليات الاتصال اللغوي وما فوق اللغوي . وبما أن الأدب نمط منحرف من أنماط عديدة للغة فإنه لا يحيد عن إطار « الأسلوبيات » كجزء لا يتجزأ من هذا الكل الذي اسمه « اللغة » .

وفي بعض الأحايين نجد أن الأدب هو أصعب أنماط اللغة على الإطلاق من الناحية الأسلوبية ؛ وذلك بسبب هذا التنوع والتعقيد في مسألة « الانحراف » الذي يظهر لنا من خلال بحث النصوص الأدبية المكتوبة واستقصائها ، ولكن هذا التنوع والتعقيد في مسألة « الانحراف » يطرح السؤال التالي :

هل نستطيع أن نعدَّ الأدب أسلوباً ؟ وهل هناك أسلوب أدبي متميز كما هو الأمر في الأسلوب القانوني والأسلوب الطبي والأسلوب الديني ؟ .

من الواضح تماماً أن الأدب ليس وقفاً على أي وجه من وجوه التجربة الإنسانية وفي الوقت نفسه لا يستبعد الأدب أي وجه من وجوه هذه التجربة الإنسانية . فإذا انطلقنا من مفهوم اللغة (La Languge) ومفهوم الكلام (La Parole) فإنه يمكن القول بأن أي « كلام » يمكن أن يكون « أدباً » إذا استخدم « اللغة » وسيلة للتعبير وهكذا فإن الأسلوب الأدبي لا يمكن أن يوصف بصفات بارزة ومتميزة .

إن دراسة النصوص الأدبية دراسة واعية وحذرة ستبيّن لنا أن « الأسلوبيات الأدبية » هي دراسة قابلة للحيوية والتطبيق ويمكنها أن تكشف لنا أشياء كثيرة . فكما هو الأمر في لغة الاتصال العادية التي تفرز لنا معاني معجمية عديدة ، فإن الأدب من جهته يفرز لنا الكثير من المعاني العادية الشائعة التي لا تسبب أية دهشة ولا تلفت أي انتباه وفي الوقت نفسه فإنه يمكن للأدب أن يفرز لنا معاني جديدة موضوعة في طرائق ذات درجة عالية من التأثير تجعل من الأدب « أسلوباً قائماً برأسه » .

هناك بين هذين النمطين الأدبيين طريقة وسطى يمكن من خلالها للأدب أن يظهر استعمالاً ثابتاً لصيغ نظامية معينة في اللغة مثل « قواعد » النحو التقليدي التي تعطي دائماً شواهد معينة من الأدب وذلك لنظامية الأسلوب الأدبي وثبوتيته عبر التاريخ.

على أية حال إن « اللغة الأدبية » برمتها لغة منحرفة ومبتعدة عن لغة الاتصال اليومي وهكذا فإذا قلنا : إن « اللغة الأدبية » هي أكثر حذراً في التعبير فإننا نعني بذلك أنها أكثر « وعياً وقصدية » في صياغتها للغة ، ذلك لأن الأدب يستعمل اللغة استعمالاً جمالياً وليس استعمالاً اتصالياً ، فإذا كانت بعض الأساليب المعينة تظهر مميزات لغوية متكررة واعتباطية فإن الأدب يتميز بما يعرف في التحليل اللساني ــ النقدي بـ « الصيغة » (Pattern) التي تتجلى في :

(1) اختيار الموضوع الذي يعالجه النص الأدبي .
(2) ترتيب المفردات اللغوية التي تسهم بالتأثير الإجمالي للنص الأدبي .
(3) الخيالية التي تحطم نطاق اللغة وتتجاوزه إلى ما وراء اللغة « فوق اللغة » .

فالشعر مثلاً يظهر « صيغاً » تقنية معينة لإيصال الخطاب كالبحر والقافية والسجع والجناس والطباق والاستعارة والتورية ... إلخ ، أما النثر فإنه يمكن أن يستخدم « صيغاً » تقنية مشابهة ولكنها أقل نظاماً وترتيباً وتنسيقاً .

على أية حال إن الشعر والنثر يتطلبان اختياراً قصدياً وحذراً للأبنية الصوتية والصرفية والنحوية ــ التركيبية ثم الدلالية ، وهكذا يمكننا أن نضيف صفة ثالثة إلى الصفتين المميزتين للأدب واللتين كنا قد ذكرناهما من قبل ، هذه الصفة هي استعمال تقنيات خاصة ترفع من تأثير الحدث اللساني خلال « صياغة » الأدب . ولكن ينبغي ألّا يفهم الأدب على أنه « أسلوب » فقط على الرغم من أن هناك قيمة معينة في محاولة اعتباره « أسلوباً » . إن أي منهج لساني مفيد يجب أن يعالج الأدب كجزء يمتحن إدراك القارئ للغة التي يستعملها ذلك الأدب . فمهما كان الأدب

خاصاً ورفيعاً وقيماً فإنه ينبغي ألا يبتعد كثيراً عن توقعات جماهيره وقرائه المتكلمة لتلك اللغة التي يستخدمها إذا أراد لنفسه الاستمرارية والبقاء.

والواقع ينبغي على الناقد الأدبي أن ينظر إلى «الأساليب» المختلفة للغة نظرة لسانية واحدة، ذلك لأن التطرف والتعصب لأسلوب معين هو أمر غير علمي لا يعطي ثمرة موضوعية. لقد نال الأسلوب الأدبي في بعض الثقافات التي تنتمي إلى فترات تاريخية معينة حظاً كبيراً بولغ فيه كثير اً إلى حد أن هذا الاهتمام بالأسلوب الأدبي قد طغى على بقية الأساليب اللغوية الأخرى، فقد كان يحكم على بقية الأساليب الأخرى على أنها إما «جيدة» أو «سيئة» طبقاً لتحقيقها لمعايير الأسلوب الأدبي وتقنياته حتى أن مستعملي اللغة العادية كوسيلة للاتصال اليومي كانوا يستعملون صفات الأسلوب ويدمجونها في أحاديثهم من أجل التأثير على الآخرين، ثم إن تطور اللغات الوطنية كان نتيجة لهذا الاحترام والتقدير للهجة التي كان الأدب يكتب بها، أضف إلى ذلك أن الكتّاب العظماء الذين كانوا يمارسون الأدب في مختلف العصور تركوا بصمات واضحة على الكلام العادي المستعمل في الحديث اليومي. إن هذا النوع من التأثر والتأثير بين الأسلوب الأدبي العالي والرفيع وبين الكلام العادي كانت له نتائج سيئة جعلت بقية الأساليب اللغوية شبه معزولة ومجهولة إلى حين من الزمان.

أما الاتجاه الآخر من التطرف فيتمثل بانصراف اللسانيين المحدثين عن الأدب وأنواعه المختلفة وذلك لأنه على حد زعمهم ليس من اهتماماتهم. هذا المفهوم اللساني المتطرف بقي حتى عصرنا الحالي ولكنه تطور تطوراً ملحوظاً في السنوات الماضية فشطر الاهتمامات اللسانية بالظواهر الإنسانية في اتجاهين مختلفين:

الأول: الاتجاه الأمريكي اللساني الذي لا يعير أي اهتمام للظواهر الأدبية. إن وجهة اللسانيات هنا هي وجهة علمية تقنية بحتة توظف نتائج اللسانيات لخدمة

العلوم الطبيعية الدقيقة وتطويرها كالفيزياء والرياضيات والبيولوجيا والحاسبات الالكترونية .

الثاني : الاتجاه الأوروبي اللساني الذي التفت بشكل ملحوظ إلى الظواهر الأدبية عامة والأسلوبية خاصة . إن وجهة اللسانيات هنا هي وجهة إنسانية توظف نتائج اللسانيات لخدمة الركام اللغوي والأدبي ، حتى إن حقولاً جديدة بدأت تعطي نتائجها من خلال هذا التمازج بين اللسانيات والأدب[15] . كالحقل الذي نحن بصدده « الأسلوبيات » (Stylistics) وحقل « اللسانيات الأدبية » (Literary Linguistics) ، الذي أصبح حقلاً قائماً بنفسه له أقسام خاصة يدرس الطلبة فيها هذا العلم .

إن أيَّ وصف للغة ينبغي أن يراعي جميع جوانبها المختلفة دون التركيز على جانب وإهمال جانب آخر ، وهكذا فإن الأسلوب الأدبي يستمد قوته وحيويته من النظام اللغوي المتعارف عليه من الجماعات البشرية المتكلمة لتلك اللغة . صحيح أننا قلنا إن الأدب « انحراف » عن اللغة اليومية إلا أن لغة الأدب لا تخرق عملية الاتصال اللغويْ ذلك لأن الجماعات المتكلمة تملك القدرة على فهم هذا النظام اللغوي الذي يعبّر الأدب به عن نفسه ، ولكن نلاحظ من جهة أخرى أن كتّاب الأدب ونقاده اختلفوا فيما بينهم حول طبيعة أساليبهم الخاصة فتاريخ الشعر العربي مثلاً عرف سلسلة من التأرجحات حول الأسلوب الأدبي تمحورت في اعتقادين اثنين :

ـــ الأول يعتقد بالطبيعة الخاصة للأداء الشعري (الفرزدق قديماً وبدوي الجبل حديثاً) .

---

(15) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع :

الوعر ، مازن (1988) **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ـــ مدخل** دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـــ سورية .

ــ الثاني يعتقد بأن معيار عظمة الشعر هو قربه من الكلام اليومي العادي (جرير قديماً ونزار قباني حديثاً) .

هذان الاتجاهان يتمثلان في الصراع القديم الذي دار حول الشعر عند جرير والفرزدق ، فقد كان جرير « يغرف من بحر » (لغة بسيطة ذات طبيعة شعبية) وكان الفرزدق « ينحت من صخر » (لغة معقدة ذات طبيعة خاصة)[16] .

هذا الصراع لم يقتصر على تاريخ الأدب العربي فقط ، فتاريخ الأدب الإنكليزي شهد الصراع نفسه ، فالشاعر سبنسر (Spenser) مال للأخذ بالطبيعة الخاصة للشعر لكن الشاعر دوني (Donne) كان يفضل اللغة العادية البسيطة اليومية ، إلّا أن أغلب الشعراء في القرن الثامن عشر كانوا يشاركون جري (Gray) في رأيه القائل : « أن لغة العصر ليست أبداً لغة الشعر » حتى جاء الشاعر ووردز وورث (Wordsworth) الذي كتب شعره بلغة بسيطة عادية كان الناس يستعملونها في حياتهم اليومية[17] .

إن المهمة الرئيسية « للأسلوبيات والنقد الأدبي الحديث » هي تحديد الكيفية التي من خلالها يمكن للغة الشاعر أن تبيّن صفات متميزة عن الصفات العادية للغة الاتصال ، وبالتالي تحديد المسافة التي تبتعد فيها هذه الصفات الأدبية المتميزة عن الصفات العادية للغة الاتصال .

أما المهمة الأخرى فهي تحديد كيفية استعمال الشاعر أو الكاتب لمميزات أدبية مقبولة لدى الجماهير ومؤثرة فيهم في الوقت نفسه ، وهذا يقودنا إلى مهمة ثالثة للأسلوبيات والنقد الأدبي الحديث وهي الالتفات إلى الشاعر أو الكاتب نفسه وذلك لأن الأسلوب الأدبي يُظهر اختلافاً كبيراً نتيجة لاختلاف الشعراء والكتّاب

---

(16) فيصل ، د . شكري (1975) « محاضرات في الأدب والنقد العربي القديم » .
ألقيت على طلبة الدراسات العليا ــ الدبلوم الأدبي ــ قسم اللغة العربية ــ جامعة دمشق .

(17) Bolton, W (1967) **Ashort History of Literary English** London. 2n edn.

واختلاف ميولهم ومعالجتهم للموضوع الأدبي. وهذا يختلف عن بقية الأساليب الأخرى التي لا تظهر العنصر الفردي كما تظهره الأساليب الأدبية.

ولكن على الرغم من أننا افترضنا أن الأسلوب الأدبي هو موازٍ (من حيث انحرافه عن لغة الاتصال) للأسلوب القانوني والأسلوب الطبي والأسلوب الديني إلا أن هذه الأساليب جميعها بعيدة في أهدافها عن الانسجام والتجانس، فمن حيث التطبيق فإن الدارس لشاعر أو كاتب معين أو حتى لمدرسة أو لاتجاه أدبي ما سيجد بأن الأهداف التي يسعى إليها الشعراء والكتّاب والمدارس الأدبية هي أهداف مختلفة تماماً من حيث تأثيرها على المتلقي، على أية حال إنه مهما قيل حول الأسلوب الأدبي فإنه مفيد جداً وذلك لأن هذه الأقوال ستسهم في تطوير «النظرية النقدية المعاصرة» من جهة وستسهم في فهم «حركية اللغة الأدبية وعملها» من جهة أخرى.

إن الأسلوب الأدبي ــ خلافاً لبقية الأساليب الأخرى ــ لا يستطيع أن يستبعد أي وجه من وجوه اللغة (La Langue) وهكذا فإن مفهوم «التعبير» (Register) مهم جداً للأسلوبيات. فالكاتب يستعمل المواد اللغوية التي يتصل بها أعضاء جماعته المتكلمة استعمالاً فردياً، أي أن للكاتب هذه العلاقة مع اللغة كوسيلة للاتصال مع الجماعات من جهة وكوسيلة للاتصال مع نفسه من جهة أخرى. أي أن العلاقة التي تربط الكاتب باللغة هي «علاقة مونولوجية» (Monologue). (أي تحدث الكاتب مع نفسه). أكثر من كونها «علاقة حوارية» (Dialogue) (أي تحدث الكاتب مع الآخرين وتحدثهم مع بعضهم بعضاً).

إن هذه الطبيعية المونولوجية والحوارية تسهم في فهم السلوك المتبادل بين الكاتب والقارئ من جهة وبين الشخصية الدرامية والجمهور من ناحية ثانية، وذلك لأن هذا السلوك هو جزء مهم جداً من سوسيولوجية الأدب التي تدخل في إطار «الأسلوبيات». فكل كاتب يختار تعابير معينة طبقاً لعوامل مختلفة وحالات سياقية

معينة وذلك للتأثير على الفرد من أجل أن يتبنى سلوكاً معيناً في المجتمع . وهذا يجعلنا نتحدث عن العلاقة الفاعلة والمنفعلة بين الأدب وبين المجتمع . فسواء أكان سلوك الكاتب نحو أسلوبه سلوك القبول أم سلوك الرفض فإنه لا يتقيد بنمطية تعبيرية واحدة في أعماله الأدبية . إن من مهمة الأسلوبيات والنقد الأدبي فحص هذه الأنماط التعبيرية المختلفة ورصدها في شعر الشعراء وقصص الروائيين ودراما المسرحيين .

إن الاختلاف في نمطية التعبير يمكن أن تكون ناتجة عن الاختلاف في النوع الأدبي كما يتجلى عند الشاعر والمسرحي ــ أحمد شوقي ــ وذلك عندما نقارن مسرحياته الغنائية بأشعاره الحماسية مثلاً ، كما يتجلى عند الشاعر والخطيب ــ دوني ــ (Donne) أيضاً وذلك عندما نقارن خطبه الأدبية ــ الدينية بأشعاره الغنائية التي لا تتوجه إلى الناس توجهاً إرشادياً . إن التغير في نمطية التعبير يمكن أن يلاحظ في القصة والرواية بشكل عام . فالعمل القصصي والروائي ــ الدرامي يستعمل عادة عدداً من الأنماط التعبيرية . إن رواية « همسات العكازة المسكينة »[18] للدكتور بديع حقي تمثل تمازجاً حياً لهذا التنويع في الأنماط التعبيرية (واقعية ــ فنية ــ موسيقية ــ مثالية ــ خيالية شعرية ــ رجعة إلى الواقع الذي يمثل عالم الإنسان العربي الجديد الذي يطمحُ إليه الكاتب) . فالجامد يصبح متحركاً هنا أي أن الأشياء تستطيع أن تنطق وتتكلم وذلك بوحي من الموسيقا الشعرية التي أضفاها الكاتب على الرواية من أجل تلوينها بألوان جديدة وهذا يعني أن الكاتب (حقي) يتجاوز الواقع إلى الفنية الموسيقية الشعرية ويتجاوز هذه الأخيرة إلى المثاليّة التي استطاع التوصل إليها من خلال عدسة الآلة الفوتوغرافية التي صورت عالماً يحلم به الإنسان العربي .

إن هذه الذكريات الواقعية للكاتب أصبحت تتلون بريشة معربدة استطاع أن يغمسها في ألوان موشاة من نبضات القلب وهمسات العكازة الحالمة . إن البعد الشعري والبعد الموسيقي والبعد المونولوجي والبعد الحواري والبعد اللا شعوري ... إلخ

(18) حقي ، د . بديع (1987) **همسات العكازة المسكينة ــ رواية** . منشورات اتحاد الكتاب العرب ــ دمشق .

هو الذي لوّن رواية « همسات العكازة المسكينة » بأنماط تعبيرية مختلفة جعل من هذه الرواية تخلق للقارئ عالماً لا مرئياً من عالم مرئي .

وكذلك الشأن في رواية « النهر »[19] للكاتب جان الكسان .

إن هذه الرواية تتلون في لغتها تلوناً يجعلها أشبه بالآلة الفوتوغرافية التي تصور عالماً واقعياً ترسم تناقضاته هرماً يمثل الإنسان العربي ، إنها رواية « تلتقي فيها الثوابت المعتادة في قصص الريف والفلاحة لتشكل هرم الإقطاع والدرك والمختار والفلاحين » . إن التلون اللغوي ــ التعبيري في هذه الرواية يتجلى من خلال تفجر روح التمرد في الفلاحين ضد قوى الإعاقة والإحباط والتصدي لنهر الفرات ، النهر الحرون ذي النزوات الجارفة .

أما المجموعة القصصية « الشرارة الأولى » لمراد السباعي فإنها تمثل نموذجاً آخر لهذا التنويع في الأنماط التعبيرية . فقصة « قبور تتزاوز » هي قصيدة وقصة في الوقت نفسه تخاطبان القارئ « خطاباً رومانسياً » ولكننا من جهة أخرى نرى أن قصة « القارب » تتميز بنمطين تعبيريين مختلفين يتجليان في شخصيتين متحاورتين هما شخصية الأب والابن . فهاتان الشخصيتان تحاوران القارئ « حواراً واقعياً بحتاً » . على أن قصة « سباق في مسبح الدم » تتميز بنمطية تعبيرية مختلفة ، إذ إن المحور الرئيسي لهذه القصة يدور حول حوار خيالي يتجسد في هذا « الكابوس السريالي » الذي يطبع القصة من أولها إلى آخرها . إنها « نمطية تعبيرية سريالية » تغوص في أعماق النفس الإنسانية لتكشف اللامرئي من خلال المرئي (طريقة الروائي الدكتور بديع حقي في روايته همسات العكازة المسكينة) . مجموعة « الشرارة الأولى » هي قصص تمثل تموجات النفس الإنسانية بكل أبعادها الاجتماعية (الواقعيّة) والنفسية (الرومانسية) والفكرية (السريالية) وذلك من خلال أنماط تعبيرية مختلفة .

هناك مثال جيد على مزج الأنماط التعبيرية المختلفة في نوع أدبي واحد هو

---

(19) الكسان ، جان (1979) **النهر ـــ رواية** . منشورات اتحاد الكتّاب العرب ـــ دمشق .

رواية « بلد واحد هو العالم »[20] للدكتـور هاني الـراهب وروايـة « يولـيسيس »[21] لجيمس جويس ، فهاتان الروايتان تحاولان رسم عالم مثالي خيالي للإنسان من خلال عرض التناقضات المكثفة لعالم الإنسان الواقعي ، إن التناقض في الواقع يتجسد في اختلاف الأنماط التعبيرية التي تظهرها شخصيـات متنـاقضة في الأصل ، هذا التناقض في الواقع والشخصية والتعبير ولّد مركباً متجانساً لعالم متجانس . إن رواية « بلد واحد هو العالم » مثلاً هي « رسالة غفران » أخرى تبحث عن حل للمشكلة الإنسانية برمتها متجاوزة العرق والجنس والمكان والتاريخ .

وهكذا فإن مهمة « الأسلوبيات والنقد الأدبي » دراسة هذا التنوع الكلامي التعبيري المتجسد في حوار الشخصيات ورصد سوسيولوجيته الاجتماعية ذلك لأن الناقد الأدبي لا يستطيع معرفة القدرة اللغوية للكاتب أو الشاعر إلا من خلاله استقرائه لأساليب مختلفة تنتمي إلى نماذج أدبية متنوعة .

3.1. اللغة والأدب والتطور التاريخي

يمكننا الرجوع بهذا الشأن إلى ماقاله فرديناند دي سوسور حول التطور والسكون اللغويين .

لقد ميّز فرديناند دي سوسور بين نوعين من الدراسة اللغوية :

ــ الأولى هي الدراسة الدياكرونية (Diachronic) أي الدراسة التي تُرجع تطور الظاهرة اللغوية إلى الماضي والتاريخ .

ــ الثانية هي الدراسة السنكرونية (Synchronic) أي الدراسة اللغوية التي تدرس الظاهرة اللغوية في زمن ومكان محددين دون الرجوع إلى ماضي هذه الظاهرة وتاريخها .

(20) الراهب ، د . هاني (1985) **بلد واحد هو العالم ــ رواية** . منشورات اتحاد الكتّاب العرب ــ سورية .

(21)Joyce, J (1961) **Ulysses**. Vintage Books, Newyork, U.S.A.

والواقع لقد رفض دي سوسور الدراسة الدياكرونية للغة كما رفضها الباحثون اللسانيون الآخرون. ولكن على الرغم من طغيان الاتجاه السنكروني على الاتجاه الدياكروني في الدراسات اللسانية إلّا أن الباحث اللساني لا يستطيع أن يُدير ظهره تماماً للتاريخ، ولا سيما إذا أراد للنقد الأدبي أن يكون له صلة باللسانيات ذلك لأن الأدب برمته يأتينا من الماضي، فليس من المعقول أن ندرس أدب عصرنا دون أن نعرف شيئاً عن آداب العصور التي سبقته. لا شك أن دراسة أسلوب أدبي دراسة سنكرونية ستكون بالتأكيد دراسة مهمة تكشف لنا بنية النص الأدبي وعلاقته ببنية المجتمع الحاضرة ولكنه في الوقت نفسه إذا أرادت الدراسات الأسلوبية والنقدية أن تكون ذات قيمة ثقافية عميقة كدراسات قائمة برأسها فيجب أن تُراعي الدراسة الدياكرونية لآداب المراحل والأزمنة التاريخية كلها ولا تقصر نفسها على فترة سنكرونية معينة.

الواقع إن الدراسة الأسلوبية لأدب كاتب أو مدرسة أدبية معينة طبقاً للمنهج السنكروني ستكون ناجعة وناجحة وذلك لاهتمامها بالأداء اللغوي (Performance) المنطوق أو المكتوب معتمدة على النظام المتعارف عليه بين الجماعات المتكلمة. ومن جهة أخرى إن الدراسة الأسلوبية لأدب كاتب أو مدرسة أدبية طبقاً للمنهج الدياكروني تكون أيضاً مهمة جداً وذلك لتركيزها على ما قبل الحاضر أي التاريخ.

إن الأسلوبيات والنقد الأدبي المعاصر هنا ينظران إلى الركام النقدي الذي كان عبارة عن ردود فعل مختلفة تجاه الأدب الذي أنتجته عصور مختلفة عبر التاريخ وهكذا فإن النظام اللغوي لهذا الأدب لن يكون هو نفسه النظام اللغوي الذي استخدمه الأدباء والكتّاب الذين أنتجوا هذا الأدب. فاللغة التي استخدمها عمرو بن كلثوم وحسان بن ثابت وجرير والمتنبي وأبو العلاء المعري والشاعر الظريف وشوقي والرصافي ونزار قباني إنما هي مختلفة في نظامها الأسلوبي وذلك لاختلاف التاريخ الذي عاش فيه هؤلاء الشعراء. وينطبق الأمر نفسه على اللغة التي استخدمها الشاعر تشوسر

(Shelly) وشللي (Dryden) ودرايـــــدن (Shakespeare) وشكسبير (Chaucer)
وت . س إليوت (Eliot) .

وهكذا فإن الخلاف بين الاتجاه الدياكروني والاتجاه السنكروني يمكن أن يُحلَّ وذلك لتداخل هذين الاتجاهين . والحقيقة إن دي سوسور نفسه كان قد أدرك هذا التداخل في كل حدث لساني ، لقد كان اهتمام دي سوسور عندما ناقش هذين المنهجين هو أن يتجنب الخلط بينهما ولم يكن اهتمامه أن يلغي المنهج الدياكروني لصالح المنهج السنكروني[22] .

والحقيقة عندما نمتحن نصاً أدبياً ما فإننا نقوم بعمليتين استنتاجيتين :

ــ الأولى : أننا ننطلق من محور التطور التاريخي للنص الأدبي .

ــ الثانية : أننا ننطلق من محور الأداء اللغوي الذي كان في زمن إنتاج هذا النص الأدبي .

إن وصف الأداء اللغوي للإنتاج الأدبي في الزمن الحاضر يتطلب معرفة النظام اللغوي الذي استخدم عبر التاريخ ، وهكذا فإن على الناقد الأسلوبي أن يفكر بوضوح حول هذا التداخل ، وأن يستخدم أدوات البحث اللساني الحديث ، ولكن دون الافتراض بأن هذه الأدوات كانت موجودة في ذهن الكاتب عندما أنتج النص الأدبي ، وهذا يقتضي من الناقد الأدبي أن يعرف « قيمة » الكلمات في زمن ما ويقارنها بما هي عليه في الزمن الحاضر وذلك لأن السؤال عن « كيف يمكن للكلمات أن تغيّر معناها » إنما هو سؤال يدخل في صميم « الأسلوبيات والنقد الأدبي » ذلك لأن التغيّر الدلالي يمكن أن يسبب سوء فهم لما كان يحاول الكاتب أن يقوله .

وهنا تدخل قضية لسانية دلالية مهمة جداً في حقل الأسلوبيات والنقد الأدبي وهي قضية « السياق » (Context) . فعندما تنعزل الكلمـات عن بعضهـا

(22)De Saussure, F (1959: p.101-137) **Course in General Linguistics.** Translated by Wade Baskin. Newyork.

بعضاً تضع الناقد في فخ خطير وتجعله في حيرة من أمره حول تحديد « قيمة » الكلمة ومعناها بشكل دقيق. وهذا ما ينص عليه حقل «الدلاليات» أو علم الدلالة (Semantics) الذي ما زال حقلاً صعباً يتطور تطوراً حذراً، هذا الحقل لا يجد كبير فائدة في دراسة الكلمات والمفردات المعجمية منعزلة عن بعضها بعضاً، كما سنرى ذلك في القسم الثاني من هذا الفصل. إن المنهج الدياكروني التطوري ليس وقفاً على التغيرات الدلالية للكلمات والمفردات بل إنه يهتم بالدلالات المعجميَّة للكلمات (Denotation)، وبالدلالات التضمنية (Connotation) ثم بالدلالات السياقية (Context)، ونعني بالدلالة أو المعنى المعجمي، المعنى الذي يأتي من علاقة الدالّ بالمدلول عندما وضع لأول مرة. ونعني بالمعنى التضميني، المعنى الذي يأتي من الجو الإيحائي لعلاقة الكلمات ببعضها بعضاً، ومن المنطق الذي تفرز هذه الكلمات والجمل، ومن ارتباط هذه الكلمات والجمل ببعضها بعضاً، ثم من العواطف التي تفرزها هذه الكلمات والجمل. ونعني بالمعنى السياقي، المعنى الذي تفرزه الكلمات والجمل من خلال المقام والموقف الذي قيلت فيه[23]. وهكذا فعلى الناقد أن يعرف كيف يكتشف المعنى الذي يريده الكاتب أو الشاعر (معنى معجمي، معنى تضميني، معنى سياقي، معنى ما فوق لغوي ... إلخ).

إن مفهوم «الانحراف» اللغوي هو مفهوم مهم في حقل الأسلوبيات والنقد الأدبي لأنه يظهر في شكلين مختلفين :

(1) انحراف تواتري : يود أن يجعل مثلاً عمل أبي العلاء المعري في لزومياته استعمالاً فرعياً في عربية القرن الرابع الهجري المعيارية. إن الانحراف اللغوي هنا سواء أكان معجمياً أم نحوياً أم صوتياً يمكن أن يقيّم على أنه انحراف غير متواتر في اللغة العربية (تواتر الكلمات والمفردات). إن على الدراسة الأسلوبية النقدية أن

(23)Lyons, John (1977: p.174-215 **Semantics** Cambridge University Press, Cambridge.

تبحث عن هذا الانحراف من أجل مراعاته والحكم على تأثيره ضمن « اللغة » ككل.

(2) انحراف تقني : يأتي من خلال اختراع مفردة لغوية معينة من أجل سياق معين. إن الكاتب أو الشاعر يستخدم في هذا المجال طرائق معجمية ونحوية وصرفية مسموحة في نظام اللغة ككل. لكنها لم تستعمل أو تُركَّب مع بعضها بعضاً من قبل. مثال ذلك المتنبي في الشعر العربي، وشكسبير في الشعر الإنكليزي.

يتبيّن لنا أن التحليل اللساني ينبغي ألا يُبعد النصوص الأدبية من مجال اهتماماته على الرغم من أن اللسانيين يودون أن يعتبروا « اللغة الأدبية » انحرافاً كبيراً عن اللغة، ولكن يمكن للساني في الوقت نفسه أن يصف الأسلوب الأدبي دون تقديم أي وجهة نظر حول جدارته كأسلوب مؤثر ومتأثر. إن عمله هنا ينبغي أن يكون كما كان الأمر عليه في الأسلوب القانوني الذي وصفه دون السؤال عن جدارته كأسلوب قانوني.

هناك قضية أخرى ينبغي مناقشتها ما دمنا نتحدث ضمن الاعتبارات التاريخية لدراسة النصوص الأدبية، هذه القضية متعلقة بقدم الدراسات اللغوية وحداثتها. إن الاهتمام بطبيعة اللغة وصوغ النظريات المختلفة حولها ليس شيئاً جديداً في القرن العشرين. فقد شهدت العصور القديمة اهتماماً كبيراً باللغات البشرية ونظرياتها كالإغريقية واللاتينية والسنسكريتية والعربية ... إلخ. فقد كان كل عصر من عصور التاريخ ينتج لنا وجهات نظر متعددة حول اللغة وكيفية عملها في المجتمع، ولكن السر في « اللسانيات » يكمن في حقيقة كونها « ثورة ». إن ثورة اللسانيات التي تمَّت في عصرنا هي مشابهة تماماً لثورة الفيزياء التي فجرّها أنشتاين في العصر الحديث. فقد كان للثورة اللسانية نتائج مشابهة تماماً للنتائج التي أتت بها ثورة الفيزياء.

هذا التشابه يكمن في أن الثورتين دحضتا بشكل لا يقبل الجدل الكثير من

المفاهيم التي اعتدنا الاعتقاد بها وأخذها دون مناقشة وتمحيص. ولكن على الرغم من «علميّة» النظريات اللسانية الحديثة ودقتها فإنه ينبغي على اللساني أن يلتفت إلى النظريات اللغوية القديمة ليعرف كيف فهمت اللغات البشرية وطبيعة عملها في المجتمع. وهذا نابع من تداخل اللسانيات بالدراسات الأدبية والنقدية ذلك لأن الأدب كان قد كتبه كتّاب ينظرون إلى اللغة بالمعيار نفسه الذي كان الناس العاديون ينظرون إليه في عصرهم.

وبكلمة دقيقة، إن الأدباء والكتّاب كانوا يكتبون بلغة عصرهم، صحيح أنهم استخدموا اللغة استخداماً جمالياً من أجل أن يكون الاتصال بينهم وبين مجتمعهم اتصالاً (فوق لغوي) (ماورائياً) إلا أنهم جميعاً كانوا على معرفة تامة بالأدوات والوسائل التي من خلالها يمكن للغتهم الأدبية أن تصل إلى عقول الناس وقلوبهم عبر لغة الاتصال.

4.1. الأنواع الأدبية في إطار اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة

ليس صحيحاً إذا قلنا إن معظم اللسانيين لا يلتفتون إلى اللغة المكتوبة ولا يعيرونها اهتماماتهم لأنها لغة «منحرفة جداً» ولكن الصحيح هو أن النظام التجريدي للغة والمسمّى «الكفاءة اللغوية» (Competence) لم يعد يعني اللغة المكتوبة فقط كما كان يعني لفقهاء اللغة القدماء، فلم تعد «الكتابة» قادرة على أن تكون في وضع تُحسد عليه كما كان الأمر في الماضي عندما كانت في زمن لم يكن فيه أية تسجيلات للاستعمال اللغوي المنطوق (الكلام). وهكذا فإن نقاد الأدب الذين ما زالوا يعتمدون على النصوص الأدبية المكتوبة يبدون وكأنهم في اتجاه معاكس لدارسي اللسانيات. والواقع هناك صيغة ما لإعادة الوفاق بين هذين الاتجاهين من أجل نتيجة نافعة لكلا الحقلين: اللسانيات والنقد الأدبي.

ليس من الحكمة أن نبالغ بالمسافة الموجودة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة

في مجتمع مثل المجتمع العربي حيث يستطيع كثير من الناس أن يتكيفوا مع اللغتين المنطوقة والمكتوبة .

إن هذا المزج بين المنطوق (العامي) والمكتوب (الفصيح) يحصل عادة بين الناس المثقفين في الوطن العربي، إذ إن هذه الشريحة الاجتماعية المثقفة تقدم لنا أمثلة من الاستعمالات اللغوية التي تقف على حدين متقاربين جداً، حدّ اللغة المنطوقة وحدّ اللغة المكتوبة مع تداخل صفات كل منها بالآخر .

والواقع إن وسيلتي الإذاعة والتلفاز أنتجتا لنا لغة جديدة كتبت من أجل أن تقرأ بصوت عالٍ (من الورقة أحياناً ومن الذهن المعد أحياناً أخرى) . أضف إلى ذلك أن فن الخطابة ولا سيما في الرسائل المألوفة يدمج أيضاً الصفات والاستراتيجيات المتعلقة باللغة المنطوقة بتلك الموجودة باللغة المكتوبة . فعندما نتكلم أو نكتب فإننا نتذكر رأساً ما يرافق العمليتين من فروق . فاللغة المنطوقة تتألف من جهاز فيزيولوجي من أجل الإرسال والاستقبال اللذين تجري عملياتهما عبر موجات صوتية هوائية . أما اللغة المكتوبة فإنها تتألف من علامات مرئية مصوغة من أنماط ظاهرة ومختلفة ومنقولة عن طريق الموجات الضوئية ومستقبلة عن طريق العين . والحقيقة أن الاختلاف بين الجهاز المنطوق والجهاز المكتوب هو اختلاف بين العلميْن اللذين يبحثان في هذين الجهازين وهما علم الصوتيات وعلم البصريات والطباعة .

إن ما نحن أمامه هما طريقتان اثنتان لإدراك المعرفة اللغوية :
الأولى معرفة تأتي عن طريق الأصوات المنطوقة . الثانية معرفة تأتي عن طريق الرموز الكتابية . والطريقتان تنهلان من القواعد والكلمات المعجمية المتوفرة في اللغة نفسها . ولكن اختيار إحدى الطريقتين يأتي من التأثر بنوع من الإدراك اللغوي المرسل .

إنه من الضروري ـــ ونحن نبحث في الأسلوبيات والنقد ـــ أن يكون عندنا حساسية مرهفَة تجاه تأثير الإدراك اللغوي الآتي من الأسلوب الأدبي ، ذلك لأن اللغة

الأدبية (التي أغلبها مكتوب) لن تُقدَّر وتُقيّم بعمق إذا حصرنا اهتماماتنا باللغة المكتوبة فقط. إن اللغة الأدبية تحتاج إلى مهارة متخصصة لترى الاختلافات الظاهرة بين الإدراكين اللغويين المنطوق والمكتوب.

والواقع تتصف اللغة المكتوبة بأنها أكثر «حذراً وقصدية» من اللغة المنطوقة. إنها لغة «جدية» حول «ما» يقوله الكاتب وحول «كيفية» ما يقوله الكاتب. ذلك لأن إدراك القواعد اللغوية ووعيها يصبح أكثر ظهوراً هنا كإشارات وعلامات متميزة. وهذا يختلف عن اللغة المنطوقة التي تتصف بـ«العفوية والتفكيك والتناثر الكلامي المشظّى الذي هو على رأس لسان المتكلم يأتي حسب السياق المتولد من العلاقة الساخنة بين المتكلم وبين المستمع (المشارك)». وحتى لو هيأنا أجواء أكثر قصدية وحذراً للغة المنطوقة فإنها ستبقى كذلك، فلوجئنا بـ«آلة تسجيل» لتسجل الكلام (المحادثة) الأكثر حذراً وقصدية وتخطيطاً من اللغة المكتوبة فإن هذا الكلام المنطوق سيكون مليئاً بالعبارات القصيرة المتفككة والمتناثرة والتي هي نتيجة للعلاقة المتولدة بين المرسل والمرسل إليه. وهذا نابع من حقيقة مؤداها أن أي مستعمل للغة سيغيّر الأداء اللغوي تجاه المستمع عندما تتغير المناسبة، ويتغيّر السياق أو «المقام» على حد تعبير البلاغيين العرب. إن اللغة المكتوبة تحتاج بالفعل إلى تنظيم أحسن من التنظيم الذي تحتاج إليه اللغة المنطوقة. وهذا يعود كما قلنا إلى طبيعة السياق الذي من خلاله تتم عملية الإرسال والاستقبال اللغويين. فالنصوص المكتوبة يقرؤها عادة شخص واحد قراءة صامتة. أما الكلام المنطوق فيتطلب وجود شخص آخر أو أشخاص عدة يشاركون الحديث نفسه. والكلام المنطوق لا يحتاج إلى خطة معدة ومحضرة ذهنياً كما هي الحال في النصوص المكتوبة.

ولكن هذه الفروق بين الخطابين المنطوق والمكتوب ليست فروقاً صارمة لأنها يمكن أن تتداخل مع بعضها بعضاً. فالنص المكتوب يمكن أن يُقرأ بصوت عالٍ ومجهور ويمكن في الوقت نفسه أن يُعلق عليه المستمعون الحاضرون. أضف إلى ذلك

أنه يمكن لكثير من الناس أن يسمعوا المحاضرة، ولكن هذه المحاضرة لا تحتاج إلى أجوبة منطوقة ومباشرة. وبشكل عام، إن النص المكتوب يحتاج إلى إعداد وتخطيط زائدين. فإذا أراد أي نص مكتوب أن يحقق هدفه فينبغي أن يُخطط له ذهنياً قبل نقله وإرساله. وهذا يختلف عن النص المنطوق الذي هو ابن ساعته ووقته، أي إنه كلام متطور حسب السياق. أما النص المكتوب فهو موضوع في صيغة لا يمكن أن تعاد وتصحح ولا يمكن أن تُراعي ضجر القارئ أو ضعف ملاحقته لما هو مكتوب. وبعبارة دقيقة إن المنطوق حاضر سنكروني آني منظور وإن المكتوب ماضٍ دياكروني يدخل محراب التاريخ.

إن من بين الأنواع الأدبية التي لها علاقة مباشرة بالإدراكين اللغويين المنطوق والمكتوب هي «الدراما» (Drama). فالأدب الدرامي هو نص مكتوب ومعدّ من أجل أن يتكلمه شخص ما وينطقه بصوت عالٍ ومجهور. والأدب الدرامي — بالإضافة إلى كونه نصاً مكتوباً — فإنه يستعمل وسائل مرئية ومنطوقة في الوقت نفسه وذلك من أجل أن يخلق تأثيراً فعالاً عند المشاهد المستمع.

هذه الحقيقة تجعلنا نتذكر بأن الكلام المنطوق ليس مؤلفاً من الأصوات وحدها، وأن النص المكتوب ليس مؤلفاً من الحروف وحدها أيضاً.

هناك ما يسمى باللسانيات «المميزات الفوق صوتية» (Suprasegmental). المرافقة للكلام المنطوق لتسهم في نقل المعنى المراد تبليغه مثل «النبر» (Stress). و «النغمة» (Intonation) و «الوقف» (Pause) ... إلخ.

وهناك ما يسمى باللسانيات أيضاً «المميزات الفوق لغوية» (Paralinguistic) المرافقة للكلام المنطوق أيضاً مثل «الإشارة» و «الإيماءة» و «تعبير الوجه» وكل ما يدخل في إطار «لغة الأجسام» (Body Language) و «لغة الإشارة» أو لغة السيميائيات (Semiotics).

إن مثل هذه المميزات الفوق صوتية والفوق لغوية لها قيمة إتصالية معينة ينبغي مراعاتها في عملية الاتصال الدرامي. هذا بالنسبة للغة الدراما المنطوقة، أما بالنسبة للغة الدراما المكتوبة فإنها لغة تشبه اللغات المكتوبة الأخرى التي تتميز بـ« نظام الترقيم » (Punctuation)، كالنقطة والنقطتين والفاصلة، والفاصلة المنقوطة والوصلة أو الشرطة وعلامة الحذف والقوسين والمقطع والفراغ. وتتميز أيضاً بـ« نظام المطبعة » (Typographic) مثل تكبير الحروف وتصغيرها وميلانها وأشكال طباعتها المختلفة. وإذا كان الأدب الدرامي يتضمن شعراً غنائياً فإن الخلق الأدبي هنا لا بد أن يستعمل تقنيات معينة كالأوزان والأبحر العروضية والتقسيم الموسيقي... إلخ.

لقد اعتبر النص الأدبي في فترة من فترات التاريخ شكلاً عالياً من أشكال اللغة، بل لقد أصبح مصدراً رئيسياً من مصادر القواعد اللغوية بالنسبة لمستعملي اللغة، وذلك لأن النصوص الأدبية عموماً هي نصوص ثابتة عبر الزمان.

إن أي ناقد أدبي يريد أن يتناول أسلوب أحد الكتّاب أو الشعراء لا بد له من معرفة المميزات التي تسم الخطاب المنطوق، تلك المميزات التي تكوِّن النصوص الأدبية. إن ناقد الأدب سيفقد الكثير إذا كان جاهلاً بما تخبرنا عنه اللسانيات الحديثة حول الصوتيات سواء أكانت وظيفية أم غير وظيفية. ومن جهة أخرى فإن دارس اللسانيات ينبغي ألا يفترض بأن الأدب لا يدخل مجال اهتماماته وبحثه. إن الأسباب التي تدعونا إلى هذا الافتراض حول تداخل اللسانيات بالأدب وحاجة كل منهما إلى الآخر هي التالية:

(1) السبب الأول: هو سبب بسيط جداً وقد تجاهله الدارسون لبساطته وهو أن كل كاتب أو أديب هو عضو من أعضاء الجماعة المتكلمة الناطقة بلغتها والتي يكتب الكاتب والأديب من خلالها. أي إن اللغة التي يستعملها الكاتب والأديب هي لغة اكتسبها ونشأ عليها في مرحلة الطفولة.

هذه اللغة أو اللهجة يمكن أن تكون في صراع مع لهجات أخرى مختلفة

بسبب عامل الاحترام والتقدير (لهجة أو لغة قريش وصراعها مع اللهجات الأخرى مثال جيد على ما نقول). وقد رأينا من قبل كيف يمكن للهجة معينة أن تكتسب عامل الاحترام والتقدير حتى تصبح لغة وطنية يكتب الأدب بها (من هذه العوامل: العامل الديني ــ السياسي ــ الاقتصادي ــ الاجتماعي ــ الفكري ــ الجغرافي ــ العسكري... إلخ).

وهكذا ينبغي أن نتذكر بأن تلك «اللهجة» إنما جاءت «منطوقة» أولاً قبل أن تأتي «مكتوبة» وقد استمر الناس في استعمالها منطوقة حتى في حال كونها لغة وطنية.

إن الكاتب أو الشاعر على الرغم من عِظم ما حققه وما يريد تحقيقه يبقى إنساناً ينبغي عليه أن يفهم كلام الآخرين المنطوق ويتصل به من أجل تحقيق حاجياته الخاصة سواء عليه أتكلم أم كتب. إنه لا بد أن يتأثر بمتطلبات الكلام المنطوق ومتطلبات النص المكتوب، فهو يختار القواعد والمفردات والكلمات المتوفرة في «لغة» المجموعة المتكلمة الناطقة التي ينتمي إليها؛ ذلك لأن المحور اللغوي الشائع والعام للمجموعة الناطقة يجب أن يوجّه اختياره للخط اللغوي الأدبي الذي اصطلحنا عليه بأنه «منحرف» والذي يستطيع الناقد واللساني اكتشاف بنيته.

(2) السبب الثاني: هو أن الكثير من هذه المميزات والصفات التي عُـدَّت «أدبية» إنما هي صفات ومميزات «صوتية» ذات وظائف تأثيرية. فهي ليست صفات كتابية مطبعية كما اعتدنا عليها. صحيح أن الأشكال الكتابية ــ المطبعية تنقل هذه الصفات إلى عيوننا إلا أن هذه الصفات تعمل فقط على أنها بديل عن التأثير السمعي الذي يطرق آذاننا. فالنبر هو وظيفة صوتية من وظائف الكلام ينبغي علينا أن نعرف كيفية حدوثه في لغة الاتصال اليومي.

إن الانحراف والشذوذ عن الأوزان العربية الشعرية مثلاً يجعل الأذن العربية لا تعير اهتمامها للشعر وذلك لأنها اعتادت على سماع نبر شعري معين ذي وزن

عروضي معروف. صحيح أن الأدوات اللغوية المرئية (كتابية ــ مطبعية) يمكن أن تكون مؤثرة، ولكن تأثيرها سيكون بشكل أساسي وسيلة من أجل توصيل الصوت إلى أسماعنا. إن مميزات الكلام المنطوق تظهر أكثر ما تظهر في القافية الشعرية التي هي وسيلة صوتية للتأثير في مشاعر الناس وأحاسيسهم. ولكن تواتر القافية يتراوح بين الاستعمال اليومي لها كما يحدث في اللغة اليابانية التي يستحيل أن نعتبر فيها القافية وسيلة أدبية وبين الاستعمال الأدبي لها، كما يحدث في اللغة العربية التي تربط القافية بالشعر ربطاً قوياً.

إن الفكرة الأساسية والمهمة هنا هي أن الصيغ الصوتية والتركيبية المستعملة في أنواع أدبية عديدة تدين في تأثيرها لمعرفتنا ببنية النص المنطوق.

(3) السبب الثالث: يكمن في التأثير الذي تفرزه بعض الكلمات التي يشبه لفظها معناها (كالخرير والحثيث والقعقعة). إن تقليد الأصوات الطبيعية بشكل واعٍ ومقصود شيءٌ معروف في حياتنا وخاصة الأصوات التي يأتي بها الأطفال والتي تقلد أصوات بعض الحيوانات كالديوك التي يشبه صوتها معناها على الرغم من الاختلاف الضئيل بين أصوات هذه الحيوانات. فالديك الفرنسي مثلاً يصيح (كوْكوْ ريكو) والديك الألماني يصيح (كي كي ريكي) والديك السويدي يصيح (كوُكوُ ليكو) والديك العربي يصيح (كي كي كي كي).

والواقع ينبغي أن تكون هناك دراسات كثيرة حول تأثير الأصوات عندما ترتبط ببعضها بعضاً (انسجامها ــ تواترها ــ تنافرها ــ تغيرها)، وهكذا فإن قارئ الأدب سيقدّر هذه التأثيرات الصوتية وبالتالي فإن ناقد الأدب لا يستطيع معرفة طبيعة هذه التأثيرات الصوتية إلا إذا كان ملماً ببعض المبادئ اللسانية الأساسية.

(4) السبب الرابع: هو حاجة بعض الأنواع الأدبية إلى أن تعبّر عن الكلام المنطوق بوساطة شخصية أدبية ما كما هو الحال في الأدب الدرامي والمسرحي. إن اللساني يود أن تحقق هذه الشخصية الأدبية كل ما تستطيع من أجل أن يكون

حوارها تاماً وكاملاً من الناحية الصوتية، ذلك لأن النظام الألفبائي نظام غير كاف وشاف لتمثيل كل ما يقال «كتابةً». من هنا فإن الكاتب المسرحي والدرامي يلجأ إلى كفاءة الشخصية ومهارتها التي تؤدي هذا المكتوب أداءً خلاقاً مع نبر صحيح وإشارة سيميائية معبرة ونغمة صوتية مؤثرة. ويمكن للكاتب في الوقت نفسه أن يستعمل أدوات طباعية معينة يضيفها إلى الورقة ليبيّن للشخصية التي تقرأ دورها وتحفظه من الورقة مواضع خاصة وهامة ينبغي الاهتمام بها. ولكن هناك استراتيجيات تتعلق بالكلام المنطوق لا يمكن بشكل من الأشكال تمثيلها كتابةً كالنطق المتقطع والوقفات الكلامية والإعادة والتكرار ثم ربط الكلمة بالحركة الجسمية والإشارة السيميولوجية للشخصية.

فليس هناك طريقة عالمية لتمثيل الكلام المنطوق في الأنواع الأدبية ولكنه في الوقت نفسه يمكننا أن نقلص المسافة في الانتقال من الكلام المنطوق إلى النص الأدبي المكتوب وذلك بالاستعانة بوسائل تعبيرية أخرى.

وبكلمة دقيقة: إن اللغة المكتوبة هي وسيلة نقل للتأثير وإن اللغة المنطوقة هي هدف هذا التأثير. إن اللغة المنطوقة هي نقل الفكر الحي المتألق من ذهن الكاتب إلى النص الأدبي المكتوب المؤطر في زمن ومكان معينين.

إن دور الأدب الدرامي والمسرحي هو إعادة الحياة المتألقة لذلك النص الأدبي المكتوب وذلك من خلال الحوارات والشخصيات الناطقة التي لا تعيد للنص الأدبي المكتوب الحياة فحسب بل تستطيع أن تلوّنه تلويناً خاصاً نابعاً من اختلاف الإنسان عن الإنسان في إطار الواقع وإطار التاريخ.

5.1 نتائج وإرهاصات مستقبلية

إن هذا البحث يطرح النتائج والإرهاصات التالية:

(1) موضوع اللسانيات هو اللغة الخارجة عن نطاق العرق والجنس والتاريخ يدرسها بذاتها ولذاتها ولذات غيرها.

موضوع النقد الأدبي هو الأدب الذي يصور الحياة على شاشة اللغة فلا حياة للأدب دون اللغة.

اللغة إذاً هدف اللسانيات ولكنها وسيلة اتصالية جمالية للأدب ليعبر عن الحياة. وفي الوقت نفسه لا بد للسانيات من وسيلة لتصل إلى اللغة. إن وسيلة اللسانيات للوصول إلى بنية اللغة هي اللغة ذاتها. كما أن وسيلة النقد الأدبي للوصول إلى بنية الأدب هي اللغة وهكذا فإن اللغة في هذا الإطار هي وسيلة وهدف في الوقت نفسه.

(2) اللسانيات والأدب يلتقيان من حيث إن «اللغة» وسيلتهما وهدفهما أي إن الأداة واحدة، أداة «لسانية» تعبر عن كينونتها وبنيتها ونظاميتها، وأداة (نقدية ــ أدبية) تعبر عن الحياة في إطار الأدب.

اللسانيات والنقد الأدبي لا يلتقيان من حيث كون الوسيلة والهدف واحدة فحسب ولكن من حيث إن اللسانيات تكشف للنقد الأدبي عن بنية الأداة التي يستخدمها الأدب عموماً وتكشف له بالتالي حركية عملها وكيفية هذا العمل، وذلك من أجل أن يكون هذا الكشف نوراً يستضيءُ به الأدباء والكتاب والشعراء عندما «ينحرفون» عن درب اللغة الاتصالي إلى درب اللغة الجمالي.

(3) إذا أرادت اللسانيات أن توسع آفاق نظرياتها ومناهجها وتجعلها أكثر تطوراً وانفتاحاً ودقة وموضوعية فلا بد أن تقترب من النقد الأدبي الذي يقدم لها الأدب كظاهرة توصيلية جمالية، وإذا أراد النقد الأدبي أن يعرف بعمق كيف يستخدم الأدب أداته اللغوية لكي يعبر عن الحياة تعبيراً مؤثراً ومتأثراً فإنه لا بد أن يستفيد من دراسة اللسانيات لهذه الأداة اللغوية ويستفيد بالتالي من النتائج التي توصلت إليها اللسانيات في مختلف بقاع العالم.

(4) إذا أراد النقد الأدبي أن يكشف عن النظام الداخلي للنص الأدبي وعلاقته

بالنظام الخارجي للإنسان فلا بد أن يستفيد من النتائج العلمية الدقيقة والموضوعية التي توصلت إليها اللسانيات الحديثة من خلال تطويرها لنظريات دلالية مختلفة أدت بدورها إلى نشوء علم قائم برأسه اسمه « الدلاليات » أو علم الدلالة (Semantics) . إن معرفة « ما في قلب الشاعر » تتطلب فعلاً معرفة البنية الدلالية للعالم الفيزيائي الذي يحيط بالإنسان ثم معرفة كيفية تمثيل هذه البنية الدلالية في إطار اللغات البشرية .

(5) علاقة اللسانيات بالأدب ينبغي ألا تكون علاقة سنكرونية آنية حاضرة فحسب بل ينبغي أن تكون علاقة ذات طبيعة دياكرونية تطورية تاريخية أيضاً . أيّ إن الاستفادة المتبادلة بين اللسانيات والنقد الأدبي ينبغي ألا تكون من النتائج التي توصلت إليها اللسانيات والنقد في الوقت الحاضر (السنكروني) بل ينبغي أن تكون من النتائج التي كانت قد توصلت إليها الدراسات اللغوية والنقدية في الماضي (الدياكروني) أيضاً . هذه المسألة تنبع من حقيقة أن الأدب ليس وليد الحاضر وإنما هو امتداد تاريخي مستمر لمجتمعات زالت ولمجتمعات قائمة ولمجتمعات يمكن أن تقوم وأن اللغة بالتالي ليست اختراعاً تقنياً خارجاً عن الإنسان وإنما هي عضو بيولوجي لا يمكن فصله عن الإنسان . إن امتدادها عبر مسافات الزمن إنما هو امتداد للإنسان نفسه فأدب الإنسان هو لغته ولغة الإنسان هي أدبه والعلاقة بينهما علاقة فاعلة ومنفعلة . إنها علاقة تكامل وليست علاقة تنافس .

2. الدلاليّات والسّيميائيات

0.2. تمهيد

سأشرح في هذا القسم مفهوم عِلْمَين حديثين جداً ، الأول هو علم الدلالة أو الدلاليات التي تبحث في المعاني التي تفرزها اللغات الطبيعية (كالعربية ، والإنكليزية ، والفرنسية والألمانية ... إلخ) . والثاني هو علم السيميولوجيا أو

السيميائيات التي تبحث في المعاني التي تفرزها اللغات غير الطبيعية (كنظام المرور، نظام الدعايات، نظام الرتب العسكرية... إلخ). وسوف نرى أن الأدب والنقد يمكن أن يستفيدا كثيراً من هذين العِلْمَين، وذلك لتداخل أفكارهما في العملية الأدبية بشكل عام، ثم لوجود تقنيات دلالية وسيميولوجية يمكن أن يستفيد منها الكاتب والأديب أثناء صياغته للعمل الأدبي من أجل أن يكون أكثر تألقاً وجمالاً وتأثيراً.

1.2. الدلاليّات

يسائل المرء نفسه أحياناً عن ماهية الدلاليات أو علم الدلالة (Semantics) وطبيعتها كعلم قائم برأسه. لماذا ندرس الدلاليات؟ ثم لماذا نترجمها إلى لغتنا العربية؟ الدلاليات هي علم يدرس بنية المعنى اللغوي في الدماغ البشري؛ ذلك لأن المعنى هو مركز العملية الإيصالية في المجتمعات الإنسانية. وبما أن العملية الايصالية أصبحت عاملاً مهماً وحاسماً في التنظيمات الاجتماعية، فإن الحاجة لفهمها تصبح أكثر إلحاحاً. ثم إن الدلاليات هي مركز دراسة العقل الإنساني بكل وجوهه (الفكرية والإدراكية والمفهومية والصورية... إلخ) إن كل هذه الوجوه العقلية مرتبطة على نحو منتظم ومعقد بالطريقة التي من خلالها نصنف ونضمن في الوقت نفسه تجربتنا للعالم في اللغة التي نستخدمها. فإذا كان ذلك كذلك فإن الدلاليات أصبحت ملتقى لكل تفكير، بل ملتقى لحقول دراسية عديدة. فالأدب والنقد والفلسفة وعلم النفس وغيرها من العلوم لها علاقة مهمة وعميقة بالدلاليات. ولكن اهتمامات هذه العلوم بالدلاليات تبقى متشعبة ومختلفة؛ وذلك لاختلاف المنطلقات النظرية. فالأدب والنقد يهدفان إلى كشف المعنى المخبأ الذي هو أصلاً «في قلب الشاعر» كما يقال ثم يهدفان إلى استعمال الصيغ الدلالية الأكثر تأثيراً على القارئ. والفلسفة تهدف إلى فهم كيفية معرفتنا لما نعرف وتهدف بالتالي إلى فهم قواعد التفكير الصحيح وتقويم

الحقيقة والكذب من خلالهما. وعلم النفس يهدف إلى فهم العقل وفهم وظائفه المتنوعة.

والواقع تبدو دراسة المعنى اللغوي محيرة حقاً؛ ذلك لأن هناك العديد من المناهج لدراسته والوصول إليه. ويزيد الأمر حيرة أن الطرق التي من خلالها تكون هذه المناهج مرتبطة ببعضها بعضاً إنما هي غير واضحة حتى للكتاب الذين لم يكتبوا في هذا الموضوع إلا نادراً، ولكن المشكلة الدلالية الأساسية تأتي من حقيقة أن الدلاليات هي إدراك «يدور حول نفسه».

إن هذه الأسباب وغيرها جعلت الدلاليات حقلاً مهماً ساهم الكثير من الكتّاب في البحث فيه وتقديم الكثير من الكتب التي تدور حوله. وبالرغم من أن هناك عدداً من الكتب التي تحمل عناوين موحدة حول «علم الدلالة» ولكن هذا لا يعني أن كل كتاب جديد يبحث في هذا الموضوع ويجازف فيه هو تضييع للوقت، أو نسخة مماثلة للجهود المتقدمة.

إن كل كتاب جديد يتناول علم الدلالة ــ هو محاولة جديدة وفريدة للكاتب من أجل أن يسلط ضوءاً جديداً على الموضوع الدلالي الذي هو كشف دائب في ظلام مستمر. إن كثرة البحوث الدلالية هذه تسبَّبت في اختلاف المناهج وتشعبها بحيث يمكن للمرء أن يقرأ كتابين حول علم الدلالة ولكنه نادراً ما يرى شيئاً مشتركاً بينهما، فليس هناك باحث يستطيع أن يلم بكل شيء يتعلق بحقل المعنى، وإذا فعل ذلك فإنه على الأقل لن يأتي إلا بخلاصة سطحية حول ما توصل إليه الآخرون حول المعنى. وانطلاقاً من هذه الروح العلمية ينبغي علينا أن ندرس المعنى اللغوي، ونتطلع إليه في حقول الأدب والنقد والفلسفة ... إلخ.

تُعدّ الدلاليات فرعاً من علم اللسانيات الذي هو الدراسة العلمية للغات البشرية كافة، وهكذا فإن الدلاليات ستكون في النسق التحليلي نفسه لفروع لسانية أخرى كالنحويات أو علم التركيب (Syntax) والصوتيات، أو علم الأصوات

(Phonetics) ، فإذا كانت الصوتيات والنحويات تدرسان البنى الصوتية والتركيبية وكيفية حدوثها في اللغة فإن الدلاليات تدرس البنى الدلالية التي تفرزها هذه الأصوات وهذه التراكيب .

إن النظر في الدلاليات على أنها فرع من اللسانيات إنما هو نقطة تحول مثيرة ومثمرة في تاريخ البحث الدلالي ، فمنذ ثلاثين سنة خلت وعلى الرغم من أن اللسانيات قد تطورت في اتجاهات مختلفة وحصلت على ما تريد ــ إلا أنها ربطت الدلاليات بالفلاسفة ، والانثروبولوجيين (علماء الأجناس) وعلماء النفس ... إلخ . ولكن على أية حال فإن النظرة في العشرين سنة الفائتة تحوّلت من اعتبار الدلاليات حقلاً محيّراً وكبيراً وغير مبني على مبادئ واضحة وسليمة إلى اعتبارها جوهر البحث اللساني وأساسه .

إن تركيز البحث الفكري في الدلاليات قد وصل إلى ذروته ، وقد قاد هذا التركيز والتكثيف إلى إضاءات واكتشافات جديدة تقارب ــ إن لم تكن أعظم ــ تلك الإضاءات والاكتشافات التي أتى بها الفلاسفة اللغويون أمثال ــ فيتجنستاين ــ (Wittgenstine) وكارنب (Carnap) في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن .

إن اللسانيات ــ كدراسة علمية دقيقة للغات البشرية ــ جلبت لموضوع الدلاليات درجة معينة من المنهجية التحليلية العلمية ، تنظر إلى دراسة المعنى على أنه مكون من مكونات النظرية اللسانية العامة حول كيفية عمل اللغة ووظيفتها ، فإذا أردنا دراسة « مضمون » اللغة دون الرجوع إلى « شكلها » فإن هذا لن يكون أكثر من دراستنا لـ « شكل» اللغة دون الرجوع إلى « مضمونها » . وقد حاول بعض اللسانيين تطبيق معيار درسي واحد في بعض الأحايين إلا أنهم لم يقدموا نتائج مثمرة ذلك لأنه ليس هناك بنية نحوية دون وجود بنية دلالية .

نستنتج من ذلك أن استخدام معياري البنية النحوية والبنية الدلالية سيعمق

معرفتنا بالبنية الدلالية للدماغ البشري ولا سيما إذا استخدمنا التقنيات التحليلية لعلم اللسانيات في البحث الدلالي. أضف إلى ذلك أنه سيكشف لنا التوزيعات اللغوية المختلفة، والوظائف الدلالية التي تفرزها هذه التوزيعات في الأنواع الأدبية كالشعر والقصة والرواية والمسرحية. إن اكتشاف البنية الدلالية التي يريد الأديب أو الكاتب تحويلها إلى المجتمع لا يمكن أن تتم إلا من خلال العلاقات القائمة بين الأدب من جهة وبين التقنيات التي تستخدمها الدلاليات في دراستها للمعنى اللغوي من جهة أخرى.

إن النتائج المفيدة التي تمت من خلال هذه العلاقة بين الأدب والدلاليات إنما أفرزت لنا حقلاً جديداً يعد اليوم من أدق العلوم الإنسانية مادة ومنهجاً ألا وهو حقل «الأسلوبيات» (Stylistics)، الذي يبحث في مختلف الأنواع التعبيرية سواء أكانت لغوية أم سيميولوجية.

2.2. السيميائيات

السيميائيات أو السيميولوجيا ــ اصطلاحاً ــ كلمة منقولة عن الإنكليزية يعبّر عنها بمصطلحين اثنين هما: (Semiology) و (Semiotics). وهذان المصطلحان منقولان عن الأصل اليوناني (Sémeîon) أي الإشارة. والسيميولوجيا ــ تعريفاً ــ هي علم الإشارة الدالة مهما كان نوعها وأصلها. وهذا يعني أن النظام الكوني بكل ما فيه من إشارات ورموز هو نظام ذو دلالة. وهكذا فإن السيميولوجيا هي العلم الذي يدرس بنية الإشارات وعلائقها في هذا الكون ويدرس بالتالي توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية.

إن دراسة النظام الإشاري هي دراسة قديمة قدم الكون نفسه، ولكن المنطلقات النظرية لهذه الدراسات اختلفت من زمن إلى زمن آخر، ومن أمة إلى أمة أخرى، وذلك لاختلاف الثقافات الإثنية واختلاف المراحل التاريخية، وقد وصل إلينا بعض التأملات والأفكار السيميولوجية من حضارات قديمة جداً، كالحضارة الصينية

والهندية واليونانية والرومانية والعربية، إلّا أن هذه الأفكار والتأملات السيميولوجية بقيت في إطار التجربة الذاتية، ولم تدخل إطار التجربة العلمية الموضوعية.

إنّ أول باحث قدّم المصطلح «سيميولوجيا» أو «سيميائيات» هو الفيلسوف ج. لوك (J. Locke) (1632-1704) ولكن الدراسة السيميولوجية في عصره لم تخرج عن إطار النظرية العامة للغة وفلسفتها النظرية، ولم تصبح السيميولوجيا علماً قائماً برأسه إلا بالعمل الذي قام به الفيلسوف الأمريكي ت. بيرس (C. Peirce) (1839-1914). فالسيميولوجيا طبقاً لاعتقاده ـــ هي علم الإشارة الذي يشمل جميع العلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى. يقول الرجل:

«ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في هذا الكون ـــ كالرياضيات والأخلاق والميتافيزياء والجاذبية الأرضية والديناميكية الحرارية والبصريات والكيمياء وعلم التشريح المقارن وعلم الفلك وعلم النفس وعلم الصوتيات وعلم الاقتصاد وتاريخ العلم والكلام والسكوت والرجال والنساء والنبيذ وعلم القياس وعلم الموازين إلا على أنه نظام سيميولوجي»[24].

وقد تبع هذا أن كل الكتابات التي تناولها بيرس قد تنوعت تنوع الموضوعات التي ذكرها آنفاً ونتيجة لهذا التنوع فإنه فشل في صياغة عمل منفرد، متماسك ومنسجم في الوقت نفسه يمكنه أن يلخص المبادئ الأساسية لعلم السيميولوجيا. إن نظام بيرس السيميولوجي عبارة عن مثلث «تشكل **الإشارة** فيه الضلع الأول الذي له علاقة حقيقية **بالموضوع** الذي يشكل الضلع الثاني والذي بدوره يستطيع أن يحدد **المعنى** وهو الضلع الثالث من المثلث، وهذا الضلع ـــ أي المعنى ـــ هو بحد ذاته إشارة تعود على موضوعها الذي أفرزه المعنى»[25].

وطبقاً لاعتقاد بيرس فإن كل التجارب الإنسانية تدرك من خلال هذه

---

(24)C. Peirce (1953: p.32) **Letters to Lady Welby**. ed. I.C Lieb New Haven.

(25)C. Peirce (1960: p.156) **Collected Papers**. Vol 22 Cambridge, Mass.

المستويات الثلاثة (الإشارة ← الموضوع ← المعنى). وهكذا فإن المدلول هو معنى الإشارة وبالتحديد إنه يمثل العلاقة الأفقية بين إشارة وأخرى. وهذا هو الذي يجعل من المدلول إشارة تحتاج بنفسها إلى مدلول آخر.

إن هذه العملية التحولية بين الإشارة ومدلولها تتجلى بالعلاقات القائمة بين الكلمة المعجمية ومترادفاتها (Synonyms). ذلك أن أية إشارة يمكن ترجمتها إلى إشارة أخرى أكثر تطوراً وشمولية. هذا التصور السيميولوجي لبيرس هو مخالف لكل النظريات النفسية التي تستخدم المفاهيم السيكولوجية لتفسير الأحداث الجارية في عقول الناس وليس ضمن نظام إشاري كما يذهب إلى ذلك بيرس.

على أية حال، لقد اتخذت السيميولوجيا اتجاهاً آخر بظهور كتاب عالم اللسانيات السويسري— فردينانـد دي سوسور (F.De Saussure). «دروس في اللسانيات العامة» (Course in General Linguistics).

فهذا العالم كان قد تطلع إلى السيميولوجيا بمنظار لساني، وليس بمنظار فلسفي. فقد كانت تفسيرات دي سوسور وأفكاره السيميولوجية محدودة، وذلك لأنه تطرّق إليها أثناء حديثه عن الإشارات اللغوية فقط.

فاللغة— طبقاً لاعتقاده— هي نظام إشاري من أنظمة إشارية عديدة تدخل كلها ضمن إطار السيميولوجيا، يقول بهذا الشأن:

«اللغة نظام إشاري يعبر عن الأفكار.... وبذلك يمكن مقارنته بالنظام الكتابي وبالنظام الألفبائي للصمّ والبكم، وبالنظام الإشاري العسكري وبالنظام الإشاري النقشي... إلخ. إن العلم الذي يدرس حياة الإشارة في مجتمع من المجتمعات يمكن أن يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي وبهذا سوف أدعو هذا العلم سيميولوجيا (Sémiologie). هذا العلم يستطيع أن يبين بنية الإشارات ويبين بالتالي الأنظمة والقوانين التي تحكمها. وما دام هذا العلم غير قائم فلا أحد يستطيع

أن يعرف ماهيته ولكنه على أية حال في سعي دائب لتحقيق وجوده وذلك منذ أن ضُربت أوتاده مسبقاً »[26].

الحقيقة إن إسهام ــ دي سوسور ــ السيميولوجي لا يتجاوز هذه الأفكار التي ذكرها آنفاً. ولكن بالرغم من ذلك فإن هذه الأفكار لعبت دوراً مهماً في إرهاص التأملات التي كانت تحيط بهذا العلم ولا سيما تعريفه للإشارة والدال والمدلول. صحيح أن هذه الأفكار السيميولوجية التي أتى بها ــ دي سوسور ــ كانت تدور في إطار اللسانيات وتحليلها للغات البشرية إلّا أنها لفتت انتباه السيميولوجيين في الوقت نفسه.

هناك مصدر آخر للسيميولوجيا هو العمل الفلسفي الذي قام به الفيلسوف الألماني إ. كاسيرر (E. Cassirer). ففي كتابه الضخم «فلسفة الشكل الرمزي» (The Philosophy of Symbolic Form) طرح المبادئ السيميولوجية التالية:

(١) إن وظيفة اللغة لا تقتصر على أنها وسيلة إيصالية تقطّع الواقع الفيزيائي للإنسان وتسميه فقط، وإنما لها وظيفة أخرى وهي فهم هذا الواقع الفيزيائي وخلقه باستمرار. من هنا كانت اللغة عاملاً أساسياً في تمييز الإنسان عن الحيوان لذلك سُمّي الإنسان «الحيوان الناطق».

(2) ليست اللغة هي الأداة الوحيدة التي تقوم بهذا الدور الإيصالي، وإنما هناك أنظمة إشارية أخرى تشاركها المهمة نفسها كالأسطورة والدين والفن والتاريخ والعلم، فكل نظام من هذه الأنظمة الإشارية يحاول تصوير العالم وخلقه باستمرار.

(3) إن تميّز العمل الفلسفي الذي قام به ــ إ. كاسيرر ــ يكمن في السؤال عن القوانين المحددة التي تحكم هذه الأنظمة الإشارية واختلافها عن قوانين المنطق

---

(26)De Saussure,F (1959-p.16) Course in General Linguistics. Translated by W.Baskin, Newyork.

والفلسفة. على أية حال، إن العمل السيميولوجي الذي قام به. إ. كاسيرر يبقى إسهاماً فلسفياً أكثر منه إسهاماً علمياً.

لقد استفادت السيميولوجيا الحديثة من عمل ــ إ. كاسيرر ــ الفلسفي ــ المنطقي ذلك لأن أفكاره كان لها تأثير قوي على الذين أتوا من بعده. لقد أخذت السيميولوجيا الحديثة أبعادها الفلسفية الواضحة على يد الفلاسفة فريج (Frege) وراسل (Russell) ثم كارنب (Carnap). حتى أن الأخير منهم (كارنب) حاول بناء لغة مثالية كانت نموذجاً رائعاً احتذته السيميولوجيا الحديثة في تحليلاتها العلمية.

لقد استطاع الفيلسوف الأمريكي ت. موريس (C. Morris)، أن يقدم نموذجاً سيميولوجياً متطوراً في الثلاثينات من هذا القرن مستفيداً بذلك من كل النماذج الفلسفية التي سبقته. ويتميز النموذج السيميولوجي ــ الفلسفي الذي قدّمه ــ ت. موريس ــ بالتعريفات الواضحة والمحددة لعلم السيميولوجيا. لقد استطاع هذا الفيلسوف أن يميز بين الأبعاد الدلالية والأبعاد التركيبية والأبعاد الوظيفية للإشارة. فطبقاً لرأيه فإن العلاقة بين الإشارة والمجموعة الاجتماعية هي علاقة دلالية، والعلاقة بين الإشارة والإشارات الأخرى هي علاقة تركيبيّة، أما العلاقة بين الإشارة ومستعمليها فهي علاقة وظيفية.

هناك إسهام علمي آخر للسيميولوجيا يتجلى في كتاب إ. بيزنز (E. Buyssens) الذس وضعه عام (1943) وهو (Les Langages et le discours).

فقد اعتمد هذا الكتاب على المقولات السيميولوجية الأساسيّة التي أتى بها ــ دي سوسور ــ من هنا فقد تميّز هذا العمل من خلال اتجاهَيْنْ اثنين. الأول يتناول أنظمة اللغات الطبيعية والثاني يتناول أنظمة الإشارات (السيميولوجيا). ومما جعل عمله مهماً أنه طرح عدداً من المفاهيم السيميولوجية التمييزية المهمة:
(الإشارة/ فعل الإشارة) (الإشارة الداخلية/ الإشارة الخارجية) (الإشارة المباشرة/ الإشارة التي تعمل عملها)... إلخ.

وجملة القول : لقد اعتمد نموذج . إ. بيزنز السيميولوجي على مفهوم الوظيفة ، لأن إدراك نظام سيميولوجي معين لا يتم إلا من خلال معرفة بنيته . أما الإسهامات البنيوية في حقل السيميولوجيا والتي أتت بعد إ. بيزنز إنما تدخل كلها في إطار اللسانيات البنيوية (Structural Linguistics) التي قام بها اللسانيون الأوروبيون أمثال تروبتسكوي وجاكبسون وهلمسليف وبنفيست واللسانيون الأمريكيون أمثال بواس وسابير وبلومفيلد . لقد راعت اللسانيات البنيوية الجوانب السيميولوجية وحاولت أن تحدد النظام اللغوي ضمن الأنظمة الإشارية الأخرى .

أما الفن والأدب فقد كان لهما دور كبير في تطوير السيميولوجيا الحديثة . ففي مقالة عنوانها «الفن كحقيقة سيميولوجية» للعالم ج. موكارفسكي (J. Mukaravsk) — وهو عضو من أعضاء مدرسة براغ اللسانية — فإنه اقترح بأن ندرس الفنون كلها في إطار السيميولوجيا ، ذلك لأن الفن بحد ذاته هو إشارة . هذه الإشارة لا تكتسب أهميتها لكونها أداة إيصالية للمعنى ، وإنما لكونها أداة جمالية . فبجانب كل إشارة جمالية يفرزها فن من الفنون أو أدب من الآداب (الموسيقا، الرسم ، النحت ، الشعر ، القصة ، الرواية ... إلخ) ، هناك إشارة إيصالية توصل المعنى ، وبهذا فإن الإشارة الفنية تشارك الإشارة اللغوية في فرز المعنى وتوصيله .

يقول : ج موكارفسكي بهذا الشأن :

«لكل فن من الفنون إشارة جمالية .... ثم إن كل فن له إشارة ثانية هي إيصالية .... »[27] .

ولكن الفيلسوفة الأمريكية س . لانجر (S. Langer) فرقت بين النظام اللساني والنظام الفني بالرغم من أن النظامين يمثلان أشكالاً إشارية ترميزية ، فالنظام اللساني والفني حسب رأيها يتشابهان بالصفات الشكلية فقط :

---

(27) J. Mukaravsky (1977: p.88) **Structure, Sign and Function** Translated by. Burbank and p.Steiner. New Haven.

«ذلك لأن الموسيقى كفن ليست لغة لأنها لا تملك الكلمات والمفردات ولكن الموسيقى من جهة أخرى شكل إشاري دال يشبه النظام اللساني الذي هو شكل إشاري دال ليس إلا. ولكن ميزة الموسيقى تكمن في بنيتها الديناميكية التي تستطيع أن تعبر عن التجربة الحيوية الغنية للمشاعر والأحاسيس والعواطف ... وهذا ما لا يستطيع عمله النظام اللساني (ديناميكياً)»[28].

بعد الحرب العالمية الثانية ذهبت الجهود إلى توحيد الاختلافات حول وجهات النظر المتعلقة بعلم السيميولوجيا ولا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي وفرنسا، ففي الولايات المتحدة الأمريكية فإن وصف الأنظمة الإشارية وتحليلها تبع ــ في شكله وجوهره ــ الوصف اللساني وتحليله، ذلك أن السيميولوجيا هنا تعتبر جزءاً من علم اللسانيات الحديث وبالتحديد علم اللسانيات الاجتماعي (Sociolinguistics). ولكن الأمر اختلف في الاتحاد السوفييتي، فالسيميولوجيا الحديثة هنا أخذت بعداً أو نشاطاً متطورين، هذا التصاعد في التطور السيميولوجي بدأ منذ الستينات من هذا العصر وذلك بتأثير من النظرية المعلوماتية (Information Theory) والنظرية السبرانية (Cybernetics) أي علم الضبط. والواقع إن الدراسات السيميولوجية للأنظمة الإشارية في الاتحاد السوفييتي تعتبر دراسات متطورة ومتقدمة في الوقت نفسه.

أما في فرنسا فإن السيميولوجيا الحديثة أخذت اتجاهاً اجتماعياً مخالفاً وذلك بتأثير من علماء الدلاليات والأنثروبولوجيا أمثال ليفي ستراوس (C. Lévi-Strauss) ورولان بارت (R. Barthes) ثم أ. جريماس (A. Greimas). لقد اتجهت السيميولوجيا هنا نحو دراسة الأشكال الاجتماعية التي تشبه في عملها الأشكال اللغوية التي تفرزها اللغات الطبيعية (من هذه الأشكال الاجتماعية مثلاً القرابة والنسب وأشكال الأساطير، أشكال الموضات ... إلخ).

---

(28)S. Langer (1953: p.32) **Feeling and Form**. London.

بالإضافة إلى ذلك فقد اتجهت السيميولوجيا الفرنسية إلى دراسة اللسانيات الأدبية (Literary Linguistics) ، وتبع هذه الدراسة نشوء حركة نقدية متطورة كانت نتيجة طبيعية لهذه الأفكار السيميولوجية الحديثة . وما ظهور مجلة « السيميائيات » (Semiotica) التي يصدرها الاتحاد العالمي للدراسات السيميائية « السيميولوجية » إلا دليل قوي على علميّة هذا الحقل واستقلاليته في الوقت نفسه .

3. الأسلوب دراسة لغوية إحصائية

0.3. تمهيد

(الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية) هو عنوان الكتاب الذي ألفه الباحث اللساني العربي الدكتور سعد مصلوح[29] ونشرته دار الفكر العربي بمصر عام 1984 .

يطرح الكتاب منهجاً حديثاً في الأسلوبيات يمكن أن يُعتبر بديلاً لسانياً للنقد الأدبي المعروف . وهذا ما يجعل المؤلف يوضح الأسباب التي دعته لصياغة مثل هذا المنهج الأسلوبي فيدرس ماهية الأسلوب القديم والحديث ويبيّن الحاجة الماسة إلى تطبيق المعايير العلمية الدقيقة على دراسة الأنواع الأدبية ولا سيما استخدام علم الاحصاء .

وبعد أن يصوغ المؤلف المنهج الأسلوبي الحديث يحاول تطبيقه على بعض النماذج النثرية المعاصرة سواء أكان ذلك في المسرح أم في الرواية .

تطمح الدراسة الحالية إلى إعطاء فكرة واضحة ومكثفة لهذا المنهج الأسلوبي

(29) الدكتور سعد مصلوح أستاذ بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة يقوم الآن بتدريس علم اللغة والأسلوب في معهد الخرطوم الدولي لتعليم اللغة العربية التابع لجامعة الدول العربية .

الجديد وتبيان كيفية تطبيقه على الأنواع الأدبية النثرية، ثم تبيان الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية التي يتسم بها هذا الكتاب.

1.3. الحاجة إلى منهج

(1) يميز المؤلف هنا بين تذوق الأدب وبين دراسته دراسة علمية موضوعية. فالقارئ المتمرس يميز في بصر وحذق بين مختلف الأساليب. وهذا التمييز التلقائي سلاحه «الحدس» و «الذوق» وكلاهما لا يكون من فراغ، ولكنه محصلة خبرات طويلة.

وليس بنادر أن تجد مثل هذا القارئ ينفر من أسلوب ما، لأنه يتسم في رأيه بالجفاف أو الرتابة أو الصعوبة والتعقيد وينعطف إلى أسلوب آخر، لأنه يتصف في ميزانه بالثراء والتنوع أو اليسر والتشويق. أما دارس الأدب فلا ينبغي له أن يكون مجرد قارئ متذوق لا يختلف عن سائر القراء إلّا في الدرجة. بل إن عليه أن يتمتع بازدواجية تمكنه من أن يكون حين يشاء قارئاً متذوقاً، وحين يشاء دارساً محللاً. والحقيقة إن الفرق بين الموقفين هو الفارق ما بين ذاتية المتلقي وموضوعية الباحث.

(2) يعتقد المؤلف أن الأدب فن ولكن دراسة الأدب ينبغي أن تكون علماً منضبطاً. والعلم المنضبط يحتاج إلى أن تكون له فلسفة وموضوع ومنهج يشتمل على معايير موضوعية للقياس والوصف والاستنباط. ومن ثم لا بد لدراسة الأدب من استيفاء هذه الشروط لكي تكون جديرة بأن تحتل مكانها بين العلوم. ولكن المذاهب النقدية خضعت في نشأتها وتطورها لتأثيرات الاتجاهات والمدارس الفلسفية المختلفة ومن ثم حملت معها عيوب الفلسفة ومزاياها.

ومن أخص هذه العيوب الاتفاق على عدم الاتفاق. والذي نلاحظه دائماً أن دائرة الخلاف كثيراً ما تتسع كلما بعدنا عن «النص الأدبي» وخضنا بالحديث في بيئة النص وعصره وحياة مؤلفة على ما هو سائد في النقد التاريخي. أما حين يكون

النص هو محور الاهتمام، وموضوع الدراسة فإن حديثنا يصبح أكثر التزاماً بموضوعية العلم.

(3) المذهب الشكلي في النقد ــ حسب رأي المؤلف ــ يكاد يكون أقرب المذاهب النقدية إلى روح العلم. فقد استمد هذا المذهب فلسفته النظرية من الوضعية المنطقية وعبر عن نفسه أوضح تعبير في مؤلفات الناقد الشهير ايفور ريتشاردز. ولما كان فلاسفة الوضعية المنطقية يعتبرون اللغة كلها رمزاً وجعلوا لدراسة الرمز اللغوي علماً خاصاً أطلقوا عليه مصطلح «السيميولوجيا» أو «السيميائيات» لذلك انعكس هذا كله في دراسات النقاد الشكليين فبرزت فيها أهمية التحليل اللغوي الذي قام على أساس من التمييز الواضح بين لغة العلم ولغة الأدب.

فهم لم يستعينوا بسيرة الشاعر ولا اعتمدوا على التاريخ، ولا استندوا إلى علم الاجتماع وعلم النفس التحليلي في فهم العمل الأدبي وتقويمه. لقد عزفوا عن الدراسة التاريخية التي كانت تدور حول النص، وانكبوا على النص ذاته.

وهكذا فإن المذهب الشكلي في النقد كان من أهم الاتجاهات التي نبهت إلى دراسة لغة النص، ومهدت بذلك لاثارة اهتمام علماء اللغة الخلّص بقضية الأسلوب وإقامة الجسور ما بين علم اللغة ودراسة الأدب.

(4) وهكذا فإن المؤلف يدعو إلى ضرورة العمل على إرساء منهج لساني في نقد الأدب العربي يكون فيه النص أولاً وقبل كل شيء موضوع الدراسة ويكون منهج الدراسة فيه لسانياً بالمفهوم العلمي لهذا المصطلح.

لقد نشأت الدراسات اللسانية المعاصرة بمختلف اتجاهاتها تحت تأثير فكرة أساسية هي البنيوية. واستطاعت هذه الدراسات اللسانية ــ على اختلاف اتجاهاتها ــ أن تطور من أدواتها وأن تولى جانباً من همومها النظرية والتطبيقية لدراسة العمل الأدبي باعتباره نمطاً متميزاً من أنماط الاستعمال اللغوي وأن تنتقل بوسائلها المنهجية من العمل في إطار «نحو الجملة» ــ وهو النحو الذي يعتبر الجملة أكبر وحدة في

التحليل اللغوي ـــ إلى محاولة ترسيخ نمط جديد من التحليل اصطلح على تسميته «نحو النص»، وهو النمط الذي يعتبر النص كله وحدة التحليل.

وفي رأي المؤلف، ما تزال دراسة الأدب العربي بعيدة كل البعد عن الإفادة من إنجازات الدرس اللغوي المعاصر في هذه السبيل. وهو أمر لا يثير دهشة، إذ أن الدرس اللساني المعاصر نفسه ما يزال محدود التأثير على دراسة العربية.

(5) يتحدث المؤلف بعد ذلك عن الثمرات التي يمكن أن نجنيها باستخدامنا هذه المناهج اللسانية الحديثة في وصف النص الأدبي.

أول ثمرة هي الوقوف في وجه طوفان المصطلحات الذي تهدر به الدراسات الأدبية المتداولة، إذ إنه من المستحيل إضفاء الصفة العلمية على أي دراسة لا تستعمل مصطلحات محددة المدلول.

ويتساءل المؤلف هنا هل يزيد القارئ العربي معرفةً بزيد أو عمرو من الكتاب أو الشعراء أن يُقال له: إنه جذل الألفاظ، متين السبك، سلس الأفكار، عذب الموسيقا، محلق الخيال، قوي العاطفة، أو أن يقال له ـــ على عكس ذلك ـــ أن أسلوبه يمتاز بالركاكة والضعف والجفاف وخمود العاطفة؟.

إن شيوع هذه الألقاب في كتب التراث لا تسوغ للمعاصرين استعمالها دون تحديد، فلا شك أن دلالاتها عند علماء السلف كانت واضحة. وحسب رأي المؤلف، ليس من التجاوز أن نقول: إن غالبية الأحكام النقدية التي تنتشر في مؤلفات طه حسين هي من هذا القبيل.

وليست هذه الدراسات عند جمهرة من نقادنا المتأثرين بالثقافات الأجنبية بأوفر حظاً من الدقة في هذا المضمار. ذلك أن أكثر هذه الدراسات تفر من مواجهة مشكلات البنية اللغوية في النصوص لتناقش مضامين مجردة عن أزمة الإنسان المعاصر، وقضايا العبث والغثيان والقلق والمخاض، حتى إذا رجع إلى معالجة لغة النصوص وجدناه

يستخدم التعبيرات الذاتية المرنة التي لا ترقى إلى أن تكون مصطلحات علمية، أو يقع قريباً منها.

هذه المناقشة تقود المؤلف لأن يطرح السؤال التالي:

ترى هل نعني بذلك أن «الأسلوبيات» هي البديل الموضوعي للنقد الأدبي؟ والجواب حسب رأيه أن ذلك قد يكون وقد لا يكون فهو من مسائل الخلاف. لكننا نحسب أن من الأمور التي ينبغي أن تكون موضع اتفاق لقربها من بداهة العقل أن التفسير والتقويم تاليان للوصف والتحليل. والأسلوبيات هي المرجوة لأداء مهمة الوصف والتحليل على خير وجه ممكن. وهكذا فإن الأسلوبيات ليست النقد كل النقد بل هي أساس لا بد منه لتقويم العمل الأدبي تقويماً موضوعياً.

(6) الواقع هناك معايير موضوعية كثيرة لتحليل النص الأدبي. ولكن المؤلف يخص كتابه كله لنوع واحد من هذه المعايير الموضوعية هو القياس الكمي أو التحليل الاحصائي للنصوص الأدبية. أي أن النص الأدبي يمتاز عادة باستخدام سمات لغوية معينة من بينها:

1. استخدام وحدات معجمية معينة.
2. الزيادة أو النقص النسبيان في استخدام صيغ معينة أو نوع معين من الكلمات (صفات، أفعال، ظروف ... إلخ).
3. طول الكلمات المستخدمة أو قصرها.
4. طول الجمل.
5. نوع الجمل.
6. إيثار تراكيب أو مجازات معينة.

فهذه السمات اللغوية حين تحظى بنسبة عالية من التكرار وحين ترتبط بسياقات معينة على نحو له دلالته تصبح خواص أسلوبية تظهر في النصوص بنسب (Ratios) وكثافة (Density) وتوزيعات (Distributions) مختلفة.

يطلق على هذا النوع من الدراسة مصطلح «الأسلوبيات الاحصائية» وهي إحدى مجالات الدراسة اللسانية الأسلوبية المعاصرة.

2.3. ماهية الأسلوب

(1) يبحث المؤلف هنا في المادة اللغوية المدروسة ليبيّن كيف يمكن أن تتلون وتتسم بطرائق مختلفة من أجل التعبير... تلك الطرائق المختلفة المسماة بـ «الأساليب».

إن العمل الأدبي هو رسالة موجهة من المنشىء إلى المتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما. ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموعة الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكوّن نظام اللغة المشتركة. ولكن كيف يتميز هذا المنشىء أو ذاك بأسلوبه الخاص في استعمال اللغة؟.

(2) يرى بعض الباحثين أن اللغة المعينة هي عبارة عن قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير، ومن ثم فإن الأسلوب يمكن تعريفه بأنه **«اختيار» أو «انتقاء»** يقوم به المنشىء لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين.

وكون الأسلوب عند هؤلاء الباحثين اختياراً لا يعني أن كل اختيار يقوم به المنشىء لا بد أن يكون أسلوبياً، إذ علينا أن نميز بين نوعين مختلفين من الاختيار:

أ. اختيار محكوم بالموقف أو المقام (Context of Situation) وهذا الانتقاء هو انتقاء نفعي ربما يؤثر فيه المنشىء كلمة أو عبارة على أخرى لأنها أكثر مطابقة في رأيه للحقيقة أو لأنه يريد أن يضلل سامعه أو يتفادى الاصطدام بحساسيته تجاه عبارة أو كلمة معينة.

ب. اختيار محكوم بمقتضيات التعبير الخالصة. وهذا الانتقاء هو انتقاء

نحوي. والمقصود بالنحو في هذا المصطلح قواعد اللغة بمفهومها الشامل الصوتية والصرفية والدلالية ونظم الجملة. ويكون هذا الانتقاء حين يؤثر المنشىء كلمة على كلمة أو تركيباً على تركيب لأنها أصح عربية أو أدق في توصيل ما يريد. ويدخل تحت هذا النوع من الانتقاء كثير من موضوعات البلاغة المعروفة كالفصل والوصل والتقديم والتأخير والذكر والحذف.

ويتحدد الشكل النهائي للنص بهذين النوعين من الاختيار، أعني الاختيار النفعي والاختيار النحوي. والقول بأن الأسلوب اختيار ربما كان موافقاً لما هو معلوم بالضرورة عن عملية الابداع، واشتمالها بحكم طبيعتها على سلسلة من الاختيارات.

(3) وقد أولى فريق آخر من رواد الدراسة الأسلوبية اهتماماً أكبر إلى ما يتولد عن الرسالة (أو النص) من ردود فعل لدى المتلقى، ومن ثم أقام تعريفه للأسلوب على إبراز هذه الخاصية فيه. ويرى ميشيل ريفاتير أحد أعلام هذا الاتجاه ـــ أن الأسلوب قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارئ بواسطة «إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام، وحمل القارئ على الانتباه إليها بحيث أن غفل عنها تشوه النص».

ويرى المؤلف هنا وجود وشائج قوية بين مفهوم الأسلوب عند ريفاتير ونظرية التخييل الشعري التي استنبطها الفلاسفة المسلمون من شرحهم لكتاب الشعر الأرسطي، ووصلت ذروة نضجها عند البلاغي العربي أبي الحسن حازم القرطاجني صاحب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء».

(4) وثمة رؤية أخرى للأسلوب ترى فيه مفارقة أو انحرافاً عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه نمط معياري.

إن مسوغ المقارنة بين النص المفارق والنص النمط هو تماثل السياق في كل منهما.

إن أداة التحليل الأسلوبي عند أصحاب هذا الرأي هي المقارنة بين

الخصائص والسمات اللغوية في النص النمط مرتبطة بسياقاتها وبين ما يقابلها من خصائص وسمات في النص المفارق .

(5) والأسلوب ــ من وجهة نظر رابعة ــ ليس اختياراً ، ولا قوة ضاغطة ينبغي البحث عنها في ردود فعل المتلقى ، ولا انحرافاً عن نمط معياري . وإنما الأولى أن يعتبر إضافة . وتفترض هذه النظرة ابتداءً وجود تعبير محايد لا يتسم بأي سمة أسلوبية محددة يمكن أن يسمى بالتعبير غير المتأسلب أو تعبير ما قبل التأسلب . ثم تكون السمات الأسلوبية إضافة إلى هذا التعبير المحايد لكي تنحو به منحى خاصاً موافقاً للعبارة عن سياق بعينه .

وتقتضي مهمة الباحث عند أصحاب هذا المفهوم القيام بعملية تجريد أو تعرية للعبارة المتأسلبة بغية الوصول إلى الجوهر المجرد قبل أن تكسوه هذه السمات الأسلوبية المعينة .

(6) أما وجهة النظر الخامسة فتميل إلى القولبأن الأسلوب تضمين (Connotation) . وهذا يعني أن كل سمة لغوية تتضمن في ذاتها قيمة أسلوبية معينة ، وأنها تستمد قيمتها الأسلوبية من بيئة النص أو الموقف . وهذه القيمة قابلة للتغير بتغير البيئة التي توجد فيها والموقف الذي تعبر عنه .

(7) ويمكن رد الخلافات النظرية حول تعريف الأسلوب إلى مبادئ ثلاثة :

أولها : أن من ركز من الدارسين على العلاقة بين المنشىء والنص راح يلتمس مفاتيح الأسلوب في شخصية المنشىء . وانعكاس ذلك في اختياراته حال ممارسته للابداع الفني . وبذلك رأى أن الأسلوب اختيار .

ثانيها : أن من اهتم منهم بالعلاقة بين النص والمتلقي التمس مفاتيح الأسلوب في ردود الأفعال والاستجابات التي يبديها القارئ أو السامع حيال المنبهات الأسلوبية الكامنة في النص .

ثالثها : أن أنصار الموضوعية في البحث أصروا على عزل كلا طرفي

عملية الاتصال وهما المنشيء والمتلقي، ورأوا وجوب التماس مفاتيح الأسلوب في وصف النص وصفاً لغوياً.

وقد اختلف هؤلاء في الزاوية التي يتم الانطلاق منها إلى وصف النص على النحو الذي سبق بيانه، فمنهم من قال بأنه انحراف عن نمط ومنهم من رأى بأنه إضافات إلى تعبير محايد ومنهم من رأى أنه خواص متضمنة في السمات اللغوية تتنوع بتنوع البيئة والسياق.

والحق أن هذه المناهج الموضوعية الثلاثة كما يقول اينكيفست إنما هي مناهج متكاملة أكثر من كونها بدائل.

(8) يتضح مما سبق أن الخلاف النظري هنا حول تعريف الأسلوب ليس من قبيل الخطأ والصواب. إن أي تعريف من التعريفات السابقة قابل لأن يكون أساساً للبحث وأن الطرز النحوية جميعها ــ بما في ذلك الطراز التقليدي ــ قابلة من حيث المبدأ لأن تشكل أساساً منهجياً للبحث الأسلوبي. فالجرجاني استطاع أن يصل إلى نظريته الأسلوبية التي عرفت بنظرية النظم من خلال استخدامه النحو العربي التقليدي أساساً لتمييز الأساليب.

وقد اتفقت المدرسة البنيوية والمدرسة التوليدية التحويلية على ظاهرة واحدة هي إعراضهما في أول الأمر عن تبني دراسة الأسلوب. ومرد ذلك إلى اهتمامها بالجملة باعتبارها أكبر وحدة قابلة للتحليل في المادة اللغوية. ولما كانت دراسة الأسلوب لا تكتفي بتحليل الجملة بل تتجاوزها إلى تحليل النص باعتباره هو في ذاته أكبر وحدة للتحليل وليس باعتباره مجرد سلسلة متتابعة من الجمل، لذا فقد أحجم اللغويون في بادئ الأمر عن دراسة الأسلوب.

ولكن حيوية المشكلة الأسلوبية وطرافتها، وصلتها الوثيقة باللغة كظاهرة وبدراستها كعلم ما لبث أن اجتذبت اهتمام اللغويين من سلوكيين وتحويليين، وظهرت ثمرة هذا الاهتمام عند تلامذة بلومفيلد من أمثال بلوخ وزيليخ هاريس وكينيث بايك. كما

أعطت بعض الفرضيات عند التحويليين مثل فرضية القدرة اللغوية (Competence) والأداء (Performance) وفرضية البنية الظاهرة والبنية الباطنة وفرضية الجملة النواة والجملة المحولة وفرضية القاعدة الجبرية (الملزمة) والقاعدة الاحتمالية وغيرها مجموعة التصورات المنهجية التي أعانت على تمييز الفروق بين الأساليب بطريقة علمية وموضوعية .

3.3. الاحصاء ودراسة الأسلوب

(1) البعد الإحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب، وتمييز الفروق بينها .
وترجع أهمية الاحصاء هنا إلى قدرته على التمييز بين السمات أو الخصائص اللغوية التي يمكن اعتبارها خواص أسلوبية وبين السمات التي ترد في النص وروداً عشوائياً .
وبيان ذلك أنه ليس كل انحراف جديراً بأن يعد خاصة أسلوبية هامة، بل لا بد لذلك من انتظام الانحراف في علاقاته بالسياق .

لقد مرّ استخدام الاحصاء في دراسة اللغة بمرحلتين، ساد في أولاهما اتجاه يهدف إلى قياس الخصائص العامة (أو المشتركة) في الاستعمال. أما في المرحلة الثانية فقد ساد اتجاه مقابل هدفه التوصل إلى الخصائص الفارقة (أو المميزة) بين الأساليب. والحق أن الاتجاهين يتكاملان في دراسة الأسلوب لا يستغنى بأحدهما عن الآخر .

(2) ومن الأسئلة المطروحة في مجال الأسلوب ودراسته سؤال عن مدى ارتباط المصطلح «أسلوب» بالمصطلح «أدب» أو بعبارة أخرى: هل الأسلوب صفة مميزة للغة الأدب فحسب أو للغة الأدب والعلم إذا شئنا شيئاً من التوسع؟ أم أن جميع أنواع الاستعمال اللغوي على اختلافها قابلة لأن تصنف باعتبارها أساليب؟ .

هنا تبرز ــ على حد رأي المؤلف ــ إحدى ثمرات الارتباط بين دراسة الأسلوب واللسانيات حيث يتخذ منظور الأسلوب آفاقاً أكثر رحابة توسع من

محدودية النظرة القديمة . إن كثيراً من الدراسات الأسلوبية وإن كانت تولى عناية كبرى للغة الأدب ـــ ترى أن الأسلوبية صفة يمكن اسباغها على أي نص من نصوص اللغة .

وبهذا المفهوم توجد وجوه شبه قوية بين الأساليب واللهجات ولا سيما اللهجات الاجتماعية حتى ليمكن القول بأن الأساليب إنما هي أنواع خاصة من اللهجات الاجتماعية . وينشأ عن ذلك أن مفهوم الأسلوبيات يمكن أن يكون أشمل من أن يقتصر على دراسة لغة الأدب .

وينبغي أن يكون واضحاً أننا أزاء هذا النوع من الأساليب الجماعية لا نهتم بالفروق الفردية بين الأساليب وإنما نهتم بما يميز الأسلوب الأدبي من الأسلوب العلمي أو من الأسلوب الرسمي والأسلوب المستخدم في العبادات والشعائر الدينية ، وذلك بنفس الطريقة التي نميز بها بين اللهجات المهنية ولهجات المثقفين ولهجات اللصوص والخارجين على القانون .

إن هذه الانتماءات يصنفها المشتغلون باللسانيات الاجتماعية إلى صنفين رئيسين : أولهما الانتماء المتجانس أو المتوحد وثانيهما الانتماء المتعارض أو المتعدد .

وقد نجحت الجغرافية اللغوية ـــ وهو العلم الذي يدرس اختلاف اللهجات في المكان ـــ نجاحاً ملحوظاً في رسم الحدود بين اللهجات وذلك بابتكار فكرة خط التوزيع (Isograph) وهو الخط الذي يفصل بين منطقتين متباينتين في نطق ما . وشجع هذا النجاح على استخدام فكرة خطوط التوزيع في تمييز الحدود اللهجية بين اللهجات الاجتماعية في منطقة واحدة ، وكذلك في تحديد الأساليب .

وتتنوع خطوط التوزيع إلى خطوط التوزيع المعجمي (Isolexics) وخطوط التوزيع الصوتي (Isophonics) وخطوط التوزيع الصرفي (Isomorphics) وخطوط التوزيع النغمي (Isotonics) وخطوط التوزيع النحوي (Isogrammatics) .

وبعد رصد العلاقات المختلفة بين الاستعمالات اللغوية على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية يتم رسم خطوط التوزيع الخاصة بكل مستوى.

(3) ويقود هذا المؤلف لأن يحدد العلاقة بين ما هو أسلوبي وما هو احصائي عند دراسة أساليب الأعمال الأدبية. وحسب رأيه فإن الدراسة الأسلوبية تستعين بالاحصاء في المجالات الآتية:

أولاً: المساعدة في اختيار العينات اختياراً دقيقاً بحيث تكون ممثلة للمجتمع المراد دراسته.

ثانياً: قياس معدلات كثافة الخصائص الأسلوبية في عمل معين أو عند كاتب معين. فإذا أردنا على سبيل المثال قياس كثافة الجمل الاسمية (أو الفعلية) في نص معين قمنا بحساب عدد مرات تكرار الجمل الاسمية (أو الفعلية) في النص ثم نقسمها على طول النص (مقدراً بعدد الجمل الأخرى) وبذلك يمكننا تحديد كثافة الجمل الاسمية.

ثالثاً: قياس النسبة بين تكرار خاصة أسلوبية وتكرار خاصة أخرى للمقارنة بينهما، ويتم حساب النسبة بإحصاء عدد مرات تكرار الخاصة الأولى وعدد مرات تكرار الخاصة الثانية في نص من النصوص وقسمة حاصل جمع تكرار إحداهما على حاصل جمع تكرار الأخرى.

ويمكن بهذه الطريقة حساب نسبة الجمل الاسمية إلى الجمل الفعلية أو نسبة الأفعال إلى الصفات، أو نسبة الجمل الطويلة إلى القصيرة.

رابعاً: قياس التوزيع الاحتمالي لخاصة أسلوبية معينة. إن التوزيع الاحتمالي كما يراه المؤلف يصف الاحتمال (أو التوقع) الذي تتكرر به ظاهرة ما في مجموعة من العينات.

خامساً : يخدم الاحصاء أيضاً في التعرف إلى النزعات المركزية في النصوص . وبيان ذلك أن تميز نص باستخدام جمل طويلة مثلاً لا يعني انعدام الجمل القصيرة في ذلك النص . بل كل ما يعنيه أن ثمة نزعة مركزية غالبة إلى استخدام الجمل الطويلة مع وجود امكان محتمل لورود الجمل القصيرة .

(4) وطبقاً لرأي المؤلف فإن هذه الاستخدامات المتنوعة لعلم الاحصاء تفيدنا في دراسة ومعالجة عدد كبير من قضاياه . إنها ــ بالإضافة إلى المعايير الموضوعية الأخرى ــ تسهم في تمييز الأساليب وتشخيصها على فرض تعاصر هذه الأساليب وهي ما يسمى بالدراسة السنكرونية كما أن استخدامها في تمييز التطور التاريخي للأساليب ليس بأقل جدوى ويسمى هذا النوع من الدراسة بالدراسة الدياكرونية .

(5) وتمتد الافادة من الاحصاء إلى منطقة تتصل اتصالاً وثيقاً بنقد الأدب ، وتغطي دائرة واسعة من المسائل النقدية مثل لغة الأدب ونقد الأسلوب بتمييز خصائصه كالتنوع أو الرتابة والسهولة أو الصعوبة والطرافة أو الاملال . ذلك لأن هذه الأحكام الذاتية التي يصدرها القراء وطائفة من النقاد الذين يحتكمون إلى أذواقهم المدربة ترتبط بوجود منبهات هي في معظم الأحيان سمات لغوية معينة ترد في النصوص بتكرار معين ونسب وكثافات وتوزيعات معينة .

(6) هناك ميدان هام حقق فيه القياس الكمي نتائج طيبة ، ونعني به ميدان ترجيح نسبة النصوص مجهولة المؤلف أو المشكوك في نسبتها إلى مؤلفين بأعيانهم . وتشتد الحاجة إلى الاستعانة بالمنهج الاحصائي عندما تنعدم الشواهد التاريخية أو الوثائقية النصية التي يمكن الاعتماد عليها لترجيح قول على قول .

(7) ولا تنحصر أهمية القياس الكمي للأسلوب في مجالات الدراسة الأدبية عامة ، ونقد الأدب خاصة بل تتجاوزها إلى دائرة واسعة من العلوم الانسانية التي تهتم بعملية الاتصال اللغوي . ويأتي علم النفس اللغوي أو اللسانيات النفسية في مقدمة هذه العلوم ، حيث تستخدم هذه القياسات كمؤشرات هامة في التعرف إلى

القدرات ودراسة كثير من الجوانب المتصلة بالشخصية والأسس النفسية للابداع القولي.

4.3. قضايا أساسية في دراسة لغة الأدب

يعرض المؤلف هنا للاستفادات التي يمكننا أن نجنيها من الأسلوبيات عندما نطبقها على دراسة لغة الأدب بأنواعه المختلفة.

(1) أولى هذه الاستفادات حل الاشكال بين الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي. ويعرض بهذا الشأن لكتاب الأسلوب لأحمد الشايب الذي ميّز بين الأسلوبين العلمي والأدبي بما يلي:

فالشايب يعتمد أولاً على تقرير العقل الرزين مصدراً، وعلى الافادة وخدمة المعرفة غاية الأسلوب العلمي. كما يعتمد على تقرير الانفعال (أو العاطفة) مصدراً، وعلى الاثارة إلى جانب الافادة غاية الأسلوب الأدبي.

والشايب يضفي ثانياً على العبارة في الأسلوب العلمي صفة الدقة والتحديد والاستقصاء والسهولة والوضوح، على حين يصف العبارة في الأسلوب الأدبي بأنها تعرض الحقائق رائعة جميلة، وأنها تمتاز بالجزالة والقوة والكلمات الموسيقية.

ويرى المؤلف أن جل ما ذكره صاحب كتاب الأسلوب ربما كان صادقاً تمام الصدق من زاوية حساسية القارئ المثقف المتمرس تجاه النصوص، ولكن جميع التصورات والمصطلحات المستخدمة عصية جداً على التقنين العلمي، فكل أولئك مفاهيم نسبية مرنة إلى حد كبير. وأنّى لنا ـــ حسب رأي المؤلف ـــ أن نميز على وجه الدقة مقدار السهولة أو الوضوح أو الجزالة أو القوة وغير ذلك من المصطلحات ما لم نستند في التحديد إلى معايير موضوعية تتخذ أساساً للحكم.

وحين لاحظ الباحثون وجود درجات متفاوتة من الأسلوب تتدرج ما بين

الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي ظهرت فكرة تعترف بوجود قسيم ثالث شاعت تسميته بالأسلوب العلمي المتأدب.

(2) ثاني هذه الاستفادات هو التمييز بين لغة الشعر ولغة النثر ذلك التمييز الذي هو أيسر على القارئ والباحث. وهذا حق إذا قبلنا معيار الشكل وهو الوزن والقافية أساساً للتمييز على حد تعريف قدامة بن جعفر.

ولكن وجود خصائص شعرية على درجات متفاوتة في بعض النثر وغياب هذه الخصائص الشعرية في بعض ما هو موزون مقفى دفعت بعض المنشئين العرب إلى أن يستحدثوا تحت تأثير الآداب الأوروبية ما سمي بقصيدة النثر أو الشعر المنثور.

وينشأ عن هذه المناقشة على حد رأي المؤلف أننا إذا نحينا الاطار الشكلي من الوزن والقافية جانباً ـــ وجدنا أنفسنا أمام مشكلة حقيقية حين نريد أن نميز لغة الشعر من لغة النثر. وهذه مسألة أخرى تضاف إلى مسألة التمييز بين لغة العلم ولغة الأدب. ولا شك ـــ حسب رأي المؤلف ـــ أن أفضل حل لهاتين المسألتين لا يتأتى إلّا بمحاولة تحليل لغة النصوص كما أسلفنا.

(3) هناك مسألة ثالثة يمكن أن يلتمس حلها في تحليل لغة النصوص من الوجهة الأسلوبية وهي تنوع الأساليب بتنوع الأجناس الأدبية. ولعل من أهم الأفكار المستنيرة التي سبق إليها صاحب كتاب «الأسلوب» دعوته إلى اعتبار دراسة الأسلوب بديلاً للبلاغة القديمة وإلى أن تشتمل هذه الدراسة ـــ فيما تشتمل على دراسة ما تتميز به فنون الأدب المختلفة كالمقالة والمقامة والخطبة والجدل والمناظرة وغيرها.

والسؤالان الواردان هنا هما: هل يتميز كل جنس من أجناس الأدب بسمات أسلوبية مميزة؟ وهل تتنوع السمات الأسلوبية داخل العمل الأدبي الواحد تبعاً لاختلاف المؤثرات التي تكيف البنية اللغوية والفنية للنصوص؟.

(4) من الطبيعي أن يكون لعلاج «لغة الأدب» منظوران: أحدهما «لغوي» والآخر «أدبي» وأن نتوقع من اللغويين والنقاد عملاً دائباً نشطاً في محاولة تشخيصها. ويبرز النقد الشكلي كواحد من أهم الاتجاهات النقدية التي أولت عنايتها لتحليل لغة العمل الأدبي، وهذا ما عبر عنه الناقد الإنكليزي أيفور ريتشاردز بنصه الشهير في كتابه «مبادىء النقد الأدبي» تحت عنوان «الوظيفة المزدوجة للغة»: الوظيفة العلمية والوظيفة الانفعالية. وبالرغم من دعوى ريتشاردز أن التمييز بين الاستعمالين بسيط لم تمض أفكاره هذه بلا معارضة حتى بين النقاد أنفسهم، وكان من بين معارضيه الناقد ج. رانسوم والناقدة ايزابيل هانجرلاند.

وقد أدى الجدل النقدي حول التمييز بين لغة العلم ولغة الأدب إلى تزايد اهتمام اللغويين بها وحفزهم على انضاج مفاهيمهم وتصوراتهم المنهجية وتحسين وسائل الدراسة. وبذلك محاولة هامة للانتقال من دراسة قواعد تركيب الجملة إلى قواعد تركيب النص (أو الخطاب).

5.3. معادلة بوزيمان

(1) يحاول المؤلف هنا تقديم بديل موضوعي يمكن على أساسه تمييز الأساليب وحل القضايا التي أسلفنا الحديث عنها وهي:

أ. تمييز لغة الأدب من لغة العلم.

ب. تمييز لغة الشعر من لغة النثر.

جـ. تمييز اللغات المستخدمة في الأجناس الأدبية.

تعرف المعادلة التي تستخدم لقياس هذه الخصائص وتشخيص لغة الأدب تشخيصاً كمياً باسم معادلة بوزيمان نسبة إلى العالم الألماني أ. بوزيمان. وخلاصة الفرض الذي وضعه أن من الممكن تمييز النص الأدبي بواسطة تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير: أولهما التعبير بالحدث أي الكلمات التي تعبر عن

حدث أو فعل. وثانيهما التعبير بالوصف أي الكلمات التي تعبر عن صفة مميزة لشيء ما.

ويتم حساب هذه النسبة ــ باحصاء عدد الكلمات التي تنتمي إلى النوع الأول وعدد كلمات النوع الثاني ثم ايجاد حاصل قسمة المجموعة الأولى على المجموعة الثانية. ويعطينا حاصل القسمة قيمة عددية تزيد وتنقص تبعاً لزيادة ونقص عدد كلمات المجموعة الأولى على المجموعة الثانية، وتستخدم هذه القيمة باعتبارها دالاً على أدبية الأسلوب فكلما زادت كان طابع اللغة أقرب إلى الأسلوب الأدبي، وكلما نقصت كان أقرب إلى الأسلوب العلمي.

وانتهت بحوث بوزيمان إلى ملاحظة أخرى حول العلاقة بين اللغتين المنطوقة والمكتوبة تتلخص في القول بأن اللغة المنطوقة تمتاز بزيادة النسبة المذكورة على حين تمتاز اللغة المكتوبة بانخفاضها.

وبما أن معدل السرعة في الكتابة أكثر بطئاً منه في النطق ــ لذا فإن الفواصل الزمنية بين تدوين الكلمات تؤدي إلى اتقان عملية تجسيد الأفكار وتحديدها ويؤدي هذا بدوره إلى مزيد من استخدام الصفات على حساب استخدام الأفعال.

وبالرغم من ملاحظة بوزيمان زيادة نسبة الأفعال (الحدث) في الأسلوب الأدبي عنها في الأسلوب العلمي، وفي الكلام المنطوق عنها في الكلام المكتوب نجده يقرر في دراساته الأولى أن هذه النسبة ثابتة في أسلوب الفرد. بيد أنه عدل في دراساته اللاحقة من دعواه الأولى. وواضح من عرضنا للفرض الذي وضعه بوزيمان والمعادلة التي اقترحها أن نظرية بوزيمان قد تشكلت ملامحها في اطار البحوث السيكولوجية التي تهتم بدراسة الشخصية أو على وجه الدقة في اطار اللسانيات النفسية. وقد أسفر تطبيق المعادلة عن امكانات كبيرة لقياس درجة الاستقرار العاطفي عند الأفراد وخاصة في بحوث علم نفس الطفل، كما اكتشف أيضاً وجود

ارتباط مرتفع بين زيادة هذه النسبة واتصاف الشخصية بخصائص معينة مثل الحركية والعاطفية وانخفاض درجة الموضوعية والعقلانية وعدم توخي الدقة في التعبير .

(2) على الرغم من صحة هذه الفرضية إلّا أن الباحثين قد لاحظوا غموض المصطلحين اللذين استخدمهما في صياغة معادلته وهما : الحدث والوصف . ورأوا أن تطبيقهما على النصوص اللغوية يوقع في الكثير من الحيرة والارتباك وأن تحديد انتماء الكلمات إلى أي من هذين النوعين يتم أحياناً بقدر غير قليل من التخمين مما يؤثر على انضباط المقياس وموضوعيته .

وإذا كانت هذه الملاحظة صائبة بالنسبة للغة الألمانية فإنها صادقة إلى حد كبير على اللغة العربية ، فنحن نعلم أن اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة باسم الفاعل، كل أولئك وصف يعمل عمل الفعل ومن ثم فإن تحديد انتماء أيها إلى كلمات الحدث أو كلمات الوصف يبدو مشكلة ليست يسيرة الحل .

وإحساساً بضرورة استعمال مصطلح واضح المفهوم يمكن التعرف على ما طوره عالم النفس الألماني نويباور والباحثة انسبروك لتبسيط المعادلة وتدقيق صياغتها وذلك باستخدام عدد الأفعال بدلاً من قضايا الحدث ، واستخدام عدد الصفات بدلاً من قضايا الوصف وبذلك اتخذت المعادلة الشكل الآتي :

$$\text{نسبة الفعل إلى الصفة} = \frac{\text{عدد الأفعال}}{\text{عدد الصفات}}$$

(3) وزيادة في تدقيق المقياس جرى تحديد المصطلحين « فعل » و « صفة » في الدراسات التي أجريت على الإنكليزية والألمانية . وقد شملت فصيلة الأفعال جميع الأفعال باستثناء الأفعال المساعدة . وأما « الصفات » فقد شملت جميع الكلمات الواقعة صفة في التعبير صفة + موصوف بما في ذلك الأسماء الجامدة إذا استخدمت كصفات .

أما بالنسبة للغة العربية فإننا نستثني من الاحصاء الأنواع الآتية :

أ . الأفعال الناقصة .

ب . الأفعال الجامدة .

جـ . أفعال الشروع والمقاربة .

أما بالنسبة لعدد الصفات فقد أخرج المؤلف منها الجملة التي تقع في النحو التقليدي صفة . وفيما عدا ذلك فقد شمل الاحصاء جميع الأنواع الأخرى من الصفات بما في ذلك الجامد المؤول بالمشتق كالمصدر الواقع صفة والاسم الموصول بعد المعرفة والمنسوب واسم الاشارة الواقع بعد معرفة .

(4) يتناول المؤلف هنا أثر صياغة العمل الأدبي على نسبة الفعل إلى الصفة (ن ف ص) ليخرج بالمقولات التالية :

أ . الكلام المنطوق يمتاز بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في الكلام المكتوب .

ب . نصوص اللهجات تمتاز بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في النصوص الفصحى .

جـ . النصوص الشعرية تمتاز بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في النثر .

وحسب رأي المؤلف تختلف (ن ف ص) ارتفاعاً وانخفاضاً باختلاف فنون القول في الشعر والنثر على النحو التالي :

أ . تمتاز الأعمال الأدبية (القصة والقصيدة والرواية والمسرحية) بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في الأعمال العلمية .

ب . يمتاز النثر الأدبي بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في النثر الصحفي .

جـ . ترتفع (ن ف ص) في قصص الجنيات وتتناقص في الحكايات الشعبية .

د . يمتاز الشعر الغنائي بارتفاع (ن ف ص) في مقابل الشعر الموضوعي (المسرحي مثلاً) .

ومن أهم مؤثرات الصياغة طريقة العرض. وقد استظهر أنتوش من دراسته لبعض الأعمال الروائية في الألمانية أربعة أنواع من طرق العرض هي:

أ . الحوار الطبيعي.

ب . المونولوج.

جـ . الكتابة السردية والوصفية الخالصة.

د . الأحاديث المتناثرة في الأجزاء السردية من النص.

وقد دلت المؤشرات الاحصائية في بحث أنتوش على ما يلي:

أولاً: أن نسبة (ن ف ص) في السرد والوصف أقل منها في المونولوج وفي المونولوج أقل منها في الحوار.

ثانياً: أن نسبة (ن ف ص) مع السرد تكون أعلى إذا كان السرد من وجهة نظر شخصية منها إذا كان السرد مجرد وصف مباشر على لسان المؤلف نفسه.

(5) النوع الثاني من المؤثرات التي تؤدي إلى ارتفاع قيمة (ن ف ص) أو انخفاضها هو ما سماه المؤلف بمؤثرات المضمون. ومن أهم هذه المؤثرات:

أ . العمر: إن نسبة (ن ف ص) في الطفولة والشباب هي عالية وتتجه إلى الانخفاض في الكهولة.

ب . الجنس: تميل نسبة (ن ف ص) إلى الارتفاع عند النساء في مقابل ميل واضح إلى انخفاضها عند الرجال.

(6) وحسب رأي المؤلف فإن الارتفاع والانخفاض في قيمة (ن ف ص) هو نسبي وليس مطلقاً. وهذا الارتفاع والانخفاض النسبي مرتبط بعدد من المؤثرات التي عالجناها من قبل. وهذه المؤثرات سواء أكانت مؤثرات صياغة أو مؤثرات مضمون تمارس تأثيرها على قيمة (ن ف ص) في اتجاهات مختلفة، فبعضها ينحو بها نحو الارتفاع وبعضها ينحو بها نحو الانخفاض. وقد تجتمع في النص الواحد مؤثرات من نوع واحد أي تعمل في اتجاه واحد إما نحو الارتفاع وإما نحو الانخفاض. كما قد نجد

في أحيان أخرى بعض النصوص مشتملاً على مؤثرات تعمل في اتجاهات متعارضة بحيث يكون الأثر المتوقع لبعضها رفع قيمة (ن ف ص) ، والأثر المتوقع لبعضها الآخر هو خفض قيمة (ن ف ص) . وتكون النتيجة إما أن يضعف بعضها بعضاً أو أن يلغى أحد الاتجاهين أثر الاتجاه المضاد ، كما قد يؤدي ذلك إلى تحييد دلالة (ن ف ص) في بعض الأحيان .

6.3. أمثلة تطبيقية من الأساليب النثرية

يطبق المؤلف هنا معادلة بوزيمان على ثلاثة كتب أدبية وفكرية وهي : « مستقبل الثقافة في مصر » لطه حسين ، و « الأيام » أيضاً لطه حسين ثم كتاب « حياة قلم » لعباس محمود العقاد .

وهو من خلال هذا التطبيق يعقد مقارنة بين أسلوب « مستقبل الثقافة في مصر » وبين أسلوب « الأيام » ويتوصل إلى أن نسبة (ن ف ص) في الكتاب الأول (مستقبل الثقافة) هي (٠ر٢) أما في الكتاب الثاني (الأيام) فهي (٦ر٤) .

ويبرر المؤلف لهذه النتيجة بأن التوقعات من السيرة الذاتية باعتبارها جنساً أدبياً قوامه القص والسرد الشخصي والحديث عن الذكريات والمواقف المؤثرة على الكاتب ــ أن تتميز باتجاه (ن ف ص) فيها نحو الارتفاع (٦ر٤) في مقابل النصوص التي يكتبها الكاتب ليعالج بها قضية علمية أو اجتماعية . فعلى حين ينتمي « الأيام » إلى فن السيرة الذاتية يتناول الكتاب الثاني آراء طه حسين في نظام التعليم ، وطرق اصلاحه في مصر وتحديد الانتماء الثقافي لها . وبعد ذلك يعقد المؤلف مقارنة بين كتاب « حياة قلم » لعباس محمود العقاد وبين كتاب « الأيام » لطه حسين . وقد وجد المؤلف أن حساب (ن ف ص) في الكتابين يؤدي إلى فروق ذات دلالة :

أولها : أن أسلوب « الأيام » أقرب إلى الطابع الأدبي والانفعالي على حين يبدو الطابع الذهني العقلاني أكثر ظهوراً في أسلوب « حياة قلم » .

ثانيها : تنوع الموضوع عند طه حسين في « الأيام » أثّر على قيمة

(ن ف ص) فرفعها في حين أن عدم تنوع الموضوع عند العقاد في « حياة قلم » أضعف قيمة (ن ف ص) .

ثالثها : أن أسلوب العقاد في كتابته أسلوب كتابي خالص ، أما أسلوب طه حسين فيقع وسطاً ما بين أسلوب الحديث وأسلوب الكتابة . إذ أن أسلوب الحديث يرفع من قيمة (ن ف ص) . حتى أن العقاد نفسه التفت إلى هذه الخاصية عند طه حسين فقال عنه « إنه يكتب ولا ينسى أنه يتحدث ، ويتحدث ولا ينسى أنه يكتب » .

وقد اختار المؤلف أيضاً بعض النماذج من لغة الصحافة المعاصرة لحساب قيمة (ن ف ص) . ومن هذه النماذج : جريدة « الندوة » السعودية وجريدة « الشرق الأوسط » .

وقد استنتج أن نسبة (ن ف ص) هي نسبة منخفضة في الأسلوب الصحفي إذا ما قورنت بالأسلوب الأدبي .

7.3. الأسلوب في المسرحية

(1) يكتسب استخدام مقياس بوزيمان في تشخيص أسلوب المسرحية حسب رأي المؤلف أهمية خاصة ، وذلك لما تتميز به المسرحية من تعقد من حيث اللغة المستخدمة فيها ، ونماذج الشخصيات وتنوع الحوادث والحوار .

وهنا تبرز فرضيتان : أولاهما أن الكلام المنطوق يمتاز بارتفاع قيمة (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في الكلام المكتوب . وثانيتهما أن النصوص الشعرية تمتاز بارتفاع قيمة (ن ف ص) في مقابل النصوص النثرية .

وإزاء هاتين الفرضيتين تبرز قضيتان هامتان عند دراسة الأسلوب في المسرحية حول طبيعة هذا الأسلوب من حيث ارتفاع قيمة (ن ف ص) أو

انخفاضها، ذلك ان المسرحية تكتب لينطق بها الممثلون على المسرح وإذن فهل تكون طبيعة الأسلوب فيها أقرب إلى الكلام المكتوب أم إلى الكلام المنطوق ؟

أما القضية الثانية فتطرح المشكلة نفسها ولكن بالمقارنة بين المسرحية الشعرية والمسرحية النثرية في الأدب العربي، ذلك أننا إذا افترضنا أن المسرحية النثرية أكثر قرباً من الكلام العادي فإن معنى ذلك أن تسجل (ن ف ص) في المسرحية النثرية قيمة أعلى من قيمتها في المسرحية الشعرية. أما إذا نظرنا إلى المشكلة من زاوية التمييز بين الشعر والنثر فإن النتيجة ستكون عكس ما ذكرنا تماماً، أي أن قيمة (ن ف ص) في المسرحية الشعرية ستكون أعلى من قيمتها في المسرحية النثرية بسبب ما تتميز به النصوص الشعرية من خاصية ارتفاع قيمة (ن ف ص) فيها بالنسبة للنصوص النثرية.

(2) وفي محاولة لاستخدام المقياس (ن ف ص) لتحليل الأساليب في المسرحيات العربية قام المؤلف باحصاء شامل لقيمة (ن ف ص) في مسرحيات أحمد شوقي. وقد خرج بنتائج حساب قيمة (ن ف ص) في كل مسرحية من المسرحيات التالية :

- مصرع كليوباترا : ن ف ص = ٦ر٧
- مجنون ليلى : ن ف ص = ٨ر٧
- الست هدى : ن ف ص = ٩ر١٠
- أميرة الأندلس : ن ف ص = ٠ر٥

وقد استنتج المؤلف من هذه الأرقام نتائج عدة ذات دلالة تدعم استخدام العملية الاحصائية بشكل عام ومعادلة بوزيمان بشكل خاص في تحليل الأساليب في الأنواع الأدبية كافة.

8.3. الأسلوب في الرواية

(1) الرواية من أهم الأجناس الأدبية وأحدثها تاريخاً في أدبنا العربي وهي بحكم

كونها بنية فنية معقدة تتيح للدراسة الأسلوبية مجالاً من أخصب مجالات التطبيق وتتعدد مداخل دراسة الرواية بنيوياً وأسلوبياً. لذلك حاول المؤلف هنا معالجة لغة الرواية من المنظور الاحصائي الأسلوبي متناولاً على وجه التحديد كيفية استخدام دلالة (ن ف ص) على تشخيص أساليب الرواية وتحديد نوع العلاقة التي تربط بين الكاتب وشخصيات روايته، وقياس الأبعاد الدرامية لهذه الشخصيات.

(2) وفي محاولته للافادة من مقياس بوزيمان في دراسة الرواية العربية اختار المؤلف للمقارنة نموذجين من كتاب الرواية لا يكاد يشك قارئ أو ناقد في تباينهما تبايناً كبيراً سواء في الاتجاه أو الأسلوب أو فنية البناء الروائي وهما محمد عبد الحليم عبد الله في روايته «بعد الغروب». ونجيب محفوظ في روايته «ميرامار».

وقد استنتج المؤلف من المقارنة أن الحوار في رواية «ميرامار» حوار طبيعي أي من النوع المسرحي المركز وليس كذلك الحوار في رواية «بعد الغروب». ويستنتج المؤلف أيضاً أن أسلوب نجيب محفوظ أكثر اتساقاً مع المعايير المميزة للغة السرد من لغة الحوار.

إن اتقان نجيب محفوظ وبصره بالأساليب قد انعكس واضحاً في المقياس الذي استخدمه المؤلف على هيئة انتظام في العلاقة بين السرد والحوار وأن اختلاط الأسلوبين عند محمد عبد الحليم عبد الله انعكس واضحاً أيضاً في اضطراب هذه العلاقة.

ويعتبر المؤلف أن استخدامه لمعادلة بوزيمان في تشخيص أسلوب نجيب محفوظ قد بيّن سراً من أسرار عظمة الكتابة التي يكتبها هذا الرجل.

9.3. النتيجة التي توصل إليها المؤلف

إن الفكرة الأساسية التي قام عليها كتاب «الأسلوب: دراسة لغوية احصائية» كما يذكر المؤلف هي استخدام النسبة بين الصفات والأفعال في النصوص

مؤشراً احصائياً يتم على أساسه تشخيص الأساليب وسير العلاقة بين الكاتب وأبطال عمله المسرحي أو الروائي ، وقياس البعد الدرامي للشخصية .

ويحاول المؤلف هنا ايجاز المجالات المتعددة التي يمكن أن تستخدم في علاجها المعادلة التي تعرف بمعادلة بوزيمان وهذه هي :

أولاً : في اللسانيات النفسية .

(1) قياس درجة الانفعال .

(2) قياس درجة التوازن العاطفي .

(3) قياس الحركية .

(4) قياس دقة التعبير ودرجة موضوعيته .

ثانياً : بالنسبة للمؤلف

(1) يمكن تمييز شخصية المؤلف حين يتحدث عن نفسه حديثاً مباشراً .

(2) يمكن تمييز جنس المؤلف (من حيث الذكورة والأنوثة) .

(3) يمكن تحديد مراحل عمر المؤلف من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة .

ثالثاً : بالنسبة للأعمال الأدبية

(1) يمكن تمييز الأعمال العلمية من الأعمال الأدبية .

(2) يمكن تمييز الشعرية من النثرية .

(3) يمكن تمييز اللغة المنطوقة من المكتوبة .

(4) يمكن تمييز نصوص الفصحى من اللهجات .

(5) يمكن تمييز الحكايات الشعبية من القصص والروايات معروفة المؤلف .

(6) يمكن تمييز المسرحيات كجنس أدبي على أساس علاقتها باللغة المنطوقة أو المكتوبة وبنوعية اللغة المستخدمة فيها فصحى أو لهجات .

(7) يمكن تمييز فنون الشعر المختلفة .

(8) يمكن تمييز أساليب وطرق العرض في المسرحية والرواية مثل :

أ . المونولوج (كلام الفرد) .

ب . الديالوج (الحوار) .

جـ . السرد والوصف .

د . الأحاديث الطويلة .

هـ . الأحاديث القصيرة .

و . الشخصيات في المسرحية أو الرواية .

ز . درامية الموقف .

ح . ربط تغير قيمة (ن ف ص) بالتطور الدرامي في المسرحية أو الرواية .

ويتم تفسير هذه العوامل على أساس تصنيفها إلى :

(1) عوامل تنزع بقيمة (ن ف ص) نحو الارتفاع .

(2) عوامل تنزع بقيمة (ن ف ص) نحو الانخفاض .

(3) وقد يتفق للعمل الأدبي أن تجتمع فيه بعض المؤثرات التي تعمل في اتجاه واحد (سواء نحو الارتفاع أو الانخفاض) .

وقد تجتمع فيه مؤثرات متضاربة ، وتكون المحصلة هي نتاج عمل هذه المؤثرات باتجاهاتها المختلفة .

10.3. نقد الكتاب وتحليله

لا شك في أن كل دراسة منهجية لظاهرة من الظواهر الانسانية أو الطبيعية لا بد أن تثمر عن نتائج معينة سواء أكانت هذه النتائج ايجابية أم سلبية أم ايجابية وسلبية في الوقت نفسه . ويبدو لي أن معطيات النتائج إنما تتحدد بمعطيات المنهج من ناحية وبكيفية استخدام هذا المنهج من ناحية أخرى . ونعني بكيفية استخدام

المنهج الأدوات المستخدمة في عملية التحليل كالتفكير العلمي والعملية التحليلية نفسها، أضف إلى ذلك بناء الفرضيات والنظريات القائمة على وصف الظاهرة المدروسة.

من هنا سأعالج الكتاب من خلال بعدين اثنين الأول: البعد المنهجي والثاني البعد البراغماتي النفعي. على أنني لن أتوقف كثيراً عند البعد الأول والوسائل التقنية المستعملة فيه ذلك لأنه مهما اختلفت هذه الوسائل التحليلية فلن تؤثر على تقييم العمل لأنه كما يُقال العبرة في النتائج. وهكذا فإن نقد الكتاب وتحليله سيعالجان الجوانب الايجابية والجوانب السلبية للمنهج وللنتائج التي توصل إليها المؤلف.

أ. الجوانب الايجابية

تميّز الكتاب بسمات ايجابية عدة يمكن أن نجملها بما يلي:

(1) إن إثارة موضوع «الأسلوبيات» ولفت انتباه القارئ العربي لهذا الموضوع الجديد في حقل الثقافة العربية المعاصرة تُعدّ عملاً رائداً في هذا المجال، ذلك لأن الذين بحثوا في هذا الموضوع قلائل جداً في الوطن العربي[30] فالدكتور سعد مصلوح

---

(30) يمكننا أن نذكر في هذا المجال الأعمال الرائدة للدراسات الأسلوبية الحديثة من حيث النظرية والتطبيق. من هذه الأعمال:

أ. المسدى، د. عبد السلام (1977) **الأسلوبية والأسلوب: نحو بديل ألسني في نقد الأدب**. الدار العربية للكتاب ــ تونس.

ب. عياد، د. شكري (1980) «مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد» **فصول**، مج 1 ع 1 القاهرة.

جـ. الراجحي، د. عبده (1981) «علم اللغة والنقد الأدبي: علم الأسلوب» **فصول** مج 1 ع 2. القاهرة.

د. عزت، د. علي (1971) «علم الأسلوبيات ومشاكل التحليل اللغوي» **الفكر المعاصر**. ع 80 ــ القاهرة.

هـ. الطرابلسي، د. محمد الهادي (1978) «في منهجية الدراسة الأسلوبية» ضمن **اللسانيات واللغة العربية**. مركز الدراسات، تونس.

تناول الأسلوبيات من ثلاثة أبعاد رئيسية يتصف كل علم من العلوم الانسانية والطبيعية بها وهي حدُّ الأسلوبيات (أي تعريف ماهيتها) والموضوعات التي تتناولها ثم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها. وبهذا فقد قدّم خدمة جلى للقارئ العربي الذي لم يألف مثل هذه الدراسات العلمية الدقيقة للأساليب الأدبية واللغوية والاجتماعية.

وقد كانت المعلومات التي قدمها الباحث جديدة وطازجة وذلك بسبب ثقافته العربية التأثيلية الأصيلة ثم لغته الأجنبية التي فتحت الأبواب أمامه لينهل من هذا العلم الجديد مادة ومنهجاً. وهكذا فقد جاءت هذه المعلومات الأسلوبية (العربية والأجنبية) في إطار واضح وسهل وممتع لا لبس فيه ولا غموض.

(2) إن هذه المعلومات الأسلوبية العربية والأجنبية (القديمة منها والمعاصرة) تقودنا إلى صفة ثانية تمتع بها الباحث الدكتور سعد مصلوح وهي الجمع بين الثقافة العربية التراثية المتعلقة بالدراسات الأسلوبية وبين الثقافة الغربية المعاصرة التي طوَّرت الدراسات الأسلوبية بحيث أصبحت علماً قائماً بنفسه له قوانينه ومبادئه ونظرياته ومناهجه. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على خاصة مهمة لفكر الباحث وهي أنه أراد لكتابه أن يتميز بسمتين اثنين هما سمة التنظير وسمة التطبيق. أما عن السمة التنظيرية الأولى فقد استطاع المؤلف أن يقدم للقارئ العربي المبادئ والقوانين الهامة في الأسلوبيات وأن يعقد في الوقت نفسه مقارنة بينها وبين تلك المبادئ والقوانين البلاغية والنقدية التي أتى بها العرب القدامى، كلما احتاج السياق إلى ذلك. فعلى سبيل المثال لا الحصر يعقد المقارنة التالية (ص ٢٧): «ونحب أن نقرر هنا وجود وشائج قوية بين مفهوم الأسلوب عند ريفاتير ونظرية التخييل الشعري التي استنبطها الفلاسفة المسلمون من شرحهم لكتاب الشعر الأرسطي ووصلت ذروة نضجها عند البلاغي العربي أبي الحسن حازم القرطاجني صاحب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» ...».

أما ما يتعلق بالسمة التطبيقية الثانية فإن المؤلف حاول أن يستفيد من التنظير

القديم والحديث ويطبقه على نماذج نثرية من الأدب العربي، لذلك نراه يتناول كتابي طه حسين «مستقبل الثقافة في مصر» و «الأيام» بأجزائه الثلاثة ليعقد مقارنة أسلوبية حديثة بين هذين الكتابين من جهة وبين كتاب آخر لعباس محمود العقاد هو «حياة قلم».

لقد كانت المقارنة علمية وموضوعية إذ استخدم المؤلف بشأنها معادلة بوزيمان الاحصائية التي تستطيع أن تبيّن مدى أدبية الأسلوب ومدى علميته في الوقت نفسه. أما النتائج التي توصل إليها المؤلف فتبقى ممتعة ورائعة لها دلالاتها النفسية والفكرية والاجتماعية. أضف إلى ذلك أنه استخدم هذا المعيار الاحصائي في مجال الرواية والمسرحية. ففي المجال المسرحي درس المؤلف أربع مسرحيات لأحمد شوقي هي: مصرع كليوباترا ــ مجنون ليلى ــ الست هدى ــ أميرة الأندلس.

وقد خلص المؤلف من خلال دراسته لهذه المسرحيات إلى نتائج مهمة تدعم استخدام العملية الاحصائية في تحليل الأساليب الأدبية.

أما في مجال الرواية فقد عقد المؤلف مقارنة طريفة بين روايتين هما «بعد الغروب» لمحمد عبد الحليم عبد الله و «ميرامار» لنجيب محفوظ. وقد خرج المؤلف بنتائج مهمة تتعلق بالحوار والمونولوج والسرد والوصف والشعرية والنثرية التي تسم الروايتين المذكورتين.

المهم في هذا الموضوع هو العلاقة الرائعة التي عقدها المؤلف بين النظرية الأسلوبية (القديمة والمعاصرة) وبين تطبيقاتها على الأنواع الأدبية النثرية والمسرحية والروائية. وهذا مؤشر ايجابي على صحة المنهج الذي اتبعه المؤلف والذي يدل على صحة النتائج التي توصل إليها (إلى حد ما).

(3) استفاد المؤلف (إلى حد ما وليس الاستفادة كلها) من بعض الأدوات المنهجية الموجودة في علوم مختلفة كاللسانيات وعلم الاحصاء وعلم النفس وعلم الاجتماع لاستخدامها في دراسة الأساليب. من هذه الأدوات مثلاً: البنية السطحية

والبنية العميقة ـ الأداء اللغوي والمقدرة اللغوية ـ الكلام واللغة ـ الجغرافية اللغوية ـ الدراسة السنكرونية والدراسة الدياكرونية ـ معادلة بوزيمان الاحصائية ـ المضامين النفسية للكاتب والنص والمتلقي ـ المضامين الاجتماعية للغة أفراداً وجماعات .

وهكذا فإن المنهج الأسلوبي الذي انطلق منه المؤلف لدراسة الظواهر الأسلوبية للنصوص كان منهجاً متماسكاً استطاع التوصل إلى بعض النتائج المهمة على الصعيد اللغوي والاحصائي والنفسي والاجتماعي وحتى الفلسفي إلى حد ما .

(4) هناك سمة علمية ايجابية مهمة تميز بها فكر المؤلف هي سمة الانفتاح والنقاش والنسبية في الحقائق . فالنتائج التي توصل إليها المؤلف كانت ذات صفة نسبية مفتوحة وليست ذات صفة دوغمائية مغلقة .

والواقع إن هذه السمة العلمية هي سمة العلم المعاصر الذي يتطلع إلى الكشف الدائب من خلال الاجتهاد المفتوح . من هنا فإننا نجد أن المؤلف حين يطرح قضية ما فإنه يتناولها بهذا الشكل (ص ١٨) : « ترى هل نعني بذلك أن علم الأسلوب هو البديل الموضوعي للنقد الأدبي ؟ وجوابنا أن ذلك قد يكون وقد لا يكون ، فهو من مسائل الخلاف ... لكننا نحسب أن من الأمور التي ينبغي أن تكون موضع اتفاق لقربها من بداهة العقل أن التفسير والتقويم تاليان للوصف والتحليل ، وعلم الأسلوب هو المرجو لأداء مهمة الوصف والتحليل على خير وجه ممكن ... » .

وهكذا فإن أغلب الحقائق التي استنتجها المؤلف من خلال دراسته هي حقائق قابلة للتحقق والامتحان والاجتهاد المستمر . من هنا فقد امتاز المؤلف بصفة الباحث العلمي التجريبي .

(5) وأخيراً ينبغي أن ننظر إلى هذه الدراسة التي وردت في الكتاب على أنها

جزء لا يتجزأ من سلسلة يسعى المؤلف لتحقيقها في الدراسات الأسلوبية. فقد تميز هذا الكتاب بأنه أولى ثمار هذه السلسلة لذلك نراه يقول بهذا الشأن (ص ٧):

«ومن ثم استعنت الله سبحانه في وضع مكتبة أرجو أن تكون متكاملة في قضايا التحليل الأسلوبي ومناهجه، ومشكلاته النظرية والتطبيقية ويمثل هذا الكتاب أولى ثمارها».

من هنا ينبغي علينا أن نتطلع إلى النتائج التي خلص إليها المؤلف على أنها نتائج خاضعة للفحص والتدقيق والتجريب ومن ثم التطوير، تلك النتائج التي تؤدي إلى رؤية دقيقة لبنية النصوص الأدبية صوتاً ونحواً ودلالة. ذلك لأن هدف المؤلف وضع هذا النموذج الأسلوبي أمام دارس الأدب للاطلاع على الأفكار الواردة فيه من أجل تطوير النقد الأدبي المعاصر ودفع عجلته إلى الأمام ليكون علماً منضبطاً قائماً برأسه.

ب. الجوانب السلبية

إذا كانت الأفكار التي وردت في هذا الكتاب خاضعة للدرس والتحقيق والاجتهاد من أجل تطوير الدراسات الأسلوبية والنقدية معاً فإنني لا أجد حرجاً من الاشارة إلى بعض السلبيات التي وسمت الكتاب والتي يمكن اجمالها بما يلي:

(1) أولى هذه السلبيات هي عدم الثبوتية والانسجام (Consistency) في تطبيق المنهج على الأنواع الأدبية كافة. فبعد أن رسم الباحث خطوط المنهج الأسلوبي نراه يطبقه على بعض النصوص النثرية والأدبية المسرحية منها والروائية. ولكنه لم يطبقه على النصوص الشعرية. وبما أننا اعتبرنا الأسلوبيات علماً يدرس جميع أنماط الأساليب الأدبية وغير الأدبية، أي جميع الاستعمالات اللغوية الخاضعة للشرط الاجتماعي المتغير والمتلون فإنه كان من الأفضل من حيث المنهج والمادة أن يختار المؤلف بعض النصوص الشعرية وبعض النصوص المتعلقة بالاستعمالات اللغوية

الخارجة عن نطاق الأدب بأنواعه المختلفة وذلك لكي يتحقق من صحة المنهج الأسلوبي الجديد الذي وضعه.

والواقع إن الكتاب لا يكتمل منهجاً ومادة إلّا بدراسة هذه النصوص الشعرية واللغوية لكي يكون العمل وافياً وكافياً وشاملاً. ذلك لأن أهم صفة في أي منهج علمي منضبط هي الشمولية التي هي نتيجة لذلك الانتقال من الجزيئات إلى الكليات لكي يأخذ التطبيق صفة الشرعية والعالمية.

(2) بما أن الأسلوبيات تستخدم معايير موضوعية عديدة من أجل أن تطبقها على تحليل النصوص فإن المؤلف لم يستخدم إلّا معياراً واحداً من هذه المعايير هو معيار الاحصاء. والواقع هناك معايير كثيرة بالاضافة إلى معيار الاحصاء يمكن للأسلوبيات استخدامها من أجل دراسة النصوص كمعيار التواصلية اللغوية التي تبحث في المرسِل والمرسَل إليه والقناة الموصلة والمدونة أو النص والوضع ثم التوضيع. وهناك المعيار النفسي الذي يبحث في الانفصام أو الاندماج مع النص والتعاطف مع النص والموقف النفسي لمنشىء النص ومتذوقه، ثم الظروف النفسية التي تمخض عنها النص وما إلى ذلك من المفاهيم النفسية المفيدة جداً في كشف قناع المعنى عن النص المدروس.

أضف إلى ذلك أن هناك معايير اجتماعية وانثروبولوجية ودينية مهمة جداً في كشف المعنى وهتك حجابه سواء على صعيد المؤلف أم المتلقي أم السياق الذي انتج النص.

إن الفكرة الرئيسية هنا هي أن المؤلف لم يستخدم معايير موضوعية عديدة (لا نظرياً ولا تطبيقياً) لدراسة النصوص دراسة أسلوبية. وهذا يقودنا إلى التساؤل حول النتائج التي توصل إليها المؤلف من خلال استخدامه معياراً واحداً هو معيار الاحصاء. ذلك لأنه لا يمكننا التيقن من مدى صحة هذه النتائج ودقتها إلّا باستخدام هذه المعايير الموضوعية الآنفة الذكر.

إن معيار الاحصاء لا شك في أنه قد يأتي ببعض الحقائق الأسلوبية حول بنية النص ووظيفته ولكنه لا يستطيع أن يأتي بكل الحقائق التي تدور حول المؤلف والمتلقي والسياق النفسي والاجتماعي والأنثروبولوجي... إلخ. إن أية دراسة تريد لنفسها الضبط العلمي لا بد أن تستخدم جميع المعايير الموضوعية التي يمكنها أن تكشف لنا بنية النصوص المدروسة شكلاً ووظيفة.

(3) وهذا يقودنا للقول أن الباحث لم يستفد من النتائج المذهلة التي حققتها اللسانيات الاجتماعية في العقدين الماضيين كالفروق القائمة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة والفروق القائمة بين لغة النساء ولغة الرجال والجانب الحضاري والاجتماعي للغة... إلخ.

صحيح أن المؤلف تحدث عن الجغرافية اللغوية التي تمكّن الأسلوبيات من كشف الأساليب الاجتماعية من خلال خطوط التوزيع المختلفة إلّا أن هذا لا يكفي لاستخلاص بنية النصوص ووظائفها الاجتماعية، فاللسانيات الاجتماعية قطعت شوطاً كبيراً في دراسة الأشكال اللغوية ووظائفها الاجتماعية والحضارية. فالمدرسة التواصلية مثلاً اكتشفت أن العملية الايصالية تحتاج إلى ثلاثة أنماط لصياغة المعنى وفرزه في النص. هذه الأنماط هي التالية[31].

أ. أنماط الترميز وتشمل:

(1) القواعد الصوتية والصرفية والنحوية.

(31) خرما، د. نايف وحجاج، د. علي (1988 ص 125-126) **اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها**. عالم المعرفة. الكويت.

الجدير ذكره هنا أن هذا المرجع اعتمد في هذا التصنيف على تصنيف عالم اللسانيات الاجتماعي لفداي. لمزيد من التفصيل انظر:

Loveday. L (1982: p.63). **The sociolinguistics of Learning and Using a Non-Native Language.** Oxford: Pergamon Press.

(2) الأصوات .
(3) تنغيم الكلام .
(4) نوعية الصوت البشري .
(5) ما يرافق ذلك من العناصر الحركية (كالايحاءات وقسمات الوجه وحركة العينين) .
(6) ما يرافق ذلك من العناصر المكانية (طريقة وقوف الشخصيات المتحاورة أو جلوسهم مقابل بعضهم بعضاً) .

ب . أنماط التأطير وتشمل الاستراتيجيات المختلفة في المجتمع وينطوي عنها :

(1) كمية الكلام .
(2) طريقة استهلال الحوار .
(3) تطوير الحوار .
(4) انهاء الحوار .
(5) تبادل الأدوار فيه .
(6) كيفية معالجة موضوع البحث وتنظيمه .
(7) الأمور الروتينية .
(8) الكليشيهات .
(9) الطقوس المختلفة المتبعة في مجتمع من المجتمعات .

جـ . أنماط السياق والمقام وتشمل :

(1) مسرح التفاعل اللغوي .
(2) مكانه .
(3) زمانه .

(4) موضوع الحوار .

(5) الشخصيات المشاركة في الحوار وعلاقة بعضها ببعض من النواحي الاجتماعية .

(6) الخلفية الحضارية الاجتماعية والخلفيات الأخرى للشخصيات .

وهكذا فإن هذه الأنماط التواصلية يمكنها أن تكشف لنا حركية التواصل بين منشىء النص والعمليات التواصلية الجارية في النص ثم متلقي النص أو متذوقه . فإذا استطاع الباحث كشف المعنى من خلال هذه الأنماط فإنه يستطيع بعدها تحديد المستوى النفسي للنص والمستوى الشخصي للكاتب ثم المستوى النوعي للمتذوق .

والحقيقة هناك نتائج كثيرة توصلت إليها اللسانيات الاجتماعية يمكن أن تفيد الأسلوبيات في تحليل النصوص كان ينبغي على الباحث ذكرها أو لفت الانتباه إليها لكي تكون دراسته أكثر دقة وضبطاً وموضوعية .

(4) والباحث لم يستفد أيضاً من معيار مهم جداً في اللسانيات البراغماتية النفعية (الذريعية) وهو معيار الشكل والوظيفة . ونعني بالشكل أصوات الجملة وكلماتها وترتيبها ، أما الوظيفة فنعني بها المعنى الذي تفرزه هذه الجملة ، فإذا اعتبرنا الجمل الخبرية والاستفهامية والأمرية أشكالاً فليس من المحتم أن تعطينا هذه الأشكال خبراً أو استفهاماً أو أمراً .

فكثيراً ما نجد أن شكل الجملة يختلف عن وظيفتها . فسؤال المدرس للطالب « لماذا نسيت القيام بواجبك المنزلي يا علي ؟ » ليس سؤالاً على الرغم من شكله ، بل هو تأنيب للطالب على كسله . وإذا دخل الأستاذ قاعة المحاضرات وشعر أن الهواء مكتوم فيها ورغب في أن يفتح أحد الطلاب النافذة أو مكيف الهواء فربما قال « الغرفة مخنوقة الهواء » وإذا أحد الشباب يفهم أن الجملة نوع من الطلب فيبادر إلى فتح النافذة أو تشغيل مكيف الهواء رغم أن الجملة خبرية من حيث الشكل[32] .

---

(32) المرجع نفسه (ص 125-126) .

والحقيقة إن استخدام معيار الشكل والوظيفة في تحليل النصوص يساعد الأسلوبيات على تحديد بنية النص ووظائفه اللغوية والاجتماعية ثم تحديد العملية التواصلية بشكل منسجم ومنضبط .

(5) آخر النقاط السلبية في الكتاب أن الباحث لم يستفد من علْمَيْن حديثين ومهمين جداً في حقل الأسلوبيات وهما علم الدلاليات (Semantics) وعلم السيميائيات (Semiotics) . فقد تطور هذان العلمان تطوراً مدهشاً في السنوات القليلة الماضية ولا سيما من خلال احتكاكهما بالدراسات الأدبية والنقدية . فعلم الدلاليات طرح مفاهيم دلالية جداً مهمة إذا ما استثمرت في الأسلوبيات فإن الباحث سيتوصل إلى نتائج مدهشة حول حركية النصوص من الوجهة الدلالية . من المفاهيم التي طرحتها الدلاليات : العلاقة بين الدلالة والاشارة ــ الوظيفة الدلالية التي تبحث في المعنى وآثاره وفي الخلق والتطور الدلالي في النص ــ أشكال تغيرات المعنى وأسباب هذه التغيرات سواء أكانت تغيرات دلالية أم منطقية . أضف إلى ذلك أن للدلاليات مناهجها في تحليل البنية الدلالية يمكن أن تغني المناهج الأسلوبية وتجعلها أكثر ضبطاً . من هذه المناهج : منهج التحليل التوزيعي ــ منهج التحليل المفهومي ــ منهج التحليل الاشتقاقي ــ منهج التحليل الاحصائي وغيرها من المناهج الدلالية المفيدة .

وليس هنا مجال للتحدث عن علم الدلاليات ذلك لأنه علم متشعب ومتعدد الوجوه ، والكتب المؤلفة حوله كثيرة يمكن الرجوع إليها لمعرفة مدى تطور هذا العلم وأثره في الأدب والنقد والأسلوبيات[33] . أما علم السيميائيات فقد شهد أيضاً تطوراً ملحوظاً ولا سيما في أوربة والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة . يبحث هذا العلم في بنية الاشارة وأنواعها ومصادرها ووظائفها في الكون . وبما أن اللغة إشارة صوتية وكتابية

(33) لمعرفة المزيد حول الدلاليات انظر :

بيير جيرو (1988) **علم الدلالة** . ترجمه إلى العربية د. منذر عياشي . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق .

فإنها تدخل ضمن الموضوعات التي يبحثها هذا العلم. إن استثمار المفاهيم السيميائية في حقل الأسلوبيات سيضيء لنا مناطق غامضة في النصوص الأدبية وغير الأدبية.

من هذه المفاهيم السيميائية المطروحة مثلاً : شكل الاشارة وجوهرها ــ أنماط الاشارة وتأويلاتها ــ الشيفرات المنطقية للاشارة (كالشيفرات الايمائية والشيفرات المعرفية والغيبية ... إلخ) ــ الشيفرات الجمالية للاشارة (كالشيفرات الفنية والأدبية) ــ الشيفرات الاجتماعية المتعارف عليها بين جماعة معينة ذات ثقافة معينة. ومجمل القول إن السيميائيات استطاعت أن تكشف لنا بنية الدلالة الخارجة عن نطاق اللغة والتي يمكن أن تساعد اللغة على الايصال والتوصيل. وكثيرة هي الكتب التي تناولت هذا العلم وبحثته تعريفاً وموضوعاً وغاية يمكن للقارئ الرجوع إليها في أماكنها[34]. والواقع لو التفت الباحث الدكتور سعد مصلوح إلى هذين المعيارين المتطورين لكانت نتائجه أكثر دقة وضبطاً وموضوعية.

الخلاصة

يعتبر كتاب «الأسلوب : دراسة لغوية احصائية» من أهم الكتب التي بحثت في الأسلوبيات على مستوى النظرية والتطبيق. وينبغي علينا أن نعترف أن كل جديد لا بد أن تعترضه بعض العقبات مادة ومنهجاً. ولكن الحقيقة التي لا مجال للشك فيها هي أن هذا الجديد لا بد من التطوير، ولا يمكن أن يتم هذا إلّا من خلال احتكاك النظرية بالواقع. وبما أن الأسلوبيات تعتبر نظرية قائمة بذاتها فلا بد من تطبيقها على النصوص العربية (الأدبية وغير الأدبية) وذلك لامتحانها ومعرفة مواطن قوتها وضعفها، ذلك لأن المشكلات التي تحيط بالأسلوبيات في الغرب هي مختلفة

(34) لمعرفة المزيد حول السيميائيات انظر :

بيير جيرو (1988) **علم الاشارة ــ السيميولوجيا**. ترجمه إلى العربية د. منذر عياشي. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. دمشق.

من حيث الشكل والجوهر عن المشكلات التي تحيط بها في الثقافة العربية المعاصرة. وما هذه الدراسة التي قدمها الدكتور سعد مصلوح إلّا محاولة لجعل النظرية الأسلوبية تحتك بالواقع العربي (اللغوي والأدبي) من أجل اكتشاف أفضل وأنجع لبنية النص العربي. بهذا المفهوم وحده يمكن أن تُعدّ هذه الدراسة الأسلوبية لبنة من لبنات الثقافة الأسلوبية الحديثة التي نتطلع إليها في المستقبل.

الفصل الرابع

كتابان لسانيان مترجمان تحت المجهر

0. مدخل

سوف أدرس في هذا الفصل كتابين لسانيين مترجمين إلى اللغة العربية، الأول كتاب **اللسان والمجتمع** الذي ألفه اللساني الفرنسي هنري لوفيغر وترجمه إلى العربية الدكتور مصطفى صالح، والثاني كتاب **تشومسكي** الذي ألفه اللساني البريطاني جان ليونز وترجمه إلى العربية الدكتور محمد زياد كبة.

إن الهدف من دراسة هذين الكتابين وتحليلهما هو التعرف إلى أهمية الموضوعات اللسانية المنقولة إلى الثقافة العربية ثم التعرف إلى مدى استفادة الإنسان العربي من هذه الموضوعات اللسانية على نحو خاص ثم استفادة الثقافة العربية منها على نحو عام.

والواقع لقد تم اختيار هذين الكتابين نتيجة لاختلاف المنطلقات الفلسفية لكل منهما، إذ إن الأول (اللسان والمجتمع) كان قد درس اللغة بدءاً من المجتمع، والثاني (تشومسكي) كان قد درس اللغة بدءاً من الفرد وبالتحديد من الدماغ البشري. أضف إلى ذلك أن الكتاب الأول كانت دراسته للغة دراسة سطحية ظاهرية دون وضع فرضيات للغوص في أعماقها. والكتاب الثاني كانت دراسته للغة

دراسة عميقة واضعاً فرضيات عديدة للتوصل إلى معرفة حركية اللغة وديناميكيتها في الدماغ البشري .

وأخيراً إن أدوات البحث في الكتاب الأول هي أدوات فلسفية اجتماعية غامضة في حين أن أدوات البحث في الكتاب الثاني هي أدوات رياضيَّة بيولوجية فيزيائية واضحة ودقيقة ، ولكن الأهم من هذه وتلك هو مدى الاسهامات النفعية ـــ البراغماتية التي يمكن لهذين الكتابين أن يقدماها إلى ثقافتنا العربية التي تسعى إلى إقامة توازن استراتيجي مع بقية الثقافات الأخرى في عصر الهويات الحضارية .

1. اللسَانُ وَالمجـــتمـعْ

0.1. تمهيد

اللسان والمجتمع هو عنوان الكتاب الذي ألفه الباحث اللساني الفرنسي هنري لوفيغر عام (1966) وترجمه إلى العربية الدكتور مصطفى صالح ، ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي عام (1983) . يطرح الكتاب قطبين اثـنين يدوران حول محور واحد هو اللغة .

القطب الأول هو قطب فلسفي والقطب الثاني هو قطب اجتماعي .

بالنسبة للقطب الفلسفي ، فقد عرض المؤلف النظرة الفلسفية للغة وذلك من خلال عرضه لمختلف النظرات الفلسفية التي تناولت اللغة . وهذا العمل شغل ثلثي الكتاب . أما القطب الاجتماعي ، فقد حاول المؤلف دراسة اللغة وعلاقتها بالحركة الجدلية للمجتمعات البشرية ، وقد ركّز على جانب لغوي اجتماعي واحد هو الدلالة ضمن بوتقة اجتماعية معينة . كيف تنشأ ولماذا تنشأ ولمن تنشأ ، وماذا تفرز ، ثم ما هي طبيعة الدلالة في المجتمعات البشرية ؟ .

سأحاول في الصفحات التالية تبيان القطبين: الفلسفي والاجتماعي من خلال عرض العناوين الرئيسية وشرحها على نحو أرجو أن يكون واضحاً.

1.1. مسائل اللغة ... اللغة موضع تساؤل

يعالج المؤلف هنا مسائل اللغة واختلافها في العلوم الطبيعية والإنسانية، إذ إن لكل علم لغته ولسانه ومصطلحاته. هذه القضية تطرح السؤال عن ماهية اللغة المشتركة بين هذه العلوم، وماهية اللغة الخاصة بكل أبعادها. فمثلاً هناك فرق بين لغة العلم (الفوقية) ولغة المجتمع الواقعية (التحتية)، فاللغة في العلوم الاجتماعية تُدرس على مستوى الفرد ومستوى الجماعة. حتى أن اللغة تُدرس من الناحية الطبية أي دراسة الأمراض اللغوية والأمراض العقلية. وهذا يستدعي إنشاء لغة خاصة تختص بـعلم اللسانيات الاجتماعي. واللغة لها علاقة بالفلسفة، إذ يريد الدارسون معرفة ما هو معروف انطلاقاً من المقولة الفلسفية التي طرحها الفيلسوف اليوناني سقراط: «اعرف نفسك». ولا نستطيع معرفة النفس البشرية إلا من خلال اللسان أي اللغة.

وهكذا فإن الفلسفة تطرح مقولة: الإنسان حيوان ناطق، وتبتعد عن التأملات والتهويلات الميتافيزيقية. ويتعرض المؤلف لتفكير الفلاسفة عبر التاريخ بموضوع اللغة ولكن على نحو غامض جداً، ولعلاقة اللغة بالأدب، إذ كان الكاتب في القديم يستخدم أدوات اللغة (المفردات، قواعد اللغة والنحو) بشكل حرفي. أما الآن فقد بدأ الكاتب يتساءل حول اللغة أهي وسيلة أم غاية، وهكذا فقد دخلت في الكتابات الأدبية تقنيات حديثة مستفيدة من علم اللسانيات كالتقنيات المتعلقة بالأسلوب والأسلوبيات. واللغة لها علاقة بالفنون ذلك لأن فن الرسم مثلاً يعتبر لساناً، والموسيقى تعتبر لساناً أيضاً. وهكذا يطرح المؤلف قضية الدلالة في اللغات الطبيعية واللغات غير الطبيعية.

وخلاصة القول هنا هي أنه يجب أن ندرك عن كثب علل الأهمية المعطاة للغة

وأسبابها ودوافعها ونعيب فساد اللغة نفسها ذلك أن اللغة تتضمن اليقينيّات الأولى بالنسبة للطفل والراشد والمفكر. فاللغة تطرح إشكالية، لذلك لا بد من التساؤل حولها، حول وظائفها، حول بنيتها، حول تولد الأفكار فيها... إلخ.

لقد مُنحت اللغة في العصر الحديث أهمية كبرى وأصبح هناك تعليلات لظاهرة اللغة سواء أكانت تعليلات فلسفية، أم تعليلات اجتماعية ـــ سوسيولوجية.

2.1. نحو تفكير جديد حول اللغة

لقد بدأ الفلاسفة يطرحون أسئلة تتعلق باللغة والمجتمع، والمعاجم وكتب القواعد وأساليب الفنون المختلفة عند الشعوب، وقد تساءلوا عن قيم مثل: الروح، الشعور الأنا، الطبيعة، اللغة... إلخ.

إن التفكير الأعم اليوم يبحث عن معقوليّة جديدة لا تصدر عن نوع من قرار تحكمي يتخذه الفلاسفة، بل تتصل اتصالاً مباشراً بالواقع البشري، وقد يتحد بجزء من هذا الواقع. لقد عرضت الفلسفة الكلاسيكية الأوربية نمطين من المعقولية: أحدهما مقتبس من الشيء، من الجوهر، من الواقع المحسوس. والثاني مقتبس من الشعور، من الأنا، من الروح. فبالنسبة للغة فإنها تقع خارج القضايا المتناقضة التي يطرحها الفلاسفة، ذلك لأن اللغة ليست ذاتية وليست موضوعية، بل تحيط بالذات وبالموضوع معاً. والواقع، وعلى الرغم من ذلك تقدّم الدراسة اللسانية فائدة عظيمة للفلسفة، إذ تستطيع أن تحلّ تنازعات الفلسفة الداخلية من خلال علوم لسانية عديدة علمية مثل علم اللغة (أي دراسة اللغات دراسة عامة، مقارنة، تاريخية، بنيوية) وعلم الدلالة (أي دراسة معاني الكلمات وتغيرات المعاني)، وعلم الإشارة (أي دراسة العلامات السيميولوجية ومنظومات العلامات غير اللغوية) وعلم أصوات اللغة (أي دراسة الأصوات الداخلة في تركيب الكلمات). وهكذا فإن المعقولية الجديدة التي تشمل الحدود الفلسفية ترتبط بالفكر العلَمي ارتباطاً وثيقاً.

ويعرض المؤلف نظرات الفلاسفة المختلفة إلى اللغة أمثال (ليبنز ، ديكارت ، ماركس ، هيجل ، جان بول سارتر) .

لقد كشف التحليل العلمي للغة خصائص مدهشة غير متوقعة . فالكلام مثلاً يجري في الزمان لا يكاد يُلفظ حتى يموت ، ولا يكاد الفكر يعلن حتى يزول إن لم يستعده فكر آخر أو ذاكرة أخرى . ولكن هذه الحادثة تُسجل مكانياً في الكتابة ، وإن للكتابة تاريخها وهي تندمج في التاريخ . صحيح أن عرض الزمان في المكان بالصورة المتقدمة يسمح بإفلات شيء ما . وهذا ما يلاحظه القارئ العادي بصعوبات إعادة الكلام الحي مع إرفاقه بالحركات والإيحاءات التعبيرية . فالكلام الذي أحدث موضوعاً ودوِّن بالكتابة هو على الأرجح مبتور ، مقلص ، معدل ومع ذلك نجد الكلمات ليست دون عناء ، بدءاً من الكتابة . والتعرف على الكلام من خلال الكتابة يكمن بتجديد نشاطه وإيقاعه وغنائه وحركاته ، أي بإعادة ابتكار الإلهام الأول . بإعادة خلق الكلام .

وهكذا فإن اللغة تضع المنطوق والمكتوب أمام ثلاثة مستويات متداخلة (1) الجملة (2) المتكلم (3) المستقبل . فاللغة ذات مفاصل إذا قورنت بلغة الحيوانات . فكل وحدة من وحدات التمفصل لها سمات مميزة . ويعرض المؤلف لآراء علماء اللسانيات بالتمفصل أمثال (جاكبسون ، مارتينه وبارت) . ويتعرض المؤلف أيضاً إلى ظاهرة مهمة تسم التمفصل اللغوي هي قانون الجهد الأدنى . إذ يميل المتكلمون إلى قول أقصى ما يمكن بأكبر قدر ممكن من الفهم وبأقل نفقة من الجهد والطاقة . فكل لغة تملك هذه الخصائص الثلاث : الاقتصاد ــ الاستقرار ــ الانفتاح .

3.1. تعقدات اللغة ومفارقاتها

يتعرض المؤلف هنا إلى نشأة الدلالة ومسألة اللغة الفوقية عند علماء اللسانيات . ففي رأي ــ سوسور ــ عالم اللسانيات السويسري لا يوجد في اللغة

سوى فوارق دون حدود إيجابية. فليس للعلاقات والمعاني قيمة مطلقة، بل قيم نسبية.

لنفرض أن كائنين بشريين (أ) و (ب) يتحادثان، ثمة ازدواجية تؤلف تواصلهما، ذلك أنهما يتبادلان الكلام، ويتحادثان عن شيء ما، فالحدود (أي العلامات، والذرات الدلالية والوحدات المتميزة) التي يستعملونها لا تشكل جزءاً منها. كما أنها ليست جزءاً من الأشياء التي يتكلمان عنها. إن اللغة تدل على الأشياء أو على الأصح، مفاهيم هذه الأشياء فليست اللغة شيئاً، ولكن هذا لا يعني أنها غير واقعية، بل يعني أن واقعها له نوعيته الخاصة، إنه شكلي، اللغة لا تصبح إلا بالصيرورة التي تثبته مكانياً أي الكتابة. ويعرض المؤلف المفارقات التي ترافق اللسان أو اللغة. فدراسة اللغة تثير صعوبات غريبة كثيراً ما تضعنا في إحراجات ومفارقات وفي مقدمتها مفارقة الكذّاب الشهيرة (يقول ابيمند الكريتي: إن أهالي كريت كذابون). فقد تأمل الفلاسفة طويلاً في هذه الأسئلة أين تنشأ الدلالة؟ وكيف؟ وبواسطة من؟ ولأجل من؟.

لقد قدم المؤلف آراء الدلاليين والفلاسفة في مسألة الدلالة أمثال: (هوسرل، وماركس، وهيجل، وفيتغنشتاين، وجاكبسون). فمثلاً لقد أثبتت الماركسية عدم وجود فكر ولا شعور دون هذا الركن المحسوس، أي اللسان (اللغة)، وهكذا فإن الفكر والشعور واقعتان اجتماعيتان. إن الإنسان يفكر تبعاً لفئة أو طبقة اجتماعية معينة. إن مسألة معرفة كيفية النزول من عالم الأفكار إلى عالم الواقع تتحول إلى مسألة معرفة كيفية النزول من اللغة إلى الحياة. إن اللغة هي لغة الحياة الواقعية وفي الحياة الاجتماعية تتبدى الدلالات. وهكذا وجب علينا بحث الانتقال المزدوج من اللغة إلى الحياة، ومن الحياة إلى اللغة. إن الإنسان هو الذي أعطى الأشياء قيمتها لكي تبقى. وهو الذي أبدع معنى الأشياء، أي معناها الإنساني، يقول الفيلسوف

فيتغنشتاين : «إن كثيراً من المسائل الكاذبة والمشكلات المستعصية التي طرحها الفلاسفة تنتج عن كوننا لا نفهم اطرادات لساننا ، أي منطق هذا اللسان» .

وهكذا تولد الدلالات والمعاني في الحياة اليومية . فمن هذه اللغة اليومية التي تنقل شتى القذارات يجدر استخلاص الذرات المنطقية التي لها دلالة . ولكن ألا يلزم أن تكون هناك لغة للكلام عن اللغة ؟ فأية لغة نستخدم في هذا المجال ؟ وما هي اللغة المفضلة ؟ .

يقدم ــ جاكبسون ــ حلاً جريئاً لهذه المسألة . ففي رأيه تجب دراسة اللغة في تنوع وظائفها مما يستلزم تحليل العوامل المؤلفة لكل تواصل كلامي . هذه العوامل هي ستة في رأيه : (1) الرسالة (2) المرسِل (3) المرسَل إليه (4) الاتصال بينهما (5) نص الرسالة (6) المدونة التي تنتج فك الرموز . هذه العوامل تنتج ست وظائف مختلفة :

(1) وظيفة تعبيرية (2) وظيفة نزوعية (3) وظيفة تسجيلية معرفية إحالية (4) وظيفة اتصالية (5) وظيفة شعرية (6) وظيفة لغوية فوقية . وقد أعطى ــ جاكبسون ــ هذا المثال ليدل على هذه الوظائف :

ــ جميلة مرحباً بك أيتها الفتاة (وظيفة اتصالية) .

ــ اجلسي (وظيفة نزوعية) .

ــ أنا سعيد برؤيتك (وظيفة تعبيرية) .

ــ اعتقد أنك لست وحدك (وظيفة إحالية) .

ــ لقد منحتك الشمس سمرة جيدة وأنت جميلة كالصيف (وظيفة شعرية) .

وهذا يقود المؤلف لأن يفرق بين مفهومي الدلالة والمعنى . فليست كلمة (كرسي) مؤشراً يدل على الكرسي ، ومحتوى هذه الكلمة أي الأصوات التي تؤلفها ، ليس الشيء ، بل شيء ما غير مادي وغير حقيقي بالقياس إلى واقع مادي محدد : هو المفهوم أي (كرسي) إذاً لا تدل العلامة على الشيء ، والمدلول ملازم للدال الذي هو

تحكمي بالقياس إلى الشيء، فلا تتصل كلمة (كرسي) بالشيء ولكنها تتضمن المدلول (أي المفهوم) على نحو وثيق. فالعلامة لها وجهان مثل وجه الورقة وظهرها، وعبثاً أحاول تقطيع صحيفة الورق لأن كل جزء منها يحتفظ بوجه وظهر. وهذا ما جعل ــ سوسور ــ يفرق بين القيمة والدلالة. تأتي القيمة فتحدد دلالة الكلام، الدلالة دقيقة ولكنها تتغير بتغيير القيمة.

ويمكن أن نبين مفهوم الدلالة والقيمة من خلال هذا المثال:

ــ ليست السيدة في البيت ← دلالة.

ــ يمثل بيتاً تجارياً ← قيمة 1.

ــ كافح ريشليو ضد البيت النمساوي ← قيمة 2.

إن تعدد معاني كلمة (بيت) واضح، فالغموض يعتري علاقة الدال بالمدلول ولا تتضح هذه العلاقة إلا بالقرينة. فالجملة بما هي فعل تحرر قيمة الكلمة وتعطي القيمة دلالة. إن الذي يكوّن المعنى هو مجموع الدلالات التي هي مختلفة في قيمتها.

وهذا يقود المؤلف للتحدث عن الصعوبات والتناقضات في النظرية اللغوية. فهناك تنافر في اتجاهين: الأول يمثله تروبتسكوي وجاكبسون وليفي شتراوس وبارت. والثاني يمثله مارتينه ومونان. ويشرح المؤلف موقف تشومسكي المنفصل من اللغة. فتشومسكي يريد دراسة جانب اللغة المبدع، فالوحدة الدالة عند تشومسكي لم تعد الكلمة كما كان الأمر عند ــ سوسور ــ والجيل التالي بل أصبحت الجملة. وينقد المؤلف هذه النظرية لأنها تبحث عن تبني فوقية خفية، وهي نظرية آلية ميتافيزيقية تبحث عن كنايات خفية في نظر المؤلف. ويعرض المؤلف لرأي هيلمسليف اللساني الدانماركي الذي يبحث عن المدلول في اللغة فكل لغة تقطّع الواقع الاجتماعي تقطيعاً يختلف عن التقطيعات الأخرى. ولا يمكن فهم اللغة إلا بدراسة الواقع الاجتماعي المقطّع. ويبحث المؤلف في الدلالات الناتجة عن أنظمة دلالية غير لغوية (سيميولوجية) كأسماء الألوان والرتب العسكرية، وصفات الفروسية، وهذه

الدلالات تطرح أسئلة تتعلق بطبيعة الدلالة : هل هي فلسفية أم علمية؟ بعيدة عن الواقع أم قريبة منه؟ كيف تتمتع الكلمات بالسلطة إذا لم تكن هي كلمات الناس الذين يملكون السلطة؟ ويخلص المؤلف إلى أن هناك مفاهيم متناقضة، الأمر الذي يجعل علم اللسانيات الحديث في حالة أزمة ولكنها أزمة خصبة وليست سقيمة.

4.1. الوضع النظري والوضع الثقافي

يتحدث المؤلف هنا عن تأثير اللغة المتزايد في حياتنا اليومية وخاصة في مجال الدعايات الاجتماعية ويشرح أيضاً بأن اللغة كانت قد اعتبرت لزمن طويل على أنها منطق العلاقات، أما اليوم فيلح بعضهم على لبسها وغموضها وغرابتها وجوانبها الشاذة. ويتعرض المؤلف إلى الفساد اللغوي المتفاوت عند الطبقات الاجتماعية المختلفة (عند الفلاحين، عند الموظفين، عند العمال، عند النساء، عند الشباب، عند مستخدمي المكاتب... إلخ). ويخلص المؤلف إلى نتيجة تقول بأنه لا تجدي محاولة فهم المجتمع بدءاً من اللغة بل يجدر فهم لغة هذا المجتمع وأقواله بدءاً منه.

5.1. الرد كنمط من أنماط التحليل

يتناول المؤلف قضية سماها الرد، والرد في رأيه نمط من أنماط التحليل يقوم على إرجاع المركب إلى البسيط أو الكشف عن القاسم المشترك بين حدود عدة. والمقصود من عملية الرد الكشف عن ماهية الأشياء أو المعاني. ونستطيع أن نفهم جيداً محاولات الرد الأساسية الثلاث في الفكر المعاصر بصورة منهجية وهي :

(1) الرد الجدلي الذي تبناه ماركس (2) والرد الفينومينولوجي الذي تبناه هوسرل. (3) والرد اللغوي الذي تبناه سوسور. ويعنينا هنا الرد اللغوي. فقد تساءل سوسور عما يؤلف في آن واحد موضوع علم اللغة المتعددة الأشكال. إنها خليط، إذ إنها تمتد إلى مجالات عدة منها الطبيعي ومنها الفيزيولوجي ومنها النفسي ومنها الفردي، ومنها الاجتماعي. أما الكلام فهو كل في ذاته، وعندما تُفصل اللغة عن

الكلام يُفصل في انٍ واحد ماهو اجتماعي عما هو فردي، ما هو أساسي عما هو ثانوي. إذاً اللغة موضوع محدد تماماً في المجموع غير المتجانس واللغة المتميزة من الكلام هي موضوع ينبغي دراسته بصورة منفصلة. إن اللغة منظومة علاقات، إنها مثل لعبة الشطرنج ذات العلاقات المتشابكة.

6.1. أبعاد اللغة

يعرض المؤلف هنا النظريات التي تناولت أبعاد اللغة :

(1) فنظرية أحادية البعد تتصور اللغة كخط أو سلسلة من الروابط التداعوية، إنها تتابع الرد إلى النهاية وذلك باستبعاد المعنى والدلالة، فهي تقسم الوحدات الصوتية والتركيبية وتوزعها على محور واحد.

(2) ونظرية ثنائية البعد الذي أخذ بها سوسور وجاكبسون تنظر إلى اللغة على أنها دال ومدلول، لغة وكلام، أصوات صائتة وأصوات صامتة، تقابل وتباين، تضمين وتنافي، قرب وبعد، مُرسِل ومُرسَل إليه ... إلخ.

(3) ونظرية ثلاثية البعد تنظر إلى التحليل اللغوي على أنه ينبغي أن يعتبر اللغة عنصراً أولياً والمتكلم عنصراً ثانياً والمستمع عنصراً ثالثاً.

هذه النظريات المختلفة تطرح قضية المعنى على نحو واضح وذلك لأن نشاة المعنى بحد ذاته معقدة، كيف يحدث المعنى، ولأجل من يحدث، وبماذا حدث؟ هل يولد من الكلمات أو ينشأ من المحسوس أو في علاقة هذا بتلك؟ كيف يأتي فيوظف في المحسوس (المدرك) بحيث يؤلف حقلاً خارجاً عن مجال اللغة؟.

إن هذه الفعاليات المتعاقبة أو المتزامنة لا تجري داخل اللسان «اللغة» بل في الصلة بين اللغة وبين الشكل اللغوي وأشكال الفعالية العملية الأخرى. ويبيح لنا البحث عن المعنى أن نشدد على انتقال ما لا معنى له إلى المعنى، وعلى سقوط ما كان له معنى في اللامعنى. فاللغة لها صلة مزدوجة بالعالم المحسوس، فتحت اللغة

وقبل الكلام الفردي ، يوجد ما يسميه الفلاسفة الجسد ، الحاجات ، ازدحام النزوات والأحاسيس . وإزاء هذا الذي لا شكل له ، تقوم اللغة ، بما أنها واقعة اجتماعية ، بدور المراقب ، ولكن يوجد أيضاً في اللغة الاجتماعية ، قبل الكلام الفردي ، الزمان والمكان . يقول الفيلسوف غيوم « هناك هيكل لغوي هو الحامل لكل لغة وهو الذي يطلعنا على معمار الزمن في هذه اللغة » .

ويعالج المؤلف أيضاً مسألة الدلالة الطبيعية المتولدة من اللغات غير الطبيعية . فالصليب في الواقع هو دال لمدلول هو المسيحية ، والصليب الأحمر يعني منظمة دولية والهلال يعني الإسلام ، إن الصليب الأحمر في البلدان الإسلامية يصبح الهلال الأحمر وهكذا فالرمز يتحول إلى علامة . إذاً قد يوجد تنافس وليس وحدة بين الرمزية والمعنى ، هناك صلة تنازعية ، كل منها يحيط باللغة على طريقته فالشعارات والرسوم المرموزة والحكايات الرمزية تقوم بدور كبير في حياة الجماعات وهي تتغير أو تندثر أو تزول أو تبدل . وعندما أراد سوسور توضيح تصوره عن العلامة ، اتجه ذهنه إلى الشطرنج . كل قطعة تدخل في منظومة دقيقة مؤلفة من رقعة الشطرنج ، وقواعد انتقالها المرتبطة بجميع القواعد الأخرى . القطعة منفردة تصبح قطعة فحسب . إذاً كون القطعة من خشب أو عاج إنما هو أمر قليل الأهمية . القطعة علامة ، واللغة تصور من الناحية الشكلية على أنها منظومة العلامات هذه . فالقطعة لها دلالة والدال هو الشيء والمدلول هو الانتقال على خانات الشطرنج . ولكن القطعة لها قيمة أيضاً وقيمتها متفاوتة ، فقيمة الملكة أكبر من قيمة بيدق ، والقيمة غير محددة مسبقاً تحديداً تاماً . فهذه اللعبة التي تؤلف قواعدها الشكلية منظومة مغلقة (في الزمان والمكان) تترك بنوع من المفارقات نصيباً راجحاً لمبادهة اللاعب أي للموهبة . ففي المواجهة يتغلب الأفضل ، على الأقل في عدد معين من المباريات . فليس للقطع من قيمة إلا ضمن خطة . هذا اللاعب يلعب بالأحصنة وذاك بالفيلة . أضف إلى ذلك أن اللاعب يستطيع تغيير استراتيجيته من مباراة إلى أخرى أو أثناء سير المباراة الواحدة

ومع ذلك تتسم مباريات كبار اللاعبين بسمات أصحابها. ويظهر معنى المباراة ويتعين في أثناء تقدم اللعب ولا يصبح واضحاً إلا في النهاية عندما تبلغ الاستراتيجية هدفها. وتتغير القيم مع الاستراتيجية أي مع المعنى، ولعل تغيير أسماء القطع ممكن كتغيير مادتها وأشكالها، فلماذا يُحتفظ بهذه الألفاظ: ملك، وزير، حصان، فيل، قلعة... إلخ؟ ففي مقدورنا أن نسميها بحروف أو أعداد أو بعلامات إصطلاحية. وبعض كبار اللاعبين يستطيعون إدارة مباريات عدة وعيونهم معصوبة، إذاً دون رقعة شطرنج... ودون خانات... ودون أشكال، أي في نوع من التجريد الإجرائي.

7.1. المدوّنة والنص

يتحدث المؤلف هنا عن المدونة والنص والأبعاد التي تشملها. إن التجربة البشرية تتضمن الجوانب الثلاثة التالية:

العالم واللغة والمجتمع المشخص (البراكسيس). إن اللسان الحي هو الذي يتجاوز نفسه باستمرار نحو شيء آخر، نحو البراكسيس المحسوس، وإن لم يكن هكذا فاللسان يفسد. ويطرح المؤلف قضية مهمة في هذا المجال هي قضية النص. ما هو النص؟ النص الاجتماعي في رأيه هو مجال محسوس زاخر بالمعنى من خلال العلاقات والقيم: الشارع مع البيت، الناس مع وجوههم وإيماءاتهم وثيابهم، الشقق مع أساسها. فهناك تحت بصرنا نص اجتماعي يفرض وظائف لغوية معينة:

(أ) فقد تكون اللغة مؤسسة وأداة معاً. يعلن اللساني الفرنسي مارتينه إن التواصل هو الوظيفة الأساسية لهذه الأداة التي هي اللغة. قد تكون الوظيفة التواصلية على هذه الصورة هي وظيفة اللغة الأساسية، وهذا موضع تساؤل أي أننا لا نقبل هذا التعريف إلا بتحفظ. لقد توخت دراسة المؤلف البرهنة على أن اللغة ليست ظاهرة اجتماعية شاملة مع التسليم بوجوب هذه الظاهرة

أي بواقعيتها في الماضي، وواقعيتها اليوم في مجتمعنا. وإذا كانت اللغة تبدو ظاهرة شاملة فمرد ذلك إلى بعض الأحوال والظروف.

(ب) وللغة وظيفة المراكمة، أي وظيفة حفظ دروس التجربة ومراكمتها، لقد فهم سوسور نمطاً فعالاً للغة. فهي لا توجد دون الذين يتكلمونها، وفي الوقت ذاته ترين بثقلها علينا. إذاً تقوم اللغة بدور الكنز الذي تتراكم فيه مكاسب الثقافة والحضارة. فإذا كان المجتمع الذي تدخل اللغة فيه وتعبّر عنه سكونياً، فقلما يتغير الكنز. وإذا كان ينمو نمواً كمياً ولا سيما إذا كان يتطور نوعياً فإن الكنز يزداد. الأمر بالطبع لا يتعلق بزيادة كمية فحسب، بل يتعلق بزيادة عدد الكلمات.

(ج) وهناك وظيفة خاصة بالوضع، ذلك أن اللغة تسمح بوصف الأوضاع والتعبير عنها. ولا يجب اعتبار هذه اللفظة بمعنى ضيق، فالأوضاع المعاشة ليست هي أوضاع الأفراد مع مآسيهم فحسب بل أوضاع الجماعات بما في ذلك الطبقات الاجتماعية والشعوب والأمم. ففي أساس مفهوم التواصل، فيما قبل الحقول المحسوسة وبعدها، توجد أوضاع متقاسمة بين البشر. والمعنى يتأتى من أوضاع ويحيل إلى أوضاع.

(د) وهناك وظيفة عقلية للغة. لقد ذهب بنا الظن إلى أن واجبنا تمييز شكل الفكر المنطقي وشكله اللغوي. ويتم الحصول على الشكل المنطقي بإعداد يبدأ مع اللغة، ولكنه يتطلب فعالية محددة، مخصصة تجري عملياتها على اللغة. وأخيراً حيثما يبدو أن اللغة تتعقلن خلال تاريخها في المجتمعات الأوربية الغربية، فتلك سمة تأتي إليها من خاصة هذه المجتمعات. إذاً يجب علينا الاقتصار على القول إن اللغة في مجتمعاتنا تحمل إعداداً عقلياً تجعلنا ندعمه. ولكن من يقوم بهذا الإعداد؟ إنه عالم المنطق عندما يستخلص الشكل المنطقي، والفيلسوف والعالم عندما يصوغان المفاهيم، ورجل الدولة عندما يحسّن الجهاز السياسي، ورجل الاقتصاد عندما يحاول تنظيم الإنتاج.

وبإختصار : يقوم بعملية الإعداد العقل أي الإدراك التحليلي الذي يدخل في التطبيق ، وَيُعِـدُّ بعض المفاهيم من خلال إستعانته باللغة .

(هـ) وأخيراً هناك الوظيفة التعبيرية . يرى بعضهم أن الكلمات ، ومجموعات الكلمات تعبر عن فكر سابق الوجود على نحو غامض أو ميتافيزيائي ، ولقد استبعد المؤلف هذه القضية التي لا ترتكز إلا على مسلمات فلسفية أو لاهوتية . ويرى بعضهم الآخر أن الوظيفة التعبيرية تحيل إلى الانفعالات ، أي إلى حالات الذات المتكلمة ــ الانفعالية .

8.1. لغة السّلعة ولغة القول

وأخيراً يتحدث المؤلف عن لغة السلعة ولغة القول . ما هو الفرق الذي يوجد بين هذا الشيء الذي أمسكه بيدي (مثل الحلية أو الكتاب) والذي يخصني ، والشيء ذاته وراء زجاج في واجهة بالقرب من عيني ويدي ؟ هو الشيء نفسه وليس هو الشيء نفسه . كيف يكون الشيء الواحد بالتناوب شيئاً (في يدي) وفي الوقت نفسه علامة (في الواجهة) ؟ إن عالم السلع ولغة السلع يدخلاننا في عالم الأشياء ، وهما لا يتطابقان ، ذلك أن عالم السلع يقدم ويمثل في آن واحد أكثر من عالم الأشياء وأقل منه ، فهذا الأخير أشد حضوراً في حياتنا اليومية ، يشتمل على أشياء (نا) وأملاك (نا) أما عالم السلع فهو جذاب ومثير ، ولكنه خارج حوزتنا . إننا نستطيع اعتبار السلع لغة ، لها نوعيتها الخاصة . ولا يمكن تحديدها كـ(مماثل) للغة المنطوقة وهي تملك سماتها الخاصة . ويمكن أن تصبح اللغة موضوع تجارة . ففي اليونان ولا سيما في أثينا يبيعون لغة . فمن الذي يمارس هذه التجارة الخاصة مع أنها ذات أهمية جداً ؟ بيع قول ، أي بيع الكلمات ؟! إنهم كثر وعلى درجة عالية من الأصالة والفعالية : إنهم سفسطائيون ومعلمو بلاغة وخطباء ونحويون ومربون وفلاسفة . فالكلام وقد حولته الكتابة إلى شيء وجعلته الممارسة السياسية قولاً يتحول إلى ثروة ثمينية ، إلى سلعة .

إن اللغة في مثل هذا الوضع تتجاوز مرحلة اللسان ذلك أنها تصبح شيئاً اجتماعياً، تصبح السلعة شكلاً عاماً للتبادل، لنقل الثروة الملموسة. ويصبح صاحب السلعة (التاجر)، اللسان والمتخصص في الألسن، وهو يستخدم اللسان بمهارة كي يقحم ذاته في الجماعة ويُقبل. وعندها يقدم عروضه ليبيع ويشتري بالشروط الأحسن. إنه يكذب، يختلق، يحكي حكايات، إنه الوسيط بين الناس والأشياء. وقد استولى على الوسيط الطبيعي الذي هو اللسان. وهو يعرف كيف يصل به إلى مرحلة الكمال، ولا يمكن استبعاد الفرضية القائلة إن هذه الممارسة الاجتماعية لا تغير المفردات فحسب بل العرف أيضاً وربما يكون من واجب علم الاجتماع اللغوي هنا أن يستعين مع بعض المناهج الأخرى، بالدراسات المقارنة (مثلاً بين اللغة الكاتالونية، لغة شعب صنعته التجارة وسيادة البحار منذ آلاف السنين ـــ واللغة الباسكية، لغة شعب من الرعاة وصيادي السمك).

باختصار إن معقولية اللغة، ومعقولية السلع تتراكبان وتتكاملان وتدعم كل منهما الأخرى.

9.1. النتيجة

إن النتيجة التي يريد الكاتب التوصل إليها من خلال التحدث عن محور اللغة ذات القطبين الفلسفي والاجتماعي تتلخص بالكلمات التالية:

العمق يخدع، وقد يستهوينا أن نضع هذا الشعار:

حذار من الأعماق! حذار من السحيق بمقدار حذركم من السماوي، ومن الوجودي بمقدار حذركم من الماهيات. ابقوا سطحيين، أي على السطح بالقرب مما يوضِّح، وما هو واضح، على أن يقال ما يجعل العمق يشتمل على مكائد وسحر وصور شريرة... التعبيري؟ الرمزي؟ الغامض؟ إلحوا على جوانبها النسبية، ابقوا على السطح، فإليه تأتي كائنات الأعماق لكي تتنفس، أقيموا فيه. السطح، السطحي، هو اليومي، ما يسمع أثناء التكلم مع الناس، ما يرى في حياتهم، لا تبدأوا من جديد

مغامرة الفلاسفة الخائبة ، نيتشه ، هايدغر ، باشلار ، والشعراء الذين حسبوا أنفسهم سحرة وأنبياء ، وفرويد الذي يتحول منهجه إلى تقنية وحتى لو كان المقصود تثوير القول من أجل إعادة خلق اللسان .

تجنبوا أوهام الميتافيزياء ، والرومانسية القديمة اللتين لا تتمكنان من الخروج ولم تخرجا قط من الإطار الذي أرادتا تحطيمه . كونوا سطحيين ، دون أن تنسوا مع ذلك هذا التنبيه : حذار أيها الإنسان ! ... العالم عميق ... أعمق مما يصور النهار !

10.1. ملاحظاتٌ حول الكتاب

لا شك في أن نقل المعارف البشرية من ثقافة إلى ثقافة أخرى عبر قنوات الترجمة أمر يثبت بأن المعرفة البشرية هي ملك الحضارة الإنسانية . ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقتصر على جماعة معينة دون جماعة بشرية أخرى ، وذلك لأن معيار الحضارة والثقافة الخالدة هو انفتاحها وعالميتها وإنسانيتها التي تؤدي في نهاية المطاف إلى تقدم الإنسان والإنسانية .

هذا الأمر متفق عليه منذ قديم الزمان ، فالثقافة العربية الإسلامية قد حققت هذا المعيار في مرحلة من مراحل سير تطورها وذلك لانفتاحها على الثقافات الأخرى المحيطة بها ، والاستفادة منها عبر قنوات الترجمة ، ثم لعالمية هذه الثقافة التي انطلقت من الإنسان على أنه الوسيلة والهدف لبناء الحضارة الإنسانية ، ولكن المشكلة لا تكمن هنا ، بل إنها تنحصر بماذا ننقل أو نترجم ؟ ولمن ننقل ونترجم ثم كيف تتم عملية الترجمة من ثقافة إلى أخرى ؟ هذه الأسئلة تجعلنا أمام الملاحظات التالية المتعلقة بكتاب (اللسان والمجتمع) الذي نحن بصدد تحليله :

(1) الملاحظة الأولى التي تلفت انتباه القارئ العربي وهو يتصفح هذا الكتاب هي قِـدَمُ الكتاب إذ إن المؤلف هنري لوفيغر كان قد كتبه عام (1966 م) . وقد ترجمته ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي عام (1983) ويعني هذا أن هناك (18) سنة

خلت حتى استطاع القارئ العربي أن يتعرف على بعض النظريات اللغوية التي تتناول اللغة والمجتمع. وقد يبدو هذا الأمر طبيعياً في الثقافة العربية الأكاديمية، ولكنه ليس كذلك في الثقافات الغربية وذلك أن النظريات والفرضيات والآراء تتطور بشكل مذهل في عالم العلم والتكنولوجيا، الأمر الذي يشكل فجوة علمية حضارية هائلة بين العالم العربي النامي والعالم الغربي المتقدم. فهناك آلاف النظريات الجديدة التي طرحت في عالم المعرفة خلال هذه الأعوام الثمانية عشرة.

وهذا بالطبع لا يتناسب مع مقولة التوازن الاستراتيجي، تلك المقولة التي لا بد منها من أجل تطوير مجتمعنا العربي تطويراً حضارياً يتناسب مع معطيات العصر، ذلك لأن التوازن الاستراتيجي لا يقتصر على التوازن العسكري والاقتصادي فحسب، بل يشمل أيضاً التوازن العلمي والثقافي. وهكذا يمكننا أن نستنتج بأنه ينبغي على وزارة الثقافة والإرشاد القومي أن تركز على ترجمة الكتب التي لم يمضِ على ظهورها إلا 3-5 سنوات وذلك لحداثتها وملاءمتها لضرورات العصر.

(2) الملاحظة الثانية تتعلق بقضية التخصص: فنحن نعلم بأن العصر الحديث هو عصر التقنية الدقيقة والتخصص، ولا يمكن لأي باحث أو عالم في حقل من الحقول العلمية أو الإنسانية إلا أن يتمسك بهذه الخاصة العصرية، وهي خاصة التخصص الدقيق، وذلك لكي يكون بحثه علمياً، ومن أجل أن يطور المعرفة البشرية التي يتخصص بها تطويراً مضبوطاً. صحيح أن هذه القضية هي قضية زئبقية في الثقافة الأكاديمية العربية إلا أن التخلي عنها وإهمالها يشكل فجوة متخلفة في ثقافتنا العربية المعاصرة.

إن مقولة الأخذ من كل علم بطرف لم تعد تناسب التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل والمذهل في العصر الحديث، بل إن التمسك والأخذ بهذه المقولة سيجعل من صاحبها كشكول القرن العشرين الجامع لكل شيء ولكنه لا يعرف أي شيء. وهذا يتنافى مع الحضارة الحديثة ذات الطابع العلمي المضبوط والدقيق. وهذا

الشيء يجعلنا نقترح على وزارة الثقافة والإرشاد القومي بأنه ينبغي ألا يقوم بعملية الترجمة ولا سيما الموضوعات ذات الطابع التخصصي منها، إلا ذوو ذلك التخصص وذلك لمعرفتهم بالموضوع المترجم، ودرايتهم به لغة وموضوعاً. وبهذا فإننا لن نقدم بذلك مادة دقيقة ومفهومة فحسب بل إننا سنخدم القارئ العربي بالاستفادة الناجعة والفهم المتطور البناء.

(3) الملاحظة الثالثة في هذا السياق تتعلق بعملية الترجمة نفسها. ذلك لأن الترجمة اليوم لم تعد مسألة شخصية نزوية متعلقة باهتمامات فردية لا تخضع لمعايير دقيقة معينة، بل لقد أصبحت علماً قائماً برأسه يستفيد كثيراً من حقل اللسانيات. هذا العلم له وجوهه النظرية والتطبيقية، وفي الوقت نفسه، فلم تعد المسألة متعلقة بمعرفة المترجم للغة المترجم منها، واللغة المترجم إليها معرفة لغوية فحسب، بل تجاوزت المسألة هذا الإطار لتشمل تقنيات الترجمة الحديثة وأساليبها وفنونها وضروبها ومناهجها. إن كل هذه التقنيات الحديثة يمكن أن تبين بالأسئلة التالية:

ما هو الأسلوب الذي يمكن استخدامه في عملية الترجمة؟. هل أركز على الشكل أو المعنى في عملية الترجمة؟ ماذا أترجم؟ لمن أترجم؟ وكيف أترجم؟ أيُّ المصطلحات العربية يمكن استخدامها لتعبر عن المفاهيم الغربية الحديثة؟ هل المصطلحات العربية القديمة؟ أم المصطلحات العربية الحديثة؟ كيف يمكن تجنب الالتباس والغموض؟ وهكذا فإن قضية الترجمة أصبحت قضية تقنية ذات أبعاد نظرية (نظريات الترجمة المعتمدة على علم اللسانيات) وأبعاد تطبيقية (ممارسة الترجمة والخبرة والدراسة). لذلك يمكن لوزارة الثقافة والإرشاد القومي انطلاقاً من اهتمامها بقضية الترجمة ــ أن تضع بعض البرامج المكثفة المرتبطة بالترجمة من أجل تقديمها وتدريسها للمترجمين ثم تدريبهم بشكل مكثف على أساليب الترجمة العصرية وذلك من أجل ضمان عملية النقل العلمي الأمين.

(4) الملاحظة الرابعة تتعلق بنقد الكتاب نفسه ومن الداخل : الواقع إن كتاب (اللسان والمجتمع) ليس من اللسان والمجتمع بشيء . إنه كتاب فلسفي بحت . فقارئ هذا الكتاب سيكتشف بأن ثلثي الكتاب قد خصصا للحديث عن علاقة اللغة بالفلسفة ثم عرض النظريات المختلفة في هذا الشأن ونقدها أحياناً وتحبيذها في أحايين أخرى . وإن الثلث الأخير من الكتاب قد تناول علاقة اللغة بالمجتمع وبغموض والتباس واضحين . وهكذا يمكننا القول بأن تصنيف هذا الكتاب لا بد أن يكون في مكتبة الفلسفة ، أكثر منه في مكتبة اللسانيات على الرغم من أن هناك علاقة وثيقة اليوم بين اللسانيات والفلسفة وخاصة المنطق .

الخلاصـة

للحق يقال ، لولا تخصصي في علم اللسانيات الذي أمضيت فيه سبع سنوات في الولايات المتحدة ولولا معرفتي بالمصطلحات اللاتينية المنثورة في الكتاب هنا وهناك لما استطعت تقديم هذا الكتاب بالشكل المقدم والذي يفهمه القارئ العربي ولذلك نستطيع القول بأن كتاب (اللسان والمجتمع) هو كتاب صعب جداً ، غامض جداً ، قديم جداً لا يخدم مقولة التوازن الاستراتيجي العلمي والثقافي تلك المقولة التي ينبغي أن تكون شغلنا الشاغل في عصر الهويات القومية الحضارية .

2. تشومسكي

0.2. تمهيد

تشومسكي هو عنوان الكتاب الذي ألّفه الباحث اللساني البريطاني جان ليونز عام (1970) وترجمه إلى العربية الدكتور محمد زياد كبّة ، ونشره النادي الأدبي بالرياض عام (1987) .

يطرح الكتاب أبعاداً عديدة : لسانية وفلسفية ونفسية ورياضية تدور كلها حول محور واحد ألا وهو اللغة . فما هي اللغة ؟ ولماذا وجدت ؟ وكيف وجدت ؟ وما علاقتها بالدماغ البشري ؟ وكيف يتم عملها فيه ؟ ثم ما هي الوظائف التي تقوم بها ؟ وبعبارة دقيقة : كيف يمكننا معرفة ما نعرف حول اللغة وبنيتها صوتاً وتركيباً ودلالة ؟ .

سأحاول في هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة طبقاً لرأي تشومسكي وذلك من خلال العناوين الرئيسية المطروحة في هذا الكتاب . ولكن قبل الإجابة عن هذه الأسئلة ينبغي أن نبيّن الأسباب التي دفعت الباحث المترجم لأن ينقل هذا الكتاب إلى العربية ذلك لأنها أسباب منطقية ومهمة .

ففي رأيه أن اللسانيات الحديثة اتخذت في السنوات الماضية طابعاً خاصاً جعلتها تنتشر على نطاق واسع في الجامعات العالمية وهكذا فإنه من المفيد للقارئ العربي أن يعرف أهم التطورات اللسانية في هذا العلم الحديث وأن يكون على معرفة باللساني الأمريكي نوم تشومسكي الذي يذكر اسمه كلما ذكرت اللسانيات . وقد تعرض المترجم الباحث إلى الصعوبات التي واجهته أثناء ترجمة هذا الكتاب ومنها قضية المعجم العربي الذي لا يزال يفتقر إلى الترجمة الدقيقة لكثير من المصطلحات اللسانية الحديثة . لذلك فقد استبدل المترجم الأمثلة الإنكليزية التي وردت في هذا الكتاب بأمثلة عربية ملائمة بقصد الإيضاح ، واستبدل أيضاً القواعد اللغوية اللاتينية بمجموعة أخرى تلائم اللغة العربية .

وأخيراً يعلل المترجم للأسباب التي جعلته يترجم مثل هذا الكتاب . ففي رأيه ــ كما هو الأمر في رأي تشومسكي ــ أن جميع اللغات متماثلة في جوهرها . وبناءً على ذلك فإن الاختلاف في البنية السطحية لا يؤثر في جوهر النظرية . أضف إلى ذلك أن المترجم يهدف إلى أن يضع بين يدي القارئ العربي ما يشير إلى ما وصل إليه النحو العربي من التطور منذ قرون عديدة وهو المستوى الذي تحاول النظرية

النحوية الحديثة في الغرب أن تدركه. فالنحاة العرب أدخلوا الفكرة التحويلية والتوليدية في صلب قواعد اللغة العربية. وما قواعد الحذف والإضافة والتقديم والتأخير ومفهوم (التقدير) في الإعراب إلا جزء من القواعد التحويلية الموجودة في صميم اللغة العربية. وفي رأي المترجم أن تشومسكي أخذ مبادىء نحوه التحويلي عن العربية من خلال اللغة العبرية التي قدم رسالته لنيل الماجستير فيها. ومن المعروف أن للنحو العربي أثراً بالغاً في النحو العبري.

ولكن تشومسكي أضاف بلا شك الصيغة الرياضية على النحو وصاغه بطريقة حديثة مستفيداً من خبرته في الرياضيات والعلوم الحديثة.

1.2. نبذة عن حياة تشومسكي

ولد تشومسكي في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا في السابع من كانون الأول عام (1928) وتلقى تعليمه الأول في مدرسة (أوك لين) ثم في المدرسة المركزية العالية في فيلادلفيا. وبعد ذلك التحق بجامعة بنسلفانيا حيث درس اللسانيات والرياضيات والفلسفة. نال تشومسكي درجة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا رغم أنه أجرى معظم بحثه الذي نال بموجبه الدكتوراه في جامعة هارفرد عندما كان عضواً في جمعية الزمالة فيها. ومنذ عام (1955) مارس تشومسكي مهنة التدريس في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا حيث يحتل الآن مرتبة الأستاذية في اللسانيات. وتشومسكي متزوج وله ابنتان وولد. حظيت أعمال تشومسكي بالتقدير في الدوائر الأكاديمية فمُنح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شيكاغو ومن جامعة لويولا في شيكاغو ومن جامعة لندن. كما دُعي لإلقاء المحاضرات في عدد من البلدان. ففي عام (1967) ألقى تشومسكي (محاضرات بيكمان) في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، وفي عام (1969) ألقي محاضرات (جان لوك) في جامعة اكسفورد، ومحاضرات (ذكرى شيرمان) في جامعة لندن.

وقد حقق تشومسكي أول شهرته في ميدان اللسانيات حيث تعلّم قسطاً من

مبادىء اللسانيات التاريخية من والده الذي كان عالماً في العبرية . إلا أن العمل الذي يُشتهر به الآن ، وهو بناء نظام النحو التوليدي ، تطور من خلال اهتمامه بالمنطق الحديث وبأسس الرياضيات ، حيث طبقها فيما بعد على وصف اللغات الطبيعية .

ولقد كان للعالم زيلك هاريس ، وهو أستاذ اللسانيات في جامعة بنسلفانيا أهمية كبيرة في تطور تشومسكي الفكري . وذكر تشومسكي نفسه أن تعاطفه مع آراء هاريس السياسية كان الدافع الحقيقي وراء التحاقه بدراسة اللسانيات في بداية مرحلة دراسته الجامعية . ومن هنا نتبيّن كيف أن السياسة هي التي أدت به إلى اللسانيات . وقد أبدى تشومسكي اهتمامه بالسياسة منذ نعومة أظفاره . ومنذ عام (1965) أصبح من أبرز المعارضين لسياسة أمريكا الخارجية ، كما أن مجموعة مقالاته المنشورة في كتاب (القوة الأمريكية والماندرين الجديد) والذي كتب إهداءه (إلى الشبان الشجعان الذين رفضوا الخدمة في حرب إجرامية) تعتبر لدى الكثيرين إحدى أقوى الإدانات للتورط الأمريكي في فيتنام التي ظهرت حتى الآن .

2.2. مقدمة المؤلف

يذكر المؤلف هنا أن تشومسكي لعب في ميدان اللسانيات الحديثة دوراً مهماً في تاريخ هذا العلم ، ولا سيما في كتابه الأول **البنى النحوية** (Syntactic Structures) الذي صدر عام (1957) . فقد أحدث هذا الكتاب ثورة علمية . هذه الثورة تُعدّ اليوم من أرسخ الثورات اللغوية وأبعدها أثراً .

ولم تكن شهرة تشومسكي بين علماء اللسانيات هي التي جعلت منه واحداً من أعلام الفكر الحديث ، فاللسانيات ليست سوى موضوع مغلق لا يكاد يعرفه سوى صفوة من الناس ، ولكنها انقلبت في يومنا هذا إلى واحد من فروع دوحة العلوم جدير بالبحث ليس في حد ذاته فحسب ، وإنما مرده بالمقام الأول إلى تشومسكي . ذلك لأن للغة أهمية بالغة في كل منحى من مناحي الحياة . يقول تشومسكي في هذا المجال :

" إن المبادىء العامة التي تتحكم بشكل القواعد النحوية في لغة كالإنكليزية أو التركية أو الصينية هي إلى حد كبير مبادىء مشتركة بين جميع اللغات الإنسانية. ويُعتقد أن المبادىء التي تقف وراء بنية اللغة منتظمة ودقيقة إلى درجة يمكن معها اعتبارها محددة بيولوجياً تنتقل وراثياً من الآباء إلى الأبناء ".

وحسب رأي المؤلف فإن أعمال تشومسكي تكتسب أهميتها بالدرجة الأولى من أهمية اللغة في جميع أوجه النشاط الإنساني وكذلك من العلاقة التي يقال إنها قائمة بين بنية اللغة من جهة وبين الخصائص أو العمليات الكامنة في العقل البشري من جهة ثانية. ولم يحظ تشومسكي بشهرته الواسعة بسبب أبحاثه في حقل اللسانيات وحدها، إذ اشتُهِر منذ عهد قريب بأنه أحد المعارضين البارزين للسياسة الأمريكية في فيتنام. فهو بطل اليسار الجديد حيث رفض أن يدفع نصف الضرائب المترتبة عليه معرضاً بذلك نفسه لعقوبة السجن. كما آزر وشجّع الشباب الذين رفضوا تأدية الخدمة العسكرية في فيتنام.

ويعتقد المؤلف أنه على الرغم من أن آراء تشومسكي في اللغة هي محور هذا الكتاب إلا أن نظريته اللغوية وفلسفته السياسية وثيقتا الصلة على عكس ما قد يتبادر إلى الذهن في الوهلة الأولى. فقد عارض منذ أمد طويل علم النفس المتطرف القائم على المذهب السلوكي الراديكالي الذي يدّعي أن جميع أشكال المعرفة والمعتقدات الإنسانية وكل نماذج الفكر والنشاط التي تميز الإنسان يمكن أن تُفسَّر باعتبارها مجموعة من العادات تُكتسَب عن طريق التأقلم.

وفي الوقت الحالي يوجه تشومسكي التهمة نفسها في كتاباته السياسية إلى علماء الاجتماع والنفس وغيرهم ممن تطلب الحكومة منهم تقديم الخبرة والمشورة فيقومون بمحاولات يائسة لمحاكاة القشور السطحية للعلوم التي هي فعلاً ذات مضمون فكري ذي أهمية مهملين في محاولاتهم تلك جميع المشكلات الأساسية التي كان عليهم مجابهتها وهم ينشدون الملاذ في التوافه الذرائعية والمنهجية.

وهذا الرأي نابع من احترام تشومسكي للإنسان. فالإنسان حسب رأيه يختلف عن الحيوان والآلة وأن من الواجب احترام هذا الاختلاف سواء أكان في العلوم أم في الدولة. واعتقاده هذا هو الذي يوجّه سياسته ولسانياته وفلسفته.

ولنا طبعاً ملء الحرية بتقبل آرائه ورفضها، إلا أنه ليس بمقدورنا أن نتجاهلها. وعلى كل من يرغب في متابعة هذه الآراء وتقييمها أن يكون مستعداً لملاقاة تشومسكي على أرضه ونقصد هنا ميدان اللسانيات أو البحث العلمي اللغوي.

ومما يلائم مواقف تشومسكي وتأثيره ويرمز إليهما أن المعهد الذي يجري فيه أبحاثه في بنية اللغة وخصائص العقل البشري هو معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) الذي يعد معقلاً من معاقل العلوم الحديثة. إلا أن الآراء التي يعرضها في تلخيص أبحاثه هي التي تميز فروع العلوم الإنسانية في الجامعات التقليدية، لذا فإن التناقض ليس سوى تناقض سطحي. فأعمال تشومسكي تشير إلى أن الحاجز الوهمي الذي يقوم بين الفن والعلم يمكن، بل يجب، أن يُهدم.

3.2. اللسانيات الحديثة: أهداف ومواقف

يعرض المؤلف هنا لشرح مصطلح (اللسانيات) بشكل عام ومن ثم يعرض عناصر الموضوع التي تحظى بالقسط الأكبر من الأهمية في تكوين أفكار تشومسكي.

تُعرّف اللسانيات عموماً بأنها دراسة اللغة علميةً. وما نعنيه بالوصف العلمي هو الذي يتم بصورة منتظمة مبنية على الملاحظات التي يمكن توثيقها بموضوعية في إطار نظرية عامة تلائم المعطيات.

لقد كان البحث اللغوي في أوربا وأمريكا قبل القرن التاسع عشر ذاتياً وغير منظم ويغلب عليه طابع التخمين. لقد كان هذا الانفصام المتعمَّد عن الماضي أكثر حدة ووضوحاً في أمريكا منه في أوربا، إذ لم يُرفض النحو التقليدي في أي مكان

بحماسة تشبه تلك التي رفضته بها مدرسة بلومفيلد (Bloomfeild) اللغوية التي ازدهرت في الولايات المتحدة خلال السنوات ما بعد الحرب الثانية وهي المدرسة التي تعلم فيها تشومسكي ومن ثم ثار عليها عندما حان الوقت .

ويذكر المؤلف في هذا الفصل بعض الخصائص التي تميز (اللسانيات الحديثة) عن النحو التقليدي وهي التالية :

(1) الاستقلالية عن العلوم الأخرى

وهذه الصفة نتيجة مباشرة للصفة العلمية التي تحملها اللسانيات فقد ارتبط النحو التقليدي بالفلسفة والنقد الأدبي منذ بدء ظهوره في القرن الخامس قبل الميلاد . وقد ساهم هذان الحقلان في تكوين المواقف والأسس التي تبناها العلماء في دراسة اللغة طيلة قرون عديدة .

ومما يجدر ذكره هنا أن هذه المواقف والأسس لاتزال حتى الآن واسعة الانتشار وراسخة في ثقافتنا لدرجة أنها تعتبر من المسلمات . وعندما يطالب الباحث اللساني باستقلال موضوعه فإنما يطلب السماح له بتبني نظرة جديدة موضوعية من اللغة دون أي التزام مسبق بالأفكار التقليدية ودون أن يتبنى وجهات نظر الفلاسفة أو النقاد أو علماء النفس أو من يمثلون العلوم الأخرى . وطبيعي ألا ينفي هذا قيام العلاقة بين اللسانيات وباقي العلوم التي تهتم باللغة . ولقد حدث هذا التقارب نتيجة التطوير المستقل للسانيات التي كانت بمثابة الحافز لإقامة التحالف بين العلوم الثلاثة .

(2) الاهتمام بأسبقية اللغة المنطوقة على اللغة المكتوبة

لقد سبق أن أشرنا إلى ارتباط النحو التقليدي بالأدب وهذا قاد الباحثين لأن يركزوا جلّ اهتماماتهم على اللغة المكتوبة وأهملوا الفوارق بين الكتابة والكلام . كما اعتبر النحويون التقليديون الكلام نسخة مشوهة عن الكتابة في الغالب ، مع أنهم لم يهملوه إهمالاً كاملاً وعلى النقيض من المعياريين فإن اللسانيين الحديثين يأخذون المسلمة

القائلة إن الكلام يتبوأ المكانة الأولى ، أما الكتابة فتحتل المكان الثاني لأنها مشتقة منه ، أضف إلى ذلك أن اللغات المعروفة بادىء ذي بدء لم تكن سوى كلام منطوق ، بل إن آلافاً من لغات العالم لم تعرف قط طريقها للتدوين ، أو أنها دُوِّنت منذ فترة قريبة جداً . ثم إن الأطفال يتقنون الكلام قبل تعلمهم الكتابة .

ويؤكد المؤلف هنا أن تبني مبدأ أسبقية الكلام على الكتابة لا يعني بتاتاً إهمال لغة الكتابة أو الإقلال من شأنها .

(3) الاهتمام باللغة المعيارية واللغة غير المعيارية

لقد انحصر اهتمام النحويين التقليديين بشكل شبه تام في دراسة اللغة الأدبية الكلاسيكية (المعيارية) وكانوا يحتقرون اللغة العامية (غير المعيارية) باعتبارها غير صحيحة سواء في الكلام أو الكتابة ، فقد غاب عن أذهانهم أن ما يسمونه لغة أدبية (معيارية) هو من وجهة النظر التاريخية ليس إلا لهجة محلية أو اجتماعية معينة (غير معيارية) اكتسبت مكانة مرموقة ثم ارتبطت بالسياسة والثقافة والأدب . فالفرق بين اللهجة واللغة غالباً ما يُبنى على أسس سياسية .

وهكذا فإن الاختلاف بين اللغات النرويجية والدانماركية والسويدية (وتعتبر جميعها لغات مستقلة) أقل بكثير عما نجده بين العديد مما يعتبر لهجات متفرعة عن اللغة الصينية .

ويبدو أن هذه النقطة جديرة بالتركيز إذ يميل كثير من الناس نحو الاعتقاد بأن اللغة الكلاسيكية التي تُدرَّس في المدارس هي التي تشكل موضوع الوصف العلمي . أما من وجهة النظر اللغوية البحتة فإن جميع اللهجات (في لغة من اللغات) جديرة بالدراسة والبحث على قدم المساواة .

(4) النظرية اللسانية أكثر شمولاً ودقةً

لقد طور النحو التقليدي وفق الأسس اللاتينية واليونانية وجرى تطبيقه فيما بعد وبتعديل طفيف على وصف عدد كبير من اللغات الأخرى ولكن ثمة لغات

كثيرة تختلف اختلافاً شاسعاً في بعض عناصرها على الأقل عن بنية اللاتينية واليونانية واللغات المألوفة الأخرى في أوربا وآسيا . ولهذا فإن من أهداف اللسانيات الحديثة إيجاد نظرية أكثر شمولاً من النظرية التقليدية بحيث تلائم وصف جميع اللغات الإنسانية دون انحياز لتلك اللغات التي تشبه في تركيبها اليونانية أو اللاتينية .

ويجب أن ننوه في هذا المجال إلى أن اللسانيات لا تؤيد من يعتقد بوجود اختلاف جوهري بين اللغات المتحضرة واللغات البدائية غير أن مفردات كل لغة تعكس دون شك مرافق الحياة لدى المجتمع الذي ينطق بها . وهكذا لا يمكن الحكم على أية لغة بأنها فقيرة أو غنية بالمفردات بالمقارنة مع أية لغة أخرى بالمعنى المطلق . فلكل لغة ما يسد حاجتها من أجل التعبير عن الأشياء المتميزة في المجتمع الذي ينطق بها . فاللغات المسماة بالبدائية لا تقل انتظاماً عن لغات الشعوب المتقدمة كما أن بنيتها لا تزيد تعقيداً أو بساطة عن تلك اللغات . فكل المجتمعات الإنسانية المعروفة تتكلم لغات ذات درجة واحدة من التعقيد نسبياً . أما الفروق النحوية التي نجدها بين اللغات المنتشرة في أنحاء العالم فلا يمكن ربطها بالتطور الحضاري للشعوب التي تتكلم بها .

وبعد ذلك يشرح المؤلف أهم الخصائص التي تسم اللغات البشرية وفي رأيه هناك خاصتان مهمتان تتميزان بهما اللغات البشرية :

ـــ **الميزة الأولى** وتدعى بخاصية ثنائية البنية (duality structure) حيث إن لكل لغة مستويين من التركيب :

(1) المستوى الأساسي أو المستوى النحوي (Syntactic Level) .

وفيه تتمثل اللغة بمجموعة مركبة من الوحدات (الكلمات) ذات الدلالة .

(2) والمستوى الثانوي أو المستوى الصوتي (Phonological Level) .

وفيه تتمثل الجمل بمجموعة من الوحدات الصوتية (فونيمات) ليست بذات دلالة في حدّ ذاتها .

ويطرح المؤلف مثالاً ليدل على هذين المستويين : فجملة (العلم مفيد) مؤلفة من كلمتين وإن أولى هاتين الوحدتين الأساسيتين (العلم) محددة بمجموعة من الوحدات الثانوية (ا ــ ل ــ ع ــ ل ــ م) والثانية (مفيد) محددة بمجموعة من الوحدات الثانوية (م ــ ف ــ ي ــ د) .

فعلى الرغم مما سبق ذكره من أن الوحدات الأساسية تحمل قيمة دلالية على النقيض من الوحدات الثانوية، فإن الميزة الرئيسية للكلمات ليست في كونها ذات قيمة دلالية . إنه يمكن تحليل اللغة في المستوى النحوي بغض النظر عما إذا كانت الوحدات القائمة فيه ذات قيمة دلالية أم لا . فهناك بعض الكلمات على الأقل ليس لها معنى ككلمة (أن) في قولنا (أريد أن أكتب) .

من هنا يتعين علينا أن نتوخى الحرص على أن لا نصف ثنائية البنية كما أوردناها من وجهة نظر العلاقة بين الصوت والمعنى . وإذا سلمنا بأن لكل لغة ميزة ثنائية البنية لجاز لنا أن نتوقع أن يكون وصف قواعد أية لغة من اللغات مؤلفاً من ثلاثة أجزاء متكاملة :

(1) الجزء الذي يحدد نظام تركيب الكلمات في الجملة ويسمى النحو (Syntax) .
(2) الجزء الذي يصف معاني الكلمات والجمل ويسمى علم الدلالة (Semantics) .
(3) الجزء الذي يعالج الجانب الصوتي والتركيبات الصوتية المسموح بها في اللغة ويسمى علم النظام الصوتي (Phonology) .

وهكذا فإن مصطلح " القواعد " (Grammar) يستخدم بمعناه الشامل الذي يضم الجوانب النحوية والدلالية والصوتية معاً . وهذا هو المعنى الذي يرمي إليه تشومسكي عندما يستخدم كلمة " قواعد " في أعماله الأخيرة .

ــ **الميزة الثانية** وتدعى بالإبداع أو ميزة النهاية المفتوحة (Creativity) . ويعني المؤلف بهذه الميزة أن على الناطقين بأية لغة كانت أن يكونوا قادرين على تأليف وفهم عدد لا نهاية له من الجمل . ويجب أن نلاحظ أيضاً أن ملكة الإبداع اللغوي لدى

كل من ينطق بلغته الأم هي في الحالات العادية لا إرادية ولا تحتاج إلى جهد فكري. وحسبما نعلم فإن ملكة الإبداع في اللغة تقتصر على الإنسان دون غيره من المخلوقات. أما وسائل التخاطب الموجودة لدى باقي المخلوقات فليست لها ميزة النهاية المفتوحة هذه التي رأيناها، إذ إن أكثر تلك الوسائل " مغلقة " بمعنى أنها تسمح بإصدار عدد محدود صغير نسبياً من الرسائل المميزة ذات المعنى الثابت.

4.2. بلومفيلد وأتباعه

يتحدث المؤلف في هذا الفصل عن مدرسة بلومفيلد (Bloomfield) حيث تلقى تشومسكي فيها تدريبه الأول في ميدان اللسانيات. فقد كانت بدايات البنيوية البلومفيلدية مرتبطة بتأثير اللسانيات في الولايات المتحدة بالحاجة الملحة إلى وصف أكبر عدد ممكن من مئات اللغات الهندية الأمريكية غير المكتوبة.

فليس من الغريب في ضوء هذه المعطيات أن يركز اللغويون الأمريكيون جل اهتماماتهم لتطوير ما يُعرف (بالمناهج الحقلية). أما فرانزبواس (F. Boas) الذي قدّم **كتاب اللغات الهندية الأمريكية** (Hand Book of American Indian Languages)، فقد خلص إلى النتيجة القائلة إن التغير الذي نلمسه في اللغات الإنسانية إنما هو في الواقع أكبر بكثير مما يبدو ظاهرياً. كما وجد أيضاً أن التشويه قد اعترى وصف اللغات المحلية والنادرة في أمريكا الشمالية بسبب إخفاق اللغويين في إدراك إمكانية تباعد اللغات وتنوعها وبسبب محاولاتهم فرض ما هو تقليدي من عناصر الوصف القواعدي اللاتيني ـــ اليوناني على لغات لا تلائمها.

ومن مجموعة الأمثلة التي قدمها بواس مثال من لغة الكواكيولت (Kwakiolt) حيث لا فرق هنا بين صيغتي المفرد والجمع، فقولنا (هذا بيت) في تلك اللغة لا يختلف عن قولنا (هذه بيوت). كما أن لغة الأسكيمو لا تميز بين الماضي والمضارع، وبناءً على ذلك فإن قولنا (نام الطفل) مماثل لقولنا (ينام الطفل).

وقد استخدم بواس هذه الأمثلة لكي يبرهن على أن لكل لغة بنيتها النحوية

المستقلة . من هنا يمكننا أن نسمي هذه الفكرة " بنيوية " (Structural) . وهذا من جملة المعاني العديدة التي اكتسبها هذا المصطلح الحديث .

ومن المتفق عليه عالمياً أن أهم علماء اللسانيات بعد بواس هما إدوارد سابير (E. Sapir) وليونارد بلومفيلد (L. Bloomfield) . أما سابير فيتخذ من اللغة موقفاً أكثر إنسانية ، فهو يعلق أهمية كبرى على دور الثقافة ويرجح كفة العقل على كفة الإرادة والعاطفة مؤكداً على ما يدعوه بالصفة العقلانية المسيطرة للغة ، وعلى حقيقة أنها ذات صفة إنسانية بحتة وليست غريزية . ويُعدّ كتاب **اللغة** (Language) أكثر شمولاً وسهولة من كتاب بلومفيلد .

وقد استمر كتاب سابير في اجتذاب اهتمام اللغويين حتى يومنا هذا ولكننا مع ذلك لا نجد مدرسة (سابيرية) على غرار المدرسة (البلومفيلدية) اللغوية في أمريكا .

ويخلص المؤلف بنتيجة مؤداها أن تشومسكي يحمل الآن الكثير من آراء سابير ومواقفه من اللغة رغم أن أفكار تشومسكي قد نمت وترعرعت ضمن مصطلح اللسانيات المستقلة العلمية ذلك المصطلح الذي كان بلومفيلد أول من أرسى دعائمه . والواقع لقد بذل بلومفيلد ما لم يبذله أحد غيره في سبيل منح اللسانيات ميزتي الاستقلالية والعلمية . وقد كان مفهوم العلمية والاستقلالية بالنسبة إلى بلومفيلد يعني الرفض القاطع والمتعمد لكل المعطيات غير المتطورة أو غير القابلة للقياس فيزيائياً ، ثم دراسة اللغة بنفسها ولنفسها غير متأثرة بالتيارات المعرفية الأخرى . وقد تبنى ج . واطسن (J. Watson) مؤسس المذهب السلوكي في علم النفس الموقف ذاته من أهداف العلوم ومنهجيتها . ويعتقد واطسن وأتباعه أن سلوك أي كائن ، من (الأميبا) إلى الإنسان ، يجب أن يُفسر تبعاً لعوامل التأثير والاستجابة التي تمليها البيئة المحيطة به . وهكذا فإن الكلام ليس سوى أحد أشكال السلوك الإنساني المتطور مباشرة أو الصريح ، وليس التفكير سوى كلام غير مسموع . وبما أن

الكلام غير المسموع يمكن أن يصبح مسموعاً إذا دعت الضرورة فإن التفكير هو من ناحية المبدأ شكل من أشكال السلوك غير المنظور.

لقد تبنى بلومفيلد المذهب السلوكي صراحة عندما شرع بإعداد كتابه **اللغة** ويضرب بلومفيلد مثالاً ليدل على المذهب السلوكي " بينما جاك وجيل يتمشيان في الطريق إذ بجيل ترى تفاحة على الشجرة وبما أنها جائعة فإنها تطلب من جاك أن يقطفها لها. فيتسلق جاك الشجرة ويعطيها التفاحة كي تأكلها ". إن إحساس جيل بالجوع ـــ أي تقلّص بعض عضلات معدتها وإفراز بعض العصارات الخاصة في المعدة ـــ ثم رؤيتها التفاحة ـــ أي أن الضوء المنعكس عن التفاحة وصل إلى عينيها ـــ كل هذا يشكل عامل التأثير. أما الاستجابة الأكثر مباشرة لهذا التأثير فهي أن تتسلق جيل الشجرة كي تقطف التفاحة بنفسها ـــ ولكنها عوضاً عن ذلك تقوم باستجابة بديلة على هيئة سلسلة من الأصوات الصادرة عن الجهاز الصوتي وهذا يؤدي دور التأثير البديل بالنسبة إلى جاك ويجعله يتصرف كما لو كان هو الذي يحسُّ بالجوع وقد رأى التفاحة.

والواقع لم يتطرق بلومفيلد نفسه إلى ذكر المذهب السلوكي إلا عند بحثه في الجوانب الدلالية. فهو يعتقد أن تحليل المعنى هو نقطة الضعف في الدراسة اللغوية ويقول إنه سيبقى كذلك إلى أن تتقدم المعرفة الإنسانية أشواطاً بعيدة تفوق ما هي عليه الآن.

وإذا كان موقف بلومفيلد مثبطاً للعزائم فيما يتعلق بعلم الدلالة فإنه لم يدَّعِ أبداً أنه من الممكن دراسة القواعد النحوية والصوتية للغة في معزل عن معاني كلماتها وجملها. إلا أن أتباع بلومفيلد ولا سيما زيلك هاريس غالوا أكثر منه في تجاهل الجوانب الدلالية.

والخلاصة التي يريد المؤلف أن ينتهي إليها هي أن تشومسكي نشأ وترعرع في

المدرسة البنيوية وقد كان أحد تلامذة هاريس ومن مساعديه وزملائه فيما بعد كما أن ما نشره تشومسكي في البداية كان يماثل في جوهره أعمال هاريس.

ولكن ما أن حلّ عام (1957) حتى نشر تشومسكي كتابه الأول **البنى النحوية** وكان في تلك الأثناء قد تخلى عن الموقف الذي تبناه هاريس وغيره من أتباع بلومفيلد حول " أساليب الاكتشاف " إلا أنه استمر في اعتقاده بأن النظام الصوتي والنحوي في اللغة يمكن أن يوصف ــ بل يجب أن يوصف ــ على أسس تعتمد على الشكل فقط دون أية اعتبارات دلالية. فعلم الدلالة جزء من وصف وظيفة اللغة، ولهذا فهو ثانوي وتابع للنحو، ولا يدخل في نطاق اللسانيات البحتة. ولقد زاد تشومسكي من نقده لمذهب بلومفيلد في اللسانيات باضطراد كما تخلى عن كثير من الأفكار التي كان قد تبناها من قبل. ومن هنا ينبغي أن نؤكد أن تشومسكي لم يَبْنِ آراءه الأولى وفق مدرسة بلومفيلد فحسب، بل إنه ما كان ليستطيع أن يحقق ما حققه من تقدم في اللسانيات ما لم يقم علماء أفذاذ مثل بلومفيلد وهاريس وغيرهما بتمهيد الطريق أمامه.

5.2. أهداف النظرية اللسانية

يتحدث المؤلف هنا عن الدوافع والفرضيات المنهجية التي تشكل خلفية أعمال تشومسكي ويركز بالدرجة الأولى على كتاب **البنى النحوية** الذي نشره تشومسكي عام (1957) ذلك الكتاب الذي يعتبر فاتحة عصر بأكمله. ويختار المؤلف الفصل السادس من هذا الكتاب ليكون موضوع هذا الفصل.

وطبقاً لرأي المؤلف فإن معظم الآراء التي طرحها تشومسكي هنا كانت مماثلة لآراء بلومفيلد وآراء زيلك هاريس. لكن ثمة نقاطاً ميزت حتى بواكير أعمال تشومسكي عن أعمال هاريس وغيره من البلومفيلديين.

النقطة الأولى من هذه النقاط أن تشومسكي يؤكد ميزة " الإبداعية " (Creativity) أو النهاية المفتوحة في اللغات الإنسانية. الواقع إن هذه النقطة تعتبر

من المسلمات وقد أهملها البلومفيلديون، ويرجع السبب في هذا إلى أن البلومفيلديين شأنهم شأن العديد من المدارس اللغوية في القرن العشرين، كانوا منتبهين إلى الحاجة للتمييز بوضوح بين القواعد الوصفية (descriptive) وبين القواعد الوضعية أو المعيارية (Perscriptive)، بين وصف القواعد التي يطبقها المتكلم فعلاً وبين وصف تلك القواعد التي يجب عليه ــ حسب رأي النحاة ــ أن يتبعها كي يكون كلامه صحيحاً نحوياً. وهناك الكثير من القواعد الوضعية التي أرسى النحويون جذورها دون أن يكون لها أساس عند المتحدثين باللغة.

وهكذا فإن تشومسكي يؤكد من وجهة نظر الميزة الإبداعية أن الغالبية العظمى من الجمل في أي نص مدون هي جمل جديدة، بمعنى أنها ترد مرة واحدة ومرة واحدة فقط، وأن هذا يبقى صحيحاً مهما طال تسجيلنا لما ينطق به المتكلم. وتتألف أية لغة طبيعية من عدد لا حصر له من الجمل التي لم ولن يستخدم سوى جزء يسير منها. وحسب تعبير تشومسكي فإن القواعد تولّد (generate) جميع الجمل في اللغة ولا تميز بين ماثبت منها وما لم يتم إثباته. ويؤكد تشومسكي في أعماله التي تلت **البنى النحوية** أن الجمل التي ينطق بها المتكلم قد لا تكون سليمة نحوياً لأسباب عديدة لا تدخل في نطاق اللسانيات بل تتعلق بعوامل أخرى مثل ضعف الذاكرة أو عدم الانتباه، وقد تعود أيضاً إلى خلل في العمليات النفسية التي تتحكم بالكلام وتسيطر عليه. وإذا سلمنا بصحة هذا النقاش فإن اللغوي لا يستطيع أن يأخذ الجمل التي تصدر عن المتكلم كما هي ويعاملها على أنها جزء من اللغة التي تولدها القواعد النحوية، بل عليه أن يرقى بهذه الجمل إلى مرتبة المثالية وأن يجعلها أقرب إلى الكمال مستبعداً كل جملة يعتبرها المتكلم غير سليمة نحوياً وذلك بفضل ما أوتي من مقدرة لغوية.

من هنا نتبيّن أن تشومسكي محق في مطالبته بمنح اللسانيات ــ باعتبارها

علماً قائماً بذاته ــ الحق باستبعاد بعض المعلومات الخام كما هي الحال في العلوم الأخرى المألوفة .

أما النقطة الثانية التي تتميز بها أعمال تشومسكي الجديدة وموقفه من أهداف اللسانيات الحديثة فتتعلق بالدور الذي يوكله إلى ما يسميه **بالحدس** (intuition) أو المقدرة على الحكم اللغوي عند المتكلم ، كما أنه يعتبر قدرة ما طوره من أشكال النحو على تفسير الحدس اللغوي عند المتكلم نقطة إيجابية تتناول التمييز بين مجموعة من الجمل المترادفة في المعنى أو الجمل ذات اللبس اللغوي أي الجمل التي تحمّل أكثر من تفسير واحد .

أما النقطة الثالثة الهامة التي عرضها تشومسكي في **البنى النحوية** هي أن المنحى الأسلوبي العملي الذي استعمله البلومفيلديون غير ضروري مطلقاً بل إنه في الواقع لا يخلو من الأضرار . ومن هنا ينبغي علينا ألا ننظر إلى النظرية اللغوية على أنها كتاب يجمع عدداً من أساليب الاكتشاف المفيدة . المهم أن نصل إلى نتيجة ونبررها دون الرجوع إلى الأساليب التي استخدمت في التوصل إليها . وكما يُقال إن العبرة في النتائج . ويناقش تشومسكي احتمال تشكيل مجموعة من المعايير يمكن على ضوئها البت في مدى سلامة صيغة نحوية معينة وتفضيلها على سواها من الصيغ بهدف وصف المعطيات اللغوية . ويعتقد تشومسكي أن هذا الهدف من أهداف النظرية اللغوية في حد ذاته (وهو أسلوب انتقاء نحو ما دون غيره من صنوف النحو المتوفرة من أجل لغة معينة) يعتبر طموحاً مفرطاً . وأكثر ما نستطيع أن ننتظر من النظرية اللغوية هو أن تعطينا معياراً للتقييم يساعدنا في اختيار أحد أشكال النحو المتوفرة .

وفي رأي تشومسكي ليس ثمة فيزيائي واحد يقول إن نظرية أينشتاين النسبية مثلاً هي أفضل تفسير ممكن للمعطيات التي تعالجها ولكنه يمكن أن يقول إنها أفضل من النظرية البديلة القائمة على فيزياء نيوتن التي حلت النسبية محلها .

ويقال أحياناً إن الأهداف التي رسمها تشومسكي للنظرية اللغوية ضمن إطار

مقارنة صور النحو البديلة تخفي وراءها حقيقة هامة وهي أن في العالم كثيراً من اللغات التي ليس لها نحو مكتوب ولو بصورة جزئية . وإن ما من لغة من لغات العالم لها قواعد نحوية قريبة من الكمال .

وثمة نقطة رابعة هامة وهي أن طروحات تشومسكي تفوق في طموحها طروحات من سبقوه. ففي مقالة له بعنوان (نظم التحليل اللغوي) يحاول تشومسكي أن يرسم طريق التحليل اللغوي الذي تحدَّث عنه هاريس في كتابه :

مناهج في اللسانيات البنيوية وذلك وفق أسلوب رياضي دقيق . إن ما ابتكره تشومسكي في اللسانيات يتمثل في الدقة الرياضية المتناهية التي توخاها في صياغة خصائص النظم البديلة في الوصف النحوي .

ويعرّف تشومسكي النحو في بداية كتابه **البنى النحوية** بأنه جهاز من نوع خاص مصمم لإنتاج الجمل في اللغة ، لذا يجب أن نؤكد أن تشومسكي استخدم هذه الكلمات (مصمم ــ إنتاج ...) لأن الفرع الرياضي الذي اعتمد عليه في وضع أسس النحو الذي قدمه يتضمن مثل هذه الكلمات وفق أسلوب مجرد تماماً دون تحديد أية خصائص فيزيائية لأي أنموذج فعلي يستطيع أن يجسّد المعنى المجرد لكلمة (جهاز) . ومن سوء الحظ أن تشومسكي استخدم كلمة (ينتج) (produce) مما يحمل على الاعتقاد دون شك بأن بنية اللغة النحوية توصف من وجهة نظر المتكلم وليس المستمع ، إلا أن تشومسكي يحذّر دائماً من مغبة فهم (إنتاج) الجمل في إطار النحو على أنه نفسه (إنتاج) الجمل من قبل المتكلم ، إذ يتوجب على النحو أن يكون محايداً بين الإرسال والاستقبال . ولا يستخدم تشومسكي عادة كلمة إنتاج النحو للجمل بل إنه يلجأ غالباً لاستخدام كلمة توليد (generate) بدلاً عنها وكلمة (المولد) عند تشومسكي تتضمن معنى (الواضح) مما يشير إلى أن القواعد النحوية والشروط التي يجب أن تعمل من خلالها ينبغي أن تكون دقيقة التحديد ، واضحة المعالم ، ويشبه تشومسكي القواعد النحوية بالقواعد والقوانين الحسابية وينبغي على

النحو في اعتقاد تشومسكي ــ أن يكون قادراً على توليد جميع الجمل في اللغة وجميعها فقط. ويبدو أن تحقيق هذا الهدف الذي حدده تشومسكي للنحو ــ أي توليد جميع الجمل ــ وجميعها فقط ــ في أية لغة أمر مبالغ في الطموح إلى حد الاستحالة، ويشير تشومسكي في **البنى النحوية** إلى أنه من الأمور البدهيّة في فلسفة العلوم أنه إذا صيغت نظرية ما بحيث تشمل الحالات الواضحة، فإن النظرية نفسها يمكن أن تطبق في معالجة الحالات غير الواضحة. لذلك فإنه ينادي بتطبيق نفس المبدأ على اللسانيات باعتبار النحو عند تشومسكي هو نظرية علمية.

6.2. نماذج من النحو التوليدي

يعرض المؤلف في هذا الفصل والفصلين اللذين يليانه الجوانب التكنيكية من عمل تشومسكي وذلك من خلال عرضه لثلاثة نماذج نحوية في النظرية التوليدية. الأول ويدعى " نحو المواقع المحدودة " والثاني يدعى " نحو بنية العبارات " والثالث يدعى " النحو التحويلي " وقد توخى المؤلف أثناء شرحه لهذه النماذج الثلاثة من النحو البعد عن الشكليات كما أنه لم يفترض في القارئ أي تدريب مسبق في ميدان الرياضيات ولا حتى أية مهارة خاصة، بل اكتفى بتقديم عدد كافٍ من المصطلحات والمفاهيم كي يأخذ القارئ فكرة عن ماهية النحو التوليدي تساعده في فهم مدلوله.

1.6.2. نحو المواقع المحدودة

يعرض المؤلف في هذا القسم نظاماً شكلياً بسيطاً إلى أبعد الحدود، وهو أول نماذج ثلاثة وُضعت لوصف اللغة كما عرضها تشومسكي في **البنى النحوية** وفي أماكن أخرى. وهو النظام الذي ما لبث أن ثُبت قصوره بالنسبة لتحليل اللغة الإنكليزية واللغات الطبيعية الأخرى.

وقبل عرض النموذج يقدم المؤلف عدداً من المصطلحات والمفاهيم التي تفيد

القارئ . وأول هذه المفاهيم هو " اللغة " التي تعني حسب رأي تشومسكي مجموعة كامل الجمل التي يولدها ذلك النحو ، ومجموعة الجمل هي من حيث المبدأ إما محدودة العدد ، أو لامتناهية في عددها . وإن عدد الخطوات البيِّنة التي لها علاقة بتوليد الجمل ثابت كذلك . فإن لم تكن الخطوات ثابتة العدد فإن هذا يعني استحالة توليد الجمل بواسطة مجموعة محدودة من القواعد .

ويعرف المؤلف " العناصر النهائية " على أن لها وجوداً حقيقياً في الجملة (الكلمات على المستوى النحوي ــ الفونيمات على المستوى الصوتي) . أما " العناصر المساعدة " فهي كل المصطلحات والرموز الأخرى المستعملة في صياغة القواعد النحوية .

ويطلق تشومسكي اسم " نحو المواقع المحدودة " على أبسط أنواع النحو التي تحدث عنها والتي تستطيع توليد عدد لا حصر له من الجمل من خلال عدد ثابت من القواعد المتكررة بعد تطبيقها على المفردات المحدودة . ويرتكز هذا النحو على أنه بعد انتقاء الكلمة الصالحة لأن تكون العنصر الأول في جهة اليسار (أو اليمين) من الجملة نجد أن كل انتقاء لاحق يتم بناء على ما سبقه من العناصر . ونستطيع أن نفسر " نحو المواقع المحدودة " على أنه آلة أو جهاز يتحرك ضمن عدد ثابت من المواقع الداخلية (internal state) وهو ينتقل من نقطة البداية (initial state) إلى نقطة النهاية (final state) عند توليد الجملة . وبمجرد أن ينتج النحو كلمة من مجموعة الكلمات التي تلائم ذلك الموقع ينتقل إلى اختيار كلمة أخرى تناسب الموقع الذي يليه متبعاً الجهة المحددة . وبهذا تكون السلاسل المتولدة بهذه الطريقة سليمة نحوياً . ويولد النحو الآنف الذكر عدداً محدوداً من الجمل .

ولكن يمكننا توسيعه بأن نجعل الجهاز قابلاً للدوران والعودة إلى أي موقع سابق عند أماكن محددة نختارها .

لقد أثبت تشومسكي أن رفض مثل هذا النحو كأنموذج ملائم لوصف

اللغات الطبيعية قائم على اعتبارات لها صلة بالتعقيد العملي وبمعرفتنا الكامنة بالطريقة التي يجب أن تتم بها عملية وصف الظواهر النحوية المختلفة .

ولقد بيّن تشومسكي عدم جدوى النحو المبني على المواقع المحدودة بإشارته إلى طرق معينة لبناء الجملة يقف عندها ذلك النحو عاجزاً عن وصفها مهما قبلنا بركاكة التحليل وبُعده عن المنطق السليم .

ولنا أن نطلّع على ما قدمه تشومسكي من براهين لدحض " نحو المواقع المحدودة " في كتابه **البنى النحوية** . ولكن يرجع السبب في اهتمام تشومسكي بـ" نحو المواقع المحدودة " إلى أن اللغة كانت تعتبر من وجهة النظر تلك مرتبطة بتصميم قنوات اتصالات نشيطة إبان الحرب العالمية الثانية وهي نظرية على مستوى رفيع من الرياضيات التي قدمت نظرية المعلومات (Information Theory) إلى العديد من المجالات بعد الحرب بما في ذلك علم النفس واللسانيات .

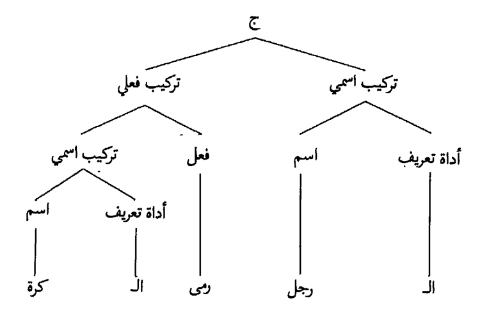
2.6.2. نحوُ بنية العبارات

أما الأنموذج الثاني الذي قدّمه تشومسكي لوصف اللغة فهو " نحوُ بنية العبارات " (phrase structure grammar) ، فهو أفضل في هذا الميدان من " نحو المواقع المحدودة " إذ إنه قادر على توليد جميع ما يولده " نحو المواقع المحدودة " لكن العكس ليس صحيحاً . فهناك مجموعات من الجمل يستطيع " نحو البنية " أن يولدها بينما يعجز نحو المواقع عن توليدها . إن العلاقة بين نحو البنية ونحو المواقع تكمن في أن الأول يتمتع بقوة كامنة أكبر من الثاني .

ومن ناحية أخرى تشبه فكرة بني المكونات كما يسميها تشومسكي فكرة التحليل إلى أقواس في الرياضيات والمنطق الرمزي .

. إن إسهام تشومسكي في هذا المجال يتمثل في صياغته لنحو بنى المكونات من مجموعة من القواعد المولدة (generative rules) ومن ثم إيضاحه " نحو المواقع

المحدودة » وأكثر النواقص الموجودة فيه . وربما يتساءل بعض القراء كيف يعطي هذا النظام لكل جملة بنيتها المناسبة ؟ والجواب يتجسد من خلال أسلوب متعارف عليه يرتبط بعملية التعويض بالقيمة المناسبة . فكلما طبقنا قاعدة ما نضع أقواساً حول سلسلة العناصر التي نتجت عن ذلك . وهناك وسيلة مشابهة ومكافئة للتحليل بالأقواس المعنونة التي تُعطى لسلاسل العناصر الناتجة عن نحو " بنية العبارات » ألا وهي شكل الشجرة الموضح كما يلي :



إلّا أن السؤال هو هل يلائم نحو من هذا النوع العام من حيث المبدأ وصف جميع الجمل التي نعتبرها سليمة البنية ؟ فتشومسكي لم يكن قادراً على إثبات وجود جمل إنكليزية يعجز " نحو بنية العبارات » عن توليدها (على الرغم من أنه ثبت أن هذا النوع من النحو يعجز عن توليد بعض التراكيب في لغات أخرى غير الإنكليزية) . والنقطة الهامة حسب رأي المؤلف أن تشومسكي يفسح المجال أمام إمكانية تفضيل نوع معين من النحو على نوع آخر رغم أنهما متساويان بمعنى أن كليهما يستطيع توليد مجموعة الجمل نفسها .

وفي **البنى النحوية** يقول تشومسكي : إن مجموعة الأسباب التي تدعونا لتفضيل " النحو التحويلي " على " نحو بنية العبارات " هي أن الأول أكثر بساطة من الثاني إلى حد ما . وقد بدأ تشومسكي يوجه القسط الأكبر من اهتمامه إلى إثبات أن النحو التحويلي يعكس الحدس اللغوي الفطري عند المتكلم بصورة أفضل وأنه أكثر وضوحاً من " نحو بنية العبارات " من الوجهة الدلالية .

ولعلنا نبيِّن مدى قصور " نحو العبارات " في هذه الناحية عندما نبحث في المثالين التاليين :

(1) أحمد سافر إلى دمشق .

(2) سافر أحمد إلى دمشق .

صحيح أننا نستطيع أن نضع عدداً من قواعد بنية العبارات تمكننا من توليد هاتين الجملتين وغيرهما أيضاً . ولكن المشكلة هي أن الناطق باللغة يحسّ أن لكلتيهما المعنى نفسه تقريباً . غير أن " نحو بنية العبارات " يعجز عن الربط بين المثالين السابقين (1) و (2) وعن أخذ الجانب الدلالي في الحسبان . أما النحو التحويلي فإنه يستطيع ـ كما سوف نرى ـ أن يصف العلاقة بين الجملتين السابقتين وأن يفسرهما .

وهذا يقودنا إلى نقطة مهمة في أعمال تشومسكي وهي أن الخصائص الشكلية والقدرة التوليدية لأنواع النحو المختلفة موجودة كفرع من الرياضيات أو المنطق وبشكل مستقل عن صلتها بوصف اللغات الطبيعية . وتتمثل الخطوة الثورية التي اتخذها تشومسكي في حقل اللسانيات باعتمادها على هذا النوع من الرياضيات (مثل نظرية التوابع المتتالية) وتطبيقه على اللغات الطبيعية .

لكن تشومسكي لم يقف عند حد الاقتباس لصيغة جاهزة ونظريات مثبتة كي يستفيد منها في اللسانيات بل ساهم بأبحاث جديدة في ميدان النظم الشكلية (Formal System) من زاوية رياضية بحتة .

وقد قطع البحث الرياضي في أنواع " نحو بنية العبارات " أشواطاً بعيدة خاصة ما يعرف منه بنحو البنى المستقل عن السياق وأنواع أخرى من النحو. إن البحوث الرياضية التي أجريت " في النحو التحويلي " أشد تعقيداً من " نحو بنية العبارات " رغم احتمال تمخضه عن قدر أكبر من السهولة في وصف جملة معينة على حد تعبير تشومسكي.

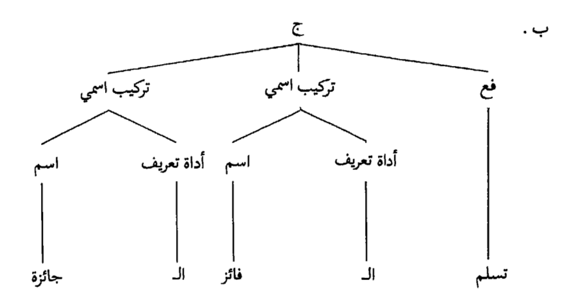
3.6.2. النحو التحويلي

يبيّن المؤلف في هذا الفصل النموذج النحوي الثالث ويدعى بـ" النحو التحويلي " ويقارنه بـ" نحو بنية العبارات ". فبينما نرى أن " نحو بنية العبارات " يتألف حصراً من مجموعة من قواعد بنى العبارات فإننا نجد أن " النحو التحويلي " يضم بالإضافة إلى القواعد التحويلية مجموعة من قواعد البنى التي يعتمد على تطبيقها المسبق. وبإمكان القواعد التحويلية أن تحول سلسلة معينة من العناصر إلى سلسلة أخرى. أضف إلى ذلك أنها من الناحية الشكلية أكثر تنوعاً وتعقيداً من قواعد بنية العبارات.

إن القاعدة البنيوية تولد ما ندعوه بأساس الجملة قبل تطبيق قاعدة تحويلية. وكل تقديم وتأخير أو حذف يُعدّ اشتقاقاً من الأساس أو من البنية التحتية (deep structure) فقاعدة البنية المذكورة تستطيع أن تولد الجملة التالية:

(1) أ. تسلم الفائز الجائزة.

ب .



لننظر الآن إلى هاتين الجملتين المشتقتين :

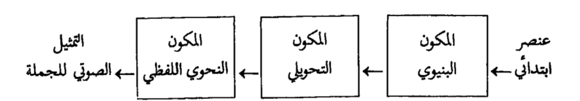
(2) الفائز تسلم الجائزة .

(3) الجائزة تسلمها الفائز .

إن الجمل الثلاث تعتبر مترادفة في معناها بوجه عام . من هنا كان لزاماً على النحو أن يشمل وصفاً لمثل هذه الحالات وأن يصوغ لها قواعد اشتقاق ملائمة كما يفعل " النحو التحويلي " حيث يمكننا اشتقاق (2) و (3) بواسطة قاعدة تحويلية تسمى بقاعدة التبادل (permutation) . ويذكر المؤلف قواعد تحويلية عديدة منها قاعدة الإسقاط التحويلية التي تتيح لنا إعادة توليد أي تركيب اسمي في بداية الجملة ومن ثم تحول التركيب الإسمي الأصلي إلى شكل ملائم من أشكال الضمير كما هو الأمر في الجملة (3) .



ويقدم المؤلف رسماً توضيحياً يبيّن فيه كيف تمت عملية بناء النحو التحويلي كما وردت في البنى النحوية :



فالعنصر الابتدائي يشكل الدخل (input) إلى النحو وهو يولد مجموعة من الإشارات العميقة (deep sign) بواسطة قواعد بنية العبارات كما نرى في المستطيل الأول . أما المستطيل الثاني فنرى فيه مجموعة من القواعد التحويلية (T. Rules) بعضها إجباري وبعضها اختياري وهي تعمل على سلاسل عميقة سواء أكانت مفردة أم زوجية . وبعد أن تعدل هذه السلاسل وما يتعلق بها من واسمات العبارات تعديلاً تدريجياً فإنها تعطي النتائج المطلوبة وهي مجموعة الجمل الموجودة في اللغة دون غيرها . وتتمثل هذه بسلاسل من الكلمات والمورفيمات . ولكل سلسلة منها مكونات لبنيتها المشتقة . أما المستطيل الثالث فيحوِّل الجملة من بنية نحوية (ممثلة بالكلمات والمورفيمات) إلى شكل صوتي ممثل بسلسلة من الفونيمات . وتبعاً لأنموذج النحو التوليدي التحويلي هذا فإنه يمكن تعليل أشكال شتى من الجملة البسيطة بواسطة قاعدة تحويلية إختيارية . فجميع الأمثلة الآتية ترتبط ببعضها البعض لأنها مشتقة جميعها من بنية تحتية (عميقة) .

(1) فتح الرجل الباب .
(2) لم يفتح الرجل الباب .
(3) هل فتح الرجل الباب .
(4) ألم يفتح الرجل الباب .

(5) الرجل فتح الباب .

(6) الباب فتحهُ الرجل .

إن الجملة (1) لم تطبق على بنيتها العميقة أية قاعدة تحويلية اختيارية ؛ بينما نرى أن (2) هي نتيجة لقاعدة النفي وأن (3) هي نتيجة لقاعدة الاستفهام . أما (4) فهي نتيجة للقاعدتين معاً ؛ أي النفي والاستفهام . كما نرى في (5) أن قاعدة الإسقاط أو التبادل هي المسؤولة عن تقديم الفاعل المنطقي على الفعل . في حين أن القاعدة نفسها ولدت (6) بتقديمها المفعول به إلى بداية الجملة ووضعها (الهاء) المتصلة بالفعل (فتح) مكان المفعول به الأصلي .

والجملة (1) دون سواها يسميها تشومسكي الجملة النواة . أما بقية الجمل فهي مشتقة من سلسلة عميقة مشتركة فيها الجملة النواة والجمل الاشتقاقية .

إن من مميزات هذا النظام وهو الأنموذج الثالث والأقوى من أساليب وصف اللغة أنه يستطيع أن يعلل أنواعاً معينة من اللبس (الغموض) البنيوي بصورة أفضل من نحو بنية العبارات كما هو الأمر في المثال التالي :

(1) أُمِرَ رجال الشرطة بإيقاف الاحتفال بعد منتصف الليل .

فلو أمعنا النظر في هذا المثال لوجدنا أن له في الحقيقة أكثر من تفسير واحد ، ورغم أن القارئ يدرك لأول وهلة واحداً فقط من معانيه إلا أنه بمزيد من التركيز يتبيّن التفسيرات الأخرى الممكنة وهي :

(2) أُمِرَ رجال الشرطة بإيقاف (احتفال الناس) بعد منتصف الليل .

(3) أُمِرَ رجال الشرطة (بالتوقف) عن الاحتفال بعد منتصف الليل .

(4) أُمِرَ رجال الشرطة بعد منتصف الليل بأن يوقفوا الاحتفال .

(5) أُمِرَ رجال الشرطة بإيقاف الاحتفال بعد أن ينتصف الليل .

وكذلك الشأن في المثال التالي الذي له أكثر من تفسير دلالي واحد :

(1) سمعوه من الأعلى .

فهذا المثال له تفسيران اثنان هما :

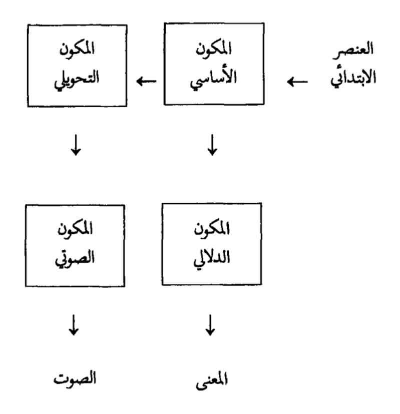
أ . كان هو في الأعلى عندما سمعوه .

ب . كانوا هم في الأعلى عندما سمعوه .

وبهذا يستطيع النحو التحويلي أن يعلل حالات اللبس المماثلة بطريقة أفضل من أي نحو آخر .

وفي عام (1965) وضع تشومسكي في كتابه **عناصر نظرية النحو** نظرية أعم وأشمل في النحو التحويلي تختلف عن نظريته السابقة في عدد من النواحي الهامة .

ويذكر المؤلف هنا الفوارق العريضة بين أنموذج النحو في **البنى النحوية** وما يسميه بـ" **نحو العناصر** " . والشكل التالي يوضح النموذج المعدل للنحو التحويلي :



وكل ما نرغب في إضافته إلى هذا العرض لخصائص النسخة الحديثة من النحو التحويلي هو أن المفاهيم النحوية المختلفة ذات المضامين الدلالية تُحدد الآن وبوضوح في ضوء العلاقات القائمة في البنية العميقة. ولنا أن نلاحظ على وجه الخصوص الفرق بين الفاعل المنطقي (البنية العميقة) والفاعل النحوي (البنية السطحية) لجملة ما كما هو الأمر في المثالين التاليين:

(1) وعدت صديقي بالعودة (أعود أنا ...).
(2) أقنعت صديقي بالعودة (يعود صديقي ...).

يبدو لنا أن لهذين المثالين بنية سطحية واحدة إلا أن لهما بنيتين عميقتين مختلفتين. ففي المثال الأول نجد أن الفاعل الحقيقي الذي يقوم بالعودة هو (أنا)، بينما هو (صديقي) في المثال الثاني. وبناءً على ذلك فإن النحو التحويلي يعطي بنيتين عميقتين مختلفتين للبنية السطحية نفسها للتفريق بين الفاعلين المختلفين، وكما يقول تشومسكي:

إن العلاقات في البنية العميقة هي جوهرية من أجل الحصول على التفسير الصحيح للجملة.

7.2. المضامين النفسية والفلسفية للنحو التحويلي

يكرس المؤلف هنا فصلين اثنين لمناقشة آراء تشومسكي الجديدة حول المضامين النفسية والفلسفية للنحو التحويلي، ويقسم المادة إلى جزأين اثنين هما: علم النفس والفلسفة. وينوه أيضاً إلى أن هذا التمييز الذي يقيمه هو تمييز كيفي، فاللسانيات والفلسفة وعلم النفس عند تشومسكي ليست موضوعات مستقلة عن بعضها بعضاً.

1.7.2. المضامين النفسية

يلخص المؤلف آراء تشومسكي في هذا المجال بما يلي:

إن ميزة الإبداع والتجديد هي من أهم خصائص اللغة. فالطفل عندما يبلغ الخامسة أو السادسة يستطيع أن يؤلف وأن يفهم عدداً غير محدود من الجمل التي لم يتعرض لها من قبل. ونظرية التعلم السلوكية التي أتى بها عالم النفس السلوكي ف. ب. سكينر في كتابه **السلوك الكلامي** مهما أصابت من النجاح في تفسير الطريقة التي تبين بموجبها بعض شباكات العادات والتداعي الفكري من خلال النماذج السلوكية عند الإنسان والحيوان، إنما هي عاجزة عن تفسير ميزة الإبداع وهي عنصر من عناصر السلوك الإنساني التي تكون على أشدها في ظاهرة اللغة بالإضافة إلى بعض النواحي الأخرى.

فالنحو في أية لغة كما يراه تشومسكي إنما هو وصف مثالي " للمقدرة اللغوية " التي يمتلكها من يتحدث بها. كما ينبغي على أي أنموذج نفسي يعالج الطريقة التي توضع بها تلك المقدرة موضع " الممارسة الفعلية " أن يأخذ في الحسبان عدداً من الحقائق الأخرى التي يتعمد اللغويون تجاهلها عند تعريفهم لمفهوم النحوية (grammaticality). وتشمل الحقائق النفسية التي تتحدث عنها قصور الذاكرة وضعف الانتباه كما تشمل الزمن المطلوب لوصول الإشارات العصبية وانتقالها من الدماغ إلى العضلات المسؤولة عن الكلام وما يصحب هذا كله من تداخل بين العمليات الفيزيولوجية والنفسية. فكثير من الجمل التي يعتبرها النحاة سليمة لغوياً ليس لها وجود في الحالات الطبيعية وهذا هو أحد الجوانب التي نلمس فيها ولأسباب نفسية تبايناً بين الكلام الفعلي والجمل التي يطلق عليها اللغويون صفة النحوية.

وثمة فرق آخر طالما أكده تشومسكي في كتاباته وهو أن الكلام الفعلي فيه كثير من الأخطاء والتشويه، منها مثلاً (سوء النطق أو التردد أو تغيير التركيب قبل انتهاء الجملة ...).

وهذه الأخطاء مردها إلى خلل في أداء الجهاز النفساني أو إلى قصور ذاتي فيه. وتشكل هذه الانحرافات عن النظم النحوية جزءاً قيماً من المعلومات بالنسبة

لعلماء النفس . فإذا ما تم تحليلها بصورة مناسبة استدلوا منها على بنية اللغة وكيفية عمل الآليات الكامنة وراء استعمالها .

ومع اختلاف وجهات النظر بين اللسانيات وعلم النفس فيما يتعلق بالأبحاث اللغوية ، يصر تشومسكي على وجود روابط هامة بينهما . إن أهم ما في دراسة اللغة دراسة علمية هو ما تقدمه بالنسبة لإدراكنا للعمليات الذهنية . وفي اعتقاد تشومسكي فإنه من المحتمل ـــ أن يكون نوعان من النحو ملائمين من الناحية الشكلية الظاهرية وضعيفي التعادل ، إذا كانا قادرين على توليد مجموعة الجمل نفسها .

لكن أحدهما يصبح أكثر ملائمة من الآخر من الناحية الوصفية إذا كان يتفق مع الحدس اللغوي الفطري للمتكلم وذلك فيما يخص قضايا اللبس البنيوي والترادف أو الاختلاف في معنى بعض أنواع الجمل . إذ إن الحدس اللغوي الفطري (أي تمثل المتكلم لقواعد اللغة) بالنسبة لتشومسكي هو الموضوع الحقيقي للوصف وليس الجمل بحدّ ذاتها . وقد أكد تشومسكي من قبل على مفهوم البساطة (Simplicity) ، باعتبارها مقياساً لتقييم أنواع النحو ضعيفة التعادل .

ويذكر المؤلف البعد اللساني والنفسي للذاكرة التي لها قدرة محدودة على الاستيعاب فهي تعمل وفق مبدأ الحشو أي أن آخر ما يدخل يكون أول ما يؤخذ ولذلك فإننا نتذكر بسهولة وسرعة آخر ما اختزن في ذاكرتنا . ومن المنطقي أن نفترض أن الذاكرة " بعيدة المدى ـــ أو الدائمة " تحتوي على قدر أكبر من المعلومات بما فيها القواعد النحوية التي تستخدم عند تحليل " الكلام الفعلي " أي النطق ، لكن ما يعنينا هنا هو الذاكرة " قصيرة المدى " كما يسميها علماء النفس وهي التي نستخدمها عندما نحفظ في ذاكرتنا قائمة بأشياء منفصلة عن بعضها (كمقاطع وأرقام لا معنى لها) . وهناك قيود صارمة على استيعاب الذاكرة قصيرة المدى لأن عدد

العناصر التي نستطيع اختزانها في الذاكرة هو من رتبة سبعة (سبعة زائد أو ناقص اثنين) كما يقول جورج ميلر عالم النفس الأمريكي.

إن كل ما سبق ذكره عبارة عن معلومات أولية لها علاقة بفرضية العمق (depth theory) التي وضعها فيكتور اينغف (V.yngve):

لنتأمل المعادلات التالية:

(1) ب ← (ب) + د.

(2) ب ← هـ + (ب).

(3) ب ← و + (ب) + ي.

من الملاحظ أن القاعدة (1) هي متوالية يمينية، أما القاعدة (2) فهي متوالية يسارية، أما القاعدة (3) فهي ذاتية التضمين وحسب فرضية اينغف فإن التراكيب ذات المتواليات اليسارية تزيد من عمق الجملة أو من تعقيدها النفسي لأن التوالي نحو اليسار على عكس التوالي نحو اليمين يزيد من الفراغ الذي تحتاجه الذاكرة قصيرة المدى خلال تحليل الجملة. فإذا زاد عمق الجملة عن الحد الحرج عندئذ تصبح استمراريتها متعذرة على الفهم. هذا ومن شبه المؤكد أن فرضية العمق خاطئة لأنها قائمة على افتراض أن الإنسان يحلل الجملة بنفس الطريقة التي تولدت بها في الكومبيوتر الذي استعمله.

وكما ذكر تشومسكي في مناقشته لفرضية اينغف فإن التراكيب ذاتية التضمين المبنية على الشكل (3) هي التي تسبب أكبر قدر من الصعوبة سواء في النطق أو في السماع.

أما تفسير هذا في رأي تشومسكي فلا يرجع إلى وجود حدود صارمة في الذاكرة قصيرة الأجل فحسب لأن الجمل التي تشتمل على التضمين يصعب تحليلها أكثر من التراكيب الأخرى التي نشتقها بوضع العنصر المضمّن في المنتصف بدلاً

من اليمين أو اليسار بالنسبة لمجموعة ما . ويتضح من هذه المناقشة لفرضية العمق ولفرضية تشومسكي حول التضمين الذاتي أن البحث في الخصائص الشكلية للنحو التحويلي يمكنها أن تتخذ مضامين ذات دلالة من أجل دراسة الآليات النفسية الكامنة وراء الممارسة اللغوية .

إنّ الطريقة التي عالج بها تشومسكي العلاقة بين الجمل المبنية للمجهول ونظيراتها المبنية للمعلوم والجمل المثبتة ونظيراتها المنفية وكذلك بين الاستفهامية والإخبارية ، كانت ترتكز إلى مجموعة من " القواعد التحويلية الاختيارية " . وتبعاً لهذا التحليل فإنّ الجمل النواة كانت من ناحية عدد القواعد المطبقة أكثر بساطة من غيرها . وكان من المغري أن نفترض أن الجمل النواة ليست أبسط من الوجهة اللغوية فحسب ، ولكنها أكثر بساطة أيضاً من الناحية النفسية . وإذا افترضنا وجود علاقة وثيقة بين المقدرة والممارسة لاستطعنا أن نجري بعض التجارب التي ترمي إلى اختبار مدى صلاحية العمليات التحويلية . ولقد كانت نتائج بعض التجارب الأولية مشجعة جداً حيث تبيّن أن الجمل المبنية للمعلوم أسهل للذاكرة من تلك المبنية للمجهول وأن الجمل المثبتة أسهل من المنفية . والأغرب من هذا أنه تبيّن نتيجة إحدى التجارب التي اعتمدت على الزمن اللازم للإستجابة لأنواع الجمل المختلفة أن زمن الكمون (Latancy) في حال الجمل المبنية للمجهول ليست أطول منه في الجمل المبنية للمعلوم فحسب ، بل إن الفارق في الكمون بين الجمل المثبتة المبنية للمعلوم وبين نظيراتها المنفية والمبنية للمجهول يساوي مجموع الفروق بين الجمل المثبتة المبنية للمعلوم وبين المثبتة المبنية للمجهول من جهة والفروق بين الجمل المثبتة المبنية للمعلوم والجمل المنفية المبنية للمعلوم من جهة أخرى .

ويمكننا أن نعتبر هذه النتيجة بمثابة برهان على الفرضية التي تقول إن تحليل الجمل ينطوي على سلسلة من عمليات التحويل التي يستغرق كل منها زمناً معيناً . إلا أن هذه التجارب أُفرغت من محتواها لأنها لم تأخذ بحسبانها عدداً من الاعتبارات

التي لها علاقة بالموضوع. إذ ينبغي على أية تجربة تصمّم بهدف اختبار صلاحية أنموذج معين من النحو من الوجهة النفسية أن تأخذ في اعتبارها جميع المتغيرات الممكنة في الممارسة اللغوية. ولقد أصبح علماء النفس في السنين القلائل الأخيرة ممن استمدوا أبحاثهم من النحو التحويلي أكثر إحساساً بهذه المشكلة من ذي قبل.

2.7.2. المضامين الفلسفية

يعرض المؤلف هنا لفلسفة اللغة والفكر عند تشومسكي ويعقد مقارنة بين موقف التجريبيين وموقف العقلانيين من اللغة. فالتجريبيون يؤمنون بأن المعرفة تتولد عن التجربة والخبرة كما هو الأمر عند التجريبيين البريطانيين لوك (Locke) وباركلي (Barkley) وهيوم (Hulme). والواقع لقد أثر المذهب التجريبي في تطور علم النفس الحديث تأثيراً بالغاً وكان مع المادية الحسية والحتمية وراء الفكرة التي حملها الكثير من علماء النفس، وهي أن البيئة هي التي تحدد المعرفة الإنسانية والسلوك الإنساني نظراً لعدم وجود فوارق في هذا المجال بين الإنسان والحيوانات الأخرى.

غير أن تشومسكي يعتقد أننا نمتلك عدداً من القدرات المعينة (نطلق عليها اسم العقل) وهي تلعب دوراً حساساً في اكتسابنا للمعرفة وتجعلنا قادرين على التصرف ككائنات حرة غير موجهة بحوافز خارجية في البيئة المحيطة بنا رغم احتمال تأثرنا بها.

لقد كانت مدرسة بلومفيلد اللغوية تجاهر بإهمال القضايا النظرية العامة إلى حد المفاخرة تقريباً. ولو سئل معظم اللغويين الأمريكيين قبل نحو خمس عشرة سنة (من تاريخ تأليف الكتاب)، عن هدف اللسانيات الأساسي لأجابوا " إنه وصف اللغات ". فأتباع بلومفيلد كانوا متشككين من أن جميع اللغات تشترك بخصائص معينة فيما بينها.

أما موقف تشومسكي فإنه متعارض تماماً مع موقف بلومفيلد. فهو يعتقد أن هدف اللسانيات الرئيسي هو التوصل إلى نظرية استنتاجية لبنية اللغة الإنسانية

بحيث تكون شاملة إلى الحد الذي يمكن معه تطبيقها على جميع اللغات ، وهو يعتقد أيضاً بوجود واحدات صوتية ونحوية ودلالية ذات صفة عالمية (سمات صوْتية مميزة ــ مقولات نحوية ــ مكونات دلالية ... إلخ) .

فهذه الواحدات الصوتية والنحوية والدلالية تؤلف ما يدعوه تشومسكي (بالعالميات الحقيقية أو الجوهرية) في النظرية اللغوية .

إلّا أن أكثر ما يميز فكر تشومسكي وأكبر ناحية إبداعية لديه هو تأكيده على ما يدعى بالعالميات الشكلية . وهي المبادئ العامة التي تحدد شكل القواعد وطريقة عملها نحو اللغات المختلفة .

فالنظرية اللغوية يجب أن تكون على درجة من الشمول بحيث تغطي جميع اللغات ، وفي الوقت نفسه يجب ألّا تكون مغرقة في شموليتها كي لا تنطبق على وسائل أخرى من وسائل التخاطب . ويستعرض المؤلف بعد ذلك النتائج الفلسفية لفكرة تشومسكي المتعلقة بالنحو العالمي بما يلي :

(1) إن جميع اللغات الإنسانية تتناول الخصائص والأشياء المشتركة في العالم المحسوس والتي يدركها جميع من يتمتعون بقدرات فيزيولوجية ونفسية سليمة .

(2) يطلب من جميع اللغات أن تؤدي وظائف متشابهة (تقرير أشياء معينة ، أو طرح أسئلة أو إعطاء أوامر ... إلخ) .

(3) تستخدم جميع اللغات الجهاز التنفسي والفيزيولوجي نفسه ، ولنا أن نعتبر طريقة علم هذا الجهاز مسؤولة في حد ذاتها عن بعض الخصائص الشكلية للغة .

(4) إن التفسير المعقول الوحيد في ضوء ما نملكه حالياً من معرفة هو أن جميع الناس مزودون بملكة لغوية وأن تلك الملكة هي التي تقرر العناصر العالمية . ومما يزيد في دعم النتيجة التي توصل إليها تشومسكي عملية تعلم الطفل للغته الأم . إذ تشير كافة الدلائل إلى أن الطفل لا يولد وهو مجهز لتعلم لغة معينة دون أخرى . وبهذا نستطيع أن نفترض أن جميع الأطفال ، بغض النظر عن العرق والأصل ، يولدون ولهم

القدرة نفسها على تعلم اللغات. ولكن كيف يتسنى للطفل تطوير تلك الملكة الإبداعية التي تمكنه من تأليف وفهم جمل لم يسمعها من قبل؟ يعتقد تشومسكي أن الطريقة الوحيدة لاستيعاب تعلم اللغة هي أن نفترض أن الطفل يولد وهو مزود بالمعرفة بمبادئ النحو العالمي وبما يميز تلك المبادئ من قيود وشروط، كما أن لديه المقدرة على استعمالها في تحليل ما يسمع حوله من الكلام. هذه المبادئ تؤلف جزءاً مما نسميه " العقل " الذي يتمثل إلى حد ما في بنية الدماغ أو أسلوب عمله والذي يمكن أن يقارن بالأفكار الكامنة عند ديكارت والمذهب العقلاني ورجوعاً إلى أفلاطون.

فكثير من الفلاسفة ـــ وعلى رأسهم ديكارت ـــ أقاموا حاجزاً بين العقل والجسد وادّعى هؤلاء أن وظائف الجسم الفيزيولوجية وعملياته، على عكس العقل، تخضع للقوانين نفسها الميكانيكية أو الفيزيائية شأنها شأن بقية العالم المادي. غير أن موقف تشومسكي يختلف عن ذلك نوعاً ما. صحيح أنه يتفق مع ديكارت وغيره من الفلاسفة العقلانيين في أن السلوك الإنساني لا يخضع ولا حتى جزيئاً (للحوافز) الخارجية أو الحالات الفيزيولوجية الداخلية مما يجعل موقفه متعارضاً مع فكرة الآلية الميكانيكية إلّا أن تشومسكي يختلف عنهم في أنه لا يشاركهم اعتقادهم بعدم إمكانية تقليص الفرق بين العقل والجسد. وهكذا فإن تشومسكي لا ينكر إمكانية تفسير الظواهر العقلية من حيث المبدأ في ضوء العمليات الفيزيولوجية والعمليات الفيزيائية التي يفهمها الآن.

8.2. الخاتمة

يعمد المؤلف هنا وفي خاتمة حديثة عن تشومسكي إلى إعطاء تقييم ذاتي لمدى أهمية أعمال تشومسكي بمجملها:

(1) لقد حمل تشومسكي ما يسمى اللسانيات الرياضية إلى آفاق بعيدة كما فتح ميادين جديدة للبحث الذي هو موضع اهتمام علماء اللغة والمنطق والرياضيات

على حد سواء. ولو سلمنا جدلاً بأن ليس ثمة عمل واحد من أعمال تشومسكي في النحو التحويلي ذو علاقة مباشرة بوصف اللغات الطبيعية فإن هذه الأعمال تبقى قيّمة بالنسبة لعلماء المنطق والرياضيات ممن يهتمون ببناء النظم الشكلية في معزل عن تطبيقها التجريبي.

(2) إن ما جذب اهتمام الفلاسفة وعلماء النفس إلى أعمال تشومسكي هو بالطبع أنموذج النحو التحويلي الذي صُمّم بهدف تحليل اللغات الطبيعية. وقد بيّن تشومسكي بمنتهى الإقناع أن الفجوة بين اللغة الإنسانية وبين نظم التخاطب في عالم الحيوان لا يمكن سدها عن طريق توسيع نظريات التعلم النفسية الحالية التي تقوم على إجراء التجارب على الحيوانات المخبرية. وهذا يتبع طبعاً مبدأ الإبداعية الذي يتجلى في استعمال اللغة ولا يعتمد على مدى صلاحية أي أنموذج من نماذج النحو التحويلي ولا حتى على إمكانية صياغة مثل ذلك الأنموذج. ولكن على الرغم من أن تشومسكي أعطى مبررات جيدة تثبت أن أنموذج الحافز والاستجابة عاجز عن معالجة جميع الحقائق المتعلقة بسلوك اللغة إلا أنه لم يبيّن أن هذا الأنموذج لا يستطيع تفسير أي منها. وربما يتعلم الطفل بعض الكلمات التي تدل على أشياء موجودة في بيئته أو أنماطاً معينة من الكلام كتلك التي تتكرر دوماً، خاصة في مراحل حياته الأولى بطريقة يمكن وصفها بشكل معقول في ضوء المذهب السلوكي.

(3) يعتقد المؤلف أن الحكم الوحيد الذي يمكن أن نصدره وفق الأدلة المتوفرة هو أن نظرية تشومسكي المؤيدة للمذهب العقلاني ليست بالقوة التي يدعيها. ذلك لأنها كما أشار نقاد تشومسكي لا تخضع للإثباتات التجريبية المباشرة. لأنه من غير العملي أن نربي طفلاً منذ ولادته دون أية معرفة بأية لغة طبيعية وأن نعرضه فقط إلى عبارات من الكلام في لغة مصطنعة تستعمل في مجال كامل من الحالات العادية كما أنه ليس من الواضح أبداً كيف يتصرف المرء إزاء تصميم تجربة نفسية مقبولة ليس لها علاقة مباشرة بالموضوعات المطروحة.

(4) لو سلمنا جدلاً بأن المبادئ الشكلية التي يعتمد عليها تشومسكي هي عالمية بمعنى أنها موجودة فعلاً في جميع اللغات التي ينطق بها البشر فهل نملك ما يبرر اعتقادنا بأنها تلائم العقل البشري إلى الحد الذي يجب أن تتفق معها أية لغة إنسانية يمكن تصورها . وربما أننا عاجزون حتى الآن عن إثبات أن اللغات التي تخالف هذه المبادئ تستعصي على الإنسان سواء في تعلمها أو استخدامها فإن لنا الحق في حجب موافقتنا على فرضية تشومسكي بأن العالميات الشكلية كامنة في الإنسان .

وربما كان التفسير البديل لصفتها العالمية أن جميع اللغات انحدرت من أصل مشترك في الماضي السحيق وحافظت على مبادئها الشكلية إلّا أنه من غير الثابت أن جميع اللغات مشتقة من أصل واحد .

(5) أما فيما يتعلق باللسانيات كعلم تجريبي يهدف إلى تقديم نظرية حول بنية اللغة الإنسانية فإن من المهم بالطبع أن يدخل اللغويون في نظريتهم جميع العالميات الحقيقية والشكلية التي يمكن الاهتداء إليها من خلال البحوث في لغات معينة ، واعتقد أن تشومسكي كان على صواب حيث قال إن تنوع البنى الموجودة في لغات العالم أقل شأناً مما يدعيه البنيويون . حيث أظهرت البحوث النحوية التي أجريت في السنوات القلائل الماضية والتي تأثر معظمها بأعمال تشومسكي تأييداً لابأس به لدعاة النحو العالمي ولكن يجب أن ينظر إلى النتائج التي تم الحصول عليها حتى الآن على أنها نتائج أولية فحسب .

(6) وتشير الدراسات الحالية التي تقارب بين السلوك الإنساني والحيواني إلى أن ما يعتبر في العادة سلوكاً غريزياً يتطلب شروطاً بيئية خاصة جداً خلال فترة النضج (Maturation) أما إذا قيل إن مثل هذا السلوك كامن أو إنه اكتسب بالخبرة فإن المسألة عندئذ لا تعدو كونها مسألة توكيد . فالغريزة والبيئة إذن كلاهما ضروري وتكمل إحداهما الأخرى . ورغم أن تشومسكي يطلق على نفسه لقب عقلاني فإنه لا يريد أن يلزم نفسه بالمعارضة التقليدية بين العقل والجسم .

ويبدو أن موقفه يتفق مع الرأي القائل : إن المعرفة والاتجاه (الميول الطبيعية) يتطلبان شروطاً بيئية محددة خلال فترة النضج رغم أنهما كامنان في الأصل .

(7) إن حكمنا على نظرية تشومسكي العقلانية والقوية بأنها غير مثبتة لا ينفي أهميتها مطلقاً ، حيث بيّن أن ليس ثمة ما يجانب العلم في الافتراض أن القدرة على التحدث بلغة ما تدل على وجود عدد من القواعد التوليدية ــ سواء أكانت كامنة أم مكتسبة ــ في ذهن المتكلم وإن تلك القواعد هي من نوع محدد جداً وأن المتكلم قادر على " خزن " وإجراء العمليات على التراكيب الذهنية المجردة خلال تأليف الجمل أو تحليلها .

(8) يورد المؤلف نقطتين مهمتين تتعلقان بنظرية تشومسكي :

الأولى وتتعلق بالتمييز الذي يضعه تشومسكي بين القـدرة (Competence) والممارسة (Performance) . فعلى الرغم من أن هذا التمييز دون شك ضرورة نظرية ومنهجية في اللسانيات إلا أنه من غير الثابت ما إذا كان تشومسكي يضع الحد الفاصل بينهما في مكانه الصحيح . ويمكن أن نقول إن تشومسكي يصف عدداً من الظواهر على أنها متعلقة بالممارسة (وبذلك فهي خارجة عن الموضوع) مع أنه من الواجب مناقشتها في ضوء المقدرة .

أما النقطة الثانية بشأن مسألة التفاصيل فإن حكم أي لغوي على الطريقة الأكثر طبيعية أو الأكثر وضوحاً في وصفه لمادته إنما هو أمر نسبي وغير محدد ، ولا بد لنا من أن نضيف أنه من غير الواضح دائماً متى تكون الفوارق بين نوعين من الوصف لمادة واحدة فوارق أساسية ومتى تكون مجرد فوارق في الرموز والمصطلحات .

ولقد قال تشومسكي ذاته في معرض حديثه عن الأعمال الحالية في النحو التوليدي :

" إن الحقل في الوقت الحالي في وضع غير مستقر ولا بد من مرور بعض الوقت قبل أن ينقشع الغبار ويتم حل عدد من القضايا البارزة ولو مؤقتاً " .

(9) لقد ادعى تشومسكي في كتاباته الأخرى الأكثر تكنيكية والتي نشرت مؤخراً أن الفوارق بين موقفه وموقف العديد من اللغويين الآخرين في كثير من هذه القضايا إنما هي فوارق في التسميات ليس إلّا . لكن الكثيرين لا يتفقون معه في هذا الرأي . إن النقطة المهمة التي يريد المؤلف أن ينوه إليها هي أنه حتى اللغويين الذين غالباً ما يتعاطفون مع آراء تشومسكي ربما يختلفون معه حول قضايا عديدة .

(10) وأخيراً حتى إذا كان من واجبنا أن نتخيل على الأقل احتمال رفض نظرية النحو التوليدي التي طلع بها تشومسكي بإجماع اللغويين يوماً ما ــ باعتبارها خارجة عن إطار وصف اللغات الطبيعية ــ وحتى لو فشلت المحاولة التي بذلها كي يصوغ المفاهيم المستخدمة في تحليل اللغات فإن المحاولة نفسها ستوسع إدراكنا لهذه المفاهيم دون حدود وإن الثورة التشومسكية في هذا المجال لا يمكن إلا أن تنجح .

9.2. نقد الكتاب وتحليله

لا شك في أن نقل المعارف الحديثة من ثقافة إلى ثقافة أخرى يُعدّ مكوناً رئيسياً من مكونات الحضارة البشرية عبر التاريخ ... وتزداد أهمية هذا النقل الحضاري في حالة كون هذه المعارف حديثة ومفيدة جداً في أمة من الأمم ومفقودة تماماً في أمة أخرى .

وتأتي الأهمية الزائدة لهذه المعارف من كونها عنصراً أساسياً لتطوير ثقافة من الثقافات وإغنائها بحيث تصبح عاملاً فاعلاً في بناء الحضارة الإنسانية الحديثة .

والحقيقة إن كتاب **تشومسكي** هو واحد من الكتب التي تنقل مثل هذه المعارف اللغوية والفلسفية والرياضية الحديثة جداً من اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية . وبذلك فإن المكتبة العربية تضم إلى معارفها معرفة لغوية حديثة جاءت لتملأ فراغاً ظلت تعاني منه سنوات عديدة .

ولكن ما هي طبيعة كتاب **تشومسكي** ؟ وكيف تم نقله إلى اللغة العربية ؟

ثم ما هي مواضع القوة في هذا النقل وما هي مواضع الضعف فيه؟ وبعبارة دقيقة؛ أين يقع هذا الكتاب المترجم في قائمة الكتب المنقولة إلى العربية؟

سأحاول الإجابة عن هذه الأسئلة ضمن إطار عرض الجوانب الإيجابية والسلبية التي طبعت الكتاب.

1.9.2. الجوانب الإيجابيّة

(1) إن أول ما يلفت نظر الباحث المختص باللسانيات أو حتى القارئ العربي غير المختص أن هذا الكتاب هو الأول من نوعه في الوطن العربي ذلك لأنه يعطي فكرة كافية وشافية عن نظرية تشومسكي اللسانية منذ بواكيرها الأولى (1957) وحتى بداية السبعينات من هذا القرن.

والأهم من هذا هو كفاءة المترجم الباحث الدكتور محمد زياد كبة الذي استطاع تطويع المادة اللسانية التشومسكية المعقدة ووضعها في اللغة العربية على نحو واضح وبسيط. وعلى الرغم من أنني لا أعرف الرجل (شخصياً) إلا أنني متأكد تماماً بأنه لا يستطيع أن يقوم بهذه المهمة الصعبة ما لم يكن مختصاً بهذا الضرب من العلم. وقد كنت قد أكدت على قضية التخصص في نقل العلوم والمعارف في مقالات وندوات وكتب لا مجال لذكرها الآن[1].

والواقع عندما سألت عن الهوية العلمية للرجل تبيّن لي أنّه متخصص باللسانيات الحديثة (ولا سيما علم النحو والدلالة) من بريطانيا وهو أستاذ اللسانيات الحديثة بقسم اللغة الإنكليزية بجامعة حلب (وهو معار الآن في جامعة الرياض ــ السعودية). إن هذه المعلومات التي ذكرتها مهمة جداً في هذا المجال وهي تؤكد الفكرة التي آمنت بها والتي كنت قد ذكرتها في كثير من الكتابات وهي أنه

(1) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع:
الوعر، مازن (1988 ــ الفصل الخامس). **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ــ مدخل**. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ــ سورية.

إذا أردنا نقل معرفة متخصصة من لغة إلى لغة أخرى فلا بدّ أن يقوم بهذه المهمة باحث متخصص بتلك المعرفة وذلك انطلاقاً من التقنيات الحديثة الموضوعة في علم الترجمة. وذلك لأن الترجمة ليست عملية نقل للرموز والمصطلحات المعجمية من لغة إلى لغة أخرى وإنما هي نقل الفكر الحي المتألق بعد فهمه واستيعابه من ثقافة إلى ثقافة أخرى آخذاً بالاعتبار كل المكونات التي تكوّن هاتين الثقافتين وتجعلهما مفهومتين لدى الآخرين.

والحق يقال لقد استطاع المترجم الباحث أن يحقق هذا المعيار عندما نقل هذا الكتاب إلى الثقافة العربية. ولا ينتابني شك أبداً أنه على الرغم من صعوبة نظرية تشومسكي وتعقّدها (وذلك لتداخلها بالعلوم الرياضية والفيزيائية والبيولوجية)، فإن المثقف العربي غير المختص باللسانيات لن يواجه أية صعوبة عندما يقرأ هذا الكتاب باللغة العربية. بل إنه سيتجاوز مرحلة القراءة المفهومة إلى مرحلة الحافز والإرهاص الجدي الذي يدفعه للاطّلاع على التراث اللساني الذي خلفه تشومسكي ذلك العالم الذي يُعدّ واحداً من عباقرة القرن العشرين.

(2) وهذه النقطة تقودنا إلى نقطة ثانية حول ترجمه هذا الكتاب وهي أن المترجم اتبع ثلاث خطوات دقيقة في تغيير بعض ما جاء في متن الكتاب:

أ . فقد استبدل الأمثلة الإنكليزية التي أتى بها المؤلف جان ليونز بأمثلة عربية ملائمة، وبذلك حقق المترجم أمرين مهمين جداً: الأول هو أنه انتقل من عرض النظرية التشومسكية إلى تطبيقاتها العملية على نحو غير مباشر على اللغة العربية. والثاني أنه استطاع أن يوصل فكرة تشومسكي إلى القرّاء العرب دون عناء وجهد بالغين ذلك لأنهم الآن أمام أمثلة تطبيقية باللغة العربية.

ب . وقد استبدل المترجم أيضاً القواعد التوليدية والتحويلية في نظرية تشومسكي والتي وضعها المؤلف جان ليونز بالإنكليزية... استبدلها

بقواعد عربية أكثر تلاؤماً وفهماً للمثقف العربي من تلك الموضوعة بالإنكليزية (على الرغم من أن لنا ملاحظاتنا الدقيقة حول هذه القواعد العربية التي سوف أنقدها عند حديثي عن الجوانب السلبية للكتاب). وبذلك فإن القواعد اللغوية الموضوعة أصلاً لوصف اللغات البشرية كما يدعي تشومسكي، تُنقل الآن إلى اللغة العربية بحيث يستطيع القارئ العربي أن يتعرف إليها وعلى طبيعتها المرتكزة على مفاهيم مستمدة من الرياضيات (كمفهوم النظم الشكلية ومفهوم المتواليات ومفهوم نظرية المجموعات... إلخ).

جـ . وأخيراً فقد وضع المترجم في نهاية الكتاب معجماً لسانياً صغيراً وبسيطاً باللغتين الإنكليزية والعربية. وهذا العمل يذلل بالطبع الكثير من المسائل والمصطلحات اللسانية الصعبة غير المفهومة للقارئ العربي. وتزداد قيمة مثل هذا العمل عندما نعلم أن قضية المعجم اللساني العربي ما زالت تعاني من مشكلات كثيرة جداً، إذ ليس هناك معجم لساني عربي — إنكليزي واحد يمكن أن يكون شافياً وكافياً ومعيارياً (موحداً) في العالم العربي. ويزداد عجبنا عندما نعلم أن قضية المصطلحات والمعاجم أصبحت علماً قائماً برأسه في أوربة وأمريكا تخصص له أقسام قائمة برأسها. أضف إلى ذلك أن هناك آلاف المعاجم اللسانية الغربية التي تحاول شرح المصطلح اللساني شرحاً وافياً وواضحاً[2].

(3) هذه النقطة تتعلق بمتن الكتاب نفسه إذ إن المؤلف جان ليونز وضّح

---

(2) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع (بالإنكليزية):
القاسمي د. علي (1983) اللسانيات والمعاجم الثنائية اللغة. بريل — ليدن وراجع أيضاً (بالعربية) القاسمي، د. علي (1980) «المصطلحية (علم المصطلحات)» مجلة **اللسان العربي** الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط — المغرب. العدد 18 (ص 7) وراجع أيضاً (بالعربية) **صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية**. أبحاث الدورة التدريبية. الرباط. من 31 آذار إلى 8 نيسان 1981 مكتب تنسيق التعريب. المغرب.

العلاقات القائمة بين اللسانيات والفلسفة وعلم النفس من جهة وبين اللسانيات والرياضيات من جهة أخرى .

والواقع إن هذه النقطة التي شرحها المؤلف في إطار نظرية تشومسكي لجديرة بالدراسة :

أ . فاللسانيات في بداياتها حاولت أن تبتعد عن الفلسفة لتكوّن علماً قائماً برأسه ذلك لأن الدراسات اللغوية القديمة ارتبطت بالفلسفة وعلم النفس ارتباطاً وثيقاً منذ القديم . وقد ساهمت الفلسفة وعلم النفس في تكوين المواقف التي تبناها العلماء في دراسة اللغة . هذه المواقف بدأت تتحول وذلك منذ أن طالب اللسانيون باستقلال موضوع الدراسة اللغوية وتبني نظرة جديدة موضوعية من اللغة دون التزام مسبق بالنظريات الفلسفية والنفسية . والواقع عندما يطالب تشومسكي بدراسة اللغة في إطار اللسانيات والفلسفة وعلم النفس فإنه لا يدعو إلى العودة للتفكير القديم حول هذا الاتجاه وإنما يعني أن الكثير من المفاهيم الفلسفية والنفسية الإدراكية الموجودة في الدماغ البشري تستطيع أن تحلّ لنا إشكالات كثيرة متعلقة بالدراسة اللغوية . وكما هو معلوم عند تشومسكي بأن هناك تداخلاً كبيراً بين العلوم الإنسانية والطبيعية ولا يمكن للباحث فصل هذه المعارف عن بعضها بعضاً في حقل التكوين الحضاري .
والواقع إن المؤلف وضّح لنا الكثير من التجارب الفلسفية والنفسية النظرية منها والتطبيقية والتي أضفت على البحث اللغوي إضاءات جديدة واكتشافات لم تكن من قبل .

ب . أما عن العلاقة القائمة بين اللسانيات وبين الرياضيات فإنه يمكن القول بأن السمة الواضحة التي تطبع الدراسات اللغوية الحديثة هي ارتباطها بالعلوم الدقيقة كالرياضيات والفيزياء والبيولوجيا والحاسبات الإلكترونية

(الكومبيوتر). فقد وضّح المؤلف جان ليونز كيف استطاع تشومسكي أن يستفيد من حقل الرياضيات ولا سيما بعض النظريات المتفرعة عنه كنظرية المجموعات ونظرية المتواليات ونظرية النظم الشكلية وذلك من أجل صياغة النظرية التوليدية والتحويلية. ولا نبالغ إذا قلنا بأن هناك حقلاً كبيراً ومتطوراً قد تفرع عن هذه العلاقات القائمة بين النظم اللغوية والنظم الرياضية يدعى " علم اللسانيات الرياضي "[3].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن تشومسكي يحاول أن يستخدم المقاييس والمعايير المستخدمة في دراسة العلوم الطبيعية الدقيقة لكي يؤسس فرضيات ومناهج ونظريات لسانية تجريدية من أجل معرفة بنية اللغة الإنسانية ووظيفتها في الدماغ البشري.

(4) الميزة الرابعة التي تسم متن الكتاب أن المؤلف لا يعرض وجهة نظر تشومسكي اللسانية وحدها فحسب وإنما يعرض للنظريات اللسانية الأخرى التي عارضت نظرية تشومسكي وحاولت تفنيدها ولا سيما النظريات الدلالية والفلسفية والنفسية. وهذا أمر مهم جداً. فبدونه لا يمكن تطوير المناهج والنظريات في حقل المعارف البشرية. لقد حاول المؤلف أن يعرض جميع وجهات النظر في هذه الحقول المعرفية في إطار من الموضوعية والوضوح حتى يتمكن القارئ من معرفة نقاط القوة والضعف في نظرية تشومسكي من جهة ونظريات معارضيه من جهة أخرى، وبذلك يتيح له فرصة التفكير من أجل الإرهاص الجدي لتنظير أفضل في حقل المعرفة الإنسانية.

---

(3) لمزيد من التفصيل راجع على سبيل المثال لا الحصر:

(a) Wall, R. (1972). **Introduction to Mathematical Linguistics.** Prentice-Hall, INC. New Jersey.

(b) Partee, B. (1978). **Fundamentals of Mathematics for Linguistics** (Greylock Publishers, Connecticut).

ولكن هذه الصفات الإيجابية التي اتسم بها كتاب تشومسكي لا تجعله يخرج عن نطاق النقد، بل إن المؤلف نفسه كان قد أشار إلى هذه النقطة وأكد عليها من خلال عرضه للكتاب الذي لم يبلغ حد الكمال على حد تعبيره.

2.9.2. الجوانب السلبية

سوف أتناول هنا السلبيات التي اتسم بها متن الكتاب وأسلوبية ترجمته وذلك من أجل أن يدرك القارئ العربي أنه على الرغم من أهمية الموضوع المطروح وبساطته وانفراده في هذا الحقل الذي يوحي له بأن كل ما جاء في هذا الكتاب إنما هو مقبول ... فإن هناك أموراً ينبغي توضيحها وشرحها.

(1) النقطة الأولى في هذا المجال أنه ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن هذا الكتاب كان قد ألفه الباحث اللساني البريطاني جان ليونز عام (1972) وهذا يعني أن الفترة الزمنية الواقعة منذ عام تأليف هذا الكتاب وحتى الآن (1988) تبلغ ستة عشر عاماً. وينبغي ألا ننسى في الوقت نفسه أن نظرية القواعد التوليدية والتحويلية حققت خلال هذه الفترة تطورات مدهشة وسريعة نحو الأفضل، بل إن هناك مناهج كثيرة كان تشومسكي نفسه قد رفضها من أساسها أو أنه عدّل في بعضها بعض التعديل. وحجته على ذلك أنه حتى في العلوم الطبيعية الحديثة والدقيقة لا يمكننا دراسة ظاهرة فيزيائية معينة على نحو دقيق وشامل إلا من خلال التطوير والتعديل المستمر للفرضيات والمناهج المطروحة وذلك من أجل إيجاد نظرية شاملة ودقيقة وأكثر موضوعية من سابقاتها.

والواقع إن المناهج التي عرضها المؤلف في هذا الكتاب هي التي كان تشومسكي قد وضعها منذ عام (1957) حتى تاريخ تأليف هذا الكتاب (1972) وهي التالية:

(1) منهج نحو المواقع المحدودة.

(2) منهج نحو العبارات.

(3) منهج النحو التحويلي .

(4) منهج نحو العناصر .

وكما قلت آنفاً فإن نظرية تشومسكي قد مرت بعد هذه المناهج في مراحل عديدة استطاعت أن تطور من نظريته وتجعلها أكثر علمية وقبولاً في اللسانيات الحديثة ومن هذه المناهج :

(1) المنهج المعياري المعدل (الموسع) .

(2) منهج الضوابط اللغوية .

(3) منهج العامل والربط الإحالي .

(4) منهج المعرفة اللغوية : أصولها ، طبيعتها ، استعمالها .

والواقع إن هذه التطورات الكثيرة في نظرية تشومسكي التوليدية والتحويلية إنما كانت نتيجة طبيعية للدراسات النقدية التي تناولت أعمال تشومسكي السابقة والتي بدورها دفعت تشومسكي لأن يوحّد جميع هذه المناهج ضمن إطار نظرية لسانية تجريدية أكثر دقة وشمولاً لوصف الظاهرة اللغوية البشرية وشرحها في الدماغ البشري . وربما يكون من المفيد جداً في هذا المجال أن يعيد الباحث البريطاني جان ليونز كتابة الكتاب نفسه ليكون أكثر إنصافاً وعدلاً في الحكم على فكر تشومسكي المتألق .

(2) النقطة السلبية الثانية تتعلق بتقنية الترجمة إذ إن المترجم الدكتور محمد زياد كبة لم يتبع خطة تنسيقية موحدة في ترجمة المصطلحات اللسانية ، تلك الخطة التي أكد عليها في مقدمة الترجمة عندما قال (ص5) :

" ولسوء الحظ فإن المعجم العربي لا يزال يفتقر إلى الترجمة الدقيقة لكثير من المصطلحات اللغوية الحديثة ، هذا على الرغم من وجود محاولات عديدة قام بها أساتذة مختصون لتعريب تلك المصطلحات ، إلا أن جهودهم لم تحقق الغاية المطلوبة لأنها كانت جهوداً متفرقة يعوزها التنسيق والتوحيد ، ولا يزال لكل اجتهاده في هذا المضمار " .

ولا أبالغ إذا قلت : إن هذا الذي كان قد دعا إليه المترجم لم يحققه على نحو تام في كتابه المترجم ذلك لأننا نجد أن للمصطلح اللساني الإنكليزي أكثر من مصطلح في اللغة العربية. فالمصطلح الإنكليزي (Linguistics) كان يُترجم إما (لسانيات) وإما (علم اللغة) ويمكن أن نستدل على هذا من خلال النصوص المترجمة التالية :

" اتخذ **علم اللغة** خلال السنوات الماضية طابعاً خاصاً ... " (ص 5).

" ولم تكن شهرة تشومسكي ومكانته بين **علماء اللغة** هي التي جعلت منه واحداً من أعلام الفكر الحديث، **فاللسانيات** ليست سوى موضوع مغلق لا يكاد يعرفه سوى صفوة من الناس .. " (ص 8).

وكذلك الشأن في المصطلح الإنكليزي (Syntactic) الذي كان يُترجم إما (نحوي) وإما (لغوي) كما هو الأمر في (ص33) و (ص65). وهناك مصطلحات كثيرة لم تترجم وفق مصطلحات عربية معيارية موحدة. ويعود هذا — ربما — إلى ما كان قد ذكره المترجم نفسه من أن جهود الباحثين العرب العاملين في هذا الحقل لم تحقق الغاية المطلوبة لأنها جهود متفرقة يعوزها التنسيق والتوحيد.

(3) النقطة السلبية الثالثة حول الكتاب تتعلق أيضاً بالترجمة، إذ إن المترجم لم يحاول أن يضع المفاهيم اللسانية الغربية بمصطلحات عربية أصيلة مستمدة من التراث اللغوي العربي ذلك لأن هذه المصطلحات العربية القديمة تعني المفهوم نفسه الذي عناه المصطلح اللساني الغربي.

فالمترجم مثلاً كان يترجم المفهوم اللساني المعبر عنه بـ(Optional Rules) بمصطلح عربي معاصر يُعبر عنه بـ(قواعد اختيارية) وكذلك الشأن في المفهوم (Obligatory Rules) الذي ترجمه إلى (قواعد إجبارية) (ص66). ولو أن المترجم استمد مصطلحاته من التراث اللغوي العربي لكانت ترجمته أدق تعبيراً، ذلك لأن ترجمة هذين المفهومين الغربيين يمكن أن تكون للأول (القواعد الجوازية) وللثاني

(القواعد الوجوبية) ذلك المفهومان اللذان يعنيان ما عناه تشومسكي بالضبط. زد على ذلك أن المترجم لم يترجم القواعد اللسانية الإنكليزية بقواعد عربية أصيلة مستمدة من التراث اللغوي العربي. فهو مثلاً يترجم الـ(NP) بـ(ت/ إس) أي تركيب اسمي، والـ(VP) بـ(تر/فع) أي تركيب فعلي، والـ(N) بـ(إس) أي اسم، والـ(S) بـ(ج) أي جملة.

والواقع إن مثل هذه الترجمات هي ترجمات عصرية لا تؤدي الغرض الذي تهدف إليه ذلك أننا إذا أردنا نقل المفاهيم اللسانية الغربية التقنية فإنه لا مجال إلا أن نعود إلى المصطلحات العربية التي يمكنها أن تعني المفهوم اللساني الغربي نفسه وبذلك نكون قد حققنا هدفين في آن واحد. الأول أننا لم ننقطع عن التراث بل حاولنا استثماره عصرياً. والثاني أننا نقلنا المفاهيم اللسانية الغربية على نحو واضح وسليم ومفهوم.

والحقيقة هناك نماذج عربية لسانية عصرية حاولت أن تستمد مكوناتها من النظرية اللسانية العربية القديمة وأن تستفيد في الوقت نفسه من التقنيات الحديثة للنظريات اللسانية الغربية. من هذه النماذج مثلاً النموذج اللساني العربي الواقعي والحديث والذي وضعه صاحب هذه السطور(4).

وهكذا فإن جملة مثل (الرجل رمى الكرة) يمكن وضعها في إطار من المصطلحات والمقولات العربية الأصيلة ثم في إطار من التقنية اللسانية الغربية:

(1) إس ← م إ ـــ م

(2) م إ$_1$ ← إسم$_1$

(3) م$_1$ ← إس

---

(4) لمعرفة هذا النموذج بالتفصيل راجع (بالعربية والإنكليزية):

الوعر، مازن (1987) **نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية**. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـــ دمشق ـــ سورية.

(4) إس ← م ــ م إ ــ ف
(5) م$_2$ ← فعل
(6) م إ$_2$ ← ضمير
(7) ف ← اسم$_2$
(8) إسم ← تع ــ إ
(9) تع ← الـ
(10) إ ← رجل ، كرة
(11) فعل ← رمى
(12) ضمير ← (هو)

إ س = إسناد ، م إ = مسند إليه ، م = مسند ، ف = فضلة ، تع = تعريف ، إ = اسم .

صحيح أن المترجم وُفِّق في اختيار الأمثلة العربية التي تماثل تماماً الأمثلة الإنكليزية ، إلا أن وضعها في إطار من القواعد كان وضعاً عصرياً هشاً .

ويعود السبب في هذا (وأظن ذلك) إلى عدم إطلاع المترجم على النماذج اللسانية المعاصرة التي تستمد إحدى مكوناتها النظرية من التراث اللغوي العربي[5] .

(4) النقطة السلبية الايجابية الرابعة في ترجمة هذا الكتاب هي أن المترجم لم يتحقق تماماً من بعض الآراء والنتائج التي توصل إليها مع أنها نتائج مهمة جدا وخطيرة جداً في الوقت نفسه . فقد كان قد أشار في المقدمة (ص 6) إلى أن :

---

(5) لمعرفة بعض النماذج العربية اللسانية المعاصرة راجع :
أ . صالح ، د . عبد الرحمن (1971-1972) « مدخل إلى علم اللسان الحديث » **مجلة اللسانيات** الصادرة عن معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر المجلد الأول (الجزء 1-2) والمجلد الثاني (جزء 1) .
ب . الفاسي فهري ، د . عبد القادر (1985) **اللسانيات واللغة العربية** . دار توبقال للنشر ــ الدار البيضاء ــ المغرب .

" ما وصل إليه النحو العربي من التطور منذ قرون عديدة تحاول النظرية النحوية الحديثة الرائجة في الغرب حالياً أن تدركه. فالنحاة العرب أدخلوا الفكرة التحويلية التوليدية في صلب قواعد اللغة العربية ولو أنهم لم يطلقوا عليها نفس التسمية. وما قواعد الحذف والإضافة والتقديم والتأخير ومفهوم (التقدير) في الإعراب إلا جزء من القواعد التحويلية الموجودة في صميم اللغة العربية. وأغلب الظن ـــ وهذا هو اعتقادي الشخصي ـــ أن تشومسكي أخذ مبادىء نحوه التحويلي عن العربية من خلال اللغة العبرية التي قدم رسالته لنيل درجة الماجستير فيها، ومن المعروف أن للنحو العربي أثراً بالغاً في النحو العبري ".

الواقع إن هذا الكلام يحتاج إلى نقاش هنا، ذلك لأن هذه الآراء والنتائج تومىء للقارئ العربي بأن نظرية النحو التوليدي والتحويلي إنما هي نسخة عن نظرية النحو العربي وأن تشومسكي لم يفعل في هذا المجال شيئاً اللهم إلا بعض الأمور التقنية المستمدة من العلوم الحديثة.

إن هذه النتيجة التي توصل إليها الباحث المترجم كما قلت سابقاً هي نتيجة محفوفة بالخطر والحذر (سلبية) ذلك لأنها لا تخضع لقانون التطور العلمي للحضارات البشرية. وكأنها تؤيد مقولة " ما ترك الأول للآخر من شيء " ومقولة " ليس بالإمكان أبدع مما كان " ولعلّي لا أريد التفصيل في هذه النقطة بالذات ذلك لأنني بحثتها في كتابات أخرى[6] ولكن الذي أريد أن أؤكد عليه هنا أن ماقاله الفيلسوف اليوناني القديم هيرقليطس من أننا " لا نستطيع أن نستحم بماء النهر مرتين " إنما هو صحيح من الناحية العلمية. ذلك أن لكل ثقافة من الثقافات

(6) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع:

أ . الوعر، مازن (1988 : الفصل الخامس والسادس) **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ـــ مدخل**. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـــ دمشق ـــ سورية.

ب . الوعر، مازن (1989 الفصل الأول) من هذا الكتاب «اللسانيات والمنهجية الجديدة للغة العربية».

جـ . الحوار الذي أجرته معي جريدة **الثورة** (السورية) العدد 7569 الخميس 14 كانون الثاني 1988.

ناموسها المتطور طبقاً لزمانه ومكانه. وهذا يعني أن ماهية النظرية اللغوية القديمة وموضوعها وغايتها إنما تختلف كلها من حيث المنطلق الفلسفي عن ماهية النظرية اللسانية الحديثة وموضوعها وغايتها.

ولكن هذا لا يعني أبداً أن النظرية اللسانية الحديثة لم تستفد من النظرية اللغوية القديمة (ماهيةً وموضوعاً وغايةً) ذلك لأنه لا يمكن أن تأخذ النظرية اللسانية الحديثة **شرعيتها العلمية** التي تجعل منها أكثر شمولية ودقة وموضوعية ما لم تستفد من النظرية اللغوية القديمة برمتها. وهذا بالضبط ما أعنيه بالنتيجة المهمة الإيجابية التي توصل إليها الباحث المترجم.

وفي رأيي أن الغرب لو التفت تماماً إلى ما قاله العرب القدماء في حقل الدراسات اللغوية لحُلَّت مشكلات لسانية كثيرة تعاني منها النظرية اللسانية الغربية. وهكذا فإن استفادة تشومسكي من النظرية اللغوية العربية تقع في هذا الإطار.

صحيح أن تشومسكي تكلم عن الحذف والإضافة والتقديم والتأخير والتقدير وما إلى هنالك من أمور لغوية كان قد تحدث عنها العرب القدماء (وهذه بالطبع نقطة إيجابية) إلا أن كل هذا يقع في إطار استفادة النظرية الحديثة من المعلومات المفيدة المجمّعة في التراث اللغوي العربي والعالمي. ولكن هذا لا يعني أبداً أن النظرية اللسانية الحديثة (كنظرية) تشبه أو تماثل النظرية اللغوية القديمة (كنظرية، إن كان هناك نظرية متماسكة). النظرية اللسانية الحديثة هي نظرية ذات مبادىء وقوانين علمية متماسكة ومنطقية. هذه المبادىء والقوانين العلمية استمدت معاييرها ومقاييسها من العلوم الطبيعية الدقيقة (كالرياضيات والفيزياء والبيولوجيا وهندسة الحاسبات الالكترونية). أما النظرية اللغوية القديمة فهي عبارة عن ركام من المعلومات المجمعة والمهمة جداً في حقل المعرفة اللغوية. ولكنها لم تبلغ حدّ النظرية (بالمفهوم الرياضي والفيزيائي لتعريف النظرية الحديثة)[7].

(7) لمعرفة طبيعة بناء النظريات العلمية الحديثة بالمفهوم الرياضي ــ الفيزيائي راجع:

←

هذه المعلومات المجمعة ضمت مبادىء وقوانين لم تكن متماسكة من الناحية العلمية، أضف إلى ذلك أنها لم تستمد معاييرها ومقاييسها من العلوم الطبيعية الدقيقة وإنما استمدتها من العلوم الإنسانية (الأدب، النقد، التاريخ، الدين... الخ) والنتيجة هي أن " النتيجة " التي توصل إليها الباحث المترجم يمكن أن تُصاغ كالتالي: لقد استفاد تشومسكي من المعلومات اللغوية العربية القديمة كما اعترف تشومسكي هو بنفسه[8]، تلك المعلومات المهمة جداً في حقل المعرفة اللغوية والتي ضمنها في نظريته التوليدية والتحويلية. ولكن تشومسكي في الوقت نفسه وضع نظرية لسانية حديثة (بالمفهوم الرياضي ـ الفيزيائي) تعتبر في رأيي طفرة في تاريخ الفكر اللغوي العالمي. من هنا تأتي أهمية اللسانيات الحديثة كعلم قائم برأسه استفاد من المعلومات اللغوية القديمة المجمّعة (العربية وغير العربية) المفيدة والموجودة في التراث اللغوي العالمي ومن المعلومات اللغوية الحديثة أيضاً. وبعدها صاغ نظريّة حديثة جداً استمدت مكوناتها وأركانها ومقاييسها ومعاييرها من العلوم الرياضية والفيزيائية والهندسية والبيولوجية الدقيقة.

10.2. الخلاصة

يُعتبر هذا الكتاب واحداً من الكتب المترجمة والمهمة جداً في حقل المعرفة اللغوية الحديثة. والحق يقال لولا تخصص الباحث المترجم الدكتور محمد زياد كبة بالموضوع الذي يعالجه الكتاب ثم معالجته بعض التخريجات المتعلقة بتقنية الترجمة لما جاء الكتاب واضحاً وسهلاً وبسيطاً يستطيع المثقف العربي غير المتخصص أن يفهمه ويستوعبه.

Woodger, Joseph (1970). **The Techique of Theory Construction.** The University of Chicago Press.

(8) لمزيد من التفصيل حول هذا الاعتراف راجع:
(الفصل الخامس) من هذا الكتاب «اللسانيات ـ حوار مع نوم تشومسكي الأمريكي وأندريه مارتينه الفرنسي».

لذلك فإنني أدعو كل الزملاء الباحثين في العلوم اللسانية الحديثة أن ينقلوا مثل هذه الكتب المفيدة إلى اللغة العربية لتكون ترسانة ثقافية وعلمية تقف في خط التوازن الإستراتيجي مع أعداء الأمة العربية، تلك الترسانة التي تسعى لبناء الإنسان العربي المعاصر وتسليحه بأنجع التقنيات الحضارية الإنسانية الحديثة.

الفصل الخامس

حوار مع عالم اللسانيات الأمريكي نوم تشومسكي
وعالم اللسانيات الفرنسي أندريه مارتينه

0. مدخل

ليس هناك معيار فكري واحد في حقل المعرفة البشرية يمكن أن يطبق على جميع الدراسات الإنسانية أو الطبيعية ذلك لأن هناك معايير فكرية أخرى مختلفة.

والواقع إن العقل البشري هو طاقة كبرى ومصدر دينامي مولد قادر على خلق كل ما يلائم الإنسان ويلائم واقعه. هذا الخلق الفكري ــ الذي هو بطبيعة الحال خلق فكري لواقع وزمان معينين ــ إنما هو ظاهرة إنسانية مؤقتة ما تلبث أن تصبح جزءاً تقليدياً من حياة الإنسان وواقعه بل إنها تصبح جزءاً من التراث التقليدي والفكري وذلك كنتيجة طبيعية للقدرة الذهنية البشرية التي هي قادرة على العطاء والإبداع دائماً. والحقيقة، لقد أدرك المفكرون في التراث العربي هذه الظاهرة التحوّلية في حقل الشعر والنقد. فقد اعتبر ابن قتيبة في مقدمة (شعره وشعرائه) وذلك منذ أحد عشر قرناً من الزمن أن معيار النقد في زمنه إنما هو معيار آني مؤقت بل هو ومضة فكرية حاضرة ما تفتأ أن تتغير لتصبح جزءاً من أجزاء التاريخ والسلفية. وقد اعتبر ابن قتيبة الصراع بين القديم والحديث صراعاً آنياً مؤقتاً وذلك لأن الحديث في الحاضر لا بد أن يصبح قديماً في حركة التاريخ الجدلية.

إن هذه النظرات الفكرية في حقلي الشعر والنقد إنما هي صحيحة تماماً في حقل اللسانيات . فالنظرية البنيوية في علم اللسانيات (Structuralism) تلك التي اعتُبِرت لمدة نصف قرن ونيف على أنها نظرية كاملة يمكن أن تطبق على أية بنية لغوية في العالم ، إنما أصبحت مجرد معيار لساني قديم . وكذلك سيكون الشأن نفسه في نظرية النحو التوليدية والتحويلية في علم اللسانيات والمصطلح عليها بـ :

(Transformational Generative Grammar Theory)

فإذا كان علماء اللسانيات الأمريكيون وما زالوا يعتبرون مثل هذه النظرية اللسانية معياراً يمكن أن يطبق على جميع اللغات البشرية وذلك لعالميته وبساطته ودقته فإنه لا يخرج عن كونه معياراً لسانياً مختلفاً عن بقية المعايير اللسانية الأخرى .

ولكن ـ والحق يقال ـ لقد استطاع عالم اللسانيات الأمريكي نوم تشومسكي (N. Chomsky) مؤسس نظرية النحو التوليدية والتحويلية أن يفجر ثورة لسانية أكثر عمقاً وأشمل أفقاً من أي عالم لساني في التاريخ الحديث والمعاصر . فقد استطاعت هذه الثورة اللسانية أن تأخذ أبعاداً أكثر عمقاً وشمولية ، بل لقد استطاعت أن تملك القوة الزمنية القادرة على الخلق والإبداع اللساني الذي أسهم وما يزال يسهم في كشف القوة العجيبة والسحرية للغات البشرية . إن الحركة الجدلية بين الواقع اللغوي وبين النظرية اللسانية في علم اللسانيات إنما يعطي هذه النظرية نوعاً من الكمال والاستمرارية . والواقع إن النظرية اللسانية كما يراها عالم اللسانيات الدانماركي هلمسليف (W.Jelmslev) هي ضرورة داخلية لا لإدراك النظام اللغوي في بنيته واستعماله ، في فرديته ومجموعته فحسب ، بل لإدراك الإنسان والمجتمع الإنساني الذي يقف وراء ذلك النظام وذلك لتحقيق الهدف الأخير للنظرية اللسانية وهو الهدف العالمي والهدف الإنساني .

فعلى الرغم من إمكانية تحقيق هذا الهدف في النظرية اللسانية فإن الصراع الجدلي بين الإنسان وواقعه سيستمر في حركة التاريخ الخلاقة والمبدعة ذلك لأن

عملية الفكر والواقع إنما هي عملية معقدة ومتداخلة فالفكر بحد ذاته هو واقع والواقع هو فكر متجسد حاضر .

لقد كانت مناسبة عظيمة لي عندما قابلت عالم اللسانيات الأمريكي نوم تشومسكي وعالم اللسانيات الفرنسي أندريه مارتينه ، وقد عرضت عليهما بعض الأسئلة اللسانية المتعلقة بنظريتهما . وقد تفضلا بالإجابة عن هذه الأسئلة شارحيْن بعض القضايا اللسانية المعاصرة .

إنني أدين لهما كل الدين لقراءتهما لهذا الاستجواب الذي أجريته معهما ولإدخالهما بعض التعديلات والتصحيحات المفيدة والناجعة .

حوار مع عالم اللسانيات الفرنسي أندريه مارتينه

أجري هذا الحوار في جامعة مونتريال في كندا أثناء انعقاد المؤتمر العالمي الخامس للسانيات التطبيقية عام 1978 (20 آب) .

السؤال الأول

هل تعتقد أن علماء اللسانيات استطاعوا أن يضعوا هذا العلم ضمن إطار نظرية لسانية مقبولة تتفق مع الواقع اللغوي المعاصر ؟ .

الجواب

هناك عديد من علماء اللسانيات الذين يفكرون بوضع نظريات لسانية مفهومة وذلك لحل المشكلة اللغوية المعاصرة . أعتقد أن هناك أربع أو خمس نظريات لسانية في الوقت الحاضر وكل نظرية تتناول اللغة من زاوية معينة . فمثلاً هناك النظرية الوظيفية التي اقترحتها أنا وهناك نظرية القواعد التوليدية والتحويلية التي تنتمي إلى

المدرسة اللسانية الأمريكية وهناك نظريات لسانية أخرى لا مجال لذكرها ولكن لا أعتقد أن هناك جواباً وحيداً أو نظرية وحيدة لحل المشكلة اللغوية ودراستها بل أعتقد أنه يجب أن يكون هناك العديد من النظريات اللسانية أو وجهات النظر اللغوية لحل المشكلة بشكل عام وذلك لأن كثيراً من الناس يختارون النظرية اللسانية التي بنيت على معارف كثيرة من اللغات لذلك فإننا يجب أن ندرك أنه قد نستطيع أن نطبق بعض النظريات اللسانية على بعض اللغات ولكننا لا نستطيع أن نطبقها على جميع اللغات. قد نستطيع أن نطبق نظرية لسانية على أية لغة من زاوية معينة فقط وذلك لوجود بعض الصفات المشتركة بين جميع اللغات البشرية ولكننا لا نستطيع أن نطبق النظرية هذه على أية لغة من الوجهة الكلية الخالصة وبشكل حرفي.

من هنا يجب أن يكون هناك نظريات لسانية عديدة لأنها نتيجة واقعية لاختلاف اللغات. فإذا كان هناك نظرية لسانية هي نتيجة واقعية لعدة لغات مُتكلمة ضمن إطار جغرافي واحد، ويمكن أيضاً أن نطبق هذه النظرية على تلك اللغات فإن ذلك لا يعني أننا نستطيع أن نطبق هذه النظرية على جميع اللغات.

من هنا فإنني أعارض بشدة النظرية اللسانية التي تنتمي إلى عالم اللسانيات الأمريكي تشومسكي والتي تسمى نظرية القواعد التوليدية والتحويلية. فهذه النظرية هي نتيجة واقعية للغة الإنكليزية لذلك فإننا لا نستطيع أن نطبق هذه النظرية على جميع اللغات. إنها نظرية معقولة ضمن إطار لغوي إنكليزي. وهذا يجعلني أتذكر النظرية اللسانية اللاتينية في أوربة. فقد كان اللسانيون يعتقدون أنه يمكنهم أن يدرسوا أية لغة من لغات العالم من وجهة نظر لسانية لاتينيَّة محضة وهذا بالطبع خطأ فادح لا نحب أن نقع فيه هذه الأيام.

فإذا كان لي أن ألخص الجواب فإنني أقول إن هناك عدداً من النظريات اللسانية وليس هناك جواب لساني واحد بل يجب ألا نفكر أو نهدف إلى وضع

نظرية لسانية واحدة وذلك لأن المشكلة اللغوية لا تحل من جانب واحد بل يجب أن نتطلّع إليها من مختلف الجوانب.

السؤال الثاني

هل تعتقد أننا يجب أن ندرس اللغة دراسة أدبية أم علمية أو أنه يمكن دراستها من الناحية الأدبية والعلمية في الوقت نفسه؟.

الجواب

أظن أنه يجب أن ندرس اللغة دراسة علمية. يمكن للغة أن تكون فناً وشعراً وعلماً، يمكن أن تكون فناً عندما يمارسها الفنانون، ويمكن أن تكون شعراً عندما يمارسها الشعراء ولكنها يجب أن تكون علماً عندما يمارسها اللسانيون. وعندما نقول يجب أن تمارس اللغة ممارسة علمية فإننا لا نعني أن ندرس اللغة دراسة آلية أو رياضية، إننا نعني بالدراسة العلمية البحث الذي غايته المعرفة من خلال الملاحظة الآلية أو البشرية، فلكي يكون البحث علمياً فإنه لا يعني أن يكون رياضياً. يخلط بعض الناس بين مفهوم العلم ومفهوم الرياضيات. الرياضيات هي أداة نافعة يمكن أن يستخدمها علماء اللسانيات في أحوال خاصة ويمكن أن تكون أداة نافعة في علم الإحصاء مثلاً. فليس من حق عالم الرياضيات أن يعلّم عالم اللسانيات كيف عليه أن يمارس اللسانيات ولكن يجب على عالم الرياضيات أن يساعد عالم اللسانيات عندما تدعوا الحاجة إلى ذلك.

السؤال الثالث

ما هو الفرق بين المذهب اللساني الأمريكي والمذهب اللساني الفرنسي؟.

الجواب

ليس هناك مذهب لساني أمريكي ومذهب لساني فرنسي، فعلى الرغم من أن العيش في بلد ما يمكن أن يعطي فكرة عامة عن اللسانيات المطبقة في البلد المعاش

كما هي الحالة بالنسبة إليك كطالب يدرس في الولايات المتحدة كان قد أخذ فكرة عامة عن اللسانيات الأمريكية فإنه يبقى هناك لسانيات عالمية لا تنتمي إلى بلد معين. لنكن أكثر تحديداً، سأعطيك مثالاً من الولايات المتحدة نفسها، خذ على سبيل المثال مذهب تشومسكي الأمريكي، هذا المذهب اللساني كان سائداً في أوربة أيضاً ولكن رغم ذلك هناك بعض اللسانيين الذين كانوا مهتمين بمذهب تشومسكي، وأعرف عالماً فرنسياً كان زميلاً لي كان مهتماً بمذهب تشومسكي، بل كان له أتباعه في فرنسا، وهو الآن يدرّس هنا في كندا في جامعة لافال.

القضية اللسانية هي قضية عالمية وليست قضية محلية، ففي فرنسا هناك المذهب التوليدي التحويلي في دراسة اللغة الفرنسية والذي يمثله اللسانيون الذين هم أتباع لمدرسة تشومسكي الأمريكية. ففي العشرينات والثلاثينات من هذا القرن كان هناك مدرسة لسانية فرنسية مهتمة بالدراسة التاريخية والمقارنة أيضاً.

إن الفترة التي أمضيتها في دراسة الماجستير تنتمي إلى هذه المدرسة بل إن أحد البحوث التي قدمتها كانت ضمن هذا الإطار أما البحث الآخر الذي قدمته في فترة الماجستير فيتعلق بالإطار البنيوي.

كان يرأس المذهب التاريخي المقارن العالم اللساني أنطوان فييه. وقد كان زميلاً للعالم اللساني دي سوسور. من هنا يمكن أن نقول ليس هناك مدرسة لسانية فرنسية فعلى سبيل المثال هناك زملاء كثيرون أعرفهم يعيشون في فرنسا، وهم أعضاء في مجمع الأكاديمية الفرنسية ولكنهم ليسوا فرنسيين، وهناك في هذا المجمع الأكاديمي حوالي ٤٠٪ من اللسانيين الذين هم فرنسيون ولكن هناك نسبة كبيرة من اللسانيين الذين ليسوا من فرنسا بل جاؤوا من أقطار أوربية أخرى.

السؤال الرابع

ما هي ردة فعلك ـــ كعالم لساني ـــ تجاه الثورة التي قام بها تشومسكي في ستينات هذا القرن في الولايات المتحدة؟.

الجواب

سألخص جوابي قائلاً بأن تشومسكي رجل منطق وعالم رياضيات ولكنه ليس بعالم لساني .

فهو قد نظر إلى اللغة من منظار رياضي منطقي وليس من منظار لساني لغوي ، وأنا أقول يجب علينا أن ندرس اللغات من داخل البنية اللغوية وليس من ضمن إطار خارجي . صحيح أنك إذا بدأت دراسة اللغة من منظار رياضي منطقي ستحصل على بعض القضايا اللغوية ولكنك لا تستطيع أن تحل المشكلة كلها من هذا الإطار .

ففي رأيي أن تشومسكي وأتباعه لم يعطوا الحل المناسب للمشكلة اللغوية . وأن المذهب المنطقي الرياضي التشومسكي ضيق جداً فهو لا يتحمل المشكلة اللغوية الواقعية بشكل عام . والبرهان الوحيد على ذلك أنه عندما يحاول أصحاب هذا المذهب أن يطبقوا نظريتهم على لغات عديدة فإن نظرتهم تخالف الواقع اللغوي لتلك اللغات . فهم يعتقدون أن كل لغة تتألف من مسند ومسند إليه ولكن هذا غير صحيح لأن هناك حالات لا تتضمن ذلك . ويمكن أن يكون هناك المسند دون وجود المسند إليه . ففي الفرنسية يمكننا أن نعبر عن وجود شيء دون المسند إليه ويمكن أن نقول في الفرنسية :

(ilya de Soleil) (هناك شمس) فليس في هذه الجملة مسند إليه (Subject) ولكن هناك المسند (Predicate) وهو الشمس .

مداخلة

لكن تشومسكي سيقول لنا في مثل هذه الحالة بأن المسند إليه مستتر يقع في البنية العميقة للجملة (Deep Structure) ولا يقع في البنية السطحية للجملة (Surface Structure) وهنا يمكن أن نأتي إلى سؤال آخر وهو :

ماذا عن البنية السطحية، وماذا عن البنية العميقة وكيف تتطلع المدرسة اللسانية الوظيفية إليهما؟

الجواب

ليس هناك سبب مقنع لكي نعتبر أن هناك بنية عميقة في اللغة، فليس هناك ما يسمى بالاستتار اللغوي، وذلك لأننا عندما نتكلم لغة ونمارسها فإننا نفعل ذلك دون بنية عميقة أو مستترة بل إننا نمارسها كبنية سطحية وسأخبرك بقضية لترى ما أعنيه. جاءني منذ عشر سنوات رجل من مدينة شيكاغو إلى باريس وقد كان قد حضر المحاضرات التي كنت قد ألقيتها عام (1959) وقد عرض عدة اقتراحات ليرى ما هو رأيي حول هذه الاقتراحات تلك الاقتراحات كانت تتعلق بالتركيب النحوي للغة الفرنسية ومفرداتها. وقد أراد أن يقنعني بالبنية العميقة (Deep Structure) لجملة فرنسية من خلال عبارة معينة، وقد سألني أن أفكر حول ذلك وبالفعل فقد فكرت حول تلك الجملة وقد ظن أنه وجد الحل لتلك المشكلة لأنه كان يتكلم الفرنسية بشكل جيد رغم أن لغته الأم هي الإنكليزية.

وقد أعطى هذا المثال (Un aide macon). عندما أقول هذه الجملة فإن كل إنسان فرنسي يعرف ما نعنيه من ورائها. فأنا أستخدم هذه الجملة دون تفكير. ولكن لنعتبر أن ردة الفعل عندي حول هذه الجملة تقع تحت رقم «2» إذا قارنتها بردة فعل ذلك الإنسان التي تقع تحت رقم «1» وقد كانت زوجتي تستمع ذلك النقاش وقد كان لها ردة فعل مخالفة يمكن أن نضعها تحت رقم «3» من هنا يمكن أن يكون ثلاثة احتمالات لهذه الجملة. ويمكن أن أشرح لك ماذا تعني هذه الجملة:

إن كلاً من كلمة (Un aide) وكلمة (macon) يمكن أن تكون اسماً. ويمكن أن تقول بأن كلمة (Un aide) قد عرّفت كلمة (macon). ويمكن أن نقول في الوقت نفسه أن كلمة (macon) قد عرفت أو حددت كلمة (Un aide). وهكذا كان لنا ــ نحن الثلاثة ــ آراء مختلفة حول هذه الجملة. إننا فكرنا حول هذا

المصطلح دون معرفة الأصل الرئيسي للكلمة. فهل كان الناس قد اخترعوا هذه الصيغة على أساس أنها مؤلفة من إسمين أو أنها من إسم واحد؟!.

إننا لا نعرف حول ذلك رغم أننا نستعمل هذه الصيغة. من هنا يمكن أن نتساءل ما هي الإستفادة من البنية العميقة المستترة أو ما يسمى بالتقدير؟ إن القضية الرئيسية في ذلك هي الفهم التام للكلمة دون ما يسمى بالبنية العميقة المستترة.

السؤال الخامس

أين تقع البحوث اللسانية المطبقة على اللغة الفرنسية من علم اللسانيات العام كما هو الشأن في البحوث اللسانية المطبقة على اللغة العربية في العصر الحديث؟.

الجواب

حول تعليقك على اللسانيات المطبقة على اللغة العربية يمكن أن أقول إن هناك بعض البحوث الحديثة المطبقة على اللغة العربية في فرنسا ولكنها بحوث ضئيلة يجب أن توسع. فهناك بعض اللسانيين الذين يعملون على اللغة العربية كاللساني الفرنسي ــ لوبرت فريش ــ، ولكن يجب أن نميز بين اللسانيات المطبقة على اللغة العربية من الناحية الوظيفية وبين اللسانيات المطبقة على العربية من الناحية التاريخية التطورية والتي كان الأدب موجهاً لتلك الدراسات اللسانية في وقت من الأوقات.

وربما أنت مهتم بالسؤال عن الجهود التي ساهم العرب القدماء بها في علم اللسانيات الحديث وهذا بالطبع شيء معروف وأنا أقول إن كثيراً من البحوث العربية ساعدت بل ساهمت في بناء ما يسمى علم اللسانيات الحديث. أما عن علم اللسانيات المطبق على الفرنسية فيمكن أن أقول إن هناك كثيراً من البحوث اللسانية الحديثة كالبحوث النحوية والبحوث الصوتية مطبقة على اللغة الفرنسية.

هناك لجنة لغوية في فرنسا تتألف من ستة أشخاص وأنا واحد من هؤلاء الستة . هذه اللجنة تبحث قضية النحو الوظيفي في اللغة الفرنسية .

ولكن على العموم إن المسألة ليست مسألة لسانيات فرنسية أو لسانيات عربية وذلك لأن اللسانيات المطبقة على الفرنسية ليست في فرنسا وحدها بل في أنحاء عديدة من العالم وكذلك الأمر بالنسبة إلى اللسانيات المطبقة على العربية .

السؤال السادس

بما أنك تكلمت عن اللسانيات المطبقة على اللغة العربية في العصور الوسطى وأعني بذلك البحوث اللغوية العربية القديمة فإنني أحب أن أوجه هذا السؤال :

نعتقد نحن العرب أن البحوث اللغوية العربية القديمة قد ساهمت إلى حد كبير في بناء هذا العلم الذي يسمى اللسانيات على الرغم من أن هناك كثيراً من الباحثين الغربيين ينكرون ذلك علينا مدعين أن أغلب ما جاء به العرب إنما هو نسخ عن الحضارة الإغريقية أو اليونانية فما هو رأيك حول هذه القضية ، وهل توافق العرب فيما يذهبون إليه ؟ .

الجواب

ما تقوله هو الصحيح فعلماء اللغة العرب القدامى بحثوا في اللسانيات بحثاً ممتازاً ولكن المشكلة هنا هي مشكلة الترجمة . فليس هناك مترجمون عرب في الوقت الحاضر استطاعوا أن يضعوا أمامنا ذلك التراث اللغوي العربي القديم فمثلاً لا نستطيع أن نعرف ماذا قال العرب عن وصف الحروف ومخارجها إذا لم يكن هناك ترجمة ممتازة رغم أننا نعرف أن علماء اللغة العرب القدامى قد وصفوا مخارج الحروف وصفاتها وصفاً دقيقاً رائعاً دون أن يملكوا تلك الآلات الحديثة التي نملكها . بل إنهم اكتفوا بما يسمى الملاحظة العلمية . وقد كان وصف بعض اللغويين العرب لمخارج الحروف وصفاتها يختلف عما هو عليه الآن كما هو الحال عن سيبويه .

وربما كان هذا عائداً إلى التطور الذي تم للعربية منذ زمن سيبويه حتى عصرنا الحاضر . فوصف الضاد عند سيبويه يختلف عما ينطقه العرب في الوقت الحاضر . فالعرب في الوقت الحاضر ينطقون الضاد من وسط اللسان وليس من طرفه كما كان العرب القدامى ينطقونه والذي أخذ به سيبويه .

وربما نستطيع أن نؤيد سيبويه فيما ذهب إليه من خلال معرفة التأثير الصوتي الذي تركه العرب في الأندلس على اللغة الاسبانية ، فالمتكلم في اللغة الإسبانية يلفظ الضاد في بعض الكلمات من طرف اللسان والأغرب من ذلك أن هذه الكلمات التي تحوي على صوت الضاد هي عربية الأصل ككلمة القاضي (Alkade) .

من هنا يمكن أن نقول إن علماء اللغة العرب القدامى كسيبويه وغيره كانوا دقيقين جداً في البحث الصوتي .

وأحب أن أقول هنا إنه إذا نظر العرب إلى لغتهم وحدها نظرة عربية محضة فلن يستطيعوا أن يفهموا العمل اللساني الذي قام به العرب القدماء .

ما يمكن أن يقوم به علماء اللسانيات العرب المعاصرون هو أن يبحثوا في اللسانيات العربية القديمة من خلال علم اللسانيات التقابلي (Contrastive Linguistics) ويجب أن يتقبلوا وجهات نظر لسانية أخرى حول العربية من علماء آخرين ليسوا بعرب .

إن العربية هي لغة سامية احتفظت بالكثير من المميزات الصوتية والمعجمية والنحوية ، تلك المميزات التي فقدتها معظم اللغات السامية .

السؤال السابع

يضعك بعض علماء اللسانيات المعاصرين ضمن مدرسة براغ اللسانية وبعضهم يحب أن يميزك عن تلك المدرسة فهل لك أن تعطينا فكرة عن مدرسة براغ اللسانية واختلافها مع الوجهة اللسانية الفرنسية ؟ .

الجواب

هناك اضطراب ضئيل حول هذه المسألة وأحب أن أقول إني عندما قرأت عن مدرسة براغ شعرت بأنني متفق معها في الكثير من النقاط وقد كان هذا في الثلاثينات وقد فعل كثير من علماء اللسانيات ما فعلته أنا في الثلاثينات . فقد قرؤوا عن مدرسة براغ واتفقوا معها حول عديد من النقاط ولكن رغم ذلك كل منا له رأيه الخاص المختلف عن مدرسة براغ .

ولكن المشكلة أن بعض اللسانيين يؤكدون الخلاف ويقولون إننا لسنا مع مدرسة براغ وبعضهم الآخر يقول إننا مع مدرسة براغ رغم أننا نختلف معها في بعض النقاط . أما بالنسبة إلي فأحب أن أقول إنني من مدرسة براغ اللسانية ولكنني في الوقت نفسه أختلف معها حول بعض القضايا اللسانية .

السؤال الثامن

هل لك أن تعطينا فكرة عامة عن المؤتمر اللغوي الخامس للسانيات التطبيقية وما انطباعاتك حوله ؟ .

الجواب

لقد اعتاد اللسانيون من شتى أنحاء العالم أن يعقدوا مؤتمرات لغوية كهذا المؤتمر لذلك أستطيع أن أقول إن هذا المؤتمر له طابعه الخاص فهناك الشباب والشيوخ والرجال والنساء وكلهم يمثلون وجهات لسانية متعددة ومفيدة .

ولكن الشيء الذي أحب أن أعلق عليه هو أن هذا المؤتمر يتميز بكثرة أعضائه وكثرة البحوث المقدمة فيه وقد كان للمؤتمرين لغات عديدة ونظريات لسانية مختلفة وكثيرة وهذا في رأيي يجعل المؤتمر معقداً إلى حد ما .

من هنا فإنني أقترح مؤتمراً لسانياً متجانساً حيث أن المؤتمرين يشتركون على الأقل في كثير من القضايا المشتركة فيما بينهم .

فمثلاً عندنا في فرنسا ما يسمى «المجمع الوطني للسانيات الوظيفية»

(The national Academy of Functional linguistics)

وقد عقد آخر مؤتمر لهذا المجمع في اليونان منذ شهر ونيف وسوف يعقد المؤتمر الثاني للسانيات الوظيفية في مدينة مراكش (المملكة المغربية) لذلك ترى أن المؤتمرين في هذا المجمع يفهم بعضهم بعضاً وذلك لأنهم متقاربون في وجهات نظرهم ثم إنهم يتكلمون لغة واحدة وبهذا يمكن أن يكون هناك فرصة لتفاهم أكثر وانسجام أفضل. إنني لا أعني بهذا أن المؤتمر اللغوي الخامس ليس نافعاً أو أنه لم يحقق أهدافه ولكنني شخصياً لا أحب مثل هذا التجمع الكبير وذلك لأنني لا أستفيد تمام الاستفادة لطبيعة المؤتمر المعقدة.

ولكن على الرغم من ذلك فإن المؤتمرين في هذا المؤتمر يمكن أن يتبادلوا وجهات نظر لسانية عديدة ويمكنهم أن يحلوا مشكلات لغوية كثيرة. فيمكن مثلاً للسانيات التقابلية أن تنتعش وتثمر نتيجة ممتازة في مثل هذا المؤتمر.

السؤال التاسع

ما أزال أواجه سؤالاً لغوياً كلما اجتمعت ببعض الناس الذين ليسوا بلغويين أو ببعض الناس الذين يهتمون بالحقل اللغوي. هذا السؤال هو: لماذا علم اللسانيات؟ فهم يدّعون أننا إذا درسنا الطب أو الفيزياء أو الكيمياء واستخدمنا الأساليب العلمية في دراسة هذه الحقول فإننا نبغي من وراء ذلك التطبيقات العملية. فهل لك أن تعطينا فكرة حول هذه المشكلة؟.

الجواب

يجب علينا ألّا نفكر عندما نبحث بحثاً ما في حقل من الحقول بالتطبيقات المستفادة منه، أنا لا أقول إن الهدف من البحث هو هدف نظري ولكنني أعني أنه يجب على الباحث ألا يبحث من أجل التطبيقات المستفادة من بحثه فقط. إن أكبر مهمة يجب أن يفكر بها هي كشف الحقيقة وحدها.

فإذا بحث في اللغة فإن عليه أن يكشف حقيقة العمل اللغوي، وكيف تعمل العناصر اللغوية ضمن بنية اللغة. فإذا حصل خطأ في تلك البنية فإنه يعرف كيف يعالج هذا الخطأ ويصححه.

فعلى الباحث اللغوي أن يدرك كيف تتغير اللغة وعليه أن يدرك الحالة الصحية التامة للغة وعليه أيضاً أن يكون مستعداً لتلبية حاجات الشعب الذي يتكلم تلك اللغة. بعد كل ذلك يمكن أن يفكر بالتطبيقات المستفادة من علم اللسانيات. فهناك كثير من التطبيقات التي يمكن لعلم اللسانيات تثميرها، وليس هذا المؤتمر اللغوي العالمي الخامس إلا من أجل اللسانيات التطبيقية وهذا يشبه تماماً التطبيقات الفيزيائية والكيميائية على الواقع الذي يحيط بنا. فإذا لم نستطع أن نعرف كيف تعمل اللغة فكيف يمكننا أن نعالج المرض اللغوي الذي يمكن أن يستشري في اللغة. إن على الباحثين في حقل الفيزياء أو الكيمياء أو الطب واللسانيات ألا يضعوا أمام أعينهم التطبيقات المستفادة من تلك الحقول قبل أن يبدؤوا البحث، بل إن عليهم أن يهدفوا إلى كشف الحقيقة وبعدها يمكن أن يطبقوا ضمن الإطار الواقعي.

السؤال العاشر

هل لك أن تقول شيئاً لعلماء اللسانيات العرب من هذا المؤتمر ؟

الجواب

ما أريد أن أقوله هو أن هناك مشكلات لغوية جدّية في العالم العربي، والتي يمكن للاختصائيين في علم اللسانيات أن يجدوا الحل المناسب لها. من هذه المشكلات اللغوية مشكلة وحدة اللغة العربية. فعلى علماء اللسانيات العرب أن يجدوا الحل المناسب الذي يمكّن كل العرب من أن يتكلموا لغة عربية واحدة.

صحيح أنني لست مختصاً باللغة العربية ولكنني أدرك المشكلة تمام الإدراك فهناك اللهجة المصرية والسورية والمغربية وغير ذلك من اللهجات العربية التي يجب

أن تحل مشكلاتها بأسرع وقت ممكن، وإلّا فإن المشكلة ستتفاقم وتعطي نتائج سيئة. أعرف بعض الأصدقاء اللغويين في الجزائر وتونس والمغرب يحاولون أن يضعوا مصطلحات عربية موحدة للمدارس الابتدائية: صحيح أن هناك حركة التعريب في المغرب الكبير ولكن على هذه الحركة أن تبدأ من المراحل التعليمية الأولى. فمثلاً عليها أن تضع مصطلحات موحدة للطلبة في المدارس الابتدائية والإعدادية وبعد ذلك يمكنها أن تشارك على مستوى آخر.

من هنا فإن على علماء اللسانيات العرب أن يدركوا المشكلة اللغوية في العالم العربي وإلا فإن المرض سيمتد أكثر فأكثر دون أن يدري الناس به.

ويمكن أن ألخص ذلك وأقول إن للمشكلة اللغوية العربية جوانب عدة. فهناك الجانب السياسي والجاني الثقافي والجانب القومي والجانب الديني فإذا أراد علماء اللسانيات العرب حل المشكلة اللغوية العربية فإن عليهم أخذ جميع هذه الجوانب بالحسبان.

2. حوار مع عالم اللسانيات الأمريكي نوم تشومسكي

أجري هذا الحوار في قسم اللغات الحية والبحث المخبري الالكتروني في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية عام (1980) (31 كانون الثاني).

السؤال الأول :

أثناء اللقاء الذي أجريته مع اللساني الفرنسي أندريه مارتينيه (André Martinet) في المؤتمر العالمي الخامس للسانيات التطبيقية في مدينة مونتريال ـ كندا ـ (1978) عارض نظريتك في النحو التوليدي والتحويلي مدعياً أن

هذه النظرية هي نتيجة لنظرك في اللغة الإنكليزية وحدها، لذلك لا نستطيع أن نطبقها على بقية اللغات البشرية الأخرى. فما هو رأيك بهذا القول؟.

الجواب

إن أية نظرية لا بد أن تكون مبنية على البحث والاستقصاء القائم على عدد من اللغات المعينة. فهذا القول صحيح بل هو ينطبق على ما أبحثه في اللغة الإنكليزية ولكنه ليس صحيحاً أن نظرية النحو التوليدية والتحويلية هي نتيجة لنظري في اللغة الإنكليزية. والحقيقة أنني تعجبت حين سمعت أن أندريه مارتينه قد قال ذلك إذ أن أحسن البحوث اللسانية وأفضلها قد استخدمت نظرية النحو التوليدية والتحويلية وطبقتها على اللغة الفرنسية في فرنسا نفسها. ولم يكتف الأمر على ذلك بل هناك بحوث مكثفة جرت لتطبيق تلك النظرية على اللغات الرومانية وعلى بعض اللغات الأخرى الأوربية ثم بعض اللغات الشرقية كاليابانية مثلاً. بل هناك بحوث ممتازة في الولايات المتحدة نفسها لتطبيق هذه النظرية على اللغات الهندية الأمريكية. فقد بدأت مثل هذه التطبيقات منذ عشرين سنة ونيف.

ليس هناك أية حقيقة وراء ادعاء أندريه مارتينه الجازم ولكن على أية حال استطيع أن أرى بعض الحقائق المعينة في زعمه هذا وهي أن التطبيقات اللسانية لنظرية النحو لا يمكن أن تكون مبنية على معارف سطحية للغة المدروسة. إننا لا نستطيع أن نقوم بتطبيق جدي لنظرية النحو التوليدية والتحويلية على أساس ضئيل من المواد اللغوية. إنه على العكس من ذلك يجب أن تكون لدينا معرفة واسعة وعميقة حول اللغة المدروسة قبل أن نطبق النظرية. والواقع أن معظم التطبيقات اللسانية لنظرية النحو التوليدية والتحويلية إنما تمت من قبل الباحثين الذين يتكلمون لغتهم. وهذا ما سبّب بعض المشكلات الأساسية لعلماء اللسانيات الذين اعتادوا البحث والاستقصاء اللغوي في طرق مختلفة: إنهم اعتادوا أن يدرسوا لغات معينة لا يستطيعون التكلم بها.

إنني أشعر فعلاً أنه لا يمكن أن نمتحن أية فرضية حول اللغة دون معرفة مكثفة لمعطيات اللغة المدروسة نفسها. وإن تلك المعطيات ليست متوفرة إلا لمتكلمي اللغة أنفسهم.

السؤال الثاني

لقد ادعى اللساني الفرنسي أندريه مارتينه أنك لست لسانياً، بل أنك عالم بالرياضيات والمنطق وذلك لأنك تنظر إلى اللغة من منظار رياضي منطقي وليس من منظار لساني لغوي فهل لك أن تعلق على ذلك؟

الجواب

ليس عندي أية فكرة حول ما يعنيه هذا الكلام، فأنني أبحث في المبادئ اللغوية العامة وأحاول بالطبع أن أقدمها في أوضح عبارة ممكنة وأدقها. فأنا مقتنع تماماً أن البنية اللغوية إنما هي بنية معقدة تتضمن أشكالاً مختلفة من العلاقات المترابطة المتداخلة التي هي غاية في التجريد. ولهذا ينبغي على النظرية اللسانية أن تصاغ على شكل نظام استنتاجي (Deductive) حتى تتمكن من تفسير العلاقات المعقدة المجردة الكامنة في اللغات البشرية على أساس التفاعل الحاصل بين عدد من المبادئ العامة والموحدة. فمقصودنا في الأخير هو أن نحدد هذه الظواهر في خواصها الجوهرية بلغة الرياضيات أي في أطر وأنظمة رياضية دقيقة. (فالبنسبة إلى زعم مارتينه)، يمكنك أن تقول الشيء نفسه عن علماء البيولوجيا: أن تدعي أنهم ليسوا علماء بيولوجيا بل علماء رياضيات لأنهم يحاولون أن يجعلوا نظرياتهم أكثر دقةً وموضوعيةً (باللجوء إلى الصياغة الرياضية)، كل عالم يحاول أن تكون نظريته دقيقة وكلما كانت النظريات أدق أمكن حينئذ اللجوء إلى المثل الرياضية التي تحتوي على بعض ما تتصف به هذه النظريات من خواص. وبعبارة أخرى يصير من الممكن النظر إلى بعض هذه الخواص من وجهة نظر تجريدية. وهذا يعني أنه يجب علينا أن نقيم النظرية اللسانية من وجهة تجريدية بحتة.

السؤال الثالث

لقد ادعى أندريه مارتينه أيضاً أن نظرية النحو التوليدية والتحويلية نظرية تضيق عن تفسير الظواهر اللغوية. وقد أعطى مثالاً لجملة مؤلفة من الـ(Predicate) والـ(Subject)[1] فإن نظريتك تقول بأن أية جملة تتألف من عنصرين لغويين الأول هو الـ(Subject) والثاني هو (Predicate). ولكن هناك جملاً في اللغة الفرنسية لا تتألف إلا من عنصر لغوي واحد هو (Predicate) وقد أعطى مارتينه هذه الجملة مثالاً على ذلك:

ilya de soleil (هناك شمس) فما هو رأيك بهذا القول؟

الجواب

دعني أضع المشكلة في هذا الإطار: يجب أن نفسر أية بنية لغوية حسب معاييرها النحوية والتوليدية في اللغة المدروسة، فالإدلاء بمثال واحد لا يعني شيئاً وذلك لأننا نعرف كيف يرتبط هذا المثال اللغوي بالبنية التنظيمية العامة للغة المدروسة، فإذا وضع شخص ما نظرية لسانية للبنية التنظيمية للغة الفرنسية وذلك لتحديد العناصر اللغوية لتلك اللغة فإنه يمكن لهذا الشخص بعدها أن يأخذ الجملة:

ilya de soleil ويسأل نفسه: كيف يندرج مثل هذا التركيب اللغوي في البنية التنظيمية العامة للغة الفرنسية فسيجد أنه يندرج في داخل هيكل المسند والمسند إليه (كما أظن أنه صحيح في هذه الحالة). أو أنه يندرج في هيكل آخر. فإذا لم تحدد البنية التنظيمية فلا معنى للأمثلة المبعثرة المفردة.

إن هذه الحالة تشبه حالة إنسان أتى إلى اختصاصي في الفيزياء وقال له: شاهدت حدثاً غريباً اليوم فكيف تفسره؟ ولكن كيف يمكن للعالم الفيزيائي تعليل

---

(1) هو قريب مما يسميه النحاة العرب بالمسند والمسند إليه.

هذا الشيء الغريب بشكل مرتجل[2]؟ فإن السؤال ينبغي أن يكون: كيف حدث هذا الشيء الغريب ضمن علاقته بالقوانين والمبادئ العامة التي تعمل في داخل النظام؟ فإذا كان لمارتينه نظرية عامة تستطيع أن تفسر البنية التنظيمية في اللغة الفرنسية ومن ثم أن تضع الجملة: ilya de soleil في مكانها الملائم من تلك البنية فإنه يمكن للمرء بعدها أن يتأكد فيما إذا كان التحليل البنيوي لهذه الجملة صحيحاً أم لا. ثم إنه يمكن القيام بمثل هذا من خلال نظرية ريتشارد كين (Richard Kayne) الذي طبق نظرية النحو التوليدية والتحويلية على اللغة الفرنسية. فنتساءل هل تستطيع هذه الجملة أن تندرج في البنية التنظيمية التي وضعها ريتشارد كين؟. وهكذا نتبين أن القضية ليست بين نظرية النحو التوليدية ونظرية أخرى غير توليدية أيهما الأصح؟.

لأن كل إنسان منا يقوم بما يقتضيه النحو التوليدي إذا أمعن النظر. ومعنى ذلك أن أي واحد يحاول أن يتعرف على ما يملكه الفرد من علم للغته فإن عمله سيكون من قبيل النحو التوليدي وهذا يعني أنه يحاول اكتشاف البنية التنظيمية العامة التي تولد العلم باللغة. ومن الطبيعي لمثل هذه البنية التنظيمية أن تفسر كل الظواهر اللغوية بطريقة أو بأخرى. فإذا كان بعض التركيبات اللغوية لا تخضع لمعيار البنية التنظيمية التي هي من قبيل «المسند والمسند إليه» فحسن. إن ذلك يزودنا بمعرفة أوسع للمبادئ اللسانية التي تنظم اللغات البشرية ولكنه لا يمكننا أن نفسر أنه تركيب لغوي بمثال واحد معزول عن النظام الذي ينتظم فيه.

السؤال الرابع

إن أندريه مارتينه لا يؤمن بمفهوم البنية العميقة (Deep Structure) إنه ينظر إلى اللغة من خلال البنية السطحية (أي من حيث ظاهرها) (Surface Structure)

(2) أي دون معرفة أسبابه وربطه بالبنية العامة التي تنتظمه إذ أن عالم الفيزياء لن يستطيع أن يفسر هذا الحدث الغريب إلا إذا استطاع أن يربطه بالنظام العام للظواهر الفيزيائية.

وهذا ما وضّحه في نظريته الوظيفية (Functional Theory) هل تعتقد أن المعيار الظاهري كاف في التحليل اللساني ؟

الجواب

أظن أن الخلاَف الحقيقي بين ما يبحثه أندريه مارتينه وبين ما يبحثه علماء النحو التوليدي لا يتعلق بالبنية العميقة والبنية السطحية للغة إن الخلاف يتعلق بالهدف من البحث اللساني .

إن الهدف من البحث اللساني في نظرية النحو التوليدية والتحويلية هو تحديد المعرفة اللغوية عند المتكلم (أي علم المتكلم بلغته) فمثلاً أنت تتكلم اللغة العربية وهذا يعني أن هناك شيئاً متصوراً عن هذه اللغة في ذهنك ، ومن ثم في دماغك الذي سيحدد اللفظ ودلالته ، كما سيحدد بالتالي العلاقات المتداخلة بينهما ، تلك العلاقات التي ستولد أنواعاً غير متناهية من الجمل .

إن التفسير الوحيد لمثل هذه العمليات اللغوية ينحصر في وجود نظام من الضوابط قد تم تسجيله في دماغك ولا يمكن أن يكون لديك قائمة الجمل الممكنة كلها لأن عددها هو غير متناه . ولهذا فلا بد أن تكون قد حصلت على نظام كامل من الضوابط . فالسؤال الذي يجب أن نطرحه هو عن نظام الضوابط ، ما هو ؟

يجب أن يكون نظاماً متناهياً من الضوابط يبنى عليها ويتفرع عليها عدد غير متناهٍ من الجمل عندما تتكلم بالكلام العربي وتعيه بكيفية عفوية . فالاختلاف الرئيسي بين ما يقوم به أندريه مارتينه وبين ما يقوم به علماء النحو التوليدي هو أن مارتينه غير مهتم بنظام الضوابط وينجرُّ على ذلك أنه ليس هناك طريقة ما للمقارنة بين ما يقوله وبين ما يقول صاحب النحو التوليدي . إنهما في حقلين مختلفين تماماً . إن عالم النحو التوليدي مهتم بشرح المعرفة اللغوية التي يملكها المتكلم والمخاطب ولا يكتفي بالتعليق البسيط على بعض التركيبات اللغوية (في حد ذاتها) . فإذا كان

لبعضهم أن يهتموا بذلك فبها ونعمت، إنهم يبحثون في حقل لساني آخر غير الذي نبحث فيه.

ولكن لنفرض أنك مهتم بهذا السؤال: أيُّ نوع من المعرفة يعلمها الإنسان الذي يتكلم بلغة من اللغات؟ أو بالسؤال عن نظام الضوابط الذي يمكنٌ الإنسان الذي يعرف لغة أن يتكلم بها بعفوية وأن يعبر عن أفكاره وأن يصل إلى فهم المجالات من المعاني التي لا حد لها عند ذلك يمكن أن تسأل نفسك: أيمكن للنظام من الضوابط أن يحتوي في ثناياه ما يسمى البنية العميقة (Deep Structure) أم أن مثل هذه البنية لا وجود لها في هذا النظام.

فإذا لم تسأل نفسك ذلك السؤال الأول فإن السؤال عن وجود بنية عميقة ليس بوارد. وهكذا فإن مارتينه ليس له أن يسأل عن وجود البنية العميقة وذلك لأنه لم يقبل (ولا حاجة له أن يقبل— إذا كان يريد البحث في شيء آخر) الفرضية القائمة على محاولتنا لفهم ما يعلمه الإنسان كمتكلم وفهم طبيعة تلك المعرفة اللغوية والشكل السيكولوجي الذي تتمثل فيه هذه المعرفة اللغوية. فإذا كان المرء مهتماً بهذه الأسئلة فحسن وإلّا فالسؤال عن البنية العميقة ليس بوارد أبداً. ويمكنك أن تصف الظواهر اللغوية بأية طريقة شئت مادمت غير مهتم بالنظام السفلي من الضوابط الذي به يتحدد ويبنى عليه العلم باللغة.

السؤال الخامس

نعتقد نحن العرب أن الجهود التي بذلها اللغويون العرب في علم اللسانيات البشري في العصور المتقدمة إنما هي جهود مهمة أسهمت إلى حد كبير في بناء علم اللسانيات الحديث (Linguistics)، ما هي آراؤك حول هذه القضية؟

الجواب

قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة

باللسانيات السامية . ومازلت أذكر دراستي للأجرومية[3] منذ عدة سنوات خلت أظن أكثر من ثلاثين سنة . وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانز روزنتال (Franz Rosenthal) الـذي يدرِّس الآن في جامعـة يال (Yale University) . لقـد كنت وقتـذاك طالبـاً في المرحلـة الجامعيـة أدرس في جامعـة بنسلفانيـا (University of Pensylvania) وكنت مهتماً بالتراث النحوي العربي والعبري الـذي نشأ في بعض ماكنت قد قرأته من تلك الفترة . ولكنني لا أشعر أنني كفء للحديث عن البحوث اللسانية التي كان العرب قد أسهموا بها لبناء علم اللسانيات الحديث .

السؤال السادس

لقد قيل إن تشومسكي هو شمس بدأت تأفل بالغروب . هل لك أن تعطينا فكرة عن بحوثك اللسانية اللاحقة لنظرية النحو التوليدية والتحويلية .

الجواب

أعتقد بادىء ذي بدء أن نظرية النحو التوليدية والتحويلية هي في أغرى أطوارها وذلك للأسباب التالية :

إن المشكلة الأساسية التي واجهناها في المراحل المبكرة لنظرية النحو التوليدية والتحويلية منذ حوالي ثلاثين سنة خلت هي تطوير مفاهيم معينة للضوابط والبنى اللغوية بما في ذلك مفهوم التحول النحوي . إن مثل هذا المفهوم التحويلي في العملية النحوية إنما هو غني جداً في طبيعته بحيث يمكننا من تجلية الظواهر اللغوية المعقدة جداً . وبلغت درجة من التعقيد بحيث لم تستطع النظرية البنيوية (Structuralism) أن تستوعبها في داخل هياكلها الفكرية وتشرحها وتعالجها معالجة جدية . وهكذا فقد كانت المشكلة الأولى التي واجهتنا هي تطوير مفهوم التحول النحوي بحيث يصبح في هذا المفهوم من الخصوبة ماسوف يمكننا من وصف الظواهر اللغوية المعقدة وفي

---

(3) الأجرومية : هو كتاب مختصر مشهور في النحو العربي لمؤلفه ابن أجروم (القرن الثامن الهجري) ونقل إلى اللاتينية في القرن الـ16 الميلادي .

الوقت نفسه فقد كان هدف نظرية النحو التوليدية والتحويلية الوصول إلى ما سمي : استيفاء التفسير (Explanatory Adequacy) ولم يكن الهدف من هذا الاستيفاء أن توصف الظواهر اللغوية باللجوء إلى نظام من الضوابط فحسب بل أن يشرح لماذا هي على ما هي عليه ؟ أما الآن فإن طابع التبسيط في التفسير العلمي في اللسانيات الحديثة هو جد واضح . فالذي ينبغي أن نعلمه هو أن نفسر كيف يمكن للفرد أن يعرف ما يعرف من اللغة . فالطفل إذا تحدث عنه الآن الباحثون فهو حديث عن كمية معلوماته ولا يلتفتون إلى البنية التنظيمية للغة التي اكتسبها . ومع ذلك فإنه قادر أن يبني لنفسه في ذهنه نحواً يفرع عليه ما لا يتناهى من الجمل وهو لم يسمع منها إلا جزءاً ضئيلاً في كلام الناس . فالمهم بالنسبة للتفسير هو أن تحدد القدرة الباطنية في ذهن الطفل التي تجعله يقفز هذه القفزة الهائلة من المعطيات الحاصلة له بالسماع إلى العلم الذي يبلغه من اللغة[4] .

وعند هذه النقطة بالذات يحدث تعارض وتدافع بين ما يطلع به الباحث من عمل وصفي وعمل تفسيري فلكي يتم لنا الوصف للتنوع والعدد الكبير من الظواهر نحتاج إلى مفاهيم أكثر سعة فأكثر . ولكي نفسر هذه الظواهر فإننا سنحتاج إلى مفاهيم محدودة أكثر فأكثر لأن المسلك الوحيد الذي سيمكننا من تفسير القفزة التي يقفزها الطفل من المعطيات إلى العلم المخصوص هو القول بأن القدرات الأولية للطفل جد محدودة وبالتالي فليس لديه إمكانات كثيرة يمكن أن ننظر فيها . ولو كان أمامه عدد كبير من الأنظمة النحوية الممكنة لما استطاع أبداً أن يختار أو يتعلم أي واحد منها . وكونه يقدر أن يتعلم واحداً منها انطلاقاً من العدد القليل من المعطيات لدليل على أنه مبرمج سلفاً لهذه الغاية . أي أنه قد نظم وهيىء لها بشكل مسبق . فإحدى الصفات التي فطر عليها الإنسان هي أنه يكتفي ببعض الأنظمة النحوية المخصوصة ولكن هذا يترتب عليه أن تكون أنماط الوصف غير متعددة . وهنا يظهر

(4) في نظر المدرسة الخليلية الحديثة هو (العلم بالتصرف في الكلام) وليس العلم بذوات الألفاظ والمعاني (انظر ما كتبه في ذلك الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح) .

تعارض بين الرغبة في استعمال الأنماط الوصفية الكثيرة المتنوعة لاستيفاء الوصف (For descriptive adequacy) وبين الحاجة إلى أنماط وصفية ذات المجال الدقيق الضيق لاستيفاء التفسير .

كانت المرحلة الأولى للبحث اللساني تتصف في غالبها بالاهتمام بتوسيع أنماط الوصف وإثرائها . إلا أنه تكاثرت تدريجياً على مر السنين الأعمال التي تطرقت للحد من أنواع الأنماط الموضوعة لتمثيل القدرة الكلامية .

أعتقد أن مثل هذا العمل يأخذ الآن بعداً مهماً جداً في تحليل اللساني ، يمكّننا من صياغة بعض المبادئ التي يمكن من خلالها تنظيم وظيفة الضوابط النحوية تنظيماً دقيقاً بحيث يصبح لهذه المبادئ العامة تغييرات محددة ومقيدة . فهناك مثلاً بعض المبادئ النحوية تقول بأن التحول النحوي لا يستطيع أن يحرك العناصر اللغوية لمسافة بعيدة ، بل إن مثل هذا التحويل النحوي يحرك العناصر اللغوية لمسافة قصيرة .

إن مثل هذه المبادئ تدعى بـ(المبادئ المكانية) (Locality Principles) . هذه المبادئ المكانية تختلف بشكل طفيف من لغة إلى لغة أخرى . إن نحو اللغة الإنكليزية من جهة ونحو اللغة الايطالية والفرنسية من جهة أخرى يختلف بشكل طفيف في الطريقة التي يمكن من خلالها تطبيق المبادئ المكانية هذه .

والواقع أنه بسبب التعقيدات الموجودة في أنظمة هذه المبادئ المكانية المشتركة فإن الاختلافات البسيطة والطفيفة بين اللغات المذكورة أعلاه ستقود إلى الاعتقاد أن هذه الظواهر مختلفة جداً ولا سيما من حيث البنية السطحية للغة . والحقيقة أن المبادئ المكانية وبعض المبادئ الأخرى التي كانت قد اكتشفت وطورت حديثاً ستحد وتقيد بشكل قاطع مجموعة الأنماط الوصفية للظاهرة اللغوية .

دعني أمثل لذلك بحالة محسوسة . خذ الأعمال التي ظهرت منذ (30) سنة فإنه لوحظ فيها أن الإنسان يستطيع أن يصوغ الصياغة الاستفهامية التي تبدأ بأخذ العبارة الاسمية (Noun Phrase) ويبدلها بالصيغة الاستفهامية التي تبدأ بـ Who

(= من) أو What (= ما) مثلاً . ومثال ذلك ، الجملة الإنكليزية : You Saw John (= شاهدت جون) . فإذا بدلت جون John بـWho فإنك تحصل بهذا الضابط التحريكي على الجملة التالية :

Who did you see? (= من شاهدت ؟) .

وهكذا يمكن الحصول على جملة استفهامية بإجراء الضابط التحريكي وبعض التبديلات الآلية الأخرى وهذه قاعدة مطردة في ظاهرها إلا أنها لا يمكن أن تطبق في جميع الأحوال :

مثال ذلك هذه الجملة Your interest in him surprised me

(= اهتمامك به أدهشني) . إذا حاولت أن تبدل him بـWho وأن تنقلها إلى صدر الجملة فإنك ستحصل على الجملة التالية :

Who did your interest in surprised me

وهذا ليس من كلام الإنكليز . من ثم يتبين أن هناك بعض الحالات لا تستطيع فيها أن تطبق الحركة التحويلية النحوية . ولم تكن العملية التحويلية نفسها في الأعمال الأولى على القدر الكافي من التعقيد لتفسير مثل هذه الظواهر . فالحركة في البحوث القديمة كانت تتضمن مجموعة من التعقيدات السياقية وهذا ما كان يضمن لها الصواب ويبعدها عن الخطأ . ولكي تكون لعمليات التحويل مثل هذا المفعول فإنه كان يجب أن يكون لمفهوم التحويل الشيء الكثير من قوة التفريع وسعة التمثيل مع القدرة الكبيرة على التشكل . وقد كان من المحتم أن تتعدد أشكال التحويلات الممكنة وبالتالي أن يعظم عدد الوجوه الممكنة من الأنظمة النحوية . وقد بيّنت بعض البحوث الحديثة أن القليل من المبادئ العامة كمبدأ المكان الذي سبق أن شرحته قد يكفي لتفسير لماذا يكون التحويل ممكناً في بعض الحالات وغير ممكن في حالات أخرى . وهذا يعني أنه لم يعد ضرورياً أن نقيد التحويل بتقييدات سياقية خاصة . كما يعني أن الأشكال الممكنة من التحويلات تصير بذلك جد محدودة .

فالقليل جداً من التحويلات يمكن أن تحدث وكلها تخضع لمبادئ عامة ولهذا المبادئ نفسها أشكال محدودة العدد .

وشهدت العشر سنوات الأخيرة عملاً يبشر بفائدة ، على ما يبدو لي ، في الأنظمة المختلفة من تلك المبادئ العامة . ويظهر أن كل واحد من هذه المبادئ محدود الأشكال وهذا ما سيسمح لنا أن نبسط الضوابط النحوية بكيفية جذرية وبالفعل فإنه يمكن تكثيف القواعد التحويلية على مستوى نواة أساسية من النظام النحوي لتصير قاعدة واحدة تكون لها القوة الكافية على تحريك أي جنس من الأجناس اللغوية (Move any Category) .

إن المبادئ اللسانية العامة يمكن أن تتفاعل بشكل مناسب للسيطرة على الحركة التحويلية ومنعها من أن تولد الصياغة النحوية الخاطئة . وقد تم بحث عدد كبير من الظواهر الجديدة من خلال هذا العمل وتوسع مجال الوصف أيّما توسع ، قبل كل شيء في اللغة الإنكليزية وبعض اللغات التي تكثر دراستها بل وأيضاً على عدد من اللغات الأخرى .

وهكذا صرنا الآن نتصور نظرية نحوية توليدية أرقى وأتقن مما كانت عليه جميع النظريات التوليدية التي ظهرت في السنوات الماضية .

إن الصياغة الجديدة لنظرية النحو التوليدية والتحويلية ستحوي في بنيتها التنظيمية المبادئ اللسانية العامة كالمبدأ المكاني ثم بعض المبادئ الأخرى تكون صيغتها الاستنتاجية أوضح وأبين . إن كل هذه المبادئ ستتفاعل بكيفية تمكننا من استنتاج النتائج العديدة المعقدة انطلاقاً منها بل ستكون المبادئ قادرة على اتخاذ الأشكال المختلفة إلى حد ما على أساس ما تحتوي عليه من متغيرات ـــ إذ اللغات هي نفسها مختلفة .

وإذا افترضنا أن هذه المبادئ اللسانية العامة جزء مما فطر عليه الطفل فإن عمل هذا الطفل عندما يتعلم اللغة ينحصر في تحديد هذه المتغيرات في اللغة الخاصة

التي يتعلمها والكشف عن الصيغ المستحسنة المقبولة في تلك اللغة من بين الصيغ الجائزة. عندما يكتمل العدد الكبير من هذه التقريرات عند ذلك ترسخ المبادئ ويستطيع أن يستنتج أنواعاً جد معقدة من الحقائق حول اللغة.

هذا كل ما حصل بالفعل من الأعمال خلال العشر سنوات الماضية وقد دخلت اللسانيات بفضلها في مرحلة جديدة لم تستطع أن تقترب منها في أي وقت مضى وأعتقد شخصياً أن مستقبل البحث هو في هذا الاتجاه.

السؤال السابع

ما هو رأيك عن النظرية الدلالية التي وضعها اللساني الأمريكي فيلمور (Fillmore) والمسماة (Case Grammar) أو الحالة النحوية والتي كان قد عدلها اللساني الأمريكي كوك (Cook) في كتابه المسمى : (Case Grammar The develo pment of matrix model) أو الحالة النحوية نشأتها وتطور منهجها ؟.

الجواب

لم أطلع جيداً على النظرية التي كان قد صاغها كوك (Cook) في كتابه المذكور ولكنني قد أطلعت على النظرية التي وضعها فيلمور (Fillmore) والمسماة (Case Grammar) أو الحالة النحوية. إن هذه النظرية — كما يبدو لي — هي نظرية مرتبطة بالنظام الدلالي ووصفه. وهذا شيء معروف لأي باحث لساني.

إن أية نظرية دلالية وصفية تفترض وجود علاقات دلالية في التركيب اللغوي كالعلاقات الموجودة بين الفاعل المعنوي (Agent) وبين الأداة (Instrument) وغيرهما. إن مثل هذه العلاقات الدلالية تربط الأفعال ببعض العبارات الأسمية. فإذا اعتبرنا تركيباً لغوياً مثل : (John Broke the Window With ahammar) (كسر جان النافذة بالمطرقة) فإنه يمكن أن نقول : إن John هو فاعل الفعل وإن hammar هي الأداة وإن Window هي الواقع عليه الفعل. إن مثل هذه العلاقات الدلالية هي

شائعة ومعروفة في أية نظرية دلالية وصفية على الرغم من أن تسميات هذه العلاقات الدلالية تختلف من نظرية إلى أخرى. ففي نظرية جروبر (Gruber) وجاكندوف (Jackendoff) التي كانت قد صيغت في منتصف الستينات فإن هذه العلاقات تسمى (Thematic relations) أوالعلاقات في الأغراض. وفي نظرية كاتز (Katz) فإنها تسمى (Semantic relations) أو العلاقات الدلالية (الخاصة بالمعاني) وفي نظرية فيلمور (Fillmore) فإنها تسمى (Case relation) أو العلاقات الحالية. ولكن هذه التسميات هي شيء دلالي وصفي معروف عند كل باحث لساني. ولا أعتقد أن هناك نظرية تسمى (Case Grammar). إنها فقط وجهة نظر من وجهات النظر الدلالية الأخرى ولكن المشكلة هي كيف يمكن أن نلحق هذه النظريات الدلالية الوصفية في البنية التنظيمية لنظرية النحو التوليدية والتحويلية. ومن هنا يبدأ الخلاف بين علماء اللسانيات. ولكن رأيي الشخصي في هذه المسألة هو أن ما سماه فيلمور (Semantic relations) أو (Thematic relations) أو أية تسمية أخرى، إنما يحددها بعض البنى النحوية اللفظية بتفاعلها مع ما تختص به المفردات من خواص. والواقع أن جزءاً كبيراً مما كتبته أنا شخصياً وما كتبه الكثير غيري في هذا المجال كان يرمي إلى إثبات أن ما سماه فيلمور (Case relations) يندرج في نظام الضوابط الذي تتحدد به البنى التركيبية والدلالية للغة.

السؤال الثامن

لقد ادعى علماء الدلالة أن نظرية النحو التوليدية والتحويلية تحتاج إلى تعديل جدي وهذا ما قادهم لصياغة ما يدعى في علم اللسانيات بـ(Generative Semantics) أي علم الدلالة التوليدي. هل تعتقد أن مثل هذه النظرية الدلالية هي جزء من نظرية النحو التوليدية والتحويلية أم أنها نظرية منفصلة عن تلك النظرية في التحليل اللساني؟.

الجواب

إن سؤالك هذا قد لا يكون في جملته سؤالاً أكاديمياً وذلك لأن المذهب الدلالي التوليدي على ما أعلم قد اختفى بشكل جوهري ولا أعتقد أن أحداً يطبق هذه النظرية الدلالية التوليدية بل إنني على الأقل لا أتذكر أن أي باحث في عالم اللسانيات يلجأ إلى التحليل اللساني منطلقاً من هذه النظرية الدلالية. لقد كان هناك وضع حسن لما كان يسمى علم الدلالة التوليدي منذ عشر سنوات خلت. ولكنني في هذه اللحظة لا أعرف على ماذا تنطبق هذه العبارة. أعتقد أن هذه النظرية كانت مهمة منذ عشر سنوات ولكنها كانت خاطئة في الوقت نفسه. وذلك للأسباب التي ناقشتها في بحث كنت كتبته في مقالة نشرتها في كتاب (Studies on Semantics in generative grammar) (دراسات حول المنهج الدلالي في نظرية النحو التوليدي). لقد كانت هذه النظرية خاطئة ولكنها مهمة في الوقت نفسه.وعلى أية حال فإن هذه النظرية قد اختفت لذلك ليس هناك شيء يمكن مناقشته حولها.

السؤال التاسع.

ما هو رأيك حول البحوث اللغوية لمدرسة براغ؟

الجواب

هناك عدة وجوه مهمة تميز هذه البحوث اللسانية. أولى هذه الوجوه هو العمل الذي قاموا به في حقل الصوتيات الوظيفية (Functional Phonology) في ثلاثينات هذا القرن. فقد كان بحثهم للصوتيات بحثاً ممتازاً أثر على الكثير من الباحثين في هذا الحقل. كما اهتموا بالدراسات التركيبية (Syntax) وذلك منذ عشرين أو ثلاثين سنة فاتت وكانت أعمالهم مفيدة جداً. وقد عالجوا عدة مسائل تتعلق بالدراسات الوظيفية اللسانية وأسلوب الحصر وغير ذلك.

كما اهتموا بالدراسات لعدة لغات مختلفة وكانت الإنكليزية واحدة منها. وقد

استفدت من هذه الدراسات إلا أنني لم أجد فيها كبيرة فائدة من الناحية النظرية وأعتقد أنها قد استطاعت في أحيان كثيرة أن تتعمق في وصف الظواهر اللغوية. وهي أعمال وصفية جيدة للغاية.

السؤال العاشر

كيف تتوقع أن يكون علم اللسانيات كدراسة علمية للغات البشرية في المستقبل؟

الجواب

ينبغي في رأيي أن ننظر إلى علم اللسانيات (Linguistics) على أنه جزء من علم النفس (Psychology) وينبغي أن ننظر إليه في المدى البعيد على أنه جزء من علم البيولوجيا الإنسانية (Human Biology) وذلك لأن علم اللسانيات كما أراه هو جزء من دراسة المقدرة البيولوجية الخاصة التي يتصف بها الدماغ الإنساني. إن تلك المقدرة إنما هي صفة خاصة بالدماغ الإنساني وحده على ما نعلم، تمكن الإنسان من اكتساب العلم باللغة أي هذا النظام الضخم الغني الذي ينتظم عليه التعبير اللغوي وينفرد به الإنسان وحده حسب معارفنا الحالية.

إن دراسة اللسان موازية لدراسة نظام الرؤية البصرية: فكما يمكن للإنسان أن يبحث عن نظام الرؤية البصرية كيف يجري عملها عند البشر كنظام متميز عن نظام الرؤية عند النحلة مثلاً فكذلك يمكنه أن يبحث عن القدرة البشرية على الكلام كيف يتم عملها، تلك القدرة التي يختص بها الجنس البشري على ما أعلم هو دون سواه. فالمسلك الآخر الذي اقترحه في هذا الميدان هو هذا الذي وصفته الآن: أن نبحث عن الضوابط والمبادئ الخاصة بهذا النظام وبالتالي عن المتغيرات التي بها يحصل الاختلاف بين اللغات حتى تصير هذه اللغة أو تلك محددة في داخل هذا النظام الثابت من الضوابط، ونأمل أن نبين في مرحلة أخرى كيف تتفاعل هذه

المقدرة اللغوية بغيرها من الأنظمة الفكرية بل وكيف تتمثل بكيفية حسية في داخل الدماغ. فهذا عمل طويل النفس يمكن للسانيات أن تقوم به.

السؤال الحادي عشر

ما هو رأيك بالفائدة التي يمكن للسانيات أن تستفيدها من خلال علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي (الكمبيوتري) (Computational Linguistics) (التي تعتمد على الرتاب الحاسوبي المعلوماتي أو الحاسب الالكتروني) هل تظن أن هذه اللسانيات ستسهم في الكثير بالبحث اللغوي في المستقبل؟

الجواب

نعم إنه يمكن أن تسهم في البحوث اللغوية بشكل جيد. إن اللسانيات الحاسوبية ــ المعلوماتية (الرتابية) يمكن أن تبرهن على فائدتها بامتحان النظريات اللسانية التي تبلغ من التعقيد حداً بعيداً. بحيث لا نستطيع أن نحدد بالضبط ما يترتب عليها بمجرد النظر فيها وعلى هذا فكلما ثريت النظريات وتعقدت وأردنا أن نعرف مدى تطبيقها على مجال واسع فإنه يكون من المفيد أحياناً أن نختبر على الرتاب. ثم إن دراسة الخوارزمات (Algorithms) وهي التقنيات التي يتم بها إجراء العمل على دراسة الرتاب[5] يمكن أن تساعدنا أيما مساعدة لفهم مجرى العمليات الكلامية وكيفية انتظام العلم باللغة وكيف يمكن إدخال بعض هذه المعلومات واستعمالها في العمليات على الرتاب. لا أعتقد أن مثل هذه التقنيات قد ساهمت كثيراً فيما مضى في ترقية البحث اللساني غير أنني أتوقع أن يكون لها دورها في المستقبل.

---

(5) نسبة إلى الرياضي العربي أبو بكر الخوارزمي (المتوفى بعد/232) وهي عبارة عن سلسلة من العمليات الجزئية المتناسقة تتوقف كل واحدة على المسابقة تجري للوصول إلى غاية أو تحقيق نتيجة معينة (كعمليات الحساب والجبر والبرمجة على الرتابات وغيرها). (وهذا الذي نسميه اليوم بالعمليات كان يطلق عليه الرياضيون العرب لفظة «العمل» (Calcul).

السؤال الثاني عشر

إلى أي مدى أسهم التراث العبري القديم في صياغة نظريتك في النحو التوليدي والتحويلي ثم في صياغة نظرية الصوتيات التوليدية؟

الجواب

كما ذكرت من قبل فإن دراستي المبكرة كانت متعلقة بدراسة النحو العبري في العصور الوسطى. فقد كان والدي مختصاً بالنحو العبري والعربي في القرون الوسطى. وقد درست هذا النحو على يديه. وباعتباري طالباً في الجامعة فقد درست هذا النحو العربي الحديث كما درست النحو العربي في العصور الوسطى كذلك، فإذا أردت بعض التفاصيل حول هذا الموضوع فقد كتبت حول هذه القضية في مقدمة كتابي المسمى: (The Logical Stucture of Linguistic Theory) (البنية المنطقية للنظرية اللسانية). ناقشت في هذه المقدمة كيف أن بعضاً من دراستي المبكرة في صغري لنحو القرون الوسطى قادني إلى بعض الأفكار حول البنية التنظيمية اللغوية التي دخلت بعد ذلك في نظرية الصوتيات التوليدية ونظرية النحو التوليدية وكانت هذه الأفكار في الواقع هي المثل المعتبرة التي احتذيتها في الأربعينات. وأول بحث كتبته في النحو التوليدي هو ما كتبته في النحو التوليدي للغة العبرية واعتمدت فيه على هذه الأفكار. وكان ذلك في أواخر الأربعينات.

السؤال الثالث عشر

لقد قيل إن تشومسكي هو أرسطو القرن العشرين فما هو رأيك بهذا القول؟

الجواب

لا أعتقد ذلك. أظن أنه لم يأتِ بعد الوقت الذي تحقق فيه اللسانيات ثورتها العلمية الحقيقية. إلا أنني أعتقد أنها تقترب منه. ولعلها ستدركه قريباً. إلا أنها

ما زالت تتحسس طريقها نحو هذه الثورة. إننا فعلاً نبني قاعدة قوية لعمل ستتبعه فيما أعتقد ـــ عاجلاً أو آجلاً ـــ ثورة علمية عظمى.

أحب أن أضع ما قلته أنت في صيغة أخرى مختلفة: إننا ننتظر «غاليلو» جديداً بالنسبة إلى ميداننا هذا. فأن نحقق ثورة غاليلو العلمية هذا ما يمكن أن يتلامح في الأفق.

السؤال الرابع عشر

إن نظرتك الفلسفية حسب اعتقادي تقتضي إيقاع النظرية على محك الواقع وليس العكس. وهذا ما فعلته في علم اللسانيات فقد أوقعت النظرية اللسانية على الواقع اللغوي وذلك من أجل التأكد من انطباق نظرية النحو التوليدية والتحويلية على اللغات البشرية. هل تعتقد أن الواقع اللغوي قد غير الصياغة الأولية لنظريتك وأعطاها إطاراً مختلفاً عن الإطار الأول؟

الجواب

إن كل بحث كتبته أو كتبه علماء النحو التوليدي والتحويلي، إنما بني على مادة تجريبية لغوية وذلك لتأسيس نظرية لسانية معينة. فإن النظرية لا يمكن أن تكون من صنع الخيال وحده بل لا بد أن تكون مبنية على الاستقراء الممعن للأحداث. ومن هنا فإنني لا أستطيع أن أفهم هذا التقابل بين النظرية والواقع وفي اعتقادي أنه ليس هناك أي تضاد بينهما. إن النظرية هي اجتهاد لحصر الواقع في جوهره بالاعتماد على معطياته الجديرة بالاعتبار.

السؤال الخامس عشر

عندما يعرِّف أحدٌ نفسه في حفلة من الحفلات على أنه الطبيب الفلاني فإن الناس حوله تتساءل في أي مستشفى أو عيادة يعمل وعندما يعرِّف أحدٌ نفسه على أنه المحامي الفلاني فإن كل واحد حوله يظن أنه عندما يقع في مشكلة غير قانونية

فإن ذلك المحامي سيمد له يد العون. ولكنك عندما تعرِّف نفسك على أنك لساني فإن التعجب يبدو على وجوه الناس الملتفين حولك سائلين أنفسهم ماذا تعني بعلم اللسانيات. وعندما تحاول أن تشرح لهم أن علم اللسانيات هو الدراسة العلمية للغات البشرية فإنهم سيقولون: لماذا تكلف نفسك وتدرس هذه اللغات ما دمنا نتكلمها بشكل طبيعي.

والسؤال هو: هل تعتقد أن علم اللسانيات يستطيع أن يغير آراء الناس في يوم من الأيام؟ وهل تعتقد أن دراسة علم اللسانيات هي دراسة ذات أهمية؟.

الجواب

في تراثنا الفكري الذي يرجع إلى اليونان يُعتقد ـــ بحق على ما أظن ـــ أن أهم شيء تجدر به الدراسة هو الإنسان. ما هي حقيقته؟ وخاصة كيف يعمل العقل الإنساني؟ ولا يمكن أن نجد موضوعاً للدراسة يكون أكثر دلالة من موضوع العقل الإنساني وكيفية تأديته لوظيفته. وأهم ما في هذا العقل هو ما يحققه من الإنجازات الفكرية، تلك الإنجازات التي تتم بشكل طبيعي وتبدو لنا كأشياء عادية، بحيث لا نفكر أبداً أن يكون فيها ما يشْكُلُ علينا وتجعلنا نبحث فيه. فأول مشكل ينبغي أن تتغلب عليه إذا أردت أن تدرس الإنسان هو أن يحصل في نفسك الشعور بالعجب والدهشة تجاه هذه الأفعال العادية التي تقدر على الإتيان بها في ظروف عادية. فإذا لم تستطيع ذلك فلا شك أنك سوف لا تتكلم إلا بما مرّ بذهنك. والسؤال المطروح هو عن هذا الفعل العقلي كيف تستطيع أن تقوم به؟ وما هو الشيء الذي يمكّن الطفل من اكتساب هذه الملكة اللغوية التي تتعذر على القرد أو الكلب أو أي كائن آخر؟ فما هي هذه القدرة؟ وماذا عساها أن يستتر وراءها؟ وما هي خواصها وما هي صفاتها؟ قال بهذا الصدد العالم النفساني ولفجانج كوهلر (Wolfgang Kohler) مرة يجب أن تقيم باستمرار بينك وبين الأفعال التي تصدر عنك نوعاً من البعد أو المسافة النفسانية ويجب أن تنظر إليها كأنك في مكان خارج عنها حتى

تدرك إلى أي حد هي عجيبة وذلك قبل أن تحاول اكتشاف القدرات التي مكنتك من إحداثها وهذا ليس بمشكل إذا تناولت بالدراسة الظواهر الفيزيائية لأنك تناولت شيئاً هو خارج عنك. فهناك يتحقق البعد النفساني بينك وبين موضوع بحثك (بكيفية تلقائية). وإننا لا بد لنا في تحريك الكواكب ولهذا تبدو حركة الكواكب كظاهرة عجيبة، وبما أن فعل الكلام صادر عنا ونحن المسؤولون فلا يبدو لنا عجيباً مثل الظاهرة المذكورة. على أن هذا الفعل هو أعجب بكثير من حركة الكواكب. وعلى هذا فلا بد من تحقيق هذا البعد النفساني وإقامته بالقدر الكافي وحتى نستطيع أن نتأمل ما نحققه من أفعال الكلام بأنفسنا ونتساءل كيف يتم لنا ذلك كما نتساءل عن حركة الكواكب كيف تجري في فلك على مثل هذه الحال. فإذا توصلنا إلى تحقيق هذا البعد النفساني إزاء الظاهرة المعينة، عند ذلك يمكن أن نقوم بالبحث الذي سيؤدينا إلى فهم الكيفية التي بها يعمل العقل الإنساني. إن لهذا العمل العقلي عدة جوانب إلا أن الجانب الأساسي فيه هو لا محالة، اللسان. وليس من شك في أن التفوق البيولوجي والثقافي العظيم الذي فاز بها الجنس البشري إنما يرجع الفضل فيه في أكبر قسط منه إلى اللسان الذي اكتسبه والذي سخره أداة للتفكير والتحليل وليس في الدنيا كائن آخر مُني بهذا اللسان غيره. ولهذا فإنه توجد بالضرورة في قلب كل دراسة في حقيقة الإنسان دراسة اللسان.

الفصل السادس

اللسَانياتُ والحاسبُ الالكترونيّ والترجماتُ الآلية[1]

(1) قُدِّم هذا البحث بالإنكليزية في مؤتمر «اللسانيات التطبيقية العربية ومعالجة الإشارة والمعلومات» الذي عقد في فندق (فرح سوفتيل) في الرباط ــ المغرب ــ ما بين 26 أيلول 5 تشرين الأول 1983 .

0. مدخل

سوف أعالج في هذا الفصل المبادئ الأساسية في علم اللسانيات الحاسوبي المعلوماتي الذي هو نتيجة طبيعية لعلاقة اللغة بالآلة أو الحاسب الالكتروني. هذه المعالجة ستكون من خلال ندوة علمية شارك فيها البروفسور (مايكل زارتشناك) أستاذ علم الدلاليات وبرمجتها في الحاسبات الالكترونية في قسم اللسانيات في جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأمريكية. والبروفسور (آلن تكر) رئيس قسم الحاسبات الالكترونية في جامعة جورج تاون، والبروفسور (هيرمنسون) رئيس مركز البرمجة اللغوية في جامعة جورج تاون أيضاً ثم صاحب هذه السطور. وقد طرحت في هذا الفصل حوالي ثلاثين قضية لسانية آلية، أجاب عنها الباحثون من وجهات نظر مختلفة أغنت الموضوع بحثاً وأشبعته مناقشة.

والواقع إن علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي هو حقل جديد في اللسانيات التطبيقية والنظرية، فهو بشكل رئيسي حقل يعالج اللغات البشرية وبرمجتها من خلال الحاسب الالكتروني (الكومبيوتر)، وذلك من أجل أهداف عديدة، مثل

التحاليل اللغوية والترجمة الآلية، وبكلمة أخرى إنه حقل برمجة لغة معينة بشكل علمي. هذه البرمجة تستخدم من خلال الآلة المعقدة والدقيقة. إن الهدف الأول والأخير لعلم اللسانيات الحاسوبي المعلوماتي هو البحث العلمي السريع الذي يستطيع برمجة اللغات البشرية ضمن إطار تجريبي ومضبوط ثم موضوعي. من هنا فإن هذا العلم هو حقل لا يمكن الاستغناء عنه في علم اللسانيات الحديث، إنه ينبغي على علماء اللسانيات أن يعرفوا مبادئ هذا العلم، وذلك ليتمكنوا من معالجة اللغات البشرية معالجة آلية. إن الهدف من هذه الندوة هو تقديم بعض القضايا الأساسية في علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي سواء أكانت هذه القضايا نظرية أم تطبيقية.

أود أن أغتنم الفرصة هنا لأشكر عالم اللسانيات والبرمجة اللغوية الأمريكي روز ماكدونالد (R. McDonald) الذي كانت معلوماته في مادة علم اللسانيات الحاسوبي المعلوماتي هادياً لي لمعرفة هذا العلم. فالعالم الأمريكي روز ماكدونالد الذي هو رئيس برنامج علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي في جامعة جورج تاون كان قد تفضل بقبول الدعوة للمشاركة في هذه الندوة. ولكنه من دواعي الحزن أنه قد توفي قبل أن يشارك في هذه الندوة. لقد خسرت جامعة جورج تاون بموته باحثاً عبقرياً في هذا العلم. إنه لشرف لي أن أكون واحداً من طلبته الذين استفادوا من معلوماته القيمة في علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي وسوف أتذكر الإخلاص والوفاء النادرين اللذين وجدتهما فيه. وأود أن أعبّر عن شكري العميق للدكتور مايكل زارتشناك (M.Zarechnak) أستاذ علم الدلالة ومنظم البرمجة اللسانية الآلية في جامعة جورج تاون وللدكتور آلن تكر (A. Tucker) رئيس قسم علم الحاسبات الإلكترونية في جامعة جورج تاون، وللدكتور جان هيرمنسون (J. Hermensen) رئيس مركز البرمجة اللغوية في جامعة جورج تاون.

إنني أشكر لهم جميعاً مناقشاتهم القيمة والعميقة في هذا الموضوع. وأخيراً

أود أن أعبر عن امتنـاني وشكـري العظيـمين للباحثـة «أسماء أفسر الديــن» (A. Afseruddin) طالبة الدراسات العليا في جامعة جانز هابكنز التي أنجزت بصبر طويل مهمة تحرير هذه الندوة وتصحيحها على الآلة الكاتبة .

بعض القضايا الأساسيّة في اللسانيات الحاسوبيّة ــ المعلوماتية

ندوة لسانية حاسوبية ــ معلوماتية عُقدت في قسم اللسانيات الحديثة في جامعة جورج تاون ــ واشنطن العاصمة ــ تموز 1983 .

السؤال الأول

هلّا تفضلتم بشرح ماهية علم اللسانيــات الحاسوبي ــ المعلومــاتي والموضوعات التي يعالجها ثم الأهداف التي يسعى لتحقيقها ؟

الجواب

م . زارتشناك

يعتمد الجواب عن هذا السؤال على نوع الباحثين الذين يوجه إليهم هذا السؤال ؛ وذلك لأنه في معظم الأوقات سيستند جوابهم إلى تجاربهم العلمية . وهكذا فإن بعض الباحثين يعرّف علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي بأنه العلم الذي يعالج المواد اللغوية في الحاسبات الالكترونية (الكومبيوتر) ، وبعضهم يعرّفه بأنه جزء من علم الذكاء الاصطناعي . وهكذا فإنهم يعرّفون علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي بالطريقة نفسها التي يعرّف بها علم الذكاء الاصطناعي ؛ أي أنه العلم الذي يستخدم الحاسب الالكتروني في العمليات اللغوية التي يعملها عادة الذهن البشري . وهنا علينا أن ندرك الجوانب النظرية والجوانب التطبيقية لهذا العلم ، فالأولى تتضمن معرفة الإطار النظري العميق الذي يعمل في الدماغ البشري لحل المشكلات الخاصة ، والمثال على ذلك هو الترجمة من لغة إلى أخرى . أما الجانب التطبيقي فإنه

يتضمن المعاملة مع الرياضيات الخوارزمية والتي هي مجموعة من القواعد التي إذا ما رتِّبت بشكل معين فإنها ستعطي نتائج مماثلة للنتائج التي يعطيها الإنسان. وهنا عندما يفعل الحاسب الالكتروني هذا الشيء الذي يفعله الإنسان فإنه لن يعتبر هذا العمل جزءاً من علم الذكاء الاصطناعي. إن المشكلة هنا هي مشكلة تكنولوجية تقنية. وهكذا فإن بعض الباحثين بدأ بتطور تقنيات الآلة والحاسب الالكتروني تطويراً تكنولوجياً. وهذا التطوير يعتمد على التنافس الاقتصادي في الأسواق وذلك لأن الحاسب الالكتروني الذي يتمتع بالتقنية العالية الجيدة سيكون استهلاكه في الأسواق من الناحية العملية أفضل بكثير من الحاسب الالكتروني ذي القيمة السيئة.

من هنا فإن هذا التطوير التقني التكنولوجي سيجعل من الجانب النظري للحاسبات الالكترونية أمراً غير ذي بال. إن ما حصل تاريخياً هو أن علم اللسانيات الحاسوبي المعلوماتي كان قد وُضع وطُبق بادئ ذي بدء لحل المشكلات الرياضية فقط. وقد أدرك الباحثون فيما بعد ــ كما ذكرت ذلك في كتابي **الترجمة الآلية** الذي ألفته مع البروفسور روز ماكدونالد ــ بإن اللغة البشرية عبارة عن وسيلة اتصالية مشابهة للوسيلة الاتصالية العسكرية، والوسيلة الاتصالية السرية. إن كل ما ينبغي أن تفعله هنا هو أن تحلل رموز هذه اللغة وذلك لأن عملية الترجمة الآلية هي تحليل للرموز اللغوية ثم تركيب لها سواء أكان ذلك في اللغة المترجم منها أو اللغة المترجم إليها.

وهناك بعض الباحثين الذين يعرّفون علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي تعريفاً إحصائياً ذلك لأنهم يربطون هذا العلم اللساني الآلي بحقل الإحصاء اللغوي للمواد اللغوية، والتي تعالج من خلال الحاسب الالكتروني، وهذا بالطبع يعتمد على النموذج الإحصائي الذي يأخذ به عالم اللسانيات من أجل حل المشكلات الإحصائية اللغوية. فعلى سبيل المثال يمكن لعالم اللسانيات أن يقوم بإحصاء لغوي

لمعرفة صيغ ترتيب الكلمات في اللسان العربي، واكتشاف ما إذا كان ترتيب الجملة العربية هو (فعل + فاعل + مفعول به = جملة) أو (فاعل + فعل + مفعول به = جملة). إنه يمكن لعالم اللسانيات أن يكتشف من خلال إحصائة لترتيب الكلام العربي بأن هذا الترتيب في بعض النصوص اللغوية هو (فاعل + فعل + مفعول به = جملة) وهنا ينبغي على عالم اللسانيات أن يقدم الشاهد العلمي الإحصائي لنتائجه اللغوية. وهكذا نرى أن هناك تعريفات عديدة يمكن أن تكون لعلم اللسانيات الحاسوبي ـ المعلوماتي.

آ. تكر

إن علم اللسانيات الحاسوبي ـ المعلوماتي ـ حسب معارفي ـ هو تصميم وتطبيق لتقنيات العمليات الرياضية الخوارزمية لتحليل اللغات البشرية وتركيبها، وبكلمة أخرى، إن هذا العلم له علاقة وشيجة بعلم اللسانيات العام الذي هو أساسي بالنسبة للبرمجات اللغوية الآلية وبعلم الحاسبات الالكترونية، وبعلم الذكاء الاصطناعي وبعلم الفلسفة وبعلم الرياضيات، ثم بعلم المنطق... إلخ. فعلم اللسانيات الحاسوبي ـ المعلوماتي يحلل المواد اللغوية ويركبها مستعيناً بتقنيات علم الذكاء الاصطناعي وذلك لأن تمثيل المعارف البشرية في الحاسبات الالكترونية هو شبيه بتمثيل المعارف اللغوية في الدماغ البشري وخاصة التمثيل الدلالي. والواقع إن التمثيل النحوي في الحاسبات الالكترونية ليس مهماً بحد ذاته إذا لم يكن له علاقات منتظمة مع التمثيل الدلالي، وهكذا فإن العناصر النحوية والعناصر الدلالية مهمة جداً لمعالجة اللغة وتمثيلها في الحاسبات الالكترونية.

ج. هيرمنسون

إن علم اللسانيات الحاسوبي ـ المعلوماتي هو استخدام الحاسبات الالكترونية لتحليل اللغات البشرية وتركيبها. لقد انتعش هذا الحقل في جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة من خلالها الترجمات الآلية من اللغة الروسية إلى الإنكليزية. وقد

كان لهذه الترجمات إطار تطبيقي عملي أكثر منه نظري وقد طوّرت هذه الترجمات الآلية لتشمل ترجمة لغات أخرى إلى الإنكليزية والإسبانية والفرنسية والإيطالية والألمانية واليابانية .

هناك حقل لساني آخر يستخدم الحاسب الالكتروني هو حقل تحليل النصوص اللغوية . إن البحث الحالي لعلم اللسانيات في جامعة جورج تاون هو تطبيق برامج آلية لتمكنها من فهم اللغات البشرية . إن العمل الحالي والحديث والمعاصر للتعامل مع الحاسبات الالكترونية هو نتيجة الجهود المبذولة لجعل الحاسبات الالكترونية سهلة المتناول لكل باحث يريد أن يخزن معلومات هائلة فيها مستخدماً اللغة البشرية الطبيعية بدلاً من تعلمه اللغات المصطنعة التي يمكن استخدامها أيضاً في الحاسبات الالكترونية . وهكذا فإن عملية البرمجة الآلية اللغوية هي عملية دينامية فاعلة ومنفعلة في الوقت نفسه . ذلك لأن بدايات العمل اللساني الآلي هي استخدام الآلة الحاسبة لتعمل على اللغات البشرية . أما الآن فإن العمل يتجه لاستعمال اللغات البشرية لتعمل في الحاسبات الالكترونية .

السؤال الثاني

لا شك في أن علم اللسانيات الحاسوبي ـــ المعلوماتي مهم جداً لتطوير اللسانيات العامة . فما هو الدور الذي استطاع هذا العلم أن يقوم به لتعميق فهمنا للغات البشرية ؟ .

الجواب

م . زار تشناك

هناك إسهامات عديدة لعلم اللسانيات الحاسوبي ـــ المعلوماتي ، فعندما يدرس علماء اللسانيات المواد اللغوية دون استخدام الحاسبات الالكترونية فينبغي أن تكون دراستهم هذه مبنية على مناهج لسانية معينة ، كالمنهج اللساني الوصفي ،

والمنهج اللساني التحليلي والمنهج اللساني التوليدي والتحويلي والمنهج اللساني الوظيفي البراغماتي. ولكنه مهما كان المنهج المستخدم في التحليل اللساني فإنه لا بد لهم من أن يخزنوا هذه المناهج المستخدمة في ذاكرتهم، ومن ثم فإنهم يطبقون ما هو في ذاكرتهم الإنسانية على المواد اللغوية، ولكن هناك معلومات عدة في هذا الأسلوب التحليلي الإنساني، فإذا لم تكن المواد اللغوية المحللة نابعة من اللغة الأم التي يتكلمها الباحث اللساني فإنه سيواجه في هذه الحالة مشكلات تتعلق ببناء المفردات أو المعاني التي تدل عليها الكلمات، ويمكن أن يواجه مشكلات متعلقة بالأبنية النحوية للغته الأم ونقلها إلى الأبنية النحوية للغة الأجنبية، وحتى إذا كان الباحث اللساني يحلل مواد لغوية من لغته الناطق بها فإنه لا يستطيع أن يتذكر كل الظواهر اللغوية المتعلقة بتلك اللغة وذلك لأن الذاكرة البشرية تعمل وفقاً لنظام إنساني قصير وليس وفقاً لنظام آني طويل الأمد.

فإذا استخدمنا ذاكرة الحاسبات الالكترونية في تحليل المواد اللغوية فإنه يمكننا التحكم بهذه الذاكرة الآلية. وهكذا فإن المواد اللغوية يمكن أن تخزن في هذه الذاكرة الآلية المبنية على نظام طويل الأمد. ومن هنا فإن أعمالاً مملة ومضنية للذاكرة البشرية يمكن أن يقوم بها الباحث الالكتروني مستعيناً بالذاكرة الآلية والحاسب الالكتروني كبناء المفردات والنظر بمعانيها وكملائمة الأبنية النحوية والأبنية الدلالية للغة الأم مع الأبنية النحوية والدلالية للغة الأجنبية.

وهكذا فإن نتائج التحليل اللغوي في الحاسبات الالكترونية ستكون موضوعية ومبرهنة في الوقت نفسه. فمن خلال هذا العمل الآلي المضبوط والموضوعي لن يكون للشعور والحدس والتوقع أي مكان في عمل الباحث لأن النتائج التي يقدمها الحاسب الالكتروني هي نتائج مبنية على البرهنة والموضوعية العلمية المحضة.

والواقع إن الحاسبات الالكترونية يمكن أن تحل لنا مشكلات لغوية مطروحة

في اللسانيات الحديثة ، فبعض الباحثين اللسانيين مهتم بالسؤال عن عالمية اللغة . فمن خلال استخدام الحاسبات الالكترونية ، يمكن أن نحصل على أجوبة دقيقة جداً عن عالمية اللغة من خلال تحليل المواد اللغوية العالمية في الحاسبات الالكترونية لمعرفة بنيتها وحركيتها . والواقع إن العمل اللغوي الآلي يطرح سؤالاً لسانياً آخر هنا ، وهو ما إذا كانت الوظائف اللغوية عبارة عن وظائف منطقية أم لا . وبكلمة أخرى ، هل عالمية اللغة شيء مبني على أساس رياضي حسابي عالمي أم أنها مبنية على أسس بيولوجية معينة ، إن هذه القضايا اللسانية ما زالت قيد النقاش ، ولم يُعط لها أي جواب حاسم بعد .

آ . تكر

هناك مشروعات عدة في علم اللسانيات الحاسوبي ـــ المعلوماتي أظهرت نتائج عديدة ساعدتنا على فهم العمل اللغوي . فبعض هذه المشروعات يُدرس من خلال علم الذكاء الاصطناعي . فعلى سبيل المثال إن هناك تجارب عدة قد أجريت في جامعة يال . (Yale University) . حيث طبقت البرمجة الآلية على تحليل وتركيب ملخصات قصيرة للأحداث المكتوبة في الجرائد والمجلات وقصص الأطفال . وهناك بحث جوهري أيضاً يقوم به الباحثون في جامعة ستانفورد (Stanford University) حول تصميم الإنسان الآلي الذي يستطيع أن يتحدث ويفهم اللغة المتكلمة واللغة المكتوبة . والواقع إن الإنسان الآلي يمكن أن يُصمم على أسس علمية تمكنه من أن يجيب عن بعض الأوامر التي تُطلب منه ، كتحقيق بعض المهمات البسيطة مثلاً .

أعتقد أن مستقبل علم اللسانيات الحاسوبي ـــ المعلوماتي هو مستقبل متطور نحو الأفضل والأحسن والأنجع وذلك لمعرفة اللغات البشرية معرفة دقيقة جداً .

مداخلة

لقد قلتَ ، دكتور تكر : إن الحاسب الالكتروني يستطيع أن يميز بين اللغة

المكتوبة واللغة المتكلمة، والواقع إن هذا الشيء مهم إذا وضعناه ضمن الإطار النظري ــ للتحليل اللساني الحديث للغة المكتوبة واللغة المتكلمة. هل يمكنك أن تحدثنا عن كيفية تحليل اللغة المكتوبة واللغة المتكلمة (المنطوقة).

آ. تكر

هناك عدة باحثين يعتقدون بأن اللغة المكتوبة هي أسهل تعاملاً في الحاسب الالكتروني من اللغة المتكلمة. وذلك لأن اللغة المتكلمة لها أشكال كلامية عديدة سواء على صعيد الصوت الفردي أو على صعيد الكلام المركب أو على صعيد اللكنة أو اللهجة بين مختلف الجماعات البشرية. ومن جهة أخرى إن اللغة المكتوبة تقدم نصوصاً لغوية ثابتة من حيث الرسم الكتابي والصوتي والدلالي. وهكذا فإن هناك أشياء محسوسة في اللغة المكتوبة. وهذا يختلف عن اللغة المتكلِّمة التي يصعب التعامل الآلي معها في الحاسبات الالكترونية تحليلاً وتركيباً.

ج. هيرمنسون

أعتقد بأن هذا السؤال مهم جداً. والواقع إن علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي ساعد كثيراً في تطوير عدة حقول بشرية أخرى. وفي الحقيقة إن العمل اللساني الذي يقوم به عالم اللسانيات الأمريكي (نوم تشومسكي) في النحو التوليدي والتحويلي إنما كان قد طُوِّر من خلال استخدام الحاسبات الالكترونية. وعمل تشومسكي هذا هو عبارة عن جهد من أجل صياغة اللغة البشرية صياغة رياضية تجريدية؛ وذلك من خلال وضع عدة قواعد محددة ومعروفة للغات البشرية. كما أن نظرية القواعد التوليدية والتحويلية كانت نظرية واحدة من عدة نظريات كانت قد طُوِّرت من خلال استخدام الحاسبات الالكترونية.

إن محاولة هذه النظرية لفصل العناصر النحوية عن العناصر الدلالية في النظرية الكلاسيكية ثم إعادة دمجها في النظرية المعيارية المعدَّلة إنما كانت تطويراً للعمل اللساني الآلي والترجمات الآلية بشكل عام. إن كل مثال لغوي يمكن أن نقدمه للآلة

من أجل الترجمة الآلية سيقدم لك أفكاراً جديدة واستعمالات جديدة لهذه المواد. وينبغي على عالم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي أن يسأل ما إذا كانت هذه المواد اللغوية الجديدة تخضع لقواعد معينة أم أنها تعد شاذة من حيث الاستعمال لا تخضع لأي قاعدة لغوية.

والواقع إن المواد اللغوية الجديدة واستعمالاتها في اللغات البشرية إنما أسهمت كثيراً في تطوير العناصر النحوية والعناصر الدلالية. وبالتالي فقد أسهمت في تطوير الصوتيات العامة وتحليل الكلام وتركيبه. إن الفكرة الرئيسية هنا أن حقولاً لسانية عديدة قد انتعشت وتطورت من خلال استخدام الحاسبات الالكترونية، لأن استخدام هذه الحاسبات يدفع الباحث اللساني لأن يكون دقيقاً جداً.

فينبغي على عالم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي أن يكون عارفاً بالمشكلات الصوتية والنحوية والدلالية للغات البشرية. فإذا كان عليه أن يستخدم الآلة للترجمات اللغوية فينبغي عليه أن يكون عارفاً بالصيغ الجديدة للتراكيب اللغوية للغة المترجم منها والمترجم إليها.

وهناك بحوث كثيرة ينتظر القيام بها في حقل علم الدلالة. فإذا كان علم الدلالة يصف العلاقة بين الكلمة اللغوية وبين العالم الخارجي الذي تمثله فعندها يجب أن يحصل الحاسب الالكتروني على معارف هذا العالم الخارجي. وهكذا فإن تمثيل المعرفة الخارجية للعالم في الحاسب الالكتروني هي مشكلة أساسية في البحث اللساني الحاسوبي المعاصر.

مداخلة

من خلال تعليقاتك، دكتور هيرمنسون أود أن أسألك سؤالاً آخر. قلت بأن علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي ينبغي أن يتعامل مع علم الدلالة. ولكن هناك عدة علماء لسانيين يعتقدون بأن علم التراكيب هو علم قائم برأسه له مبادئه

ومناهجه. وهذا يختلف عن علم الدلالة الذي لم يستطع أن يكون كذلك. فما هي العلاقة بين مبادئ علم التراكيب وبين مبادئ علم الدلالة؟

ج. هيرمنسون

أعتقد أن العلاقة بين المعنى وبين المبنى هي علاقة حتمية دينامية فاعلة ومنفعلة. ثم إن الجهود المبذولة لفصل علم التراكيب عن علم الدلالة ليست جهوداً مثمرة لأن علم التراكيب لما يصبح علماً قائماً برأسه كما يعتقد بعض الباحثين. أضف إلى ذلك أن هناك حقولاً أهملت على حساب جعل علم التراكيب علماً قائماً برأسه. الواقع إن تركيب النطق الصوتي هو الذي سيحدد معنى الكلمة والعكس صحيح. إن التحاليل التجريبية للأعمال اللسانية والآلية ينبغي أن تعترف بذلك على الرغم من أن بعض المذاهب النظرية تنكر هذا أو تتجنب هذه الحقيقة. إن محاولة صياغة المعنى وإزالة الالتباس في العمل اللساني والآلي يفرض تحديد العناصر الأولية لصياغة المعنى، وذلك لأن الحاسب الالكتروني لا يطيق الالتباس والغموض في المعنى عند التحليل اللغوي.

السؤال الثالث

كما تعرفون إن دخول الحاسبات الالكترونية إلى مجال علم اللسانيات كان قد حدث في السنوات القليلة الماضية. هلّا شرحتم لنا تاريخ نشوء علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي حتى هذا التاريخ؟!.

الجواب

م. زارتشناك

لقد بدأ العمل في اللسانيات الآلية ــ كما تعرف ــ هنا في جامعة جورج تاون عام (1954)، وقد اتخذ العمل في بداياته طابع الترجمة الآلية من اللغات الأخرى إلى الإنكليزية. فالواقع لقد عقد في تلك الآونة من التاريخ مؤتمر حول

اللسانيات الآلية في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا (M.I.T) وقد حضر هذا المؤتمر عالم مشهور في هذا المجال هو العالم دوستير (Dostert) الذي كان عميد كلية اللغات والعلوم اللسانية في جامعة جورج تاون .

وقد كان السؤال الذي يشغل أذهان المؤتمرين هو ما إذا كان باستطاعة الحاسب الالكتروني معالجة المواد اللغوية والتعامل معها . فقد كان البرفسور دوستير جريئاً في هذه المسألة فقال عندها : «إنني سأحاول» وفي الوقت نفسه بدأنا (البرفسور جارفين (Garvin) وأنا) ، بتشغيل الحاسب الالكتروني على اللغة الروسية والإنكليزية . وقد حاولنا وضع نظام آلي للترجمة من اللغة الروسية , إلى اللغة الإنكليزية ، وقد كانت تجربتنا هذه تجربة أولية متواضعة جداً ، وبعدها فحصنا حوالي خمسين تركيباً من اللغة الروسية ومقابلات هذه التراكيب باللغة الإنكليزية وذلك لاستخلاص القواعد التي تنظم هذه التراكيب . وهذا بالطبع كان إسهاماً كبيراً قام به البروفسور جارفين : ما زال أثره واضحاً حتى الآن . إن هذا العالم وضع القواعد الضرورية واللازمة للبرمجة والتي تحقق الغرض المطلوب من المعالجة الآلية حسب نظام الحاسب الالكتروني .

والواقع ينبغي على الباحث في هذا الحقل أن يجد الوسيلة الآلية التي تستطيع إدراك الظاهرة اللغوية المبنية على النظام الحسابي . فإذا استطعنا حل هذه المشكلة أصبح لدينا النظام الآلي الذي يستطيع دراسة النص اللغوي دراسة رياضية حسابية وعلى الباحث عندها أن يجد القواعد المناسبة والدقيقة التي تخبرنا عن كيفية المعالجة الرياضية الحسابية للنصوص اللغوية .

وهكذا فإن إيجاد الوسيلة الآلية المبنية على نظام رياضي حسابي ، ثم إيجاد القواعد المناسبة والدقيقة التي تخبرنا عن كيفية عمل هذا النظام الآلي ، إنما هما عمليتان مهمتان جداً في أي برمجة لسانية آلية ينبغي تطويرها .

لقد بدأت عمليات الترجمات الآلية في الحاسبات الالكترونية من خلال هذه

الطريقة. والواقع، لقد كانت نوعية الترجمة الآلية التي قمنا بها نوعية عالمية ورفيعة بحيث لم يستطع الكثير من الناس الاعتقاد بأن الحاسب الالكتروني يمكنه فعل هذا العمل. لقد شك بعضهم في إمكانية الحاسب الالكتروني على الترجمة الآلية الممتازة. وقد أثار هذا العمل ضجة كبيرة وكتبت عنه مقالات عديدة في مجالات مختلفة حتى أنه أشيع بين الناس بأن هذا العمل اللساني الآلي هو خدعة مصطنعة. لأن الحاسب الالكتروني لا يمكنه فعل ما كان قد فعله.

مداخلة

بروفسور، زارتشناك: لقد ذكرت بأن نشوء علم اللسانيات الحاسوبي ـ المعلوماتي وتطوّره تم بادئ ذي بدء في جامعة جورج تاون. ولكن ماذا حول المحاولات التي تمت في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا؟

م. زارتشناك

لا أعرف أية محاولة مبكرة تمت في ذلك المعهد؛ وذلك لأن كل الأنظمة الآلية للترجمات والتي تُستعمل في الاتحاد السوفييتي وبريطانيا واليابان والصين، إنما هي أنظمة منسوخة عن النظام الآلي المعروف بـ« آلية الشغل العالمية » (I.B.M. = International Business Machine). تلك الآلة التي طُورت في جامعة جورج تاون.

إن ما حصل تاريخياً هو أن العمل في اللسانيات الآلية بدأ هنا في جامعة جورج تاون ومن ثم بدأ يأخذ أشكالاً عديدة تحدد المناهج الموضوعة في الجامعات العالمية. وهكذا فقد تطور العمل في اللسانيات الآلية من وضع نظام للترجمة الآلية إلى وضع نظام الفهارس ثم إلى وضع نظام للملحقات المتعلقة بموضوعات شتى من المعرفة البشرية. ولكن في الحقيقة إن كل هذه الأعمال اللسانية الآلية لم تُعطِ النتائج المرجوة لأنه ينقصها الدعم المالي الكافي. إن المنظمات التي تدعم مثل هذا العمل مثل « المنظمة العالمية الوطنية » (N.S.F = National Science Foundation) كانت

تتوقع نتائج كبيرة وضخمة من هذه الأعمال، وفي وقت سريع جداً، لأن مثل هذه المنظمات أرادت أن تعرض إنتاجية هذه الأعمال في الأسواق العالمية. وهناك بعض المنظمات التي ما زالت تطور هذه الأعمال اللسانية الآلية. ولكن نوعية نتائجها هي نوعية عادية، فليس هناك أية منظمة استطاعت أن تخرج بعمل ذي نوعية جيدة وناجعة.

إن ما يعمله البروفسور فوكوا (Vauquo) على اللغة العربية في فرنسا هو محاولة لوضع برمجة لسانية آلية للغة العربية تشبه تماماً البرمجة اللسانية الآلية الموضوعة في جامعة جورج تاون. وهكذا يمكننا القول بأننا إذا أردنا دراسة أي نظام لساني آلي للحاسبات الالكترونية بشيء من التفصيل فإننا نكتشف بأنه يشبه النظام اللساني الآلي المصمم في جامعة جورج تاون. فإذا لم يكن ذلك كذلك فإن هذا النظام سيمثل الجانب النظري فقط، وليس الجانب التطبيقي الذي يتصف به النظام اللساني الآلي في جامعة جورج تاون.

فلو أخذنا على سبيل المثال كل النشاطات والأعمال اللسانية الآلية التي يقوم بها البروفسور ــ تشومسكي ــ وأتباعه في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا فإننا سنكتشف بأن هذه الأعمال لا تهتم أبداً بالجانب التطبيقي للسانيات الآلية وعلى الأخص الجانب المتعلق بالترجمات الآلية من خلال الحاسب الالكتروني .. إن معظم الكتب التي نشرها البروفسور تشومسكي متعلق باهتماماته الشخصية. ومعظم الباحثين الذين حاولوا الاستفادة من أفكاره من أجل تطوير الترجمة الآلية سرعان ما اكتشفوا أنه لا يمكن تطبيق مثل هذه الأفكار في مثل هذا المجال لأن تشومسكي لم يأخذ بحسبانه كل المشكلات المتعلقة باللسانيات الآلية، كالتعابير الاصطلاحية والمباني التركيبية، والدلاليات، ثم كيفية امتزاج الدلاليات الطبيعية بالقواعد النحوية التركيبية.

إن كل هذه المشكلات ستظهر بوضوح من خلال عمليات الترجمة الآلية

من لغة لأخرى . فإذا أردنا حلولاً معقولة لهذه المشكلات فإن علينا أن نلتفت إلى باحث آخر له باع طويل في هذا الحقل، وأعني به أستاذ تشومسكي ، العالم « زيلغ هاريس » (Zellig Harris) الذي يدرِّس في جامعة بنسلفانيا ، لقد جعل هذا العالم من تحليلاته اللسانية تحليلات تطبيقية بحيث عالج من خلالها المواد اللغوية المقدمة معالجة واقعية تطبيقية . إن كل من عمل مع هذا العالم وجد أن تحليلاته اللسانية الآلية مفيدة جداً للترجمات الآلية .

آ . تكر

من الصعب أن أجيب عن هذا السؤال من وجهة نظر لسانية ، لأنني ، لست باحثاً لسانياً بل أنا باحث في علم الحاسبات الالكترونية فقط . من هنا سأحاول أن أجيب من وجهة نظر الباحث في الآلة والحاسب الالكتروني .

إنني أرى بأن الإسهامات التي قدمتها تكنولوجيا الحاسب الالكترونية للسانيات تنحصر في مجالين اثنين :

المجال الأول : هو أن الحاسب الالكتروني يعمل كأنه أداة عامة تساعد في معالجة النصوص اللغوية وفي توليد الفهارس المبنية على نظام يعرف بـ(K.W.I.C) . إن الحاسب الالكتروني يمكنه تحقيق مهمات عديدة في هذا المجال ، كحساب نسبة حدوث الكلمات في نص لغوي معين . تلك المهمات التي تساعد عالم اللسانيات على فهم البنية التركيبية للغة . ما هي نوعية التراكيب التي تحدث في النصوص اللغوية ، وما هي نوعية الكلمة التي تحدث في نص لغوي معين . ثم كيف يمكن إزالة الالتباس الدلالي المحيط بهذه التراكيب والكلمات ؟

المجال الثاني : هو التحليل الآلي للنصوص اللغوية المكتوبة ثم إعادة تركيبها من جديد . وهناك تجارب عديدة كانت قد تمت في هذا المجال ولا سيما في الترجمات الآلية ، فقد استُخدمت في هذا المجال تقنيات آلية مختلفة لتطوير أنظمة الترجمات الآلية التي تستخدم بشكل واسع نظرياً وتطبيقياً .

والحقيقة إن نظام الترجمات الآلية المصمم في جامعة جورج تاون هو النظام الأكثر استخداماً وشيوعاً من غيره. لقد صُمم هذا النظام الآلي بشكل تام عام (1960) وتستخدمه الآن منظمات عالمية كثيرة: كمنظمة المخبر العالمي المسمى (Oak Ridge International Laboratory) في ولاية تنسيس (Tenneses). هناك أنظمة لسانية آلية دولية أخرى كانت قد طُورت على أساس الأنظمة الآلية الموضوعة في جامعة جورج تاون: كالنظام اللساني الآلي للترجمة من اللغة الإسبانية وإليها، والذي تستخدمه منظمة الصحة للشعوب الأمريكية منذ عام (1980).

والواقع إن جميع هذه الأنظمة الآلية للترجمات ما تزال أنظمة بدائية في قدراتها اللسانية. وبكلمة أخرى: إن هذه الأنظمة الآلية للترجمات ما تزال غير قادرة على أن « تفهم » النص اللغوي الذي تترجمه من لغة إلى لغة أخرى. إنها أنظمة قادرة فقط على ترجمة الكلمة من لغة ما وإيجاد المقابل لها في اللغة الأخرى. وكل هذا يتم من خلال قدرة تحليلية محدودة وبأسلوب سطحي غير عميق. والواقع، إن التجارب المعمولة في حقل الذكاء الاصطناعي قد أظهرت احتمالية كبرى لتطبيق المعارف الدلالية للعالم أو المعارف اللغوية للكلمات على النصوص اللغوية وذلك من أجل التوصل إلى النتائج الجوهرية لبنية الكلام الإنساني. وهكذا أصبح هناك أنظمة لسانية آلية تستطيع أن تحلل النص اللغوي بشكل كامل وتنقله إلى لغة رياضية حسابية عالمية. أي إلى تمثيلات رياضية لا تنتمي إلى لغة بشرية بعينها وإنما تمثل تقنيات عالمية تنطبق على جميع اللغات البشرية. بالإضافة إلى ذلك، فقد أصبح بمقدور الحاسب الالكتروني إعطاء التفسيرات وخلاصات جوهرية معينة لمعلومات عديدة تنتمي إلى حقول بشرية مختلفة.

إن من أهم التجارب الواعدة في هذا المجال تلك التي يقوم بها البرفسور ــ يورك ولكس ــ (Yorick-Wilkes)، الذي يدرّس في جامعة إسكس ــ (Essex) في إنكلترا، وتلك التي يقوم بها البروفسور روجر شانك (Roger Shank)، في جامعة ــ

يال (Yale) في الولايات المتحدة، والمبنية على نظرية وضعها شانك نفسه وتعرف بـ نظرية (تلازم المفهومية) (Conceptual dependency) . وهناك مشروع لساني آلي آخر تقوم به منظمة مجموعة الدول الأوربية التي تدعى (EUROTRA) . ففي هذه المنظمة الأوربية حوالي 35 عالماً يقومون بتطوير نظام لساني آلي للترجمة اللغوية يمكن أن يترجم أية لغة أوربية رسمية إلى لغة أوربية أخرى. فاللغات الأوربية التي يمكن لهذا النظام معالجتها هي الفرنسية، الإنكليزية، الإسبانية، الدانماركية، الألمانية، اليونانية ثم الإيطالية، تقوم فكرة هذا المشروع الأوربي على تطوير نظام لساني ـ آلي للترجمة. هذا النظام يمكن أن يعطي برمجة قادرة على أن تترجم نصاً لغوياً من أية لغة من هذه اللغات الأوربية إلى أخواتها الأخريات. هذه الخطة الطموحة هي نتيجة لجهود دول عديدة تدعمها مجموعة دول السوق الأوربية المشتركة. ويتوقع العلماء العاملون في هذه الخطة بأن إنجاز عمل كهذا يحتاج إلى عشر سنوات على الأقل وبتكلفة تبلغ حوالي عشرة ملايين دولاراً أمريكياً. إن إنجاز هذا المشروع سيقدم نجاحاً ونتائج باهرة جداً في حقل علم اللسانيات الحاسوبي المعلوماتي.

من هنا: لا أرى أي مسوغ لعدم شمول مثل هذا المشروع الأوربي للعديد من اللغات البشرية الحضارية: كالعربية، والروسية، والصينية، واليابانية، ولغات عالمية أخرى يمكن أن يكون استعمالها أشمل وأوسع من اللغات الأوربية المذكورة، لأن هناك ملايين الناس الذين يتكلمون الصينية والعربية، فمثل هذه اللغات العالمية ينبغي أن تكون موضوعاً يعالج في الحاسبات الالكترونية وذلك من أجل ترجمة آلية مفيدة وناجعة.

والواقع إنني الآن بصدد خطة لسانية ـ آلية هدفها أن تترجم أية لغة من هذه اللغات الخمس التالية إلى اللغة الإنكليزية (الروسية ـ العربية ـ الإسبانية ـ اليابانية ـ الصينية) إن هذه الخطة عمل خارج عن نطاق مجموعة دول السوق الأوربية المشتركة التي تكلمت عنها منذ قليل. وربما يكون لهاتين الخطتين: الأوربية

والأمريكية أن تلتقيا في المستقبل لتنسّق خطة واحدة، ولكن يبدو هذا مشروعاً طموحاً وضخماً.

ويمكنني القول في هذا المجال بأن هناك مظهراً مهماً جداً للخطة التي تقوم بها مجموعة دول السوق الأوربية المشتركة والمسماة (EUROTRA)، وهو أن لهذه الخطة لغة آلية ــ رياضية عالمية واحدة تسمح بتوليد الترجمات اللغوية إلى اللغات الأوربية المذكورة.

أما عن الخطة الأمريكية التي أقوم بها في جامعة جورج تاون، هنا، والتي تهدف إلى وضع نظام لساني آلي للترجمة مبني على اللغة العربية، والروسية والإسبانية واليابانية ثم الصينية، فإن هناك عدة باحثين يعملون في هذا المشروع منهم البروفسور زارتشناك، والبروفسور سارة، والواضح أن البروفسور سارة وهو من أصل عربي عراقي ــ خبير في اللسانيات الحاسوبية ــ المعلوماتية، وهو يعرف تماماً المعايير العالمية اللسانية التي هي مهمة بالنسبة للغة الرياضية ــ الآلية العالمية. أما البروفسور زارتشناك فهو خبير لساني في الأمور الدلالية والأمور اللسانية الآلية نستطيع أن نستعين بخبرته في الترجمات اللسانية ــ الآلية من الروسية إلى الإنكليزية أما فيما يتعلق بي فإنني أعرف تماماً المظاهر الآلية للحاسبات الالكترونية، ثم أعرف برمجات هذه الحاسبات الالكترونية وتصميماتها.

وهكذا فإننا نعمل نحن الثلاثة في هذه الخطة التي تهدف إلى تطوير نظام لساني آلي ذي لغة رياضية ــ لسانية واحدة من أجل الترجمة الآلية للغات الخمس المذكورة. وأعتقد بأن التكنولوجيا المعاصرة ستمدنا في المستقبل بنظام آلي ــ لساني لا يختص بمجموعة من اللغات، فحسب بل إنه سيكون قادراً على التعامل مع جميع اللغات البشرية وترجمة بعضها إلى بعض ترجمة آلية سريعة تتفق والمعطيات الحضارية للتكنولوجيا المعاصرة.

مداخلة

بروفسور تكر، لقد ذكرت بأن التطورات التي حصلت لعلم اللسانيات الحاسوبية ــ المعلوماتية إنما تمت في جامعة جورج تاون، وتراني أعيد السؤال نفسه الذي طرحته على البروفسور زارتشناك وهو: ماذا حول المحاولات التي تمت في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا؟

آ. تكر

لا أعرف أي شيء عن المحاولات الجارية في حقل اللسانيات الحاسوبية ــ المعلوماتية في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا.

مداخلة

بروفسور تكر ما هو الاختلاف بين الترجمات الآلية كتلك التي تقوم أنت بتطويرها وبين الترجمات الفورية الموجودة في هيئة الأمم المتحدة؟

آ. تكر

إن ما أقوم به هو تطوير نظام لساني ــ آلي قادر على أن يعالج نصوصاً لغوية مكتوبة كثيرة كتلك النصوص المهيأة والمعدة للنشر والتي تتعلق بمعرفة معينة من المعارف البشرية كموضوع الصحة العامة، أو موضوع الفيزياء النووية، فهذه الموضوعات لها مفرداتها الخاصة بها. فبما أنها مهيأة للنشر فينبغي أن تكون مصوغة بأسلوب رفيع جداً.

أما النظام الآلي للترجمة الفورية في هيئة الأمم المتحدة فإنه يعالج موضوعات متكلمة (منطوقة) غير متماسكة من الوجهة الكتابية، ولا يمكن نشرها لأنها لم تكتب بأسلوب مركز ورفيع. إنه من الصعب جداً للحاسب الالكتروني أن يحلل ويركب هذه الموضوعات بنفس الأسلوب الذي يستطيع فعله في النصوص اللغوية المكتوبة.

إن العمل في هيئة الأمم المتحدة ليس عملاً شكلياً دقيقاً. أضف إلى ذلك أن

العمل هناك يتطلب ترجمة فورية سريعة من اللغة المتكلمة إلى لغات بشرية أخرى فليس هناك مجال لصقل هذا الكلام ووضعه في صيغة علمية دقيقة. إن ما نفعله نحن في الترجمة الآلية هو أن نقدم ترجمة أولية ثم نقدم هذه الترجمة إلى مدقق ومصحح يعيد تدقيقها وتصحيحها. وبهذا فإن الحاسب الالكتروني سيعالج نصوصاً دقيقة جداً ومصححة من قبل الإنسان. هذه الميزة من الإعادة والتدقيق للنصوص اللغوية ليست متوفرة في أنظمة الأمم المتحدة وترجماتها الفورية. وذلك لأنه يجب على المترجم في الأمم المتحدة أن يعطي ترجمة فورية للمستمعين، هذه الترجمة مبنية مباشرة على الكلام السريع الذي يسمعه بنفسه. والواقع أن تكنولوجيا الترجمة الآلية التي نتعامل معها في الحاسب الالكتروني لم تبلغ مستوى الترجمة الفورية التي تقوم بها أنظمة الأمم المتحدة لأن الحاسب الالكتروني عندنا لا يستطيع أن يفهم النص اللغوي المقدم إليه أو الذي يسمع صوته بالإضافة إلى أن الحاسب الالكتروني يواجه صعوبات جمة بالتعامل مع اللغة المنطوقة (المتكلمة) وهذا يختلف بالطبع عن أنظمة الأمم المتحدة للترجمات الآلية التي تعتمد أكثر مما تعتمد على اللغات المنطوقة (المتكلمة). وباختصار إن معالجة الحاسب الالكتروني للغة المنطوقة يبدو أمراً صعباً جداً في التكنولوجيا الحالية. إن علينا أن ننتظر على الأقل عشر سنوات لنرى ما إذا كان بالإمكان التغلب على هذه الصعوبة.

ج. هيرمنسون

أود أن أرجع في هذه المسألة إلى البروفسور مكدونالد (MCdonald) والبروفسور زارتشناك (Zarechnak) اللذين رافقا نشأة الحاسب الالكتروني وتطوره ومعالجته للغات البشرية ولكن باختصار أستطيع أن أقول بأن خمسينات هذا العصر وستيناته شهدت اهتماماً كبيراً بالحاسب الالكتروني وأصبحت المنظمات العالمية تدعم مثل هذه الآلة ولا سيما بعد نجاح الحاسب الالكتروني في معالجة اللغات البشرية وترجمتها وتحليلها، ثم بعد المفاجأة التي تم فيها اختراع القمر الصناعي

السوفييتي من قبل الروس. ذلك الاختراع الذي ولد حب التنافس العلمي عند عامة الأمريكيين. والحقيقة عندما اكتشف العلماء الأمريكيون أنه يمكن للحاسب الالكتروني أن يترجم بعض الدوريات العلمية الروسية إلى اللغة الإنكليزية، فإن الأموال بدأت تتدفق لتدعم هذا العمل العلمي ولكن تدفق الأموال كان تدفقاً مبعثراً موزعاً على عدة أقسام سواء أكان ذلك في وزارة الدفاع أم في جامعات أمريكية عديدة. وهكذا فإن كل جهة من هذه الجهات بدأت تطور منهجاً آلياً للترجمة الآلية يختلف عن بقية المناهج. ونتيجة ذلك التبعثر المادي بدأ الدعم المالي يتقلص في نهاية الستينات وبداية السبعينات لأن نتائج البحث في هذا المشروع لم تعطِ أُكُلَها بعد، وقد اكتشف العديد من الباحثين بأن ما كان يُتصور على أنه مشكلة بسيطة إنما هو معقد جداً ويحتاج إلى بحث دقيق ووقت كافٍ. ويمكن أن نقارن حالة الباحثين هذه على سبيل المثال بالحالة التي من خلالها يتصور المرء بأنه يستطيع الوصول إلى القمر لذلك تراه يتسلق جبلاً شاهقاً للوصول إلى قمته. والواقع مما لا ريب فيه أن هذا الإنسان هو الآن في موقع قريب من القمر بعد أن تسلق هذا الجبل الشاهق ولكن مثل هذه الطريقة من التسلق لن توصله إلى القمر أبداً. ولكن بعد خطوات عديدة فإنه سيكون من أعقد الأمور الوصول إلى القمر وخاصة عندما ندرك المشكلة تمام الإدراك.

وبما أن الاهتمام الخاص في القطاع التجاري لم يكن إلا لعهد قريب فإن العمل لتحسين الحاسب الالكتروني لم يُطور تطويراً جدياً ومثمراً حتى نهاية الستينات حتى إن العمل الجاد في الترجمة الآلية لم يعطِ ثماره إلا في أواخر السبعينات أيضاً.

والواقع إن الأعمال اللسانية الآلية الحالية تبحث في موضوعات عديدة أخرى مثل: الإدراك الآلي للكلام، والتحليل الآلي للكلام، والتركيب الآلي للكلام، وموضوعات لسانية أخرى هدفها تطوير حقل جديد في هذا الميدان ألا وهو حقل الذكاء الاصطناعي.

مداخلة

بروفسور هيرمنسون : ماذا تعرف عن علم اللسانيات الحاسوبي المعلوماتي الذي يطوره الباحثون في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا .

ج . هيرمنسون

الواقع إنني لست على اطلاع على العمل اللساني الآلي الذي يقوم به الباحثون في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا على الرغم من اعتقادي بأن تطوير البحوث النظرية في اللسانيات الآلية ثم تطوير حقل الذكاء الاصطناعي يدين بشكل كبير إلى ما قد تمّ تطويره في هذا المعهد .

السؤال الرابع

ما هي في رأيكم التحديات الجدية التي واجهها علم اللسانيات الحاسوبي ـــ المعلوماتي في السنوات القليلة الماضية ولا سيما في حقل الترجمات الآلية .

الجواب

م . زارتشناك

إن التحديات الصعبة التي يواجهها علم اللسانيات الحاسوبي ـــ المعلوماتي هي الحاجة الماسة إلى وضع نظام دلالي للترجمات الآلية . لقد كان الاعتقاد السائد في المراحل الأولى للسانيات هو أنه يمكننا الاكتفاء بإدراك المعنى المتعلق بالمفردات المورفولوجية الصرفية وبالصيغ النحوية التركيبية . فإذا ما تم ذلك فإنه يمكننا تحويل هذه المفردات والصيغ إلى اللغة المترجم إليها . ولكننا ندرك الآن كباحثين لسانيين أن المفردات الصرفية والصيغ التركيبية يمكن أن تكون لها أكثر من دلالة ولا سيما إذا جاءت في سياقات مختلفة .

من هنا فإنه يجب أن يكون هناك اتجاه دلالي جديد لمعالجة النصوص اللغوية معالجة آلية . فلم يعد التحليل اللساني يعتبر الجملة أو التركيب أكبر وحدة لغوية

دلالية بل تعدى التحليل اللساني الحديث دلالة الجملة إلى دلالة المقطع اللغوي على أنه أكبر وحدة دلالية .

من هنا ، فقد بدأ التحليل اللساني يدرس بنية هذا المقطع اللغوي ، ملاحظاً بداياته ونهاياته . إن كل مقطع لغوي يشكل حيزاً صغيراً في ذلك الكل الكبير الذي يدعى النص ، وهذا بالطبع يحثنا على أن نعير انتباهنا إلى الحقول اللغوية العديدة المندرجة تحت اللغة والتي يمكن أن تكون طبية أو كيميائية أو اقتصادية أو فيزيائية . فإذا ما انتبهنا إلى هذه الحقول اللغوية فإننا سنكتشف أن التوزيع الإحصائيّ للكلمات سيختلف من حقل إلى حقل آخر . ذلك لأن بعض الكلمات لا تحدث إلا في حقل معين من هذه الحقول . ويمكنها أن تحدث في حقل آخر . حتى إن القواعد الحاكمة والضابطة لهذه الكلمات ستختلف من حيث توزيعها وذلك حسب اختلاف نوعية الحقل المعالج على الرغم من أن القواعد اللغوية واحدة في كل هذه الحقول .

نستنتج من ذلك أنه من الضروري الاستعانة بعلم الدلالة في هذه الحالات . إن بعض القضايا اللسانية ، كنظام ترتيب الكلمات مثلاً ، سيغير المعنى تماماً في الجملة كما هو الحال في هاتين الجملتين :

(هو يعيش على نحو بسيط)	(1) He lives simply
(هو على نحو بسيط يعيش)	(2) He simply lives

فعندما نطبق المعايير التركيبية والمعايير الدلالية ينبغي علينا أن نعرف المواضع العادية التي تحدث فيها الكلمات لأنه يمكن أن نصطدم بظاهرة لغوية ما تحدث في نص لغوي لا يمكنها أن تحدث في اللغة المدروسة أبداً ، الأمر الذي يجعلنا لا نستطيع أن نفهم هذه الظاهرة . من هنا فإنه لا يمكننا الاعتماد فقط على المنهج الذهني لتحليل النصوص اللغوية بل ينبغي علينا أيضاً الاعتماد على المنهج الظاهري . وذلك لمعرفة اللغة المترجم إليها . وهذا يعني أننا يجب أن نعير انتباهنا إلى المعايير الاجتماعية والاقتصادية

والثقافية لتلك اللغة. فإذا لم نأخذ بالحسبان هذه المعايير كلها أثناء المعالجة الآلية للترجمة، فإن نوعية هذه الترجمة وطبيعتها ستكون سيئة وغير مفهومة.

آ. تكر

أعتقد بأن أهم تحد يواجه علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي وخاصة في مجال الترجمة الآلية هو: ما إذا كان بالإمكان توحيد عدة حقول في المعرفة البشرية من أجل وضع نظام لساني آلي ناجح للترجمة الآلية. هذا النظام اللساني الآلي الناجح للترجمة الآلية ينبغي أن يُوظف لخدمة أهداف عملية تطبيقية. وبكلمة أخرى إن هذا النظام اللساني الآلي ينبغي أن يوظف لخدمة الإنسانية جمعاء في طريقة عملية ملموسة لحل المشكلات المحيطة بالإنسانية:

فإذا أردنا لهذا النظام أن يحقق هذا الهدف فلا بد من توحيد العلوم التي يمكن أن تطور هذا النظام ودمجها مع بعضها بعضاً، كعلم اللسانيات وعلم الحاسبات الالكترونية وعلم الذكاء الاصطناعي وعلم الهندسة الالكترونية والميكانيكية. فكل هذه العلوم يجب أن تتوحد في طريقة ما تمكنها من تقديم نظام عالمي آلي لترجمة اللغات البشرية بعضها إلى بعض، والحقيقة، يميل علماء اللسانيات في أبحاثهم للعمل بأنفسهم إلى حل المشكلات اللسانية، وكذلك يفعل علماء الحاسبات الالكترونية وعلماء الذكاء الاصطناعي لحل المشكلات الآلية والمشكلات المتعلقة بهذا الحقل ثم لتطوير أنظمة آلية تستطيع أن تقلد الإنسان في فهم حالات معينة، فلم يفكر أحد هؤلاء العلماء في توحيد كل هذه العلوم بعضها مع بعض ليخرج بصيغة شاملة وكاملة لتحقيق الهدف اللساني الآلي الذي تحدثنا عنه.

وأعتقد بأن هناك الآن رغبة شديدة عند العلماء لتوحيد هذه العلوم. إن دينامية هذه الرغبة تظهر من خلال المشروع الذي تقوم به مجموعة دول السوق الأوربية المشتركة (EUROTRA) ذلك لأن الأوربيين يميلون عادة إلى تخصيب العلوم وتوحيدها أكثر من الأمريكيين. إن السلوك العلمي الأمريكي في هذا المجال يعد

سلوكاً بدائياً ولا سيما في دراسة اللغات بشكل عام. ربما عشت في أوربة أو كنت هناك لبعض الوقت ولاحظت هذا السلوك فإنك تستطيع أن تفهم المنظور الفلسفي الأوربي حول العالمية لحل المشكلات بشكل عام وحول العالمية لحل المشكلات اللغوية بشكل خاص.

وهذا يختلف بالطبع عن المنظور الفلسفي الأمريكي حول الخصوصية الشديدة للمعارف البشرية. أعتقد بأنه إذا استمر الأمريكيون في هذا السلوك فإنه سيكون خطراً عليهم إذا ما قورنوا بالأوربيين.

إن عند الأوربيين الحس العلمي والأفضلية العالمية على الأفضلية المحلية لحل المشكلات الإنسانية. إن هذه الأفضلية العالمية والحس العالمي مناخ ملائم جداً لحل المشكلات اللغوية العالمية. وربما يعود السبب في ذلك إلى أن الأوربيين يتعاملون مع القضايا العالمية بشكل يومي، أما السلوك في الولايات المتحدة فإنه يختلف بشكل جذري. فعندما يحاول شخص ما المجيء إلى الولايات المتحدة، فيجب عليه مباشرة أن يتعلم الإنكليزية وإلا فإنه لن يبقى على قيد الحياة، فتصور هذه المشكلة.

مداخلة

من هنا يمكننا أن نستنتج أن تقنيات التعلم للغات الأجنبية في أوربة مختلفة جداً عن تقنيات التعلم في الولايات المتحدة. لهذا يمكننا أن ننصح الطلبة الذين يريدون تعلم العربية وآدابها مثلاً أن يدرسوا في أوربة وليس في الولايات المتحدة.

آ. تكر

إن هذا محزن جداً. إنني أجد صعوبة كبيرة في فهم السلوك الأمريكي الذي يسبب هذه المشكلة ويجعلها ضرورية جداً في الثقافة الأمريكية.

ج. هيرمنسون

إن أضخم تحدٍ يمكن للسانيات الحاسوبية ــ المعلوماتية مواجهته هو محاولة

الباحثين وضع مدونة آلية للغة العربية أو للغة الصينية أو اليابانية ، يمكن للحاسب الالكتروني معالجتها وترجمتها إلى اللغة الإنكليزية . إن كل الطاقات اللغوية المراد تخزينها في الحاسب الالكتروني إنما تتم من خلال لمس الحاسب الالكتروني (من خلال الضغط على أزرار أو لوحة المفاتيح) . وليس من خلال التحدث مع الحاسب الالكتروني .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : كيف يمكننا تقديم الطاقات اللغوية المكتوبة بأبجدية أجنبية كالأبجدية العربية أو الصينية أو اليابانية ثم تخزينها في الحاسب الالكتروني المصمم آلياً وفق الأبجدية اللاتينية (ومنها الإنكليزية) ؟ . الواقع هناك الكثير من البحوث المتقدمة في العالم والتي ما زالت تعالج هذه المشكلة اللسانية الآلية وتضع الحلول الناجعة لها .

السؤال الخامس

كما تعلمون عندما نريد أن نخزن برنامجاً لغوياً ما في الحاسب الالكتروني فيجب علينا أن نستخدم الأبجدية اللاتينية ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : كيف يمكن للحاسب الالكتروني تخزين البرامج اللغوية التي لم تكتب بالأبجدية اللاتينية كالأبجدية العربية والأبجدية الصينية وكيف يمكنه في الوقت نفسه معالجة هذه البرامج ؟ .

الجواب

م . زارتشناك

ليست هذه المشكلة عظيمة الآن لأن المعلومات تخزن عادة في ذاكرة الحاسب الالكتروني المصمم وفق صياغة آلية مؤلفة من القطع الآلية الممغنطة التي بدورها تسجل وتقتفي أثر المواد اللغوية . فإذا أخذنا على سبيل المثال ، النظام الحسابي العددي ، فإنه سيكون لدينا فقط مجموعة من الأصفار (000) والواحدات

(1.1.1) وذلك لأن كل شيء في ذاكرة الحاسب الالكتروني عبارة عن هذه الأصفار والواحدات .

وهكذا فإن العدد « صفر » (0) يمثل غياب المواضع المغنطة ، وإن عدد « الواحد » (1) يمثل ظهور هذه المواضع المغنطة ، بالإضافة إلى ذلك يمكننا تطوير إشارات معينة إضافية من أجل إدراك « السلاسل » اللغوية التي ينبغي علينا أن نعتبرها إشارات معينة خاصة للنظام الأبجدي اللاتيني . فإذا حصلنا على هذا النظام الآلي الدقيق يمكننا عندها أخذ أبجديات لغوية ليست لاتينية ، كالأبجدية العربية والأبجدية الصينية وتحويل رموز هذه الأبجديات إلى أصفار (000) وإلى واحدات (1.1.1) . فإذا فعلنا ذلك فإنه يمكننا بعدها أن نُدخل إلى هذا النظام جهاز الآلة الكاتبة (المرقنة) والتي سيبدو وكأنه عربي في صفاته ومميزاته وأبجديته . فإذا ضغطنا على أزرار لوحة المفاتيح في الحاسب الالكتروني سنرى على شاشته سلسلة من النقاط (....) وسلسلة من الخطيطات أو الشرطات (———) .

وكما تعرف ، هناك آلات كاتبة كهربائية في التكنولوجيا الحديثة مصممة للغة العربية فقط . أتذكر عندما بدأ الباحثون باختراع هذه الآلات ، فإن الشركات المهتمة بها كانت تطلب بشدة من هؤلاء الباحثين أن يأخذوا بعين الاعتبار الخط اليدوي العربي ، وأن يحاولوا رسمه على هذه الآلات الكهربائية الكاتبة . وبهذا فإن التدوين العربي التقليدي سيحُفظ في إطار التكنولوجيا والعلم .

فإذا انطلقنا من نظام الأصفار (000) والواحدات (1.1.1) والخطيطات أو الشرطات (———) المصممة في الحاسب الالكتروني ، يمكننا بعدها أن نأخذ أي شكل أبجدي لغوي عالمي وأن نصوره على سطح الآلة الكاتبة . في حين أن النظام الداخلي لذاكرة الحاسب الالكتروني سيكون واحداً ، ذلك لأنه نظام مبني على لغة رياضية عالمية .

من كل هذا نستنتج بأنه ليس هناك مشكلة من وجهة نظر لغوية ، إن

المشكلة القائمة هي مشكلة من وجهة نظر تجارية ، أي من وجهة نظر بيعها كآلة في الأسواق التجارية .

آ . تكر

هناك عدد من المهندسين الالكترونيين كانوا قد صمموا عدة حاسبات الكترونية تستطيع أن تتكلم العربية والصينية ، وذلك منذ ثلاث سنوات خلت .

هذه الحاسبات مجهزة بمجموعة من الحروف الأبجدية العربية وبمجموعة من الميزات العربية الأخرى المصفوفة على لوحة المفاتيح . فإذا اشتغل هذا النظام المصمم على أساس من الميزات التي تسم اللغة العربية ، فإننا سنحصل على معلومات مكتوبة بالعربية على شاشة الحاسب الالكتروني .

بالإضافة إلى ذلك ، إن هذا الحاسب مزود بطابعة صغيرة تستطيع أن تطبع كل ما يمكن أن يُرى على الشاشة باللغة العربية .

وهكذا ليست هناك أية مشكلة عندما نريد أن نخزِّن برنامجاً لغوياً باللغة العربية في ذاكرة الحاسب الالكتروني . لقد حل المهندسون الالكترونيون هذه المشكلة ، ولكن هذا الحل لم يتم إلا في السنوات الثلاث الماضية .

تدعى الشركة التي أتعامل معها (C.P.T) هذه الشركة نشيطة جداً في هذا المجال ، ولا يقتصر عملها على تصميم الحاسبات الالكترونية للأبجدية العربية فحسب ، بل إنها تعمل على تصميم حاسبات الكترونية للأبجدية الصينية أيضاً . وأستطيع أن أريك كراسات عديدة فيها معلومات وصور حول هذه التصميمات الصادرة عن الشركة نفسها ، إن مثل هذه الأعمال اللسانية الآلية هي أساس مهم جداً إذا أردنا تصميم حاسب الكتروني عالمي للترجمات الآلية . وبكلمة أخرى ، إذا أردنا تصميم حاسب الكتروني عالمي ينبغي علينا أن نأخذ باعتبارنا كل الميزات الخاصة بالأبجديات اللغوية العالمية . وهكذا إذا أردنا تخزين برنامج لغوي عربي في

ذاكرة الحاسب الالكتروني فإننا لسنا بحاجة إلى تحويل هذا البرنامج من الأبجدية العربية إلى الأبجدية اللاتينية .

فمن خلال الثورة التكنولوجية هذه يمكننا أن نخزن أي برنامج لغوي في الحاسب الالكتروني من خلال أبجدية اللغة المعالجة نفسها . فإذا كنا نعمل على برنامج لغوي روسي فيمكننا تخزينه مباشرة في ذاكرة الحاسب الالكتروني باللغة الروسية .

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على الاتجاه العالمي لتكنولوجيا اللسانيات الحاسوبية ــ المعلوماتية .

ج . هيرمنسون

إن هناك عدة مناهج لسانية آلية مختلفة ، ولكن ليس هناك منهج معياري واحد . هذه هي إحدى مشكلات علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي ، وعلم الذكاء الاصطناعي ، فليس هناك منهجية معيارية واحدة في هذا الحقل ، بل هناك مناهج متعددة ، لأن هذه المناهج وضعت في العديد من بلدان العالم وفق اهتمامات أفرادها لحل مشكلات محددة .

والواقع ، إن هناك طرائق كثيرة لتحويل الأبجدية العربية أو الأبجدية الصينية إلى الأبجدية اللاتينية . أما الحال فيما يتعلق بالأبجدية الروسية ، فإن هناك نظاماً خاصاً لها كان قد صُمم في جامعة جورج تاون منذ عهد لابأس به ، فيوجد بذلك نظام للأبجدية اللاتينية ومقابلاتها الروسية على لوحة مفاتيح الحاسب الالكتروني .

أما فيما يتعلق باللغة الصينية والتي هي لغة مرسومة فإن لها مشكلة خاصة . فبما أن هذه اللغة تُظهر بشكل مكثف ما يعبر عنه بالإنكليزية (Homophony) ، أي الكلمات متماثلة في اللفظ ومختلفة في المعنى والرسم كما في (Right-Write) فإن الرسم اللاتيني مع شيء من النغمة الصوتية الصينية يسبب التباسات عديدة

لا تحصى، ثم إن الشفرات التلغرافية في حال تخفيض هذه الالتباسات غير مقروءة بشكل واضح بالنسبة للإنسان العادي الذي يخزن المواد اللغوية، أو الذي يفسر الحصيلة اللغوية الناتجة عن الحاسب الالكتروني.

إن أغلب الطاقات أو الجهود التي تبذل لحل المشكلات تقترح بأنه لا بد من وضع منهجية معيارية عالمية واحدة للتعامل مع الحاسب الالكتروني، ولكن البحث في هذه المنهجية المعيارية في التكنولوجيا المعاصرة والوصول إليها، ليست بعيدة نتائجها.

مداخلة

أعتقد بأن هناك بعض البحوث الجارية في هذا الميدان في جامعة هارفرد لوضع منهجية معيارية عالمية للحاسب الالكتروني، وأعتقد بأن الأبجدية العربية للتدوين الآلي لها حظ من البحث والاستقصاء ضمن إطار هذه المنهجية المعيارية.

ج . هيرمنسون

ما تقوله صحيح، وأظن أن هناك لوحات من المفاتيح العربية المصممة في الحاسب الالكتروني والتي يمكن أن تعالج النصوص اللغوية العربية مباشرة دون نقلها إلى الحروف اللاتينية، فليست المشكلة في الحاسب الالكتروني، وليست المشكلة متعلقة بكيفية جعل ما يخزن في الحاسب الالكتروني مفهوماً بطريقة آلية كهربائية. إن المشكلة متعلقة بكيفية تقديم التسهيلات لِمُستخدِم الحاسب الالكتروني الذي يريد معالجة برامج لغوية ليست مدونة بالأبجدية اللاتينية، ثم تفسير الحصيلة الناتجة من هذه الحاسبات الالكترونية.

أظن أن البروفسور زارتشناك والبروفسور تكر يعملان في هذا الموضوع، وأظن أنهما قالا ما فيه الكفاية حوله.

السؤال السادس

كثيراً ما يستشهد أساتذة المواد اللسانية الحاسوبية ـــ المعلوماتية المدرَّسة في جامعة جورج تاون بالأبجدية الروسية، وبالمعاجم الروسية، ثم بالترجمات الآلية من اللغة الروسية إلى اللغة الإنكليزية. ما هي طبيعة التنافس التكنولوجي اللساني بين الاتحاد السوفييتي وبين الولايات المتحدة في هذا المضمار؟

الجواب

م . زارتشناك

الواقع إن علماء اللسانيات الحاسوبية ـــ المعلوماتية في الاتحاد السوفييتي هم أكثر حظاً وقوة وعلماً في المجال النظري من علماء اللسانيات الحاسوبية ـــ المعلوماتية في الولايات المتحدة ويعود السبب في ذلك إلى النظام السياسي المتّبع هناك، فالبرامج اللغوية الآلية، في روسيا تفرض فرضاً من قبل المسؤولين الذين يديرون شؤون الكمبتة اللسانية، لذلك تجد هناك المئات من الباحثين يُكلفون بالعمل في هذه البرامج اللغوية الآلية دون مناقشة أو تعديل نابع من وجهات نظرهم. والواقع، عليَّ أن أقول الحقيقة في هذا المجال؛ فعندما كنت في الاتحاد السوفييتي منذ ثلاث سنوات، اكتشفت من عدة باحثين هناك أنهم يحبّون مثل هذا الأسلوب، بغض النظر عما إذا كانوا مكلفين بالعمل في هذه البرامج أم أنهم هم أنفسهم جاؤوا تطوّعاً للعمل فيها، مما لا ريب فيه وحسب اعتقادي في هذا المجال، أن المظاهر النظرية للسانيات الحاسوبية ـــ المعلوماتية هي متقدمة جداً هناك، ذلك لأن الباحثين السوفييتيين طوّروا نظريات عديدة في هذا الحقل.

لدي هنا كتاب يتألف من مجلدين، يدور حول تحليل البنية اللغوية الإنكليزية وتفكيكها. هذا الكتاب كان قد أُلّف في الاتحاد السوفييتي ويحوي لغات أُخرى غير الإنكليزية، كالعربية واليابانية والكورية والصينية والهندية، إن هذه اللغات تُبحث بحثاً نظرياً عميقاً في الاتحاد السوفييتي ومن وجهة نظر آلية.

ولكن المجال العلمي الذي ما يزالون متأخرين جداً فيه إذا ما قورنوا بالولايات المتحدة واليابان ، هو مجال التكنولوجيا اللسانية . إن تكنولوجيا الحاسبات الالكترونية في الاتحاد السوفييتي هي صورة منسوخة عن تكنولوجيا الحاسبات الالكترونية الغربية . ويعود السبب في ذلك إلى أنهم لا يريدون شراء التكنولوجيا لعدة أسباب تتعلق بالعملة الصعبة والكرامة الوطنية؛ فعندما ينشرون أي بحث عن الحاسبات الالكترونية ، فإنهم سرعان ما يدّعون بأنه من نتاج حاسباتهم الالكترونية ، والواقع إن شراء التكنولوجيا الغربية بالعملة الصعبة ليس بالأمر السهل ، لأن الباحثين السوفييتيين يستخدمون الحاسب الالكتروني لأهداف عسكرية ، فكثيراً ما يشكو علماء اللسانيات الحاسوبية ــ المعلوماتية هناك من هذا الموضوع عندما ينشرون مقالاتهم في الدوريات . فعلى سبيل المثال لدي بعض الدوريات التي تنشر في أواسط الاتحاد السوفييتي ، منها هذه المجلة التي تدور حول موضوع واحد يقع تحت عنوان : **مشكلات اللسانيات** ، ففي هذه المجلة نجد أن الباحثين السوفييتيين يشكون من جوع حاسباتهم الالكترونية ، إنهم لا يجدون أي وسيلة تمكنهم من استعمال الحاسبات الالكترونية ، لذلك فإنهم يضطرون لمعالجة الموضوعات والبرامج اللغوية بأنفسهم دون استخدام الحاسبات الالكترونية ، لقد اعترفوا بهذه الحقيقة عندما كنت هناك ، إنهم ليسوا أحراراً في استخدام الحاسب الالكتروني ، كما هو الحال عند علماء اللسانيات في الولايات المتحدة .

لقد اقترحتُ آنئذٍ بأنه سيكون من المفيد جداً للدول أن تعمل مع بعضها بعضاً في هذا المجال ، لأن المعالجة اللسانية الآلية للغات هي مهمة كبيرة في نوعيتها وكميتها ، بحيث لا تستطيع أي دولة بمفردها انجاز ما هو مطلوب في هذا الميدان ، والتوصل إلى النتائج المرضية لحل المشكلات اللسانية الآلية ، كالمشكلات المتعلقة بايجاد نظام عالمي للترجمات الآلية ، والمشكلات المتعلقة بعالمية الدلالة وعلاقتها بالبرمجة الآلية .

إن أي مشكلة لسانية ـــ آلية تخص الانسانية جمعاء، ستجد أنجع الحلول إذا عولجت من قبل لجان عالمية. ومن جهة أخرى فإنني من خلال تأكيدي على العمل الجماعي العالمي، فإنني لا أعني بأن العمل على المستوى الوطني المحلي الذي يخص كل دولة بمفردها ينبغي أن يُتجنب، إنه على العكس من ذلك، فالعمل الوطني المحلي يجب أن يستمر، وذلك من أجل أهداف محلية وطنية، إن ما أعنيه هو أنه ينبغي أن يكون هناك محاولة للتوفيق والتنسيق بين الأهداف العالمية والأهداف المحلية الوطنية، وذلك من أجل تكنولوجيا أنجع وأفضل للسانيات الحاسوبية ـــ المعلوماتية.

آ . تكر

لست مطلعاً على ما يفعله الباحثون في الاتحاد السوفييتي في هذا المجال، أعرف أن لديهم إمكانيات جيدة جداً لترجمة النصوص اللغوية من اللغة الإنكليزية إلى اللغة الروسية، وأعرف أن أنظمتهم الآلية للترجمة قد طوّروها بأنفسهم، أعتقد بأنه يمكننا مقارنة إمكانياتهم اللسانية ـــ الآلية بإمكانيات الباحثين الأمريكيين اللسانية ـــ الآلية، ولكن لم تتح لي الفرصة أن أدرس التطور الذي أحرزوه في هذا المجال.

إن البروفسور زارتشناك يعدّ باحثاً وعالماً كفئاً للتحدث في هذا الموضوع.

ج . هيرمنسون

ليست اللغة الروسية واحدة من اللغات التي أعرفها، لذلك أعتقد بأن البروفسور زارتشناك قد أجاب عن هذا السؤال إجابة جيدة، لأن له تجربة غنية في هذا الحقل، وقد طور نظاماً للترجمة الآلية من اللغة الروسية إلى اللغة الإنكليزية في جامعة جورج تاون.

أما فيما يتعلق بالمقارنة والتنافس اللساني الآلي بين الاتحاد السوفييتي وبين الولايات المتحدة، فمن الصعب الحكم على هذه المسألة، وهذا يعود إلى أن بحوثنا المتعلقة بهذا الموضوع منتشرة بين جميع الناس، ويستطيع كل إنسان الاطلاع عليها،

أما الحال في الاتحاد السوفييتي فالأمر مختلف، فالدولة هناك لا تسمح بالاطلاع على هذه البحوث كما لا تسمح بوضعها بين أيدي عامة الشعب. من هنا فإنه ليس لدي أية فكرة حول مستوى تقدمهم في هذا الميدان.

ولكن نستطيع القول من وجهة نظر مقارنة: إن البحوث اللسانية الآلية في الولايات المتحدة متشابهة مع البحوث اللسانية الآلية في الاتحاد السوفييتي؛ ولكن الاختلاف بينهما يكمن في طريقة دعم هذه البحوث، ففي الاتحاد السوفييتي يأتي الدعم المالي والعلمي من الدولة، وهذا شيء مهم إذا أدركنا أن مثل هذه البحوث تحتاج إلى تكاليف باهظة، وهذا يختلف بالطبع عن أسلوب الولايات المتحدة، حيث أن الدعم المالي والعلمي هنا يأتي عن طريق شركات ومنظمات خاصة.

إن أسلوب دعم البحوث العلمية في الاتحاد السوفييتي يشبه نظيره في اليابان حيث نجد أن الدولة هنا مستعدة تماماً لتقديم الدعم المالي ثم لتزويد الباحثين بمؤسسات تجارية ضخمة لإقامة المشاريع العلمية التجريبية. وهناك ميزة أخرى ممتازة جداً تتمتع بها الشركات اليابانية وهي العلاقة الوطيدة والجيدة مع الدولة، إن هذه العلاقة هي التي تمنح هذه الشركات والمؤسسات حريات وحقوقاً واسعة وواضحة.

أما أسلوب البحث العلمي في الولايات المتحدة فهو مختلف، فهناك أسلوبان اثنان:

الأول: هو الأسلوب الرسمي الحكومي المنظم مالياً وعلمياً، كما هو الحال في وزارة الدفاع الأمريكية. والثاني: هو الأسلوب العام الذي تقوم به شركات ومنظمات خاصة، ففي هذا الأسلوب (الثاني) تحاول الشركات والمنظمات أن توظف أعمالها فقط في سبيل الحصول على النتائج التي يمكن استغلالها لأغراض تجارية.

والواقع، إن أغلب الجهود المبذولة في الولايات المتحدة لتطوير علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي هي جهود مدعومة دعماً خاصاً مستقلاً عن الدعم الرسمي ــ الحكومي.

السؤال السابع

ماذا حول الترجمة الآلية : هل يمكنكم إعطاؤنا فكرة عامة عن الوظائف التي تقوم بها ، وعن الانجازات التي تحققها ؟

الجواب

م . زارتشناك

هناك مزايا عديدة للترجمة الآلية ، أولى هذه المزايا السرعة الفائقة لإنجاز أعمال لا يمكن للإنسان عملها ، كما هو الحال في عمل نظام الترجمة الآلية المستخدم في جامعة جورج تاون ، ونظام الترجمة الآلي المعروف بـ(SYSTRAN) يُستخدم في كاليفورنيا .

في أوربة استطاعت دول السوق الأوربية المشتركة أن تنسق مع بعضها البعض ، لإنجاز نظام آلي دقيق وموحد للترجمة يستطيع معالجة جميع اللغات الأوربية وترجمتها .

لقد أنفقت هذه الدول هذه السنة لتطوير هذا النظام ، حوالي ثمانية ملايين دولاراً ، وهكذا فإن سرعة نظام الترجمة الآلي الذي تطوره هذه البلدان يبلغ الآن من (180) ألف كلمة إلى ربع مليون كلمة في الساعة الواحدة ، فإذا قارنا هذه السرعة مع سرعة الترجمة الإنسانية فإننا سنفاجأ بالنتيجة ، ذلك لأن الإنسان المترجم لا يمكن أن يترجم أكثر من (400) كلمة في الساعة الواحدة ، من هنا فإنه لا مجال للمقارنة أبداً .

المزية الثانية هي النوعية الدقيقة جداً ، إن المترجم الإنساني ، بسبب الهفوات والعثرات والأخطاء ، يمكنه أن يترجم الكلمة الواحدة ترجمات مختلفة ، وذلك لأسباب تتعلق بكونه إنساناً . ولكن الحاسب الالكتروني ، لا سيما إذا كان موجهاً

لترجمة تعابير معينة سواء أكانت معزولة عن سياق الكلام أم أنها ضمنه ، سوف يترجم هذه التعابير بشكل دقيق وثابت لا يعرف التغيير أو التبدل .

فإذا أخطأنا مثلاً خطأً واحداً في الحاسب الالكتروني فإنه سينجر على سائر الترجمة ، ولكن عندما ندقق في الترجمات الآلية بعد أن ينجزها الحاسب الالكتروني فإن هذه الأخطاء سرعان ما تتبين بأنها نتيجة لخطأ آلي في البرنامج اللغوي ، فما علينا عندها إلا أن نصحح هذا الخطأ لنصحح الأخطاء الواردة في الترجمة .

إنني أعتقد في نهاية المطاف ، أنه إذا طورنا الترجمات الآلية تطويراً ناجعاً ، فإنه يمكننا أن نفترض بأن اللغة البشرية تعكس بالفعل بنية الدماغ البشري ، تلك البنية التي تعكس العالم الخارجي الذي نعيش فيه .

فإذا قرأنا البحوث الحديثة في علم الفلك ، فإننا سنكتشف أن هناك مدرستين تشبهان في بعدهما النفسي مدرستين في علم اللسانيات . تعتقد المدرسة الأولى بأن المجرات الفلكية عبارة عن سلاسل طويلة تقف الواحدة وراء الأخرى ، وتعتقد المدرسة الثانية بأن هذه المجرات الفلكية تميل إما للتجمع على شكل عناقيد أو للإفلات والابتعاد عن بعضها بعضاً . ولكن أياً كانت حركة هذه المجرات فإنها لا بد أن تتجمع على شكل سلاسل ، وعندها فإنه سيكون في الكون الكثير من البقع المفرغة والخالية من أي شيء .

فإذا أخذنا حالة المواد اللغوية من وجهة نظر لسانية ، فإنه يمكننا أن ندركها على أنها سلاسل طويلة ، هذه السلاسل يمكن أن تكون ذات دلالة معينة ، عندها ترجع إلى الحالات اللغوية العقلية . ويمكن ألا تكون كذلك ، بل يمكن أن تكون عبارة عن ألعاب ، وعندها فإنها ستكون سلاسل فارغة ، هذا الشيء ينطبق على عملية الترجمة ، فيمكننا أن نكتشف بأن كيفية تصفيف كلمات معينة في مجموعة متسلسلة يمكن أن ينتج تجارب إنسانية متمثلة في هذه السلاسل اللغوية ، وهكذا فإن هذه السلاسل اللغوية لن تكون مفرغة من الدلالة ، وفي كلتا الحالتين نستطيع أن

نلعب بهذه الكلمات لأنه يمكنها أن تكون مفرغة من أي معنى أو دلالة في حالات عديدة كالحالة التي يستخدم بها الدبلوماسيون اللغة الدبلوماسية، فبعضهم يتكلم لمدة نصف ساعة ولا يقول أي شيء، فهذه الحالات اللغوية المفرغة يمكن أن تُمتحن وتُدرس دراسة لسانية دقيقة لمعرفة البنية التركيبية للدماغ الإنساني وبالتالي فإننا سنكتشف المزيد من هذه الظواهر البشرية فيما لو أردنا تطبيق هذه الحالات على الترجمات الآلية.

أما فيما يتعلق بنظام الترجمة الفورية في هيئة الأمم المتحدة فهو يعمل من خلال معالجة الإنسان المترجم للإشارات والرموز اللغوية المتكلمة، أي أن المعالجة هنا تخضع للدماغ البشري، وهكذا فإن الوحدات النحوية ـــ التركيبية الصغيرة التي تصوغ التراكيب سوف تُنظم وتُرتب وحسب نظام اللغة المترجم إليها.

لنأخذ، على سبيل المثال كلمة «يرى» (See) : إن هذا الفعل عبارة عن مسند وظيفي لا بدّ له من معمولين لغويين يعمل عليهما، الأول هو «الرائي» والثاني هو «المرئي». إن طبيعة الفعل نفسه توجب علينا أن نفترض أنه لا بد أن يعمل على معمولين، فنقول: (رأيتُ الشيء) أو (رأيته) أو (رأيتُ الشجرة).

ولكنه في الوقت نفسه هناك لغات إنسانية لها تركيب لغوي مختلف جداً عن التراكيب المألوفة لنقل هذه التجربة الإنسانية للرؤية. ففي لغة قبائل الأسكيمو نقول: «هو يظهر لي» بدلاً من «رأيته».

فهذه الأمثلة اللغوية تفرضُ علينا أن نُترجم الإشارات اللغوية أياً كان تركيبها في اللغة المترجم منها، إلى التجربة الإنسانية أولاً، وبعدها يمكن أن نترجم هذه التجربة إلى اللغة المترجم إليها، وبالطريقة التي تعبّر فيها هذه اللغة عن تلك التجربة الإنسانية.

لنأخذ مثالاً آخر من اللغة الإنكليزية لتوضيح هذه المسألة، نقول في الإنكليزية: (I have matches) «عندي علب كبريت» أو (I have money)،

« عندي مال » أو (I have toothache) « عندي وجع في الأسنان » ، إن كل هذه الأمثلة لها تركيب واحد هو التالي :

$$I \quad have \quad \left\{ \begin{array}{l} \text{matches} \\ \text{money} \\ \text{Toothache} \end{array} \right\}$$

ولكننا لا نستطيع في اللغة الروسية أن نقول : (I have toothache) كما هو الحال في الإنكليزية ، لأنك لا تريد أن يكون عندك هذا الوجع في الأسنان بل إنك لا تستطيع أن تسيطر أصلاً على هذا الوجع ولو أردته لنفسك . نقول في الروسية :
(The toothache is bothering me) « وجع الأسنان يزعجني » ، أما إذا قلنا في الروسية : (I have toothache) فسوف يفهم الناس مرادك ، ولكن شعورهم هو أن هذا التعبير غير طبيعي .

والواقع ، إن الترجمات الفورية في الأمم المتحدة تأخذ بالحسبان مثل هذه الظواهر اللغوية وعلى مستويات مختلفة ، كالمستوى التركيبي ، والمستوى الدلالي ، والمستوى السياقي ، والمستوى الاجتماعي ، فعملية الترجمة على المستوى السياقي مثلاً ، مهمة جداً لأنه في كثير من حالات المزاح والنكتة والفكاهة (الحكاية) إذا لم يستطيع المترجم الفوري أن ينقل هذه الأمور بسرعة ، من اللغة المترجم منها إلى اللغة المترجم إليها ، فإنه سيقول للمستمع ما يلي : « من فضلك هناك مشكلة حول هذه النكتة والفكاهة في اللغة المترجم منها ، وأنا لا أستطيع نقلها إلى لغتك ، لذلك عندما أرفع يدي ، إبدأ من فضلك بالضحك من أجل أن نجعل المتكلم الذي يلقي خطاباً على الميكرفون يشعر شعوراً جيداً .

وهكذا نجد أن المترجم الفوري يضطر إلى اللجوء لمثل هذا الأسلوب لصعوبة حل هذه المشكلة اللغوية عن طريق الترجمة الفورية .

آ . تكر

يمكننا أن نقسم حقل الترجمات الآلية إلى مجالين : المجال التطبيقي الذي يبغي الباحثون من خلاله أن يضعوا أنظمة عملية تنتج الترجمة الآلية ، إن هدف هؤلاء الباحثين في هذا المجال هو إنجاز نوعية محددة من الترجمة ، كترجمة نصوص لغوية كثيرة بشكل سريع جداً ، هذا النوع من الأنظمة الآلية للترجمات يتطلب إعادة تصحيح الترجمة وتدقيقها ، بعد أن يترجمها الحاسب الالكتروني .

أما المجال الثاني : فهو المجال المنهجي ـــ النموذجي والذي يبغي الباحثون من خلاله وضع نماذج نظرية مختلفة للترجمة الآلية ، وهناك عدد لابأس به من الباحثين وخاصة في حقل الذكاء الاصطناعي ، يهتمون بتطوير نماذج لسانية ـــ آلية لهذه الترجمات . إن هدفهم هو تمكين الحاسب الالكتروني من أن يحاكي الانسان في فهم النصوص اللغوية قبل ترجمتها إلى لغات بشرية مختلفة ، ثم تطوير نموذج منهجي للأحداث في النصوص اللغوية وللتمثيلات التركيبية في هذه النصوص .

إن تمثيل المعرفة الدلالية للنصوص في هذه النماذج الآلية للترجمات إنما هو تمثيل صعب معقد جداً ، وهذا يختلف عن تمثيل المعرفة التركيبية ـــ النحوية في أنظمة هذه الترجمات ، ذلك التمثيل الذي يعدّ سهلاً ، لذلك فإن الباحثين في هذا المجال كانوا قد طوروا هذه الأنظمة النموذجية لأغراض نظرية وتجريبية في الوقت الحاضر .

لقد أقام البروفسور ولكس (Wilkes) عام (1972-1973) تجربة في جامعة ستانفورد الأمريكية لإثبات كيفية استعمال الذكاء الاصطناعي للحصول على نوعية عالية لفهم النصوص اللغوية .

ونتيجة لذلك فقد حصل على ترجمات واضحة جداً ذات نوعية جيدة من تلك النوعية التي هي نتيجة للأساليب التقليدية ، يتألف النظام الذي وضعه البروفسور ولكس من (800) كلمة فقط ، ولهذا كان النظام محدوداً في إمكانياته العملية . والحقيقة ، لم يُصمَّم هذا الجهاز من أجل انتاج الترجمات الآلية بل من أجل

إظهار إمكانيات تحليلية وتركيبية قوية جداً، للتعامل مع اللغات البشرية، وهذا بالطبع يختلف عن النظام التقليدي ذي الإمكانيات المحدودة.

إن نوعية النتائج التي أنتجها نظام ولكس كانت عالية جداً وأفضل بكثير من تلك التي كانت نتيجة للأنظمة البدائية التقليدية.

ج . هيرمنسون

كما ذكرت من قبل إن نظام الترجمة الآلي الوحيد والعامل في جامعة جورج تاون، هو النظام المُصمم لترجمة اللغة الروسية إلى اللغة الإنكليزية. لقد استغرق إنجازه سنوات عديدة، كما بذل الباحثون جهداً كبيراً لتحقيقه. ولكنني أعتقد بأننا الآن نشهد تطوراً جديداً للترجمة الآلية، لقد كان الاهتمام من قبل بالمنهج النظري للترجمة الآلية، أما الآن فهناك تصورات جديدة للترجمة الآلية.

ما أجمل أن نضع نظاماً آلياً للترجمة يستطيع أن يترجم كل اللغات البشرية بعضها إلى بعض. إن كل ما نحتاجه لفعل هذا المشروع هو أن نفهم بعمق عمل اللغات البشرية فإذا كان ذلك فيمكننا عندئذ أن نأخذ اللغة السواحلية ونترجمها إلى اللغة الروسية أو نأخذ اللغة الروسية ونترجمها إلى اللغة الصينية. وهكذا يمكن إنجاز هذا النظام شريطة أن نعرف الطريقة النظرية لعملية الاتصال البشري. إنه يمكننا أن نختصر كل نطق بشري ونضعه في صيغة رياضية فلسفية لأن الصعوبة الرئيسية لنظام الترجمة الآلية هي أن نتوصل إلى المستوى الرياضي الفلسفي الذي يُمثل جميع اللغات البشرية، والواقع هناك في الوقت الحالي المنهج البراغماتي ـــ النفعي في الترجمة الآلية. ويعود السبب في ذلك إلى اهتمام الشركات والمؤسسات التجارية بالنفع المادي ـــ المالي. إنهم يريدون بيع هذه الآلات والحاسبات الالكترونية القادرة على الترجمة لصنع آلات وحاسبات أخرى وعرضها في السوق التجارية. إن كل هذه الآلات والحاسبات صُممت لتكون وسائل مساعدة للمترجم. إنها تستطيع أن تترجم (8%) من النصوص اللغوية المترجم منها و (80%) من النصوص اللغوية

المترجم إليها. وعندئذ سيكون المترجم قادراً على اختيار الألفاظ المترادفة التي يريد استبدالها. إنه يريد مثلاً إعادة صياغة تركيب الجملة، لذلك تراه يستخدم الآلة المساعدة ليسرع في المهمة المضنية لترجمة كلمة بكلمة. ويستطيع المترجم أن يضيف إلى التركيب المترجم تقنيات أسلوبية مختلفة، وهكذا فإن هذه الأنظمة هي تطور جديد للترجمات الآلية ذلك التطور المصحوب بتقنيات أقل كلفة وغلاء.

مداخلة

بروفسور هيرمنسون: هل لك أن تشرح لنا كيف يمكن لهذا التطور الجديد في تكنولوجيا الترجمة الآلية أن يؤثر على الترجمة الفورية في هيئة الأمم المتحدة؟

ج. هيرمنسون

إذا كنت تعني بذلك الترجمة الفورية الآلية فإن ذلك الإنجاز خارج عن نطاق تكنولوجيا الحاسب الالكتروني الذي نتعامل معه. وكما ذكرت من قبل إن المنهج الأولي للترجمة الآلية قد جسّد فكرة العمل الآلي بكامل أبعادها. إن هذه المحاولة كانت في وضع حرج باستمرار بسبب الحقيقة القائلة: إن مثل هذه الترجمات الآلية إما أن يكون صحيحاً مئة بالمئة وإما أن يكون غير نافع أبداً.

إن إمكانية الترجمة الآلية محدودة في هذا المجال لأن نظامها اللساني ـــ الآلي مبني على معالجة لغتين فقط هما اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها. وهناك حالات تحتاج إلى أنظمة لسانية ـــ آلية معقدة لمعالجة لغتين معينتين. فمثلاً إن الترجمة الآلية من اللغة الإسبانية إلى اللغة الإنكليزية أسهل كثيراً من الترجمة الآلية من اللغة الإنكليزية إلى اللغة الإسبانية ويعود ذلك إلى عدة أسباب منها أنه ينبغي علينا عندما نترجم من الإنكليزية إلى الإسبانية أن نأخذ بالحسبان المذكر والمؤنث. فالضمير (IT) في الإنكليزية هو (IT) في جميع الحالات أما في الإسبانية فيجب أن يتصل هذا الضمير بملحقات لغوية تميز المذكر فيه عن المؤنث، لذلك ينبغي أن يكون هناك طريقة ما لتحليل التراكيب اللغوية لمعرفة بنية الضمير وعائده. هل يرجع إلى اسم

مذكر أم إلى اسم مؤنث ؟ وهذا بالطبع يختلف عن الترجمة الفورية في الأمم المتحدة فلا يمكننا أن نترجم كلام إنسان ما إلى لغة رياضية حسابية ومن ثم يمكن أن نترجم هذه اللغة الرياضية الحسابية إلى لغة بشرية أخرى .

إن الترجمة الفورية ينبغي أن تخضع للمعالجة الإنسانية بحيث يمكن للإنسان المترجم أن ينقل لغة بشرية إلى لغة بشرية أخرى دون المرور باللغة الرياضية العالمية ودون المرور بإجراءات التحليل والتركيب والفحص والإعادة ، تلك الإجراءات الضرورية للترجمة الآلية المصممة في الحاسب الالكتروني .

السؤال الثامن

كما هو معروف ، إن نظرية النحو التوليدي والتحويلي التي وضعها عالم اللسانيات ــ نوم تشومسكي ــ هي مصوغة صياغة رياضية ــ تجريبية . هل تظنون أن اللسانيات الحاسوبية ــ المعلوماتية كنظام شكلي يمكن أن يسهم في تطوير هذه النظرية ؟ وبكلمة أخرى : ما هي طبيعة العلاقة بين البرامج اللسانية الآلية وبين نظرية النحو التوليدي ؟ .

الجواب

م . زارتشناك

ينبغي عليك أن تتذكر أن ــ تشومسكي ــ هو أفضل عالم لساني عند علماء الرياضيات وهو أفضل عالم رياضي عند علماء اللسانيات ، وهذه الحقيقة تربط عمله بعدة وجوه في المعلومات . ولكن أياً كانت هذه الوجوه ينبغي عليك أن تدرك أن هناك أربعة عناصر في العمل اللساني الآلي :

(1) العنصر النهائي .
(2) العنصر التصنيفي .
(3) العنصر التحويلي .

(4) العنصر الأولي الذي نستخدمه كطاقة (دَخْل) من أجل تخزين المواد الأولية فيه .

أما العنصر الأخير أو النهائي؛ فإن مهمته هي العمل على القاعدة المركبية التي نستخدمها كمجموعة من العناصر الدقيقة. فمثلاً في اللغة الإنكليزية هناك الأبجدية والأعداد الإنكليزية، وهناك إشارات خاصة متعلقة بهذه اللغة. والواقع إن الحاسب الالكتروني في هذا البلد (الولايات المتحدة) يتألف من (256) علامة وهذا يشكل من جهته القاعدة المركبية التي يمكن أن تخزن المعلومات من خلالها .

أما العنصر الثاني؛ فهو العنصر التصنيفي الذي ليس بعنصر نهائي أو أخير والمثال على ذلك كلمة «طاولة» (Table) أو «ماء» (Water) حيث تريد أن تصنفها كإسم، ويمكن أن تأخذ بعض الأفعال وتصنفها إلى أفعال إجرائية أو أفعال كونية أو أفعال حركية ومهما كان الأمر من هذا التصنيف، فإنه ينبغي ضمّه إلى النظرية الآلية ــ اللسانية لأنك لا تستطيع أن تنتج رمزاً لكل كلمة على انفراد لأن هذا يُعد سلسلة لا نهائية، فمن أجل جعل هذه العملية ممكنة المعالجة يمكن أن نخضعها إلى نظام تصنيفي. من هنا فإننا سنحصل على تفاريع قليلة لهذا النظام يمكن أن تكون ثمانية وهذا يعتمد على الإطار النظري الذي نستخدمه .

وبعدها يمكن أن نأتي إلى العنصر الثالث من العملية اللسانية ــ الآلية، ذلك العنصر الذي يمكن أن يُعد خلاقاً. وبكلمة أخرى، إنه عنصر النحو الذي يتقيد به المتكلم والذي يتقيد به المستمع أيضاً. فعندما يركب المتكلم الجمل فإنه في الحقيقة يخلق عالماً خاصاً به. لأنه يترجم تجاربه الحقيقية أو المتخيلة، ويضعها في التمثيل الكلامي. فإذا عرفت كيف يمكن أن تركب التجارب في كلمات، فإن المستمع يجب عليه أن يشاركك الوسيلة الاتصالية هذه. فعندما تتكلم يحاول أن يفك الإطار الكلامي الذي وضعت تجاربك فيه ويلائمه مع الإطار الكلامي الذي في دماغه. فإذا تلاءم التركيبان الكلاميان عندك وعند المستمع فإنك ستلاحظ أن المستمع

سيقول لك «أفهم الرجاء أن تستمر» وإن لم يستطع أن يلائم تركيبه الكلامي مع تركيبك الكلامي فإنه سيوقفك عن الكلام ويسألك بعض الأسئلة وهكذا فإن التركيب الكلامي وتحليله هما عمليتان من أهم العمليات في اللسانيات الحاسوبية ــ المعلوماتية.

أما المرحلة الأخيرة فهي تهتم بمستوى فحص المواد اللغوية، ففي حالة تحليل اللغات البشرية فإننا نتقيد في التحليل اللساني الآلي بتحليل الجمل وفق الأسلوب الذي وضعه ــ تشومسكي ــ أي خطين متوازيين (=) وإن العمل اللساني ــ الآلي سيكون في مستوى الجملة فقط. والواقع يمكن ألا يكون العمل على على مستوى الجملة فقط بل على مستوى المقطع أو الكلمة أو الفقرة ولكنه ينبغي أن يوضحٌ المستوى المحلل بشكل دقيق. فإذا ما أخذنا هذه العناصر الأربعة وأخذنا الإطار النظري لنظرية تشومسكي في القواعد التوليدية والتحويلية فإننا سندرك أن هذه العملية سترضي التحليل اللساني وتطبيقاته للنظرية اللسانية ــ الآلية للغات البشرية.

إن العمل الآلي يجب أن يكون دقيقاً من أجل أن ينتج سلاسل لغوية مقبولة ولكن هذا ليس متوفراً في نظرية تشومسكي لأن هذه النظرية غير قادرة على معالجة السلاسل اللغوية الشاذة. من هنا فإنها لا تستطيع أن تدرك بعض الحالات اللغوية، لأن بعض الأمثلة اللغوية لا يمكن للآلة أن تقبله. فما يمكن أن يكون جيداً في نظرية تشومسكي يمكن أن يكون سيئاً بالنسبة للتحليل اللساني الآلي. من هنا فإن نظرية تشومسكي هي نظرية محدودة إذا ما أردنا أن نستخدمها في الحاسبات الالكترونية التي تتطلب قواعد ذات صفات محددة.

إن العمل الحالي الذي يقوم به تشومسكي هو اكتشاف الحقائق الدلالية في بعض اللغات الإنكليزية وغير الإنكليزية. وآمل في نهاية المطاف أن يدرك

ـــ تشومسكي ـــ بأن هناك بعض الأفكار في نظريته ينبغي أن يتجنبها من أجل تحليل لساني ـــ آلي دقيق .

إن هذا شيء طبيعي لأن الناس كلما كبروا فإنهم يحاولون أن يأتوا بأشياء جديدة في نظرياتهم . فإذا التفت مرة أخرى إلى نظرية النحو التوليدي والتحويلي على أنها نظرية توليدية وتحويلية فإنني لا أجد هناك أي شاهد علمي يثبت بأن هذه النظرية توليدية أو تحويلية ! فإذا أخذت أية فكرة جادة من الأفكار التي طرحها تشومسكي فإنك ستلاحظ أولاً بأنه يأخذ في تحليله اللساني الجملة المولّدة عند المتكلم ، ومن ثم سيحدد هذه الجملة بعدة صفات وأخيراً سيفرض الإطار النحوي لهذه الجملة . إنني لم أرَ أي مثال يثبت بأنه يضع كلمات الجملة في سلة ما ، ثم يأخذ بشكل عشوائي بعض الكلمات من السلة وذلك من أجل خلق الجمل .

فمن وجهة النظر هذه ، فإن تركيب الجملة لا يخضع للنحو التوليدي . إنه نحو مدرك . إنك تدرك عبارة خاصة ثم تحددها ثم تضع لها إطاراً نحوياً معيناً .

ربما أكون مخطئاً بهذا ، ولكنني لم أستطع أن أكتشف أية قوة توليدية في نظرية النحو التوليدي والتحويلي لتشومسكي . وعندما يقول ـــ تشومسكي ـــ إن القواعد التي وضعها في نظريته قوية جداً فلا يغيّر ذلك من الحقيقة التي أثبتها من قبل وهي أن هذه القواعد ليست تحويلية لأننا لا نعرف حدود التحويل أين تبدأ ؟ وأين تنتهي ؟ .

فإذا أخذت مثالاً على ذلك تحويل الجملة من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول ، فإن نظرية تشومسكي لا تخبرنا بالشروط التي يمكننا بها تحويل الجملة من المبني للمعلوم للمبني للمجهول ، لأننا نعرف لغات عديدة مثل النمساوية والسيبيرية ، لا يمكن أن نصوغ فيها ما يلي :

(1) The wolf killed the man (الذئب قتل الرجل)

(2) The man killed the wolf (الرجل قتل الذئب)

إنه يمكننا صوغ تركيب مبني للمجهول من هاتين الجملتين فنقول :

(3) The wolf was killed by the man (قُتل الذئب)

(4) The man Was killed by the wolf (قُتل الرجل)

ولكن إذا قلنا :

(5) The man drank tea. (الرجل شرب الشاي)

فإننا لا يمكن أن نقول بالمقابل :

(6) The tea drunk the man (الشاي شربت الرجل)

لأنها ليست متناسقة ولأن الشاي لا يمكن أن تشرب الرجل .

إن هذه القيود والقواعد للمبني للمجهول لم يتحدث عنها تشومسكي أبداً من هنا فإنني أرى عيباً كبيراً في المصطلحات اللسانية كمصطلح « توليدي » أو « تحويلي » . ولكنك إذا أخذت نظرية الدلالة التوليدية التي طوّرها خصوم تشومسكي ، فإنك ستجد بأنها تلائم المواد اللغوية المحللة في الحاسبات الالكترونية .

مداخلة

بروفسور زارتشناك : بما أنك ذكرت نظرية النحو التوليدي والتحويلي فإنني أحب أن أسألك سؤالاً آخر يتعلق بهذه النظرية . ما هو رأيك بادعاء تشومسكي في كتابه الجديد **محاضرات في نظرية العامل والربط الإحالي** بأن النموذج الذي اقترحه حديثاً في هذا الكتاب هو نموذج كامل وتجريدي لتمثيل النظام النحوي في الدماغ البشري .

م . زارتشناك

عندما تناولت هذا الكتاب لقراءته نظرت بادئ ذي بدء إلى فهرسه لأنظر في اللغات التي تحدث عنها تشومسكي والتي أعرفها جيداً . وفي هذه الحالة بالطبع فإنني تطلعت إلى اللغة الروسية لأنني أعرفها جيداً . والذي صعقني هنا هو أن

تشومسكي يشير إلى بعض اللغات على أنها دخيلة وغريبة عن نظامه . والسؤال هو : لماذا يمكن للغة معينة أن تكون غريبة ؟ ما هو المعيار الذي يمكن فيه للغة أن تكون غريبة ؟ هل هو جهله بها ؟ إن الافتراض العميق لتشومسكي يبدو وكأنه يقول : إن اللغة الإنكليزية هي اللغة الطبيعية . هل اللغة الطبيعية لطفل مولود حديثاً هي اللغة الإنكليزية ؟ . إذا ولد بعض الأطفال في مجتمعات غير إنكليزية هل يمكن أن نعتبرهم فاقدين طبيعتهم اللغوية ؟ إن مضامين هذا الكتاب تسيء إلى تشومسكي .

أما الوجه الإيجابي للكتاب فهو أن تشومسكي بالفعل كشف لغات أخرى إلى جانب الإنكليزية يمكن أن تلائم نظريته وأعتقد أنه ينبغي على تشومسكي أن يستمر في هذا الاكتشاف اللغوي .

آ . تكر

إن أكبر استعمال لنظرية تشومسكي في النحو التوليدي والتحويلي هو استعمالها في البرامج اللغوية ــ الآلية والمثال المعروف على ذلك هو التصميم الآلي للحاسبات الالكترونية الذي يُقال له (ALGOL-60) والذي يطبق نظرية تشومسكي في النحو التوليدي والتحويلي . إن هذا التطبيق الآلي للنظرية على هذه الحاسبات الالكترونية يعرف بشكل باكوس نور (BAKUS-NOUR) هذا التصميم الآلي يستخدم النموذج اللساني الذي وضعه تشومسكي لعام (1965) . ومنذ ذلك الوقت فإن نموذج تشومسكي هذا بدأ يُستعمل بنجاح في الحاسبات الالكترونية وفق برامج لغوية مختلفة لوصف اللغات البشرية .

والواقع إن تطبيق نظرية تشومسكي في تحليل اللغاث البشرية وتركيبها أعطى نتائج ناجحة . فبعض الباحثين الذين يعملون في الترجمة الآلية ، والذين يستخدمون نظرية تشومسكي من أجل وصف قواعد اللغة الإنكليزية قد ادعوا أن هذه النظرية هي نظرية فعالة في هذا المضمار .

هناك نظرية لسانية أخرى تستخدم في الحاسبات الالكترونية لوصف اللغات البشرية وتدعى نظرية (A.T.N) (Augmented Transition Network Grammar) .

وفكرة هذه النظرية شبيهة بفكرة نظرية تشومسكي في وصف التراكيب والدلالات اللغوية . والواقع إن هذه النظرية تزودنا بقاعدة تحليلية دقيقة من أجل وصف اللغات البشرية .

أما نظرية تشومسكي فإنها تصف اللغات الطبيعية بطريقة تركيبية أكثر منها تحليلية فعندما تنظر إلى نظرية تشومسكي في النحو فإنك ستجدها عبارة عن مجموعة من القواعد التي من خلالها يمكن أن تولد الجمل في اللغات البشرية . أما إذا نظرت إلى النظرية الجديدة المعروفة بـ (A.N.T) فإنك ستجد أنها وسيلة تحليلية فعالة تسمح لنا بأن نحلل ونفكك الجمل أكثر من توليدنا لها . لقد استُخدمت هذه النظرية بشكل واسع أكثر من نظرية تشومسكي لوصفها الشكلي للغات البشرية في سياق التحليل والتفكيك اللغويين ذلك الأمر المهم في الدراسات اللسانية الآلية وخاصة في الترجمات الآلية ، لأن التركيز الأساسي في الترجمات الآلية هو التحليل والتفكيك اللغويين . فإذا لم تستطع أن تحلل وتفكك اللغات فإنك لن تستطيع أن تعمل أيَّ شي .

وهكذا فإن الدراسات الحالية في هذه الأيام تركز على التحليل والتفكيك اللغويين من أجل معالجة اللغة في الحاسبات الالكترونية . فعلى سبيل المثال لقد حضرت مؤتمراً عُقد في جامعة إسكس (Essex) في بريطانيا عام (1982) . وكان الهدف الكلي من هذا المؤتمر هو مناقشة المشكلات المتعلقة بتحليل اللغة الإنكليزية وتفكيكها .

إن بعض الباحثين يمضون سنوات عديدة من أجل العمل على حل مشكلات التحليل والتفكيك اللغوي المتعلقة بالأسماء المركبة أو حروف الجر أو الضمائر العائدة على بعضها البعض . فهذه المشكلات صعبة ، يجب العمل على حلها . والنتيجة هي

أنه يمكننا أن نقول : إن قواعد تشومسكي هي قواعد قوية ومستعملة بشكل واسع لوصف اللغات الطبيعية من أجل الترجمات الآلية .

مداخلة

وماذا حول النموذج الأخير لنظرية النحو التوليدي والتحويلي، وأعني بذلك نموذج « **العامل والربط الإحالي** »؟ فقد أوضح تشومسكي في كتابه **محاضرات في نظرية العامل والربط الإحالي** أن نموذجه اللساني هذا يُعد تطوراً دقيقاً وتجريدياً في حقل النحو التحويلي والتوليدي . إن هذا النموذج يمثل النظام العلائقي الحسابي للغات البشرية في الدماغ الإنساني . هل تعتقد بأن هذا النموذج يمكن أن يستخدم في برامج الحاسبات الالكترونية بشكل فعال وسهل؟ .

آ . تكر

لا أعرف الشيء الكثير عن نموذج « العامل والربط الإحالي » لتشومسكي . ما أعرفه من نظرية تشومسكي هو النموذج الذي وضعه عام (1957) والنموذج الذي وضعه عام (1965) .

ج . هيرمنسون

هناك علاقة نظرية بين نظرية القواعد التوليدية والتحويلية وبين اللسانيات الحاسوبية ـــ المعلوماتية ، لأن هذه الأخيرة لا بد من أن تستخدم نظرية لغوية ما ، وفي الوقت نفسه إن استخدام الحاسب الالكتروني يسمح للنظرية أن تُمتحن من خلال المواد اللغوية ؛ أي أن التحقق من فعالية النظرية وتطبيقها على المواد اللغوية مهم جداً .

إن نظرية القواعد التوليدية والتحويلية تقدم لنا إطاراً نظرياً لتحديد اللغات البشرية واستخدامها في الترجمات الآلية وفي إنشاء اللغات الصناعية أيضاً . فإذا لم يستطع الإطار النظري أن يحقق هذه المهمة فينبغي أن نبتعد عنه أو نعدله . وهذا ما يحصل الآن . وهناك عدة مناهج لتحليل البنية اللغوية التي كانت قد طورت بعد

نظرية تشومسكي. إنها طرق جديدة لتحديد العناصر اللغوية وعلاقتها بالعالم الخارجي.

السؤال التاسع

عندما سألت عالم اللسانيات تشومسكي حول أهمية اللسانيات الحاسوبية ـ المعلوماتية في الحقل اللغوي، أجاب: «إن العمل اللساني الآلي يمكن أن يقدم لنا أشياء مفيدة لامتحان النظريات اللسانية المعقدة وتحديد فاعلياتها من خلال تطبيقاتها الآلية». ما هي آراؤكم حول هذه المسألة التي طرحها تشومسكي؟.

الجواب

م. زارتشناك

إن هذه المسألة شبيهة بالمسألة التي طرحها تشومسكي ضد العالم ـ شانك ـ إن ـ شانك ـ قال: «إنه سيكون قادراً على تقليد العمل اللساني الإنساني في الحاسبات الالكترونية» وقد قال تشومسكي «إن هذا غير واقعي وغير ممكن لأن الدماغ البشري يعمل بطريقة معقدة جداً». هذه هي الحالة ولكن بما أنني لاأعرف كيف تعمل اللسانيات آلياً فإنني لااعترض عليه، ولكنني أعتقد بأن الحاسبات الالكترونية واللسانيات سيساعدان كثيراً لفحص أية نظرية وتطبيقاتها على المواد اللغوية. فإذا طبقتها على مواد لغوية كثيرة فإن الحاسبات الالكترونية ستقدم لنا الشيء الكثير في هذا الأمر. ينبغي أن نسأل عما إذا كانت هذه النظرية تصف وتشرح المواد اللغوية وصفاً وشرحاً دقيقاً، لأن العمل اللساني الآلي مفيد جداً عندما يكون هناك مواد لغوية معقدة ومتشابكة. وهذا يطرح سؤالاً آخر: هل يمكن حلها؟ لاأظن أن ماقاله تشومسكي يمكن أن يكون غير إيجابي «إنها مسألة تظل بحاجة إلى نقاش»؟.

آ . تكر

إنني أوافق تشومسكي في هذا المجال لأنني أعتقد بأن النظرية السليمة والصحيحة يجب أن تُبنى على عدد كبير من التجارب التطبيقية، لأن أي تطبيق معقول ينبغي أن يستند إلى نظرية معينة فالنظرية لا يمكن أن تقف بمفردها (أي لا تأتي من فراغ)، وكذلك النظام التطبيقي، وإنما يجب أن يكون هناك هذا التفاعل بين النظرية وبين التطبيق من أجل نتائج لسانية جيدة يمكن استثمارها في علم اللسانيات. ويمكن أن نجد أمثلة على ذلك في التجربة الآلية حيث نجد أن هناك تطورات نظرية وأنظمة تطبيقية. بمعنى آخر يمكن أن نجد النظرية والتطبيق في الترجمات الآلية.

من هنا ينبغي على المنظرين والمطبقين للنظريات اللسانية أن يجتمعوا مع بعضهم بعضاً من أجل تطوير المعرفة اللسانية واستخدامها في العملية التطبيقية. من هنا فإنني أوافق على الفكرة التالية وهي أنه لا يمكن لا للنظرية ولا للتطبيق أن يكونا بعيدين عن بعضهما بل إنهما وحدة فاعلة ومنفعلة في الوقت نفسه.

ج . هيرمنسون

إنها قضية معقولة لأن أية نظرية ينبغي تطويرها، لا بد من تطبيقها بشكل تجريبي على العديد من المواد اللغوية الجوهرية. ولكننا إذا طبقنا هذه النظرية والتي هي من صنع الدماغ البشري على المواد اللغوية فإن هذا سيأخذ وقتاً كبيراً. لكن إذا طبقنا ذلك من خلال استخدام الآلة، فإنه يمكن لهذه الآلة أن تعمل على هذه المواد بشكل سريع. كما يمكنها أن تظهر لنا ضعف النظرية أو قوتها. ويمكننا من خلال استخدام الآلة أن نكتشف ما هي المواد التي يمكن للنظرية العمل عليها، من هنا فإنه يمكننا تطوير النظرية. هذا جانب واحد وهناك جانب آخر وهو امتحان النظريات اللسانية من خلال تخزين المواد اللغوية في الآلة. ولكنني أعتقد بأن هذا الجانب هو الجانب الوحيد من أجل الإفادة من علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي.

السؤال العاشر

عندما سألت عالم اللسانيات الفرنسي ــ أندريه مارتينه ــ عن تشومسكي وثورته اللسانية أجاب : إن تشومسكي ليس بعالم لساني وإنما هو عالم رياضيات لنفترض أن أندريه مارتينه ــ قال : إنكم لستم علماء لسانيات بل أنتم علماء آلة فكيف تجيبون عن هذا السؤال ؟ .

الجواب

م . زارتشناك

أود أن أسأل قبل الإجابة عن هذا السؤال . ما هو تعريف ــ أندرية مارتينه ــ لعالم اللسانيات ولعالم الآلة ؟ فإذا لم يعانِ هذا التعريف من تناقضات فإنني سأوافق مارتينه في تعريفه هذا ، لأنني أعرفه شخصياً . فهو واحد من عدة باحثين ينتمون إلى مدرسة براغ اللسانية ، ولكنه مستقل عن هذه المدرسة في بعض الآراء اللسانية . إنه متفق مع آراء أستاذي ــ رومان جاكبسون ــ لأن وجهة نظره اللسانية نتيجة لدراسة النشاطات الإنسانية للغة ومارتينه يعتقد بالقوة السحرية للغات البشرية . فعندما تهتم بهذه الصفات السحرية الإنسانية للغات والتي لا يمكن معالجتها آلياً فإن أي إنسان يدّعي بأنه عالم لساني ــ آلي يستطيع أن يعالج اللغات البشرية من خلال الآلة ، فإننا لا يمكن أن نعده عالماً لسانياً . ولكنني أعتقد بالعلاقات المنطقية ونسبية هذه العلاقات بين العلوم ، فليس لك أن تؤمن بشكل مطلق بالعمليات الآلية والحسابية للغة ولكن يمكن أن يكون عندك إحساس تجاه العملية الحسابية الآلية ، كما هو الحال لدي ، فأنا أعتقد بأن هذه العمليات الآلية الحسابية هي وسيلة نافعة للعلوم الإنسانية بشكل عام . إنها وسيلة مثل القلم ، ومثل القراءة . فإذا أردت أن تعلم كيف تقرأ فإنه لا يعني ذلك أنك ضد المزايا الإنسانية .

آ . تكر

لم أحاول أن أجلس وأتساءل عن نفسي: من أنا؟ ذلك لأن بعض الناس لا يستطيعون أن يلصقوا بعض الأمور ببعض الناس، لأن هذه العملية لا تخدم أي هدف. ولكن أظن أن هناك بعض الأفكار العميقة لهذه الحالة المتعلقة بالحقيقة التالية: إنه ينبغي على علماء اللسانيات وعلماء الحاسبات الالكترونية وعلماء الرياضيات أن يجتمعوا مع بعضهم من أجل تحقيق هدف مشترك. ولا سيما في البحوث التي لا يمكن لأحدهم تحقيقها وتطويرها بمفرده. إن المثال الكلاسيكي على ذلك هو التجربة الآلية لعام (1950)، فقد قام بهذا العمل بشكل رئيسي علماء اللسانيات وحدهم وكان فشلاً ذريعاً وسيكون الفشل نفسه إذا كان هذا العمل قد عومل وطور من قبل علماء الحاسبات الالكترونية وعلماء الرياضيات وحدهم. فإذا اجتمع علماء الرياضيات وعلماء الحاسبات الالكترونية وعلماء اللسانيات في غرفة واحدة ليسهموا في وضع نظام لساني آلي فإن النتيجة ستكون غنية جداً، أغنى من تجربة أي واحد منهم بمفرده.

ج . هيرمنسون

إننا سنصل إلى منعطف نجد فيه أن كل هذه الحقول تتداخل مع بعضها. إنه ليس من السهل ألَّا نعتبر آراء تشومسكي في هذا المجال وأن نقول ببساطة إنه عالم رياضيات فقط. فهناك صياغات وتصميمات عديدة للحاسبات الالكترونية كانت قد وضعت بفضل المعادلات الرياضية التي وضعها عالم اللسانيات الأمريكي تشومسكي من أجل معرفة المقاطع اللغوية وتفسيرها تفسيراً واضحاً. كيف يمكننا أن نطور نظاماً شكلياً من أجل التخزين الآلي. إنني لا أريد أن أعتذر عن عمل أي شيء. فالحاسب الالكتروني يدفعك لأن تكون عالماً لسانياً جيداً ويدفعك في الوقت نفسه لئلا تكون نظرياً في عملك بل واقعياً عملياً لمعرفة عدة ظواهر، ولمعرفة النظريات الحقيقية التي يمكن تطبيقها بسهولة وواقعية.

ويمكنك أن تعرف من خلال النظريات الواقعية كيف يمكن أن نحلل التراكيب الأساسية وكيف يمكن توليدها في الوقت نفسه. والواقع إن النظريات العلمية لا يمكن أن تعمل كلها بشكل سريع وبسيط كما هو متوقع. لأن النظرية يجب أن تمتحن من خلال استعمالها في الحاسب الالكتروني. وبما أن الرياضيات هي نظام شكلي فإنها تختلف بشكل ما عن اللغات البشرية التي تعتمد في حركيتها على الغموض والتفرع والتغير. أما الرياضيات فهي تعتمد على الوضوح والقضايا المحددة وذلك لديناميتها وقوتها العالمية.

أما الحال في اللسانيات الحاسوبية ـ المعلوماتية فإنك تحاول أن تجمع بين هذين النظامين الرياضي واللغوي، بين العلاقات الرياضية وبين العلاقات اللغوية. إن هذا الجمع يجعلك تقف وتفكر بشكل عميق.

السؤال الحادي عشر

«هربرت درايفوس» في كتابه **ما لا يمكن للحاسبات الالكترونية إنجازه** كان قد أكد الاعتقاد التالي: إنه يمكن استخدام علم الذكاء الاصطناعي في محاولة سقراط إيجاد قواعد دقيقة لعملية الحياة.. وقد نقد ـ درايفوس ـ الاتجاه الحالي للتقليد الفلسفي في ضوء عمل معاصر لدراسة الظاهراتية والوجودية. ما هي آراؤكم حول هذه القضايا؟.

الجواب

م. زارتشناك

إنني أوافق ـ درايفوس ـ قوله، لأنني أجد في غالب الأحيان أنه عندما يحاول أي شخص تخزين بعض القضايا التي تمثل الإحساس الإنساني المتمثل في كلمات مثل «أعتقد، أفترض، أظن، أشعر» فعندها سيكون لديه نظام يعتمد على مبدأ الاحتمال، وهكذا سيخبر نفسه: ماذا ينبغي له أن يفعل في شروط معينة، وعندما

تظهر هذه الشروط فإنه ليس من الضروري أن تُحقق وفي النهاية بدلاً من القول: «نعم» أو «لا» فإنه سيأتي إلى نقطة أخرى وهي «ربما» وإن الإنسان بحد ذاته وفي معظم الأحيان يتصرف بهذه السلوكية. إنه يمكن أن يكون لديك بعض الأفكار المتعلقة بأعمال مستقبلية ولكن لا يمكنك توقع حدوثها.

من هنا، فإن الاعتقاد بنظام الاحتمالات ونظريات الجمال لا يمكن أن يقرر بشكل مسبق. فعندما تقول بأن هذه الفتاة جميلة فإن السؤال الذي يطرح نفسه يبقى هو: جميلة لمن؟ والآن فإن هذه ليست مشكلة آلية حسابية من هنا فإن كل العبارات التي ذكرناها من قبل لا يمكن أن تحسب وتعالج في الحاسبات الالكترونية آلياً لأن كل حياتنا مركزة حول قضايا «الحب، الكره، القتل، التكاثر» فعلى الأقل من وجهة نظري لا يمكنني أن أتخيّل كيف يمكنني أن أعالج هذه القضايا معالجة حسابية آلية، فمن هذا المنطق فإنني أوافق ما قاله ـــ درايفوس ـــ.

آ. تكر

ليس لدي الكثير لأقوله حول القضايا الفلسفية، سواء أكان علم الذكاء الاصطناعي علماً مناسباً ومتعلقاً بعلم اللسانيات الحاسوبي ـــ المعلوماتي أم لا. إنها قضية تظل عميقة، على كل حال لا أعتقد أنه يمكننا أن نعتمد على علم الذكاء الاصطناعي من أجل تقديم حل للمشكلات الفلسفية. إنني أعتقد بأن الاكتشافات العظيمة هي تلك التي اكتشفت من خلال العلوم البشرية ولم تكتشف من خلال الانعزال والفراغ. إن علم الذكاء الاصطناعي هو علم وليد جداً، إنه علم مضى عليه عشرون سنة. من هنا، إنه علم جديد حتى إن هناك بعض الباحثين لا يدعونه علماً أبداً. لقد نُظر إليه على أنه علم قائم بذاته عندما أُصبح هناك بعض الباحثين الذين يضعون نماذج معينة لحالات غير معقولة لا يمكن أنْ تنطبق على العالم الخارجي.

ج . هيرمنسون

لقد قرأت كتاب ــ درايفوس ــ كما قرأت عدة آراء نقدية حول هذا الكتاب الذي يقدم نقاشاً حياً . إنه من السهل على المرء أن ينقد نماذج جديدة في البداية وخصوصاً عندما تظهر هذه النماذج إلى عالم التطبيق وربما يكون على حق في هذا ، وذلك لأنه ليس هناك اتحاد نهائي بين الإنسان وبين الآلة ، بين الطبيعي وبين الشكلي ، بين الشيء الذي يعتمد الوضوح وبين الشيء الذي يعتمد الغموض ، ولكنني لا أرى فائدة لمثل هذا الإسهاب . كما لا أرى أي برهان نظري على أنه يتعذر الدفاع عن هذه الطريقة ، وهذا ما يريد أن يفعله ــ درايفوس ــ أي يقول بشكل نظري إنه من المستحيل أن يكون هناك اتحاد بين الآلة والإنسان ، ولكنه في الوقت نفسه يقول التجريبيون إنه لا بد لنا من أن نجرّب ونستمر في التجربة لنرى الفوائد التي يمكن أن نحصل عليها .

السؤال الثاني عشر

لقد حاول العديد من علماء اللسانيات مقارنة العمليات اللغوية الجارية في الدماغ البشري بالعمليات الحسابية والرياضية في الدماغ الالكتروني . فعالم اللسانيات البيولوجية إيريك لينبرغ (Erick Lenneberg) مثلاً أجرى مثل هذه المقارنة في بحوثه العلمية . ما هو رأيكم في هذه المسألة ؟

الجواب

م . زارتشناك

إن هذه المسألة هي مسألة نسبية تشبه المسألة الطبية ، فأي دواء يصفه الطبيب للمريض يمكن أن يكون ساماً إذا تناوله المريض بكميات كبيرة . ويمكننا الاستشهاد على هذه الظاهرة من التاريخ نفسه . لقد جاءت فترة تاريخية معينة كانت فكرة الحركة (motion) فيها فكرة جديدة وثورية في الوقت نفسه وذلك لأن مفهوم مركز الكون وتحركه كان ينصب حول الشمس بدلاً من الأرض . إن فكرة الحركة

الشمسية هذه أصبحت أكثر قبولاً وملائمة عندما اكتشف العالم هارفي (Harvey) حركة دوران الدم في الجسم. ويمكن الاستشهاد أيضاً على جدة الظواهر العلمية وانتشارها من خلال مثال آخر، فعندما سأل العالم هوبس (Hobbes) نفسه: ما معنى أن نفكر؟ فإنه أجاب عن هذا السؤال بسؤال آخر هو: ما معنى أن نعدَّ حسابياً؟

إن ما يعنيه العالم هوبس هو أننا إذا رأينا بقعة سوداء في الأفق ولا نعرف ما هي هذه البقعة فإننا سرعان ما نبدأ بعملية حسابية لكشفها: إننا نسأل أنفسنا عما إذا كانت هذه البقعة السوداء تتحرك أم لا. فإذا اكتشفنا بأنها تتحرك فعندها لا بد لها من أن تكون كائناً حياً. لهذا سنقترب منها لنرى شكلها ونتعرف إليها. وفي نهاية المطاف سنستطيع تمييزها عن بقية المواضيع الفيزيائية الأخرى. ولكن ما نوعية هذا الكائن الحي؟ فعندما نسمع صوته سنتساءل عما إذا كان بقرة أم إنساناً؟ إن كل هذه المظاهر والصفات هي قيم عددية نضيفها إلى القيمة العددية الأولى وهي البقعة السوداء.

وهكذا، إذا اعتقدنا بأن العملية الفكرية هي عملية حسابية ــ رياضية، فإننا سنكتشف بأن أي فكرة إنسانية نملكها هي عرضة لعمليتي الجمع (+) والنقص (−) الحسابيتين أي أنه يمكن لهذه الفكرة أن تظهر من خلال قيم غير مترابطة أو علاقات معينة تربط هذه القيم بعضها ببعض. وهكذا إذا تمعنا في العلاقات التي تربط هذه القيم اكتشفنا بأنها علاقات منطقية رياضية لا تتغير أبداً. نأخذ على سبيل المثال أدوات العطف (أو ــ و ــ لكن ....) إنها أدوات منطقية رياضية تساعد على إدراك سلاسل الكلمات وجعلها وحدات منطقية مترابطة. من هنا يمكننا أن نستنتج بأن أداة العطف (و) وإشارة الجمع (+) هما أداتان تؤديان الوظيفة نفسها. والعملية الفكرية «إلى حد ما» هي عملية حسابية رياضية. لهذا يمكننا القول بأن هناك تشابهاً بين بنية الدماغ الالكتروني وبين بنية الدماغ البشري.

آ . تكر

إن هذه المسألة تشمل كل القضايا المتعلقة بالدراسات اللسانية والنفسية والبيولوجية ولست أشعر بأنني باحث كفء للتحدث عن هذه القضايا. ولكن أعتقد بأن الأخذ بمثل هذه النماذج المقارنة هو نافع جداً. يمكن أن يقدم لنا نتائج قيمة تساعدنا على فهم البنية اللغوية فهماً عميقاً. إنه من الواضح أن اللغات البشرية هي نتاج الدماغ البشري لهذا لا يمكننا فهم هذه اللغات بشكل عميق إلا إذا فهمنا بنية الدماغ البشري. إن هذه المعارف حول البنية الدماغية والبنية اللغوية هي معارف تعِدُ بعطاءات ونشاطات زاخرة.

ج . هيرمنسون

إن السؤال يتعلق بالحقلين اللذين يرتبطان مع بعضهما بشكل فعال وهما: حقل اللسانيات الحاسوبية ـــ المعلوماتية وحقل الذكاء الاصطناعي. فعندما نحاول استعمال الحاسب الالكتروني (الكومبيوتر) من أجل برمجة لغوية لمعرفة اللغات البشرية معرفة دقيقة فإننا نفعل الشيء نفسه لمعرفة الذكاء البشري. وعندما نطلب من الآلة أن تحاكي طريقة الذكاء التي يعمل من خلالها الكائن البشري بأسلوب ذكي فإننا سنتعلم الكثير عن ماهية الذكاء هذا. إنني عندما أذكر مفهوم الذكاء الاصطناعي أمام بعض الناس الذين لم يألفوا هذا المصطلح فإن ردة فعلهم الأولى ستكون حول كلمة «اصطناعي» ولكن السؤال الفعلي الذي ينبغي أن نوجهه هو: ماهو الذكاء؟ والجواب عنه سيدفع علماء اللسانيات النفسية وعلماء الفلسفة وعلماء اللسانيات وكل العلماء الذين يبحثون في هذا الحقل لأن يعرّفوا الذكاء حسب وجهات نظرهم المختلفة، مفرقين بين المعايير التي تجعل من سلوك معين سلوكاً ذكياً أو غير ذكي وأعتقد أنه يمكننا أن نقسّم هذين المنهجين إلى محاكاة ونمذجة. محاكاة بحيث يمكننا أن نأتي بآلة تحاكي وتقلد ما يفعله الكائن البشري كما هو الحال في «أجهزة الخبرة الطبية» حيث يمكن للآلة أو الحاسب الالكتروني أن يشخّص المرض

وأن يجد طريقة ما لزرع الأنسولين (Insulin) في جسم الإنسان . ولكن الآلة يمكن ألا تعمل بالطريقة نفسها التي يعمل بها الكائن البشري . ولكن المهم في الأمر هو أن هذه الآلة ستقدم لنا نتائج سريعة ومفيدة ترضي علماء اللسانيات الحاسوبية ـــ المعلوماتية .

أما المنهج الآخر فهو المنهج النموذجي الذي من خلاله يمكننا أن ننظر إلى العقل البشري ونحاول فحصه ومعرفته وذلك من أجل تصميم آلة نموذجية تعمل بنفس الطريقة التي يعمل بها العقل البشري . وهكذا يمكننا من خلال هذا العمل النموذجي أن نعكس النموذج العلائقي للدماغ البشري في نموذج علائقي يعمل من خلال الحاسب الالكتروني . وعلى الرغم من أن نتائج أيٍّ من الدماغيين الآلي والبشري ستكون متشابهة ، ولكن الطريقة التي يعملان من خلالها هي طريقة متماثلة . وأعتقد بأن عالم اللسانيات البيولوجية (إيريك لينبرغ) الذي ذكرته يأخذ بالمنهج النموذجي الذي يقول بأن الدماغ الإنساني يعمل من خلال دارة كهربائية . وهكذا فإن استطعنا تحديد الطريقة التي يعمل الدماغ البشري والدماغ الالكتروني من خلالها فعندها يمكننا معرفة كيفية عملها ومن ثم نستطيع أن نبرمج الآلة والحاسب الالكتروني برمجة متماثلة مع البرمجة الموجودة في الدماغ البشري .

السؤال الثالث عشر

إن الترجمة ـــ كما تعلمون ـــ من لغة إلى أخرى هي فن بحد ذاته لذلك فالترجمة الجيدة ينبغي أن توضع بأسلوب ممتاز وجمالية متألقة . هل تستطيع الآلة أو الحاسبات الالكترونية أن تحل محل الإنسان لفعل هذا العمل ؟ .

الجواب

ج . زارتشناك

لا أظن أن الآلة يمكن أن تحل محل الإنسان بشكل كامل وحقيقي . فإذا اتبعنا

أي أسلوب في عملية الترجمة مستخدمين لغة سهلة ومشروحة كالأسلوب الذي نادى به البروفسور نايدا في كتابه **نظرية الترجمة وممارستها** فإننا سنكتشف بأن هناك مستويين في أي عمل أسلوبي . هناك تقنيات أسلوبية للتأثير الخاص وهناك تقنيات أسلوبية تستخدم كلمات محددة لتزيد في طبيعة انسياب المعلومات وسهولتها وذلك من أجل الاتصال والتبليغ الجيد . وبغض النظر عن المستوى الأسلوبي الذي سنختاره فإن هناك قوائم من الكلمات المرتبة والمركبة حسب نغماتها والتي يمكن أن تستعمل كتقنيات أسلوبية . فعلى سبيل المثال إذا أردنا أن نزيد في الوظيفة الاتصالية أو التبليغية ، فإن علينا أن نستخدم كلمات واضحة تحدث مراراً ونصوغها في تركيب نحوي واضح وبسيط .

ففي اللحظة التي نبدأ فيها بدمج التراكيب البسيطة المركبة فإن عملية الفهم هنا ستكون عملية صعبة وبطيئة ، وبالتالي فإن الوظيفة الاتصالية ستكون بطيئة أيضاً وهكذا فإن برامج الأدمغة الالكترونية يمكن أن تُكتب لتعكس إلى حد ما بعض مظاهر التجربة الإنسانية وليس كلها . فعلى سبيل المثال لا يمكننا برمجة تجربة دينية من خلال الحاسب الالكتروني . يدعي بعض الناس أنهم يستطيعون أن يأخذوا بنا إلى عالم الروح والعاطفة الإنسانية العميقة الصافية . لذلك لا أعتقد بأن مثل هذه التجارب الإنسانية الروحية والعاطفية يمكن معالجتها آلياً ومن خلال الحاسبات الالكترونية .

آ . تكو

لا أعتقد بأن الآلة يمكن أن تحل محل الإنسان في هذا المجال ، ومن خلال الإمكانيات التكنولوجية الحديثة المتوفرة لدينا فإن التكنولوجيا الحديثة والمعاصرة تسمح لنا فقط بتقديم ترجمة جافة خالية من العواطف والأحاسيس .

إن القيمة الحالية للترجمة الآلية لا تكمن في خلق عمل ذي صبغة أسلوبية معينة . إن وظيفتها هي خلق الإمكانية القادرة على تدبير وتنظيم العبء الكبير الناتج

عن هذه المعلومات الضخمة والكثيرة في اللغة البشرية بحيث يمكن لشعوب هذه اللغات ذات الثقافات المتعددة أن تفهم هذه الترجمات بشكل بسيط وسهل مقروء. وهكذا فإن الهدف من الترجمات الآلية هو أن يكون بمقدور الآلة أن تترجم آلاف الكلمات في الساعة الواحدة. وهذا يختلف عن الترجمة البشرية التي تبدو بطيئة جداً بالمقارنة مع الترجمة الآلية. إن نوعية النصوص المترجمة آلياً تختلف اختلافاً كلياً عن نوعية النصوص المترجمة إنسانياً. إن الإنسان المترجم غالباً ما يُعطى نصوصاً أدبية لترجمتها. تلك النصوص التي هي مصوغة صياغة أسلوبية وفنية وجمالية. إن هذا النوع من النصوص لا يمكن أن يُعطى للآلة. إنه ينبغي أن تقدّم لها نصوصاً تتعلق بمواضيع محددة كالتقارير والمقالات العلمية، ومواد علمية أخرى جافة كالمواضيع العلمية، وجلسات المؤتمرات وتقارير الميزانية المالية. فهناك منظمات دولية عندها تقارير مالية تريد تنظيمها كل سنة. فلا يستطيع الإنسان المترجم تحقيق مثل هذا العمل إلا إذا استخدم الحاسب الالكتروني. وهذا يختلف بالطبع عن عمل أدبي فني يراد ترجمته كألف ليلة وليلة مثلاً، ذلك الأدب المصوغ صياغة أدبية وأسلوبية فنية. وهذا يعني أن مثل هذه الأعمال هي عرضة لتفاسير نقدية مختلفة تنبع من طبيعة ذلك العمل الفنية والأسلوبية والعاطفية والجمالية التي لا يمكن للآلة معالجتها.

نستنتج بأن الترجمة الآلية لها وظيفة محددة لا تأخذ بحسبانها الخلق الأدبي والفني كما أعتقد بأنه لن يكون بإمكان الترجمة الآلية تحقيق مثل هذه المهمة في المستقبل.

ج. هيرمنسون

أعتقد بأن الآلة لا يمكن أن تحل محل الإنسان في عملية الترجمة. فالآلة ينبغي ألا تحل محل الإنسان، فلا يمكن للسيارة أن تحل محل أرجل الإنسان. إنها وسيلة لتوسيع قدراتنا العقلية الإنسانية. هذه الوسيلة ستجبرنا على توسيع دراستنا حول ماهية الإنسان، وماهية ذكائه. كيف يعمل الذكاء عند الإنسان؟ وكما ذكرت من

قبل بأن أنظمة الترجمة التي تظهر في عالم اليوم تدفعنا للقول بحرص بأن هذه الأنظمة هي تقنيات مساعدة جداً للمترجمين وليست أجهزة آلية مترجمة بحد ذاتها. إنه مما لا شك فيه أن ترجمة الكلام اللغوي هي عملية جمالية إنها عملية إنسانية فنية فريدة وينبغي أن تبقى كذلك.

السؤال الرابع عشر

أين موضع اللغة العربية في إطار اللسانيات الحاسوبية ــ المعلوماتية والترجمات الآلية؟.

الجواب

م. زارتشناك

الواقع، إنني أعرف القليل جداً عن هذا الموضوع، وربما يعرف عن هذا الموضوع البروفسور سارة (Sara)، لأننا كنا نعمل سوية في السنة الماضية على اللغة العربية والترجمة الآلية من العربية إلى الروسية، بالإضافة لذلك فقد ترجمت للبروفسور سارة بعض الموضوعات من الروسية إلى العربية وتفحص القواعد المدونة في اللغة العربية فوجدها ترجمة مفيدة. من هنا لا أستطيع التحدث عن هذا الموضوع بنفسي بما أنني لا أعرف العربية ولكن البروفسور سارة وصف أصل المفردات بالتفصيل أكان ثلاثياً أم أن هناك ملحقات لغوية تلتصق ببداية الفعل أو بوسطه. وقد وصف أيضاً ترتيب الجذور العربية وكيفية ترجمتها آلياً إلى اللغة الروسية. أعرف بعض الأعمال المتعلقة بالترجمات الآلية العربية كانت قد وضعت في اليابان وبريطانيا. أما بالنسبة للولايات المتحدة، فهناك بعض منها وضع من قبل شركات تجارية خاصة، كنظام الترجمة الآلي الذي طُور في ولاية كاليفورنيا وهناك خبير في هذا الشأن يُدعى بيترتوماس (Peter Thomas)، يحاول تطوير نظام آلي للترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإنكليزية وبالعكس وقد رحل إلى القاهرة من أجل بيع هذا النظام لشركات عربية تجارية، كما أن هناك أعمالاً آلية أخرى تتعلق باللغة العربية يطورها

أصحابها في جامعة هارفرد. ولكن ليس هناك فرصة كافية تسنح لي بدراسة هذه الأعمال بالتفصيل. لذلك لا أستطيع أن أدلي برأي موضوعي حول هذه المسألة. ولكنني لا أرى أي سبب يمنع من البحث في تطوير نظام آلي عربي لينقل اللغة العربية إلى عالم التكنولوجيا والاتصال، لأن اللغة العربية هي لغة ذات نظام دقيق وأنيق تركيبياً ودلالياً ومعجمياً. ما نريده هو الدعم المادي المالي الذي يمكن أن يكرس لخدمة هذا النظام خدمة تكنولوجية آلية.

آ. تكر

لست مطلّعا على أي نظام آلي عربي للترجمة في الوقت الحاضر ولكن لا شك بأن هناك بعض النماذج للترجمات الآلية من اللغة العربية وإليها. إن الأنظمة الآلية المعروفة والمتطورة للترجمات في هذا الوقت إنما تعمل على اللغات الروسية والإنكليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية واليابانية. فمثلاً في اليابان طوّروا بأنفسهم نظاماً يابانياً ـــ إنكليزياً للترجمات الآلية. هذه هي اللغات الرئيسية المبرمجة برمجة آلية للترجمة. وهناك بحوث كثيرة قائمة الآن تتناول اللغة الصينية وتهتم بها. ولكن النتائج قليلة جداً في هذا الميدان ذلك لأنني لا أعرف أي نظام آلي صيني للترجمة. على أية حال هناك اهتمام حالي كبير ينصب على اللغة العربية وأعتقد أن مشكلة الترجمة الآلية من اللغة العربية وإليها يمكن حلها على غرار حل المشكلة التي كانت متعلقة بالترجمات الآلية للغات الأخرى. إنه يمكن حل هذه المشكلة وفي وقت قصير، سنة أو سنتين. إنني أعمل شخصياً على وضع نظام آلي عربي للترجمة. ذلك النظام الذي لا يحتاج إلى وقت طويل لتحقيقه وإنجازه.

ج. هيرمنسون

أعتقد بأنني لا أستطيع أن أضيف أي شيء إلى ما قاله البروفسور زارتشناك وتكر ذلك لأنني أعرف أنهما والبروفسور سارة يقومان ببحث يتعلق بوضع نظام عربي ومحاولة برمجته في الحاسبات الالكترونية من أجل ترجمات آلية سريعة.

السؤال الخامس عشر

هل بالإمكان برمجة تركيب عربي أساسي في الحاسب الالكتروني من أجل إعطاء عدة تراكيب عربية أخرى خاضعة لعمليتي التوليد والتحويل اللغويين؟ لنفترض أن هناك التركيب العربي الأساسي التالي :

(1) ضرب زيدٌ سالماً .

كيف يمكننا برمجة هذا التركيب الأساسي العربي في الحاسب الالكتروني من أجل إعطاء عدة تراكيب عربية متحولة عن هذا التركيب مثل .

(2) ما ضرب زيدٌ سالماً ← نفي .
(3) هل ضرب زيدٌ سالماً ← استفهام تصديقي .
(4) لماذا ضرب زيدٌ سالماً ← استفهام تصوري .
(5) من ضرب سالماً ← استفهام تصوري .
(6) اضرب سالماً ← أمر .
(7) ضُرِبَ سالمٌ ← مبني للمجهول .

الجواب

م . زارتشناك

إن حلول هذه المشكلة ستكون دقيقة عندما تُستبدل كلها بحل واحد فيمكن معالجة هذه التراكيب عندما توجد لغتان وتُنقل هذه التراكيب الأساسية من واحدة إلى أخرى. والسؤال الذي يطرح نفسه هو : أي لغة من هاتين اللغتين نريد أن ننقل التراكيب منها إلى اللغة الأخرى؟ فإذا افترضنا بأننا نريد نقل التراكيب إلى الروسية فإنه سيكون أسهل من نقلها إلى الإنكليزية وذلك لأن بنية التركيب اللغوي الروسي تشبه إلى حد ما بنية التركيب اللغوي العربي . وهكذا فإذا أردنا نقل التراكيب الروسية إلى اللغة العربية سيكون الأمر سهلاً أيضاً . فحل هذه المشكلة سيكون أفضل إذا أخذنا بمعيار التحليل اللغوي العالمي وبالتحديد إننا نريد أن نؤسس معايير

لغوية يمكن أن تطبق على أية لغة بشرية عندما نريد حل إحدى مشكلاتها، فإذا نظرنا إلى التراكيب اللغوية من وجهة نظر ترتيب كلماتها (فاعل + فعل + مفعول به) أو (فعل + فاعل + مفعول به) ينبغي على هذا الترتيب أن يكون مرتبطاً بالسؤال التالي: هل هناك أي نظام عالمي لترتيب الكلمات في اللغة الطبيعية؟ لنفرض أننا قلنا: (المزارع قتل البط) فإن السؤال هو: هل شاهدنا بادىء ذي بدء المزارع أم البط أم عملية القتل؟.

إن هذا الحدث عبارة عن «سيناريو» بحيث يمكن لهذه المصطلحات اللغوية إما أن تحدث دفعة واحدة أو أن تحدث بشكل متلاحق عاكسة الوضعية الواقعية للحدث، وهكذا يمكننا أن نفترض في اللغة الطبيعية ما نفترضه في العالم الواقعي الحقيقي. أي ليس هناك ترتيب حقيقي للحدث. بل هناك صورة أيقونية (Iconic) كلية متشكلة وفي الوقت نفسه يمكننا أن نأخذ هذه الصورة الكلية فنضعها في نظام معين. فإذا عدنا الآن إلى الظاهرة التركيبية المتعلقة باللغة العربية التي ذكرتها أنت من قبل والتي تُظهر وجود النفي والاستفهام وما أشبه ذلك فإنه سيكون لدينا حل بسيط جداً. فإما أن نطبق الحل المعجمي أو الحل النحوي (التركيبي). فإذا طبقنا الحل المعجمي وضعنا أداة الاستفهام في بداية التركيب كما هو الحال في الروسية، وهكذا حتى لو لم يكن هناك نغمة تدل على الاستفهام فإن هناك أداة معجمية تدل عليه أما إذا طبقنا الحل النحوي (التركيبي)، فإنه يتوجب علينا أن نبين ونظهر النغمة التي تدل على الاستفهام. ولكن أياً كان الحل فإن نظام ترتيب الكلمات هو واحد. وما علينا إلا أن نضع الأداة الاستفهامية في بداية التركيب. وباختصار: هناك حلان للمشكلة: الحل المعجمي والحل النحوي (التركيبي) من هنا ينبغي أن نكتشف الحل المناسب للغة من أجل برمجة ناجحة في الحاسب الالكتروني.

آ. تكر

عندما ننظر إلى لغة كاللغة العربية فإن الشيء الأساسي الذي ينبغي فعله هو

أن نصف التحولات المورفولوجية (الصرفية) التي تصوغ بدورها أشكالاً عديدة للكلمات والأفعال والأسماء وما أشبه ذلك. أما الشيء الثاني الذي ينبغي علينا فعله هو أن نصف التحولات النحوية (التركيبية) التي من خلالها يمكن للتركيب العربي الأساسي أن يتحول إلى تراكيب أخرى ذات دلالات مختلفة. فإذا أخذنا المثال الذي أتيتَ به فإننا نلاحظ بأن مكوناته تتألف من (فعل+فاعل+ مفعول به) وإذا أضفنا أداة لغوية مثل (ما) إلى بداية هذه المكونات سنحصل على تركيب لغوي مختلف وإذا أضفنا أداة لغوية أخرى مثل (هل) أو (لماذا) سنحصل على تركيب لغوي آخر وهكذا يمكننا معرفة خصائص التركيب من خلال تطبيق نظرية تشومسكي التوليدية قبل البدء بالبرمجة اللغوية.

إنه يمكننا وصف البنية المورفولوجية (الصرفية) والبنية النحوية (التركيبية) لهذه الأمثلة بسهولة وذلك من خلال كتابتها على السبورة وبعدها نضع برمجة لغوية لهذه التراكيب يمكن معالجتها من خلال الحاسب الالكتروني. إننا نستطيع من خلال هذا التشخيص للمواد اللغوية القليلة ومن خلال وضع برمجة لغوية لها أن نعالج كل التراكيب التي تتولد من لغة ما كاللغة العربية ويمكننا السيطرة على هذه التراكيب سيطرة آلية تبلغ حوالي 80%-90%.

فإذا فرغنا من هذه العمليات (وصف البنية المورفولوجية للكلمات ووصف البنية النحوية التركيبية للتراكيب ــ صياغة برمجة لغوية مستندة إلى هذا الوصف وإدخالها في الحاسبات الالكترونية) يمكننا بعدها أن نرسم تركيباً مشجراً لكل هذه العمليات على شاشة الحاسب الالكتروني الذي سيبّين لنا ماهية الفاعل وماهية الفعل وماهية المفعول به، ثم يمكننا الحصول على ملاحظات لغوية أولية تتعلق بهذه المواد اللغوية والعمليات الجارية فيها. وهكذا نستطيع أن نبين فاعل الحدث (agent) ونوعية الحدث (action) الذي يمكن أن يكون لازماً أو متعدياً ثم مفعول الحدث (object) إنه باكتشافنا لهذه العمليات النحوية (التركيبية) والدلالية العاملة في المواد

اللغوية نستطيع أن نزيل عدة التباسات في هذه المواد ونستطيع معرفة الأدوار النحوية والدلالية لعناصر الكلام، وبالتالي نستطيع أن نعرف البنية اللسانية للتراكيب العربية لكي نضع برمجة لغوية مبنية على معرفتنا لتلك البنية اللسانية ومن ثم معالجتها في الحاسبات الالكترونية.

إن بعض الباحثين إضافة إلى ذلك يحاول أن يأخذ بحسبانه المعرفة الدلالية للتراكيب لكي يكون تحليله دقيقاً جداً. ولكن ربط المعرفة البشرية بشكل عام بالرموز اللغوية يشكل منطقة واسعة من البحث ما زالت بحاجة إلى دراسة عميقة جداً. إن كل معلوماتنا حول المعرفة الإنسانية لا تتعدى المعرفة الناتجة عن اللغات التي نتكلمها. وبكلمة أخرى، إن معلوماتنا حول المعرفة البشرية هي تلك الناتجة عن الحقائق التي تقدمها لنا اللغة فقط وهنا تُطرح مسألة أخرى في البرمجة الآلية والحاسبات الالكترونية تتمثل بالسؤال التالي: ما هي المقدرة المطلوبة من الحاسب الالكتروني ليستطيع أن يمثل أو يظهر المعرفة الناتجة عن المعرفة البشرية التي هي خارجة عن اللغة وتركيباتها؟.

ويبقى البحث لمعرفة ماهية «المعرفة البشرية» وعلاقاتها بالحاسبات الالكترونية بحثاً مفتوحاً يحتاج إلى دراسة عميقة، ولكن المهم هنا هو كيف يمكننا أن نجعل الترجمة الآلية لتراكيب لغوية معينة تتم بثوانٍ لا في ساعات طويلة؟ إن كل القضايا التي تكلمت عنها هي قيد بحث أقوم به بالتعاون مع كل من البروفسور زارتشناك والبروفسور سارة منذ عدة شهور. لقد اخترنا بعض النصوص المقتطفة من قصة ألف ليلة وليلة لمعرفة البنية المورفولوجية (الصرفية) والبنية النحوية (التركيبية) والبنية الدلالية للجمل الواردة في هذه النصوص ثم لمعرفة الأسس الآلية التي يمكن من خلالها برمجة هذه الجمل برمجة آلية في الحاسب الالكتروني وقد بدأنا بتحليل الجملة الأولى من هذه القصة كما رسمنا تركيباً مشجراً لهذه الجملة العربية يبيّن خصائص النظام اللغوي العربي.

إنني من خلال هذا التحليل أعرف كيف يعمل التركيب العربي المؤلف من (فعل+ فاعل+ مفعول به) وبالطبع هناك إضافات لغوية تلحق بكل مكون من تلك المكونات لتشكل التركيب اللغوي العربي. إن الفعل يأتي في بداية التركيب فهناك عدة قواعد مورفولوجية (صرفية) لصياغته وصياغة الفاعل الذي يأتي بعده مباشرة ثم لصياغة المفعول به الذي يأتي بعد الفاعل. فكل هذه المكونات يمكن أن تبرمج آلياً لتخزين التركيب العربي في الحاسب الالكتروني. والشيء المهم أثناء نظرنا إلى لغة كاللغة العربية هو أن نفهم بادىء ذي بدء ـ كيف يمكن لهذه اللغة أن تعمل من وجهة نظر آلية ميكانيكية؟ ما هي القواعد التي تجعل هذه اللغة تعمل؟ ما هي القواعد العامة التي يمكن أن تعمم على اللغة ككل؟ ما هي الأشياء اللغوية التي ينبغي أن تعلّمها لطفل عمره سنتان يتعلم العربية لأول مرة.

هذا ما يجب أن نفعله بالضبط عندما نعلّم الحاسب الالكتروني. يجب علينا أن نعتبر الحاسب الالكتروني كالطفل الذي عمره سنتان ويريد أن يتعلم اللغة وهكذا فإن الحاسب الالكتروني لا يعرف أي شيء عن اللغة لذا علينا أن نعلمه اللغة تعليماً قائماً على أسس موضوعية معتمدة على بنية اللغة نفسها وعلى النظام اللغوي الذي يجعل اللغة تعمل بشكل ما. إن هذه الطريقة وحدها ستوصلنا إلى النجاح الذي نبغيه من برمجة اللغة العربية في الحاسب الالكتروني.

ج . هيرمنسون

إن برمجة هذه الأمثلة العربية في الحاسب الالكتروني ستكون تجربة ممتازة لي كباحث لا يعرف اللغة العربية وقواعدها. إن ما يمكن فعله في هذه الحالة هو أن أجلس معك كإنسان لا يعرف شيئاً عن اللغة العربية وأسألك عن القواعد التي تنتج مثل هذه التراكيب فإذا استطعت أن تشرح لي كيفية عمل هذه القواعد يمكنني بعدها أن أكتب هذه القواعد بطريقة يستطيع الحاسب الالكتروني فهمها. فإذا قلت لي: لا أعرف كيف تعمل هذه القواعد أو إنها تعمل بهذه الطريقة التي تراها

فإنني عندها سأسألك عن بعض الأمثلة (كمستنطق) وكيفية قولها، من أجل أن أضع بنفسي القواعد المناسبة لهذه الأمثلة. ولكن بما أنك مختص باللسانيات فإنك ستعرف هذه القواعد بالطبع.

السؤال السادس عشر

كما هو معروف ــ بروفسور زارتشناك وبروفسور هيرمنسون ــ بأنكما تناقشان في المحاضرات التي تدرّسانها لطلبة الدراسات العليا في جامعة جورج تاون بعض المفاهيم المتعلقة بعلم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي ولا سيما المفاهيم التالية:

(1) المظاهر اللسانية للذكاء الاصطناعي.

(2) المعالجة الآلية للمواد اللغوية.

(3) التحليل الآلي الكلام.

(4) التركيب الآلي للكلام.

أود لو أنكما تشرحان للقارئ هذه المفاهيم بشيء من التفصيل.

الجواب

م. زارتشناك

(1) المظاهر اللسانية للذكاء الاصطناعي

هناك مشكلات عديدة تتعلق بحقل علم الذكاء الاصطناعي، تعود إلى سبب واحد هو أن كثيراً من الباحثين لا ينظرون إلى هذا الحقل نظرة جدية لذلك فإنهم لا يخصصون الدعم المالي الكافي لدعم البحوث المتعلقة بهذا الحقل. ولكن هناك بعض الشركات المقتنعة بأهمية هذا العلم لذلك نراها تدعم البحوث والنشاطات المتعلقة بالذكاء الاصطناعي دعماً جيداً. وبغض النظر عن المستوى المعمول فيه في هذا الحقل كمستوى نظام الأسئلة والأجوبة أو مستوى التحكم الذكي للآلة فإنه لا بد لنا من استعمال اللغة البشرية التي تتحول بشكل أو بآخر إلى لغة رياضية ــ

حسابية. لذلك سنجد أنفسنا من خلال هذا التحويل نعمل في حقل الذكاء الاصطناعي ذي المظهر اللغوي.

إنني ــ شخصياً ــ مهتم بمعرفة ماهية العلاقة التي تربط بين استعمال حالات لغوية معينة وبين ترجمة هذه الحالات إلى نظام رياضي خوارزمي (Algorithms) . يتم هذا العمل عادة من خلال استخدام الرسوم البيانية الواضحة. إنه يمكننا أن نعالج المواد اللغوية معالجة تحليلية دقيقة لأننا إذا استخدمنا الرسوم البيانية فإننا سنعرف المكونات الأساسية للذكاء الاصطناعي وبذلك يسهل نقل اللغة البشرية إلى لغة رياضية، وبعدها يمكننا أن نمتحن فاعلية هذا النقل ودقته. إن تحديد لغة بشرية معينة ثم نقلها إلى رموز وصيغ رياضية ومعالجة هذا العمل في الحاسب الالكتروني تسمى «المظاهر اللسانية للذكاء الاصطناعي».

(2) المعالجة الآلية للمواد اللغوية

يستطيع الحاسب الالكتروني عمل بعض الأشياء التي لا يمكن للساني فعلها مثل كتابة العمليات الرياضية الحسابية المعقدة وقياس وظيفة الفاعل في نص لغوي. على أي أساس يمكن لعالم اللسانيات أن يدرك بأن مكوِّناً لغوياً في جملة ما يمكن أن يكون فاعلاً؟ لنأخذ على سبيل المثال الأدوار الدلالية في جملة مثل: أخاف من الدب (I am afraid of the bair) . فمن حيث الوجهة النحوية فإن المكون اللغوي (أنا) هو الفاعل ولكن من وجهة نظر دلالية أخرى يكون هذا المكون مفعولاً به أو هو المكون الذي يعاني من شعور سيء وهو الخوف. أما المكون اللغوي (الدب) فإنه سببُ الخوف وفاعله فإذا أردنا أن نبرمج هذه الجملة ونخزنها في الحاسب الالكتروني فإن على الحاسب أن يدرك الأدوار الدلالية والأدوار النحوية من خلال قواعد معينة، ذلك لأن الأطفال الذين يريدون تعلم لغة ما من الناحية النحوية والتركيبية فقط سيواجهون صعوبات كثيرة: من هنا فإن المعالجة الآلية للمواد اللغوية ينبغي أن تكون من خلال معيارين: معيار نحوي تركيبي، ومعيار دلالي.

(3) التحليل الآلي للكلام

التحليل الآلي للتراكيب هو على العكس من التركيب الآلي لها. فإذا كان هناك نص لغوي ما فإنه يمكننا معرفة كل كلمة في هذا النص من خلال تحديد التراكيب الموجودة فيه. هذا التعريف والتحديد للكلمات المؤلفة للتراكيب يمكن أن يُحدد من خلال الوظائف التي تقوم بها الكلمات في ذلك التركيب. وهكذا يمكن للكلمة أن تكوّن وحدة وظيفية مستقلة بنفسها، ويمكن أن تكون جزءاً غير مستقل بل تابع لوحدة وظيفية أخرى. إنه حسب معرفتي اللسانية هناك وظائف مختلفة في التركيب اللغوي. فإذا بدأنا بمعرفة أي كلمة سواء أكان لها وظيفة مستقلة بنفسها أم تابعة لوظيفة أخرى فإن هذا يعني أننا نحلل التركيب اللغوي تحليلاً آلياً.

(4) التركيب الآلي للكلام

إن المعالجة الآلية للتراكيب الكلامية يمكن أن نتحدث عنها في إطار المعالجة الآلية للترجمة. فإذا كان هناك حالة لغوية معينة في اللغة المترجم منها فإنه ينبغي علينا وضع قواعد معينة لتحويل ونقل هذه الحالة اللغوية إلى اللغة المترجم إليها وعندها فإنه يجب علينا أن نركب هذه الحالة اللغوية حسب أبجدية اللغة المترجم إليها وصرفها ونحوها ودلالتها.

ج . هيرمنسون

(1) المظاهر اللسانية للذكاء الاصطناعي

إن الذكاء الاصطناعي هو جهد معين مصمم في آلة معينة مبرمجة الكترونياً بحيث يمكنها أن تعمل بطريقة ذكية جداً. إن حقل الذكاء الاصطناعي ما زال حقلاً بكراً، وما زال الباحثون يتناولونه تناولاً نظرياً ولكن يبدو لي أن هناك بعض التطبيقات لهذه الأبحاث النظرية بحيث يمكن للحاسب الالكتروني أن يتصل مع الكائنات البشرية بشكل مباشر. إن معظم الأعمال التطبيقية لعلم اللسانيات الحاسوبي ـــ

المعلوماتي تنصبّ لتطوير حقل الذكاء الاصطناعي . فإذا كان لهذا الاتصال بين الآلة وبين الإنسان أن يكون اتصالاً كلامياً فعندئذ يصبح إدراك الصوت وتركيبه جزءاً من حقل تطوير الذكاء الاصطناعي . أما إذا كان إدراك الكلام أهم من إدراك الصوت فعندئذ تكون المعايير اللسانية النحوية، التركيبية والدلالية مطلوبة هنا . إن علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي بهذه الطريقة سيكون جزءاً لا يتجزأ من محاولة فهم الذكاء ومحاكاته بشكل عام .

(2) المعالجة الآلية للمواد اللغوية

ترجع المعالجة الآلية للمواد اللغوية بشكل أساسي إلى المواد المكتوبة ونتائج معالجة هذه المواد يعتمد على الاستعمال النهائي الذي يمكن أن يكون تحليلاً لتعدد الكلمات أو مجموعة الكلمات في نص ما، أو أن يكون تحليلاً للتركيب النحوي . ويمكن للاستعمال النهائي أن يكون تحليلاً لفحص البنى المورفولوجية (الصرفية) المشتقة وغير المشتقة . وهكذا فإن المعالجة الآلية للمواد اللغوية تغطي منطقة واسعة من التحليلات المصوغة صياغة منهجية وآلية .

(3) التحليل الآلي للكلام

إن تحليل الكلام هو معالجة أساسية لفهم اللغة . وكلنا يتذكر كيف يتم هذا التحليل عندما كنا في المدارس الثانوية . حيث كنا نرسم الجملة رسماً بيانياً، ثم نقطعها حسب الأسلوب المتبع وقتذاك، وهو التقطيع المعروف بتحليل المكونات المباشرة (I.C) . فالتحليل الآلي للكلام شيء أساسي للحاسبات الالكترونية لأن أية مادة لغوية نريد تخزينها في الحاسب يجب أن نحللها بدقة بحيث يمكننا معرفة العلاقة التي تربط بين عناصر هذه المادة اللغوية . فإذا أردنا معرفة حساب المعادلة التالية ($10 \div 3+2$) فإنه سيكون هناك التباس حول ما إذا كان يجب علينا أن نبدأ بعملية التقسيم ($10 \div 3$) أولاً ثم إضافة العدد (2) أم أنه يجب أن نجمع العمليتين في عملية واحدة ($10 \div 3+2$) . فهناك قواعد واضحة غير ملتبسة في الحاسب الالكتروني

يمكن أن تخبرنا بأن عملية التقسيم يجب أن تكون لها الأسبقية على عملية الجمع. وبمعنى آخر إنه يجب أن نقوم بعملية التقسيم قبل عملية الجمع.

إن التحليل الآلي للكلام (للتراكيب) ينبغي أن يسبق أية عملية تبغي اشتقاق المعنى أو إضافته للتركيب اللغوي، وذلك بما أن العناصر اللغوية تُجمع في عبارات وجمل لتحديد الشكل الأخير للتركيب. وهذا بالطبع يتم من خلال استعمال المعلومات المعجمية المنتشرة في المعجم. ومن ثم يمكننا إضافة القواعد النحوية والدلالية لكل عنصر من عناصر هذا التركيب اللغوي، تلك القواعد التي هي إما أن تكون جزءاً من البرمجة اللغوية التحليلية، وإما أنه يمكن الوصول إليها من خلال البرمجة الآلية في الحاسبات الالكترونية. إن الحصيلة والنتيجة لهذه العملية إما المرحلة الأخيرة من التحليل التركيبي أو مرحلة متوسطة من عملية كبرى في التحليل الآلي للتراكيب.

(4) التركيب الآلي للكلام

إن تركيب الكلام هو وسيلة شائعة من أجل فحص النظريات التركيبية الناتجة عن علم التركيب (Syntax) فإذا كان هناك قواعد محددة ومعينة للصياغة التركيبية للكلام وبرمجة معينة تنظم العناصر المعجمية في التراكيب المصوغة صياغة صحيحة فإنه يمكننا عندئذ أن نفترض بأن النظرية التي اقترحت هذه القواعد للصياغة التركيبية الصحيحة للكلام ستمثل البنية اللسانية للكلام المحلل. ومن وجهة أخرى (وغالباً ما يكون ذلك)، إن البرمجة الآلية يمكن أن تولد «تراكيب شاذة» الأمر الذي يدفعنا لفحص هذه البرمجة للتأكد من صحة ص ياغتها لتحقق مبادىء النظرية اللسانية المقترحة. فإذا لم يكن هناك أي خطأ في البرمجة الآلية فعندها يجب أن يكون الخطأ في النظرية اللسانية.

السؤال السابع عشر والأخير

ما هي توقعاتكم المستقبلية لعلم اللسانيات الحاسوبي ـــ المعلوماتي ـــ كعلم

قائم برأسه؟ وبكلمة أخرى: ما هو مسار هذا الحقل في المستقبل ضمن إطار العلوم التكنولوجية؟.

الجواب

م. زارتشناك

هناك احتمالان في هذا المجال. الأول: هو أن يكون علم اللسانيات العام أقل انعزالاً عن العلوم الأخرى بحيث يمكن للمرء أن يتعلم ما يفعله بقية العلماء. فإذا نظرنا إلى الذكاء الاصطناعي للرؤية فإننا سنكتشف أنه بالإضافة إلى العين البشرية هناك عدة أجهزة اصطناعية يمكن أن ترى وتصور، وعندها يمكننا أن ندرس الصفات العامة لنظام الرؤية في العين البشرية وفي الجهاز الاصطناعي ثم يمكننا دراسة الصفات الخاصة لكل نظام من ذينك النظامين. ولكن ما يهم عالم اللسانيات هنا هو أن العين هي العضو الوحيد الذي يملكه وهو مصمم ومصوغ حسب أشعة الشمس. من هذه الطريقة نستطيع أن نلاحظ أن العلماء الذين ليسوا بلسانيين هم أكثر تواضعاً في سلوكهم العلمي من علماء اللسانيات.

أعتقد أن علماء اللسانيات ـــ غالباً ـــ ما يتصرفون تصرفاً متكبراً متعجرفاً. وهذه الظاهرة ترتبط بالدراسات القديمة للغة. لنأخذ على سببل المثال آراء أرسطو حول اللغة تلك الآراء العميقة في بعدها الفلسفي. ولكن ليس هناك لسانيون كثيرون مهتمون بهذه الآراء التي أتى بها أرسطو. إنهم يفاخرون ببعض الآراء اللغوية الحديثة الهشة. وهكذا فإن مستقبل اللسانيات يعتمد على تخفيض تعجرفنا وتغطرسنا اللساني. إنه ينبغي علينا أن نعير انتباهنا لحقول علمية أخرى لكي تخصب اللسانيات، فلا يمكننا تطوير علم اللسانيات الحاسوبي ـــ المعلوماتي إلا من خلال اهتمامنا بحقول مختلفة للمعرفة البشرية.

آ . تكر

الواقع لست مؤهلاً لأن أتكلم عن مستقبل اللسانيات الحاسوبية ـ المعلوماتية . إنني أنظر إلى علم اللسانيات من وجهة نظر إحصائية آلية . كما أنني أنظر إلى الحاسب الالكتروني أو الآلة على أنه ليس أكثر من وسيلة قادرة على توضيح كيفية علم اللغات البشرية وشرحها . وهناك وسائل إحصائية ـ آلية هائلة تستخدم لا من قبل علماء اللسانيات فحسب بل من قبل باحثين عديدين ينتمون إلى حقول علمية مختلفة . إن هذه الوسائل الإحصائية الآلية تسهل كثيراً مهمة البحث في اللسانيات ، وإن المثال الواضح على ذلك هو الوسيلة الآلية المعروفة بفهرس (KWIC) التي يمكنها أن تأخذ نصاً مؤلفاً من ألفي كلمة (2000) لتحليله ، ولكن علينا أن نرتب هذه الكلمات حسب أبجديتها وحسب سياق الكلام الذي تحدث فيه . إن هذا العمل مهم جداً بالنسبة للنصوص اللغوية لأنه عمل لا يمكن إنجازه يدوياً دون الاستعانة بالحاسب الالكتروني لذلك فإن الحاسب الالكتروني من وجهة النظر هذه هو وسيلة مفيدة ونافعة تساعد عالم اللسانيات على فهم كيفية استعمال كلمة مفردة في سياقات كلامية ذات دلالات مختلفة .

أعتقد أن علم اللسانيات الحاسوبي ـ المعلوماتي هو حقل مفعم بالنشاط والعطاءات الواعدة . والواقع أن الحاسب الالكتروني كان قد صمم بشكل أساسي لمعالجة القضايا الحسابية والأعمال التجارية في العقدين الأخيرين. لقد بدأنا نفهم الآن كيف يمكن للحاسب الالكتروني أن يعالج النصوص اللغوية أو اللغة بشكل عام . إن دخول الحاسب الالكتروني إلى التكنولوجيا المعاصرة لمعالجة اللغة البشرية ساعدنا كثيراً لفهم اللغات بشكل عام . إنه يمكن للحاسب الالكتروني اليوم التعامل بسهولة مع لغات بشرية عديدة كالعربية واليابانية والصينية . فعندما يكون لدينا الوسيلة الآلية والتصميم الآلي ثم نلمس الآلة باللغة العربية فإننا سنحصل على الحاسب الالكتروني الذي يمكن أن يعالج نصاً لغوياً ما . كما يمكنه أن يحوِّل هذا

النص إلى طرائق لغوية عديدة : وهكذا فإن الوسائل الآلية اليوم تتآلف بطريقة مالتحدث كشفاً جديداً أو هاماً في ميدان العلم والتكنولوجيا . هذه الوسائل الآلية ينبغي أن توضع تحت تصرف عالم اللسانيات ليستطيع أن يفهم كيف تعمل اللغة البشرية . وبما أنني باحث في الحاسبات الالكترونية فإن أفضل ما يمكنني فعله هو أن أقلد وأحاكي مايفعله عالم اللسانيات . وذلك بأن أضع برمجة آلية للتعامل مع القواعد التي وضعها عالم اللسانيات لتحديد البنية التركيبية والبنية الدلالية للغة . من هنا فإن علم اللسانيات الحاسوبي ـــ المعلوماتي هو علم واعد جداً في المستقبل، إنه ينبغي على علماء اللسانيات التقليديين أن يتعلموا باستمرار الوسائل الآلية المتوفرة في التكنولوجيا الحديثة لأن هؤلاء العلماء سيجدون بأن هذه الوسائل قد تقدمت تقدماً ملحوظاً في السنوات القليلة الماضية بحيث يمكن لهذه الوسائل إنجاز ما لم يكن بالإمكان إنجازه في الأعوام الخمسة الماضية. فعلى سبيل المثال إن الحاسب الالكتروني المصمم لمعالجة اللغة العربية لم يكن متوفراً منذ ثلاث سنوات مضت، ولكنه الآن مصمم وفق هندسة دقيقة وهو يعمل بشكل سريع وممتاز . هذا الحاسب سيظهر تمثيلاً جديداً للغات التي لم نألفها من قبل . وهكذا فإنه من المهم جداً لعالم اللسانيات أن يستمر في الاطلاع على المستحدثات التكنولوجية للاستفادة منها في تطوير علم اللسانيات تطويراً مفيداً أو ناجحاً .

ج . هيرمنسون

أعتقد أن علم اللسانيات الحاسوبي ـــ المعلوماتي سيتطور من خلال سلوكه في طريقين اثنين :

الأول : هو الحاسبات الالكترونية التي تتطور سريعاً مستفيدة من التكنولوجيا الحديثة .

الثاني : هو النظريات اللسانية التي تتطور أيضاً مستفيدة من تطبيق البرمجة اللغوية في الحاسبات الالكترونية . كما أعتقد أن تحليل اللغة البشرية وتركيبها سيحقق

تطوراً ملحوظاً أكثر من التطور المتوخى في الآلات والحاسبات الالكترونية. فليست اللغة نظاماً محدداً بشكل مثالي. وبكلمة أخرى لا نستطيع أن نحكم على الأمور اللغوية كما نحكم على الألوان مثلاً، ونقول: إن هذا اللون أبيض خالص واللون الثاني أسود خالص. ولكننا من جهة أخرى نستطيع أن نحكم على الحاسب الالكتروني بأنه نظام محدد بشكل مثالي فائق. إننا أمام مشكلة جدية نابعة من طبيعة علم اللسانيات الحاسوبي ــ المعلوماتي كعلم قائم برأسه هذه المشكلة تتلخص بامتزاج النظام اللغوي الذي هو ليس بنظام محدد ودقيق مع النظام الآلي الرياضي الذي هو نظام دقيق ومضبوط.

والواقع إنه يمكن للنظرية اللسانية المبنية على اللغات الطبيعية أن تحاكي النظرية اللسانية المبنية على اللغات الاصطناعية (المعالجة في الحاسب الالكتروني) أو أنه يمكن لكلتا النظريتين أن تتطورا باتجاهين مختلفين.

ومن المتوقع أن المحاولة التي تستفيد من نتاج التطورات الحالية للحاسبات الالكترونية وعكسها على التطورات الحالية للسانيات ستتغير في المستقبل وآمل أن يكون هذا التغير نحو الأفضل والأنجع.

معجـم المصطلحـات اللسانيـة الانكليزيـة ومقابلاتها باللغـة العربيـة

معجم المصطلحات اللسانية الإنكليزية
ومقابلاتها باللغة العربية

المصطلح بالعربية	A	المصطلح بالانكليزية
التراث اللغوي العربي		Arabic linguistic heritage
اللغة العربية		Arabic Language
الصوتيات النطقية		Articulatory phonetics
الصوتيات الفيزيائية		Acoustic phonetics
الصوتيات السمعية ـــ الدماغية		Auditory phonetics
الترجمة الآلية		Automatic translation
اللسانيات التطبيقية		Applied linguistics
اللسانيات الأنثروبولوجية		Anthropological linguistics
التراكيب العربية		Arabic structures
منهج		Approach
سابق		Antecedent
تحليل		Analysis
تطبيق		Application
لبس (غموض)		Ambiguity

فاعل دلالي (منفذ الحدث) .... Agent
فضلة .... Adjunct
نصب .... Accusative
النظرية العربية الجملية .... Arabic sentential theory
تطابق .... Agreement
عائد .... Anaphor
ربط عائدي (إحالي) .... Anaphoric binding
علم الذكاء الاصطناعي .... Artificial intellegence
الفكر التحليلي .... Analytic thought
(معيار) القبولية .... Acceptability
تجريد .... Abstract
قياس .... Analogy
التداعي (الفكري) .... Association
نظرية الآلة .... Automata theory
رمز لا يمثله شكله .... Abstract symbol
الحصول على معلومات أو حفظها في مخزن الحاسوب .... Access
الخوارزميات .... Algorithms
اللسانيات العربية التطبيقية .... Applied Arabic Liguistics
ذاكرة تعمل بوساطة جهاز هاتفي .... Acoustic memory
مركز تخزين يعمل بوساطة جهاز هاتفي .... Acoustic Storage
لغة من لغات الحاسوب .... Algol
مجموعة الرموز .... Alphabet
تغيّر .... Altering
محلل .... Analyst
لغة الادارة والتطبيق .... Application Control Language
إضافة .... Addition
كاف (وافٍ) .... Adequate
قياس الوسط الحسابي .... Arithmatic mean

مظهر التعبير بالحدث		Active aspect
قضايا الحدث		Active statements
العمر		Age
اللغات الهندية الأميركية		American indian languages
مستقل		Autonomous

المصطلح بالعربية	B	المصطلح بالانكليزية
اللسانيات البيولوجية		Biological linguistics
دماغ		Brain
التركيب الأساسي		Basic sentence
مستفيد		Benefactive
رتبة أساسية		Basic order
سلوكية		Behavorism
القواعد التفريعية		Branching rules
لغة الأجسام		Body Language
بنك المعلومات		Bank data
نظام رموز شفري يحول الكسور العشرية إلى أربعة مجموعات من الأرقام المزدوجة		Binary-coded decimal
أرقام رمزية مزدوجة		Bits
مُصنِّف لغوي		Business compiler

المصطلح بالعربية	C	المصطلح بالانكليزية
نقد		Criticism
اللسانيات الحاسوبية ـــ المعلوماتية		Computational linguistics

Case grammar theory .... نظرية القواعد الدلالية
Computer .... حاسوب
Constraints .... ضوابط
Covert Pronoun .... ضمير مستتر (مقدر)
Coreferential .... إحالة مشتركة (مطابقة)
Constituent .... ركن
Conditional Structure .... تركيب شرطي
Comment .... خبر
Cases .... علامات (اعرابية)
Categories .... مقولات
Case roles .... أدوار دلالية
Competence .... كفاءة لغوية
Cognative psychology .... علم النفس الادراكي
Clinical psychology .... علم النفس الاكليني ــ السريري
Compact .... مضغوط
Concreteness .... ملموسية
Communicative function .... الوظيفة الايصالية
Cross-cultural communication .... الايصال عبر الثقافات
Culture .... ثقافة (حضارة)
Corpus .... عينات (مواد)
Connotation .... المعنى الايحائي (الضمني)
Context .... سياق
Cybernetics .... السبرانية (علم الضبط)
Creativity .... ابداعية (نهاية مفتوحة)
Complex .... معقد
Contrastive linguistics .... اللسانيات التقابلية
Compute Science .... علم الحاسوب
Card .... بطاقة

رمز (كمبيوتري) .... Character
شفرة (مجموعة من التعليمات لبرنامج) .... Code
منسجم .... Comfatible
لغة الحاسوب .... Computer language
وحدة الاشراف .... Control unit
مضمون .... Content
تحليل المضمون .... Content analysis
النزعات المركزية .... Central tendencies
انتماء متعدد (متعارض) .... Cross affiliation
ثوابت .... Constants
ثبوتي (انسجام) .... Consistency
القاعدة الجبرية (الملزمة) .... Categorical rule
سياق الموقف (المقام) .... Context of Situation
اختيار .... Choice
قياس الارتباط .... Correlation

المصطلح بالعربية	D	المصطلح بالانكليزية

خطاب .... Discourse
كثافة .... Density
توزيعات .... Distributions
مفارقة .... Departure
انحراف (انزياح) .... Deviation
السمات المميزة (الفارقة) .... Differential features
الحدود بين اللهجات .... Dialect boundaries
الأسلوبيات الديناميكية .... Dynamic stylistics
حوار (مع الآخرين) .... Dialogue

Descriptive writing	الكتابة الوصفية
Dialect	لهجة
Discourse analysis	تحليل الخطاب (النص المنطوق أو المكتوب)
Discovery	اكتشاف
Deviate	ينحرف (ينزاح)
Derived Structures	التراكيب الاشتقاقية
Delete	يحذف
Data	مواد (عيّنات)
Deductive	استنباطي (استنتاجي)
Deep srructure	البنية العميقة
Detached	انفصال
Diachronic	دياكروني (تطوري)
Denotation	معنى (معجمي)
Duality Structure	ثنائية البنية
Descriptive grammar	القواعد الوصفية
Deep sign	الاشارة العميقة
Depth theory	نظرية العمق
Discorery procedures	أساليب الاكتشاف
Dominate	يسيطر
Descriptive adequacy	استيفاء الوصف
Discipline	حقل معرفي
Database	مواد من البيانات تخزن بالحاسوب
Data processing	معالجة المواد (المعطيات)
Digital	مرقّم
Documentation	توثيق
Disk	اسطوانة

المصطلح بالعربية	E	المصطلح بالانكليزية
المقارنة الصريحة		Explicit comparison
تجريبي		Empirical
مضبوط		Exact
التركيب الكوني		Existential Structure
مجرِّب		Experiencer
سياق (محيط)		Environment
السياق غير اللغوي		Extralinguistic context
تقييم خارجي		External valuation
إثنية		Ethnicity
النظام الخارجي		External System
تضمين		Embedding
توكيد		Emphasis
أساليب التقييم		Evaluation Procedures
استيفاء التفسير		Explanatory adequacy
اعادة ترتيب البيانات		Edit
عطل (خطأ)		Error
الذاكرة الخارجية		External memory
الاشارات الخارجية		External signals

المصطلح بالعربية	F	المصطلح بالانكليزية
النقد الشكلي		Formal criticism
شكل (صياغة)		Form
قصص الجنيات		Fairy talks

Folk talks	القصص الشعبية (الفلوكلورية)
Frequency distribution	التوزيع الاحتمالي
Focus	بؤرة (تركيز)
Features	سمات
Function	وظيفة
Formulate	يصوغ (يشكّل)
Fragmented	مفكك (مشظى)
Fiction	الأدب القصصي
Formulaic expression	التعبير الجاهز (المقولب)
Finite	متناهي (محدود)
Final State	موقع نهائي
Formal system	النظام الشكلي
Finite State grammar	نحوُ المواقع المحدودة
Formal Universals	الكليات الشكلية
Functional linguistics	اللسانيات الوظيفية
Functional phonology	الصوتيات الوظيفية
File	ملف
Facility	خدمة جاهزة لتشغيل الحاسوب
Fortran Language	لغة برمجة للحاسوب

المصطلح بالانكليزية	G	المصطلح بالعربية
Group affiliation		انتماء متوحد (متجانس)
Geometrical mean		الوسط الهندسي
Grammatical selection		انتقاء نحوي
Grammatical model		أنموذج نحوي
General meaning		المعنى العام

Generate	يولد
Genitive	جر
Generativism	التوليدية
Generative semantics	الدلاليات التوليدية
Generative	توليدي
Guess	يحدس
Grammaticality	معيار القواعدية
Grammar	قواعد (صوتية ونحوية ودلالية)
Generative ability	المقدرة التوليدية
Glossary	مسرد (بالكلمات)
Grouping	تجميع

المصطلح بالانكليزية	H	المصطلح بالعربية
Historical criticism		النقد التاريخي
Historical ambiguity		الغموض التاريخي
Human biology		علم البيولوجيا الانسانية
Hardware		جهاز الحاسوب بمعداته

المصطلح بالانكليزية	I	المصطلح بالعربية
Isograph (Isogloss)		خط التوزيع
Isolexics		خط التوزيع المعجمي
Isophonics		خط التوزيع الصوتي
Isogrammatics		خط التوزيع النحوي
Implicit comparison		المقارنة الضمنية

Immediate constituents (I.C) — المكونات المباشرة

Information question — الاستفهام التصوري

Inductive — استقرائي

Information processing — معالجة المعلومات

Interpretive — تأويلي (تفسيري)

Immediat context — سياق مباشر

Integration — وحدة

Involvement — استغراق (نتيجة تجزئة الكلام)

Imageability — تصويرية

Internal pauses — الوقفات الداخلية

Internal Valuation — التقييم الداخلي

I.C analysis — تحليل المكونات المباشرة

Introduction — مدخل

Input — دخل

Informatics — المعلوميات

Intonation — نغمة

Internal system — النظام الداخلي

Information theory — نظرية المعلومات

Internal State — الموقع الداخلي

Initial State — الموقع الأولي

Instrument — أداة

Index — جدول (لبيانات في الحاسوب)

Infinity — لا متناهي

المصطلح بالانكليزية	J	المصطلح بالعربية

Jerky thought — فكر متسم بتغيرات مفاجئة

Job name	اسم العملية (الوظيفة)

المصطلح بالانكليزية	K	المصطلح بالعربية
Kernel sentence		التركيب الأساسي (النواة)
Knowledge		معرفة
Keyboard		لوحة المفاتيح
Keyword in context (K.W.I.C)		قائمة لجميع برامج الحاسوب

المصطلح بالانكليزية	L	المصطلح بالعربية
Linguistics		اللسانيات
Linguistic models		النماذج اللسانية
Language		لغة
Literary linguistics		اللسانيات الأدبية
Literature		أدب
Linguistic Knowledge		المعرفة اللسانية
Locative		ظرفي (مكاني)
Level		مستوى
Linguistic context		السياق اللساني
Literate		متعلم
Literacy		التعلّم (مجتمع يقرأ ويكتب)
Linguistic analysis		التحليل اللساني
Linguistic Units		الوحدات اللسانية
Linguistic Schools		المدارس اللسانية
Lexical rules		القواعد المعجمية

Literary stylistics	الأسلوبيات الأدبية
Literary style	الأسلوب الأدبي
Linguistic stylistics	الأسلوبيات اللسانية
Lexemes	الوحدات المعجمية
Linguistic geography	الجغرافية اللسانية
Literary ambiguity	الغموض الأدبي
(la Langue)	اللغة
(la Parole)	الكلام
Latency	زمن الكمون
Linear Structure	البنية الأفقية
Linguistic theory	النظرية اللسانية
Language processing	معالجة اللغة
Language analysis	تحليل اللغة
Load	تحميل
Loop	عملية تنفيذ تعليمات على نحو متكرر
Logical positivism	الوضعية المنطقية

المصطلح بالانكليزية	M	المصطلح بالعربية

Morpheme	المرقم (كلمة مستقلة أو متلازمة)
Mean deviation	متوسط الانحراف
Monologue	حوار (مع الذات) = مونولوج
Measures of Central Tendency	مقاييس النزعة المركزية
Median	الوسيط
Mode	المنوال
Modern linguistics	اللسانيات الحديثة
Mathematical linguistics	اللسانيات الرياضية

صفات الأصوات (المنطوقة)	Manner of Articulation
أنموذج	Model
علم الصرف	Morphology
يتحكم	Monitor
الوظيفة الماوراء اتصالية	Meta communicative function
النماذج الرياضية	Mathematical models
القواعد الصوتية ـــ الصرفية	Morphophonemic rules
النموذج التصنيفي	Matrix model
نضج	Maturation
ذاكرة	Memory
ذاكرة قصيرة الأجل	Memory short-Term
ذاكرة طويلة الأجل	Memory Long-Term
الترجمة الآلية	Machine Translation
لغة الآلة	Machine Language
شريط مغناطيسي	Magnetic Tape
حاسوب مصغر	Microcomputer
برنامج مصغر	Micro Program
طريقة الفحص	Mode of Presentation

المصطلح بالعربية	N	المصطلح بالانكليزية
عدد الأفعال		Number of verbs
عدد الصفات		Number of adjectives
كتابة سردية		Narrative writing
نمط معياري		Norm
محايد		Neutral
رفع		Nominative

Nominal Structure	....	التركيب الاسمي
Negative Structure	....	التركيب المنفي
Numeral	....	رقم من الصفر إلى التسعة يستعمل لتمثيل عدد
Numerical analysis	....	التحليل العددي

المصطلح بالانكليزية	O	المصطلح بالعربية
Oriental linguistics	....	اللسانيات الشرقية
Observation	....	ملاحظة
Objective	....	موضوعي
Overt pronoun	....	ضمير ظاهر
Obligatory	....	وجوبي
Optional	....	جوازي
Order	....	رتبة
Output	....	خرجْ
Obligatory rules	....	القواعد الوجوبية
Optional rules	....	القواعد الجوازية
Objective correlative	....	المعادل الموضوعي
Open ending	....	النهاية المفتوحة
Operation System	....	شبكة العمليات
Overflow	....	الفائض

المصطلح بالانكليزية	P	المصطلح بالعربية
Phonetics	....	الصوتيات
Phonetic	....	صوتي

Phoneme .... الفونم (صوت يميز المعنى وليس له معنى)
Preposing .... تقديم
Postposing .... تأخير
Points of Articulation .... مخارج الأصوات (المنطوقة)
Pronoun .... ضمير
Predicate .... مسند (محمول)
Particle .... أداة
Poetry in prose .... الشعر المنثور
Performance .... أداء لغوي (انجاز)
Planned discourse .... الخطاب المعدّ
Pragmatics .... البراغماتية (النفعية)
Prestylistic expression .... تعبير ما قبل التأسلب
Pragmatic selection .... انتقاء نفعي
Probability distribution .... التوزيع الاحتمالي
Paralinguistic features .... السمات الفوق لغوية (اشارية)
Program .... برنامج
Phonological rules .... القواعد الصوتية (الوظيفية)
Pedagogy .... علم أصول التدريس
Pause .... الوقف
Philosophical ambiguity .... الغموض الفلسفي
Political ambiguity .... الغموض السياسي
Philology .... فقه اللغة
Pattern .... صيغة
Punctuation .... نظام الترقيم
Perscriptive grammar .... القواعد المعيارية (الوضعية)
Produce .... ينتج
Phrase Structure grammar .... نحوُ بنية العبارة
Permutation rule .... قاعدة التبادل

Paper tape	شريط ورقي
Pascal	لغة للبرمجة في الحاسوب
Print-out	طبع المعلومات من الحاسوب
Program Language	لغة البرنامج
Probabilistic concept	المفهوم الاحتمالي
Probabilistic rule	القاعدة الاحتمالية

المصطلح بالانكليزية	Q	المصطلح بالعربية
Qualitative aspect		مظهر التعبير بالوصف
Qualitative Statements		قضايا الوصف
Quantitive measurment		القياس الكمي

المصطلح بالانكليزية	R	المصطلح بالعربية
Ratios		نسب
Reliability		قياس الثبات
Range		مدى
Reference		مرجع (اشارة)
Relations		علاقات
Rules		قواعد
Role		دور (دلالي)
Rhapsodic		مفرط بالعاطفة
Religous ambiguity		الغموض الديني
Register		تعبير
Rationalism		العقلانية

عقلاني	Rational
يتكرر	Recur
استجابة (ردة فعل)	Response
جهاز له القدرة على تشغيل نفسه	Robot

المصطلح بالعربية	S	المصطلح بالانكليزية
عينات		Samples
اللهجات الاجتماعية		Social dialects
اللسانيات الاجتماعية		Sociolinguistics
الأسلوبيات السكونية		Static stylistics
الأسلوب العلمي		Scientific style
الجنس		Sex
أسلوب		Style
علم الاشارة (السيميولوجيا)		Semiotics (Semiology)
البنيوية		Structuralism
نحو الجملة		Sentence grammar
التحليل الاحصائي		Statistic analysis
الخواص الأسلوبية		Stylistic markers
الأسلوبيات الاحصائية		Statistic stylistics
انتقاء		Selection
البنية السطحية		Surface structure
السلوكية البنيوية		Structural behaviorism
تعبير متأسلب		Stylized expression
تعبير غير متأسلب		Styleless expression
علم التراكيب (نحويات)		Syntax
علم الدلالة (دلاليات)		Semantics

Specific meaning .... معنى خاص

Spoken Language .... اللغة المنطوقة

Stylistics .... الأسلوبيات

Speech disorder .... المرض الكلامي (اللغوي)

Structuralism .... البنيوية

Syntactic Structures .... المباني التركيبيّة (النحوية)

Subjective .... شخصي

Subject .... مسند إليه

Semantic Structures .... التراكيب الدلالية

Semantic component .... المكون الدلالي

Syntactic component .... المكون النحوي

Stylisic rule .... القاعدة الأسلوبية

Sequential linear .... الخط المتتابع

Strategies .... استراتيجيات

Standard theory .... النظرية (المنهج) المعياري

Semantic rules .... القواعد الدلالية

Syntactic rules .... القواعد النحوية

Sign Language .... لغة الاشارة

Syntactic subject .... فاعل نحوي (مسند إليه)

Semantic agent .... فاعل دلالي (دور)

Speech analysis .... تحليل الكلام

Speech synthesis .... تركيب الكلام

Stress .... النبر

Synchronic .... سنكروني (آني ـــ ابن وقته)

Suprasegmental Features .... سمات فوق صوتية (قطعّية)

Synonyms .... مترادفات

Simplicity .... البساطة

String .... سلسلة

المصطلح بالعربية	المصطلح بالانكليزية
الكليات الجوهرية (الحقيقية)	Substantive Universals
معالجة الاشارة والمعلومات	Signal and information processing
طريقة للتجزئة	Segmentation
جهاز التحسس	Sensor
تحويل	Shift
عملية الفحص	Sign check
أنظمة البرمجة المستعملة في الحاسوب	Software
خطأ في التركيب	Syntax error
منهجية	Systematics

T

المصطلح بالعربية	المصطلح بالانكليزية
النموذج التوليدي التحويلي	Transformational generative model
التركيب المشتق (المتحول)	Transformational sentence
نص	Text
نحو النص	Text granmar
موضوع (محور)	Theme
تحويلات	Transformations
زمن	Tense
ترجمة	Translation
القواعد التحويلية	Transfornational rules
العلاقات الدلالية	Thematic relations
النظام المطبعي	Typographic system
شريط	Tape
علم التصنيف	Taxonomy
فرع للحاسوب يتم بوساطته الاتصال بالحاسوب المركزي	Terminal
نظرية	Theory

المصطلح بالعربية	U	المصطلح بالانكليزية

Unique significant deviation .... انحراف متفرد دال

Unmotivated aberration .... شطط غير ممتع (محفز)

Universals .... كلّيات (عالميات)

Universal grammar .... القواعد الكلية

Unplanned discourse .... خطاب غير معدّ

Unevaluated .... غير مقيّم

Unliterate .... أمّي

Ungrammatical .... غير نحوي

Utterance .... كلام منطوق

المصطلح بالعربية	V	المصطلح بالانكليزية

Validity .... قياس الصحة (شرعية)

Variables .... متغيرات

Verbal Structures .... التراكيب الفعلية

Valuation .... تقييم

المصطلح بالعربية	W	المصطلح بالانكليزية

Written Language .... اللغة المكتوبة

Word order .... رتبة الكلمات

المصطلح بالعربية	X	المصطلح بالانكليزية
الأشعة السينية (أشعة أكس)		X-ray
صورة بالأشعة السينيّة		X-ray photograph

المصطلح بالعربية	Y	المصطلح بالانكليزية
الاستفهام التصديقي		Yes-No question
يروي حكاية (يتحدث)		Yarn

المصطلح بالعربية	Z	المصطلح بالانكليزية
صفر		Zero
متحمس		Zealous
الحفر بالزنكوغراف (طباعة)		Zincography
منطقة (يقسم إلى مناطق)		Zone

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

المصادر والمراجع العربية

(1) أبو العلاء المعري (1950) **رسالة الغفران** . تحقيق د . بنت الشاطىء طبعة دار المعارف بمصر .

(2) ألكسان ، جان (1979) **النهر — رواية** . منشورات اتحاد الكتاب العرب — دمشق .

(3) جان ليونز (1970) **تشومسكي**. ترجمه إلى العربية د. محمد زياد كبه (1987) . منشورات النادي الأدبي بالرياض .

(4) جيرو ، بيير (1988) **علم الدلالة**. ترجمة إلى العربية د. منذر عياشي دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق.

(5) جيرو ، بيير (1988) **علم الاشارة — السيميولوجيا** ، ترجمه إلى العربية د. منذر عياشي. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق.

(6) الحاج صالح ، عبد الرحمن(1972) " مدخل إلى علم اللسان الحديث " **مجلة اللسانيات** الصادرة عن معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر . المجلد الأول (جزء 1-2) والمجلد الثاني (جزء 1) .

(7) حقي ، بديع (1987) **همسات العكازة المسكينة — رواية**. منشورات اتحاد الكتاب العرب — دمشق.

(8) الخطيب ، حسام (1975) **محاضرات في تطور الأدب الأوربي** جامعة دمشق — دمشق .

(9) خرما ، نايف وحجاج ، علي (1988) **اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها . عالم المعرفة — الكويت** .

(10) الراهب ، هاني (1985) **بلد واحد هو العالم — رواية**. منشورات اتحاد الكتاب العرب — دمشق.

(11) الراجحي ، عبده (1981) "علم اللغة والنقد الأدبي : علم الأسلوب " **فصول**. مج ١ — ع ٢ . القاهرة.

(12) السباعي، مراد (1962) **الشرارة الأولى**. منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـــ دمشق .

(13) السباعي، مراد (1985) **سباق في مسبح الدم** منشورات اتحاد الكتاب العرب ـــ دمشق .

(14) السكاكي ــــــــ **مفتاح العلوم**. دار الكتب العلمية، بيروت نسخة غير محققة .

(15) الطرابلسي، محمد الهادي (1978) " في منهجية الدراسة الأسلوبية " ضمن **اللسانيات واللغة العربية**. مركز الدراسات . تونس .

(16) عياد، شكري (1980) " مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد " **فصول**. مج1 ـــ ع 1 . القاهرة .

(17) عزت، علي (1971) " علم الأسلوبيات ومشاكل التحليل اللغوي " **الفكر المعاصر**. ع 80 . القاهرة .

(18) فيصل، شكري (1975) " محاضرات في الأدب والنقد العربي القديم " ألقيت على طلبة الدراسات العليا ـــ الدبلوم الأدبي ـــ قسم اللغة العربية ـــ جامعة دمشق .

(19) الفاسي فهري، عبد القادر(1985) **اللسانيات واللغة العربية** دار توبقال للنشر ـــ الدار البيضاء ـــ المغرب .

(20) القزويني، الخطيب ــــــــ **التلخيص في علوم البلاغة**. ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي . دار الكتاب العربي، بيروت .

(21) القاسمي، علي (1980) " المصطلحية (علم المصطلحات) " **مجلة اللسان العربي** الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط ـــ المغرب . العدد 18 .

(22) لوفيفر، هنري (1966) **اللسان والمجتمع**. ترجمه إلى العربية د. مصطفى صالح (1983) . منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـــ سورية .

(23) المسدي، عبد السلام (1984) **اللسانيات من خلال النصوص** طبعة الدار التونسية للنشر، تونس .

(24) المسدي، عبد السلام (1977) **الأسلوبية والأسلوب: نحو بديل ألسني في نقد الأدب**. الدار العربية للكتاب ـــ تونس .

(25) مصلوح، سعد (1984) الأسلوب دراسة لغوية احصائية . دار الفكر العربي بمصر .

(26) مكتب تنسيق التعريب (1981) **صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية**. أبحاث الدورة التدريبية الرباط ـــ المغرب .

(27) الوعر، مازن (1987) **نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية**. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق .

(28) الوعر، مازن (1988) **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ـــ مدخل** دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق .

المصادر والمراجع الأجنبية

(1)	Al-Waer, Mazen	(1987)	**Toward a Modern Arabic Linguistic Theory.** Tlass for Studies, Translation and Publication. Damascus.
(2)	Al-Waer, Mazen	(1980)	" Beyond the Symbolic System of the Arabic Language " aPaper Presented at the " Spoken and Written Discourse Seminar " held at Georgetown University. Washington D.C.
(3)	Al-Kasimi, Ali	(1983)	**Linguistics and Bilingual Dictionaries.** Leiden, E.J. Brill.
(4)	Bloomfield, L	(1984)	**Language.** The University of Chicago. U.S.A.
(5)	Bateson, G	(1972)	**Steps to an Ecology of Mind.** Ny. Ballantine.
(6)	Bolton, W	(1967)	**Ashort History of Literary English.** London.
(7)	Chapman, R	(1973)	**Linguistics and Literature.** littlfield, Adams, Co. New Jersey. U.S.A.
(8)	Chomsky, N	(1975)	**Syntactic Structures.** Mouton, The Hague, Paris.
(9)	Chomsky, N	(1965)	**Aspects of the Theory of Syntax. MIT Press. Mass. U.S.A.**
(10)	Chafe, W	(1980)	" Integration and Involvement in Spoken

and Written Language " Apaper Presented to the 2nd Congress of International Association for Semiotic Studies. Vienna.

(11) Cook, W (1979) **Case Grammar: Development of the Matrix Model.** Georgetown University Press. Washington D.C.

(12) De Saussure, F (1959) **Course in General Linguistics.** Translated by Wade Baskin. Newyork. U.S.A.

(13) Ducrot, O and Todorov, T (1983) **Encyclopedic Dictionary of the Science of Language.** Translated by Catherine Porter. The Johns Hopkins University Press. Baltimore. U.S.A.

(14) Hughes, T (1967) **Poetry in the Making.** London, Faber and Faber.

(15) Joyce, J (1961) **Ulysses.** Vintage Books, New York, U.S.A.

(16) Lyons, J (1977) **Semantics 1.** Cambridge University Press. Cambridge.

(17) Langer, S (1953) **Feeling and Form.** London.

(18) Loveday, (1982) **The Sociolinguistics of learning and Using a Non- Native Language.** Oxford: pergamon Press.

(19) Mukarovsky (1977) **Structure, Sign and Function.** Translated by Burbank and P. Steiner. New Haven.

(20) Palmer, F (1971) **Linguistics at Large.** N. Minnis, ed. London, Gollancz.

(21) Plato (1942) **The Republic of Plato.** Translated by Lindsay, A.D. New York.

(22) Peirce, C (1953) **Letters to Lady Welby.** ed. I. C. Lieb, New Haven.

(23) Peirce, C (1960) **Collected Papers.** Cambridge, Mass.

(24) Partee, B (1978) **Fundamental of Mathematics for Linguistics.** Greylock Publishers, Connecticut.

(25) Quiller-Couch (1916) **The Art of Writting.** Cambridge University Press.

(26) Tannen, D (1983) **Spoken and Written Language.** Norwood, NJ: Ablex. U.S.A.

(27) Wall, R (1972) **Introduction to Mathematical Linguistics.** Prentice-Hall, INC. New Jersey.

(28) Woodger, J (1970) **The Technique of Theory Construction.** The University of Chicago Press.

المحتــوى

الفصـــل الأول

اللسانيات والمنهجية الجديدة للغة العربية

الفصل الثاني

اللسانيات وموقفها من اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة

الفصـــل الثـالـث

اللسانيات وأثرها في الأدب والنقد الأدبي الحديث

الفصـــل الرابـع

كتابان لسانيان مترجمان تحت المجهر

الفصـــل الخـامس

حوار مع عالم اللسانيات الأمريكي نوم تشومسكي وعالم اللسانيات الفرنسي أندرية مارتينه

الفصـــل السـادس

اللســانيات والحاسب الالكتروني والترجمات الآلية

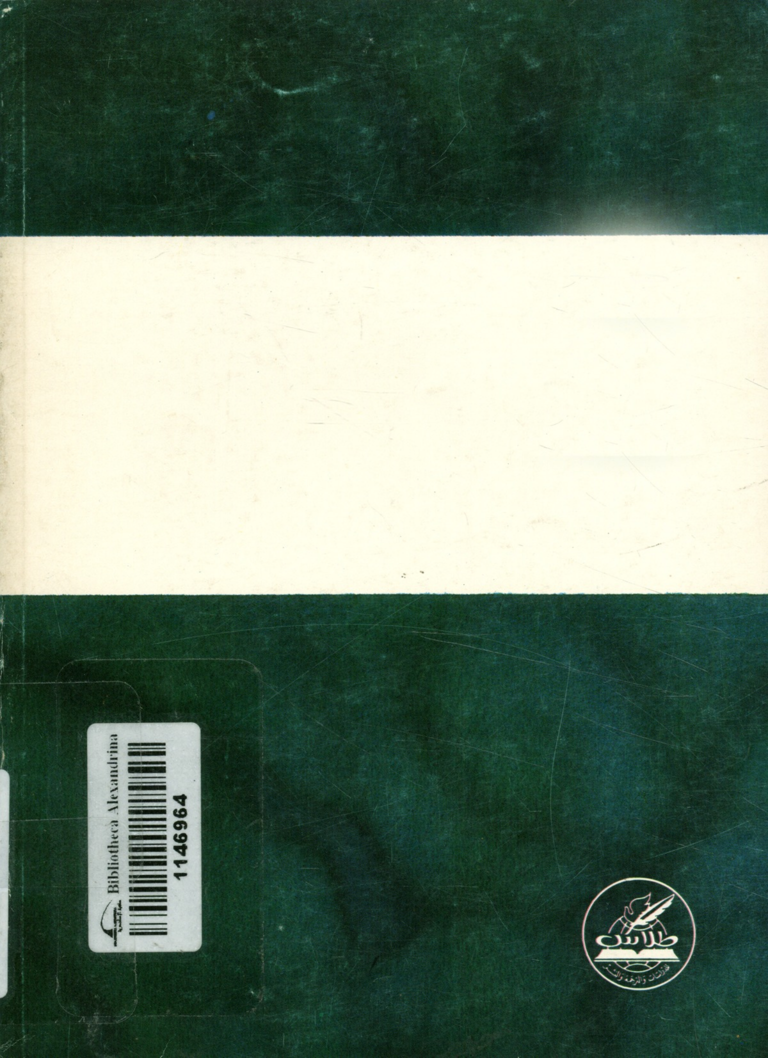
دراسات لسانية تطبيقية/مازن الوعر. ــ ط. ١. ــ دمشق: دار طلاس، ١٩٨٩. ــ
٤٣١ ص. ؛ ٢٥ سم.

١ ــ ١ر٤١٠ وعر د ٢ ــ العنوان ٣ ــ الوعر

مكتبة الأسد

رقم الإيداع ــ ١٩٨٩/٧/٩٤٨

رقم الإصدار ــ ٤٥٨


Bibliotheca Alexandrina
1146964
طلاس